

موسوعة الشخصيات الإسلامية

المجلد الأول

الأنبياء والرسل الكرام



الأنبياء والرسل
الكرام

(١)

سيدنا آدم وبدء الخلق

الحمد لله رب العالمين، موجد الأشياء بلا معين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الذي أظهر الانسان من سلالة من طين، ثم جعله نطفة في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقه سوداء للناظرين، ثم خلق العلقه مضغة وهي قطعة لحم بقدر أكلة الماضغين، ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير أساساً يقوم عليه هذا البناء المبين، ثم كسا العظام لحماً هو لها كالثوب للابسين، ثم أنشأ خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وحجته على عباده، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين فهدى به من الضلال وعلم به من الجهالة: سيدي أبا القاسم يارسل الله صلى عليك الله ياعلم الهدى، ماهبت النسائم وماناحت على الأيك الحمايم، وعلى سائر أنبياء الله تعالى، وسلم تسليمًا: ألا أن إيماناً برسلٍ تحتمما وهم آدم إدريس نوحٌ على الولا وهود صالح لوط مع ابراهيم أتى كذا نجله اسماعيل اسحق فضلا ويعقوب يوسف ثم يتلو شعبيهم وهارون مع موسى وداود ذو العلا سليمان أيوب وذو الكفل يونس والياس أيضاً واليسع ذاك فاعقلا كذا زكريا ثم يحيى غلامه وعيسى وطه خاتماً قد تكملا وقد تم نظمي جمع رسل مرتبا لهم حسب إرساله كما قاله الملا عليهم صلاة الله ثم سلامه يدومان مادام الأراضي وماعلا وبالآل فيارب فرج كربوبي بجاههم والأصحاب ثم الذي تلا

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً .

أما بعد: فيجب على كل مكلف أن يعرف خمسة وعشرين رسولاً بأسمائهم، بحيث لو سئل عن واحد منهم لاعترف وصدّق بأنه رسول، وهم المذكورون في القرآن الكريم في آيات متعددة، منهم من اقتصر على ذكر اسمه كإدريس وذي الكفل، ومنهم من أورد مولانا قصته موجزة كإسماعيل واسحق ويونس، ومنهم من أورد قصته مفصلة كسيدنا إبراهيم وموسى ويوسف وعيسى، وكل ما جاء به القرآن من قصص الأنبياء حق وصدق يجب الإيمان به، وقد جُمعت أسماءهم في خمس آيات هي قوله تعالى:

﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ / الأنعام: ٨٣ .

﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا، ونوحاً هدينا من قبل، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل وإيسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾ / الأنعام: ٨٦ .

﴿وإلى عادٍ آخاهم هوداً .. وإلى ثمود أخاهم صالحاً.. وإلى مدين أخاهم شعيباً، وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ .

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ / الفتح : ٢٩ .

وذكر مولانا عز وجل سيدنا آدم فقال : ﴿إن الله اصطفى آدم ...﴾ / آل عمران: ٣٣ / ولم يصرح بأنه كان رسولاً، ولكن الآيات القرآنية التي ذكر فيها تدل على ترجيح القول برسالته.

أيها الإخوة الكرام: إننا مع الدرس الأول من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية وبالذات مع أبنينا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فما هو أول

ماخلق مولانا عز وجل؟ فهذا سؤال هام جداً. إذ اختلف العلماء رحمهم الله في كون القلم أوّل المخلوقات. أو العرش؟ على قولين لا ثالث لهما.

أما خلق الله تعالى العرش (١) فقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وقال: وعرشه على الماء» (م ٤٤٤/٤ - خ ٢٦٥٣).

وأما بعد أن خلق مولانا القلم قال له: اكتب، فقال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء (أحمد . ت).

وخلق مولانا عز وجل الأرض قبل خلق السموات، لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف يقول عز وجل:

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ / البقرة: ٢٩.

وكان قد خلق الأرض في يومين يوم الأحد والاثنين، وفي ذلك يقول مولانا عز وجل: ﴿قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين، وتجعلون له أنداداً، ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها (أي ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس في يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين مجموعهما أربعة أيام، ولهذا قال مولانا) وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين.

ثم استوى إلى السماء وهي دخان (وهي بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض) فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً (قال مولانا عز وجل للسموات: اطلعي شمسي وقمري ونجمي وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك) قالتا: أتينا طائعين﴾ / فصلت: ٩ - ١١.

قيل: الذي أجاب من منطقة الأرض هو مكان الكعبة اليوم، ولذلك اتخذه مولانا قبلة للناس، ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ (أي آخرين وهما يوم

الخميس والجمعة، وكان خلق سيدنا آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل).

﴿وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾. (فصلت ٩-١٢)

أيها الإخوة الكرام:

وأراد مولانا عز وجل أن يُعرّف، أن يخلق خلقاً ليعرفوه فخلق الملائكة والجن، ففي الآية الكريمة: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ /الذاريات: ٥٦/. (أي ليعرفوني فيعبدوني).

ولما أراد مولانا خلق سيدنا آدم أخبر الملائكة الكرام أنه سيخلق بشراً يجعله خليفة له في الأرض، وأنقل لكم هذا المشهد الإيماني على الموجة الإيمانية من سورة البقرة يقول عز من قائل:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون﴾ /البقرة: ٢٩/.

لم قالت الملائكة هذا القول؟ لأنها رأت الجن يقتتلون على الأرض حتى أرسل مولانا إبليس يرأس كوكبة من الملائكة إليهم فقتل منهم وأسر بعضهم وردهم إلى الجزر في البحار، فالملائكة لم تعترض على مولانا لأن الاعتراض معصية، ولم يقولوه غيبة لبني آدم لأن لملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكنهم ظنوا أن البشر سيفعلون ذلك كما فعل الجن من قبل، ولذلك مولانا قال لهم: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ /البقرة: ٣٠/.

وبدأت عملية خلق سيدنا آدم، فأمر مولانا . كما في صحيح البخاري . سيدنا جبريل أن يأتي بقبضة من تراب الأرض وأنواعه جميعاً وقال له: إني خالق مما ستأتي به خلقاً من أطاعني منهم دخل الجنة، ومن عصاني أدخلته النار.

فنزل سيدنا جبريل ليأخذ تلك القبضة من الأرض، فسألته ماذا يفعل؟ فقال
أمري ربي عز وجل أن آخذ منك أنواعاً وألواناً من التراب ليخلق منه خلقاً من
أطاعه منهم أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار. فقالت:
. أعوذ بالله أن تنقص مني شيئاً أو تأخذ مني شيئاً إلى النار.

فامتنع سيدنا جبريل وصعد إلى السماء، وقال لمولانا: سمعت ماقالت لي الأرض،
فأرسل سيدنا ميكائيل، فقالت له مثل ذلك، ثم أرسل ملك الموت فقالت له ذلك،
فقال لها:

- وأنا أعوذ بالله وجلاله أن أعصي له أمراً، وأخذ القبضة وصعد إلى السماء،
فقال له مولانا: وعزني لأخلقن مما جئت به خلقاً ثم لأسطنك على أرواحهم.
«كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» (حم - خ في التاريخ - ت) ويقول:
«إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيئته» (حب - حا)
بل ورد في تفسير ابن أبي حاتم وعند أبي نعيم في دلائل النبوة عند تفسير قوله
تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
ابن مريم وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظًا﴾. /الأحزاب: ٧/.

وابتدأت المرحلة الثانية في الخلق: مرحلة الطين، كيف؟
أخذ مولانا التراب وأسقط عليه ماء الحزن مئة سنة، ثم أسقط عليه ماء الفرح
ثلاث سنوات حتى صار التراب طيناً، ثم تركه ماشاء الله تعالى، حتى أصبح في
المرحلة الثالثة للخلق وهي مرحلة: الحمأ المسنون: طين أسود متين لازب (ملتصق
بعضه ببعض).

وفي المرحلة الرابعة أخذ بصناعة سيدنا آدم، وسمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض
(من ترابها)، وبدأ خلقه من القدمين.

وانظروا إلى هذا التشريف، اسمع كيف شرفك مولانا عز وجل، خلقتك بيديه، لم
يفعل كما فعل مع الملائكة: أخذ قبضة من النور وقال كوني فكانت ،
﴿كن فيكون﴾ /يس: ٨٢/، ولا فعل كما فعل مع الجن أخذ قبضة من نار وقال

كوني فكانت، لا، بل صنعك بيديه، هل عرفت قدرك عند الله! لذا أنت مكتوب على قلبك هذا خلق الله.

ومن القدمين إلى الساقين ارتقى حتى سواه انساناً كاملاً مستوياً متناظراً جميلاً قائماً في أحسن صورة وأبهى منظر طوله ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع، وتركه حتى يجف ويصبح صلصالاً كالفخار، وفي كل يقول مولانا عز وجل:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصالٍ من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ /الحجر: ٢٩/.

وجاءت الملائكة قبل نفخ الروح في أبينا آدم لتبارك إلى الله بالخلق الجديد، وجاء معهم إبليس، إبليس ليس ملكاً، إبليس قال عنه مولانا بأنه: ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ /الآية: ٥٠/.

ولكنه كان رئيس كوكبة من الملائكة قال: لكثرة عبادته وجمال مناجاته لله تعالى حتى قيل: إنه لم يترك مكاناً في السموات أو في الأرض لم يسجد فيه لله تعالى، لما رأى جسد سيدنا آدم راح يتفحصه، يدخل من فمه ويخرج من دبره ومن أنفه، ثم قال: لأمر ما خلقتك الله؟!، ثم قال للملائكة:

- هذا الجسد ضعيف (سيقع وينكسر). قالت الملائكة: ولم؟ قال: لأنه أجوف وليس صمداً. ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد...﴾ /الاخلاص ١-٢/ الله صمد لا جوف له، وسيدنا آدم له جوف أي ليس صمداً (١)، قالت الملائكة: ماذا تقول يا إبليس هذا خلق الله؟ (استحي من الله تعالى)

قال إبليس: لئن سلطت عليه لأهلكه ولئن سلط علي لأعذبه.

وهنا بدأ التشريف الرابع: نفخ الروح، فلم يأخذ له مولانا من أرواح الحيوان والطيور، أو من أرواح بقية المخلوقات، لا، ولكن خلق له روحاً ونسبها إلى ذاته فقال: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ /الحجر ٢٩/. فالروح التي فيك سرٌّ من أسرار الله لا يعرف كنهها أحد ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ /الاسراء: ٨٥/.

فنظرت الروح فلم تدر من أين تدخل إلى جسد أبينا آدم، فسألت مولانا: يارب من أين أدخل. قال لها: ادخلي كَرِهًا وستخرجين كَرِهًا.

قال فدخلت من يافوخه (من رأسه) فلما وصلت الروح إلى عينيه نظر آدم إلى نفسه كيف يحوله اللَّهُ تعالى إلى لحم ودم، فوصلت الروح إلى أنفه فعطس، فلما وصلت إلى فمه قال:

الحمد لله رب العالمين. فقال له مولانا: رحمك ربك يا آدم ولهذا خلقتك. (صحيح حب - حا ووافقه الذهبي).

وصارت الروح تدخل أعضاء سيدنا آدم حتى قام حياً لحماً ودماً، وما أن قام حياً حتى سجد له الملائكة سجود تحية واحترام وطاعة لمولانا إذ أمرهم من قبل: ﴿فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس (قال عنه مولانا) : أبي أن يكون مع الساجدين ﴿الحجر: ٢٩ - ٣٠ - ٣١.﴾

وعلى الموجه الإيمانية من سورة البقرة: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ /البقرة: ٣٤.

فقال له مولانا عز وجل: ﴿يَا إِبْلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصالٍ من حمأٍ مسنون ﴿الحجر: ٣٣.﴾

وعلى الموجه الإيمانية من سورة الأعراف قال مولانا: ﴿قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ /الأعراف: ١٢.

وعلى الموجه الإيمانية من سورة ص: ﴿قَالَ: يَا إِبْلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ /ص: ٧٥ - ٧٦.

إذاً المسألة مسألة: أنا، بدأها إبليس هناك واستمرت حتى الآن، كانت فردية وأصبحت دولية، أصبحت عنصرية، كل أمة اليوم تدعي أنها شعب الله المختار، المانيا تقول أنا الشعب الآري أفضل عنصر من عناصر البشر، اسرائيل تردد اليوم بأنها شعب الله المختار، أمريكا تقول: نحن لسنا شعب الله المختار، لا بل نحن الله نفسه، وحين قالت امريكا ما قالت راحت روسيا وبلدان المشرق تقول: ونحن نكفر بالله والعياذ بالله.

وكلها معركة التكبر، والعنصرية التي ابتدأها إبليس بقوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

هذه المعركة معركة نوعية الجنس: أنا ابن فلان، أنا من بلد كذا، هؤلاء جميعاً ينضمون لابليس، وهذه الدعوى الإبليسيه نهي عنها مولانا، وبين أن الأفضلية للتعوى فقال تعالى:

﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا (لا لتتنافوا) إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾
الحجرات: ١٣/.

لذلك كل انسان يقيس نفسه بالشير وبالسنتمتر يقول لك: معي ١٠٠ مليون فأنا نصف إله، وآخر معه ٢٠٠ مليون يقول أنا ثلاث أرباع إله، والثالث معه ٥٠٠ مليون يقول لك أنا الإله بنفسه وكلهم يرون بقية العباد دود تمشي على الأرض أو صراصير.

هذا الموقف أصل الكبر، وزعيم هذا المذهب إبليس لما قال: أنا خير منه، ونحن عندما نبدأ بالتفاخر بالأنساب والأحساب والبلدان والأموال والمناصب والأموال نكون متكبرين على عباد الله تعالى، وكم من أصنام الآلهة يمشون على الأرض متكبرين متجبرين، ولذا حذرنا سيدنا رسول الله ﷺ فقال: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » (م).

وقال أيضاً: «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار»
(أحمد - طب - صحيح).

ويقول جدي سيدنا الحسن رضي الله عنه: «عجباً لابن آدم يغسل الخرء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر على جبار السموات والأرض».

وقال سيدنا محمد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: مادخل قلب رجل شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك.

واسمع معي حبيبك ﷺ يقول:

«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه» (ق)، وحدثنا عن رجل فقال:

«بينما رجل يتبختر في برديه أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» خ (٥٧٨٩) م (٢٠٨٨).

فالمتكبرون ليسوا موحدين، لأن الموحد خاضع متواضع لله، إنهم عبدوا إبليس، فهل أمرنا مولانا بهذا، أليس قد قال لنا: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ / : ٦٠.

الكبر على عباد الله بدأ به إبليس بقوله: أنا خير منه، وإن معصية الكبر معصية عظيمة، اسمع إلى مولاك يقول: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نافسني فيهما قصمته ولا أبالي» م (٢٦٢٠) د (٤٨٠) ج (٤١٧٤) أحمد (٢/ ٢٤٨).

والمتكبر قلما يوفق في حياته مالم يتنازل عن كبره وصلفه، وسوف تتابع عليه الضربات القاصمة من مولانا وإليكم الدليل:

زعيم الكبر إبليس أول ضربة أصابته مانقله لنا مولانا في كتابه الكريم: الضربة القاصمة الأولى: إخراجه من السموات العليا قال تعالى:

﴿قال فأهبط منها فما يكون لك أن تكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾
/الأعراف: ١٣/.

الضربة الثانية جعله شيطاناً رجيماً ملعوناً إلى يوم الدين، قال تعالى

﴿قال فأخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ /الحجر: ٣٥/ وفي سورة (ص) ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ /ص: /.

وهنا إبليس طلب من مولانا أن يمهل إلى يوم القيامة فقال:

﴿رب انظرني إلى يوم يبعثون﴾.

قال: فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾.

وهنا إبليس اللعين قال لمولانا عز وجل:

﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾، (وفي سورة الأعراف): ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾. (فقال له مولانا عز وجل): ﴿فالحق والحق أقول لاملائن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ (وفي سورة الإسراء) ﴿قال فاذهب فممن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم موفوراً، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم الشيطان إلا غروراً﴾.

أيها الإخوة الكرام:

هذه الضربات القاصمة سوف ينالها كل متكبر كما نالها زعيمه إبليس، فكيف دخل أبونا آدم الجنة؟ كيف تزوج السيدة حواء؟ كيف زاده ﷻ تعالى تشریفاً؟ أعلق هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة إن شاء ﷻ تعالى أعود بكم إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد ﷻ تعالى.

العليه

(٢)

سيدنا آدم وزواجه من السيدة حواء

الحمد لله الذي ابتدأ الانسان بنعمته ، وصوره بيده كيف يشاء بحكمته، وجعل له السمع والأبصار، وأخرجه من ظلمة العدم إلى سعة الأرض والفضاء، ورباه بإحسانه وغذاه بنعمه وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى ما إليه صار، ونقله من حال إلى حال وحفظه بالليل والنهار ، حتى إذا بلغ حد التكليف طلب منهم العبيد والأحرار.

أحمده سبحانه وتعالى على كل حال حمداً يفوق حمد الحامدين بعدد ما هبّ ودبّ وطار، وأشكره شكراً كثيراً يوجب المزيد من النعم والالحوق بالأبرار.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا مثيل وهو الموحد القهار، شهادة نحيها عليها ونموت عليها ونبتع عليها يوم البعث والانتشار.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله رافع دين الإسلام ومحقق دين الكفار.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه بعدد ما أظلم عليه الليل وأضاء عليه النهار وسلم تسليماً.

أما بعد: فنحن اليوم ننزل ضيوفاً على أبي البشر مع الحلقة الثانية والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد (لا إله إلا الله) وخير مانستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبئهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴿البقرة ٣٠ - ٣٣﴾.

أيها الإخوة:

هذه الآيات الكريمات الثلاثة ذكر فيها مولانا شرف سيدنا آدم على الملائكة بما اختصه به من علم أسماء كل شيء، فقد علمه مولانا كل شيء خلقه مولانا عز وجل وما سيخلقه: جبل . سماء . شمس . قمر . ملك . جن . سهل . بحر ... وغيرها، ومن هنا عرفت الملائكة أن مولانا عز وجل فضل عليهم سيدنا آدم في العلم، هذه الأفضلية بينها مولانا في كتابه: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ /المجادلة: ١١/. ولهذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (ت حسن صحيح).

«وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (هـ: صحيح).

ولهذا فالذين يرثون النبوة هم العلماء: «العلماء ورثة الأنبياء» (د- ت - حب - حا) (١).

كان هناك تشريف عظيم آخر ينتظر سيدنا آدم، فبينما طرد إبليس من السموات العلى، نجد أن مولانا كرم سيدنا آدم فأدخله الجنة، وجعله يتمتع بكل ما فيها، ورأى نفرًا من الملائكة في الجنة، فقال له مولانا: أئت هؤلاء الملائكة من الملائكة فقل لهم: السلام عليكم، فأتاهم فقال: السلام عليكم. فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه عز وجل فقال له: «هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم».

ورأى سيدنا آدم الجنة وما فيها من العجائب، لكنه مع ذلك شعر بالوحشة، وجد نفسه وحيداً فألقى الله عليه النوم، وأخذ ضلعه الأيسر المعوج ووضع مكانه

لحماء، وخلق من الضلع السيدة حواء، وهذا معنى قول مولانا: ﴿وخلق منها زوجها﴾ /النساء: ١/.

فلما هب سيدنا آدم من نومه رأى خلقاً جميلاً إلى جنبه فسألها: من أنت؟!، قالت: امرأة. قال: ولم خلقت، قالت: لتسكن إلي، وهنا سأله الملائكة ليروا مبلغ علمه فقالوا: ما اسمها يا آدم؟ فقال: حواء، قالوا: ولم. قال: لأنها خلقت من شيء حي. وألقى مولانا عليه الشهوة، فقال آدم: يارب زوجنيها، قال: فأمهرها. قال: ومأمهرها. قال: وكان مكتوباً على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله: قال: إن مهرها أن تصلي على محمد عشر مرات، قال: إن فعلت تزوجنيها؟ قال: نعم (ض)، فصلى سيدنا آدم على سيدنا محمد عشر مرات فكان مهر السيدة حواء، وكان الشهود الملائكة وكان الذي عقد العقد مولانا رب العالمين.

وأمرهما مولانا بالتمتع بكل شيء في الجنة، وأن يأكلا منها إلا من شجرة القمح، يقول عز وجل:

﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ /البقرة: ٣٥/.

أيها الإخوة الكرام:

استعدوا اليوم، فنحن على موعد لزيارة أبينا آدم في بيت الزوجية، إنه مع زوجه السيدة حواء في سكن غير مستأجر، لم يدفعاً فروغاً ولا خلواً، وإنما أسكنهما في جنته من يقول للشيء كن فيكون، واسمحوا لي أن أذيع عليكم وقائع هذا الدرس من سورة طه، فمن البقرة إلى طه، وعلى الموجات العاملة من سورة طه أنقل لكم درس اليوم:

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى، فقلنا: يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ /طه: ١/.

تعالوا نسلط الأضواء الهادئة الكاشفة على هذه الآيات:

مولانا في عليائه ينصح أبانا آدم: إن هذا: اسم إشارة يدل على القريب كأن الشيطان أمامه يراه مرأى العين، إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما: أنت وزوجك.

فلا يخرجكما من الجنة فتشقى: وانتبهوا إلى قوله تعالى، لم يقل مولانا فلا يخرجكما من الجنة فتشقى بل قال: فتشقى أنت وحدك، أنت وحدك ستشقى يا آدم.

ولماذا لا تشقى حواء معي، لأن السيدة حواء أنثى، والأنثى مكانها البيت، وأما أنت فإذا خرجت من الجنة فسوف تشقى في مناكب الحياة، سعيًا وراء لقمة العيش، سعيًا وراء النفقة، سعيًا وراء الكسوة... أما الأنثى فمخلوقة من ضلع الرجل لاشقاء عليها ولا سعي ولا ركض ولا حر ولا برد ولا غلاء أسعار، ولا مواصلات... أنت الذي ستذوق ذلك وحدك يا آدم.

هل وقفت معي على هذا المعنى، أن الرجل تقع على كاهله أعباء الحياة، وأن المكان الصحيح للمرأة هو بيتها، ألسنتم معي أن هذه الآية الكريمة تشير إشارة واضحة وتلمع إلماعة ساطعة وتومئ إيماءة لا ريب فيها، أن الرجل هو المسؤول عن المرأة وأن المرأة مكانها هو بيتها، ولهذا يقول ﷺ:

«أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى تتوب أو ترجع» (ض).

ومازلت أذكر هذا المشهد الذي حدث أيام سيدنا رسول الله ﷺ (طب ضعيف من طريقين):

أحد الصالحين يخرج متاجرًا، فأوصى زوجته قبل خروجه ألا تخرج من بيتها حتى يعود من سفره، وصية وثيقة لا تحرجي حتى أعود.

ويأتي أخوها يخبرها أن أباه مريض، ويطلب منها أن تخرج لتعوده، فتذكر وصية زوجها، فتقول لأخيها:

- إن زوجي أوصاني ألا أخرج حتى يعود من سفره، فاذهب إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه، اذهب إلى ولي أمر المؤمنين أجمعين:

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ / الأحزاب: ٦.

وذهب أخوها إلى مولانا سيدنا محمد ﷺ يستأذنه، أتدرون ما قال له سيدنا رسول الله ﷺ، إن رسول الله رأى أن في ذهابها إلى بيت أبيها شيئاً ولو قليلاً من الاعتداء على حق الزوج، فقال له:

. يا هذا أخبر اختك أن طاعتها لزوجها خيرٌ من زيارتها لأبيها.

فماذا قالت؟ . قالت: سمعاً وطاعة لله ورسوله.

وبعد أيام مات أبوها، وجاءها أخوها لتشهد الفصل الأخير من حياة أبيها، الذي عما قليل سيطوى بين أطباق الثرى، ليتوسد التراب ويقدم مائدة إلى ديدان الأرض، فقالت له:

. و الله يا أخي لا أذهب حتى تستأذن لي رسول الله ﷺ .

وذهب أخوها، وعرض أمرها على سيد المرسلين، على النبي الأمين، على الأمي الذي علم المتعلمين، على اليتيم الذي بعث الأمل في قلوب اليائسين، على الفقير الذي أغنى الأغنياء بالإيمان العظيم، فقال له حبيب الله: . يا هذا أخبر اختك أن طاعتها لزوجها خير لها من أن تشهد جنازة أبيها.

وإلى هنا يسدل الستار على هذا المشهد المهيّب، على هذه الصورة النسائية العظيمة، على هذه المرأة التي لم تتخرج من جامعة دمشق ولا من كلية العلوم ولا من كلية الفنون، ولا من مدارس الفرنسيّسكان أو الفرير، وإنما تخرجت من مدرسة سيدنا محمد ﷺ مدرسة كتب على بابها: ﴿وإنك لعلى خلق العظيم﴾ / ن: ٤ / على مدرسة قال عنها صاحبها:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (حسن لغيره)(١).

لكنني بعد أن أسدلت الستار على هذا المشهد رأيت مشهداً أعجب وأعظم من هذا الفصل، فقد حضر زوجها من سفره، وأُخبر الخبر، وسرعان ماذهب إلى سيدنا محمد ﷺ وعرض عليه ما فعلته زوجته من السمع والطاعة لله ورسوله، رسول الله الذي قال عنه مولانا:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ /النساء: ٦٥/.

وإذا بسيدنا محمد ﷺ يصدر حكمه، وحكم رسول الله ﷺ لا يقبل نقضاً لأنه مبرم، ولا يقبل استثناءً لأنه محكم، قال له الحبيب الأعظم (صلوا عليه): . يا هذا أخبر زوجتك بأن الله ﷻ قد غفر لأبيها إكراهاً لطاعتها لك.

لتسمع النساء: غفر الله ﷻ لأبيها، ولهذا يقول ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وحصّنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» (طس ٢/ ١٦٦ حب أحمد ١٦٦١ أبو نعيم ٦-٣٠٨ وهو حديث حسن).

ولذلك يجب على الأب أن يبحث لابنته عن رجل مؤمن غير متكبر، غير فاسق وليس مع الآباء ماذا يقول الإمام الشعي، يقول: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها».

ويقول جدي سيدنا الحسن: «لا تزوج ابنتك إلا لتقي، إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها»،

فإذا خطبت الفتاة كان على والديها أن يقدموا لها نصيحة الطاعة لزوجها، فمن الذي وصى أمنا حواء بحسن المعاشرة لأبينا آدم؟، إنه الله، من الذي علم آدم سنن الأخلاق الزوجية، إنه الله، (وحدوا الله).

ولأجل ذلك ما يزال يَرُّ في أذني صوت هذه السيدة العربية التي وصلت ابنتها ليلة زفافها بتلك الوصية الحكيمة البليغة المؤثرة الموجزة إيجازاً بليغاً، لكنها احتوت

على معنى كريم، وغالٍ لا يشق له غبار، قالت لابنتها: - يا ابنتي كوني لزوجك أرضاً
يكن لك سماء، وكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لك
دُخراً.

(النساء في عصرنا توصي بناتها: خاصي جوزك وصالحي بيت حماك، قصقصي
طيرك ليلف غيرك، كتر الدلال يهرب العاشق، ياماً منا بالرجال يا أمنا بالمى
بالغربال، لا تأخذي من الأصلع لا رأي ولا نصيحة لو الله ييجبه لخلق رأسه
صحيحة).

وصايا مارواها أبو هريرة ولا رواها ابن عمر، وإنما روتها الشياطين، واسمعوا الوصايا
العشر من هذه المرأة فإن وصاياها نابعة من شعب الإيمان:

قالت المرأة لابنتها: واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لك ذخراً:
أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة.
وأما الثالثة والرابعة: فتفقدى مواضع عينيه وأنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح
ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فتفقدى أوقات طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع مذهب،
وتنغيص المنام مغضضة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتباس لماله وحسن الإرعاء لخدمه وعياله.
وأما التاسعة والعاشر: فلا تفشي له سرّاً ولا تعصي له أمراً، إنك إن أفشيت له
سراً أو غرت صدره وإن عصيت أمره لم تأمني غدره.
ثم قالت لها بعد ذلك:

- يا ابنتي إياك أن تغتمى وتحزني إذا رأيته مسروراً، وإياك أن تضحكي وتُسْرِى إذا
رأيته حزيناً.

كلمات تكتب بماء الذهب، ولذلك رأينا رسول الله ﷺ يقول:

«لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».. (لعظم حقه عليها) ت (١١٥٩) حب (١٢١٩) وحا ووافقه.
ولا يفوتني أن أذيع عليكم وصايا رسول الله ﷺ للأزواج فقد قال لنا:
«استوصوا بالنساء خيراً» (م ١٤٦٨).
وقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله.» (ت ٢٦١٢).
﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ / النساء: ١٩.

أيها الإخوة الكرام:

باليابسة عنكم وبالأصالة عن نفسي أستأذن أبانا آدم قبل أن يخرج من الجنة،
أستأذنه بالعودة فإنه يعز على نفسي أن أراه خارجاً وتحت إبطه أمنا حواء إلى هذه
الأرض، ولذا أبادر على جناح السرعة إلى هناك حيث رسول الله ﷺ ثم إلى
هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



(٣)

وفاته سيدنا آدم عليه السلام

وشيث - وإدريس

الحمد لله منزل القرآن، وخالق الإنسان معلمه البيان الذي استوى على العرش، وزين السماء بالكواكب وجعلها رجوماً لكل شيطان، قضى وقدر وأخرج سيدنا آدم من الجنة فلا قائل لتقديره لم كان، فسبحان من سبّحته غرائب اللغة باختلاف الألحان، أحمده على نعمه التي عمت الآباء والأبناء والإخوان. وأشكره والشكر أولى ما استعمل فيه الإنسان اللسان والجنان والأركان، وأستعينه وأستهديه، فما خاب من استهداه واستعان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من علم أنه خلق الزمان والمكان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأحسن الأديان، المنعوت في التوراة والإنجيل بالصفات الحسان.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الإنس والملئك والجان، وعلى آله وأصحابه الذين نصره فكانوا نعم الأنصار والأعوان، وسلم تسليمًا.

أما بعد : فيا أيها الإخوة الكرام

تركت معكم في الجمعة الماضية سيدنا آدم وأما حواء في جنة المأوى أو جنة النعيم، وهذا من الإكرامات الإلهية العديدة التي أكرم بها مولانا أبانا سيدنا آدم، لكن إكراماً عظيماً آخر كان ينتظره.

١ - « إذ أن مولانا مسح على ظهره فاستخرج منه ذريةً ثم قال: هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره ثانية فاستخرج منه ذريةً وقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون » (ض)، ثم أشهدهم على أنفسهم وقال لهم:

اعلموا أن لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلاً ينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتابي، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب غيرك.

فأقروا يومئذ بالطاعة، ورفع سيدنا آدم نظره إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لو سويت بين عبادك. فقال: إني أحببت أن أشكر .

ورأى فيهم الأنبياء عليهم النور مثل المصاييح، فأخذ عليهم ميثاقاً آخر من الرسالة والنبوة وهو قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ الأحزاب: ٧/.

٢- «ورأى سيدنا آدم رجلاً منهم فأعجبه النور الذي بين عينيه فقال: أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. قال: يارب وكم جعلت عمره؟ قال ستين سنة. قال: أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة» (ت ٣٠٧٦ حب ٢٠٨٢ حا ٢ / ٣٥٢ هب ١٠ / ١٤٧) (حسن صحيح).

٣- « وفي هذا الإكرام العظيم يقول مولانا عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بَلَى، شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ / الأعراف: ١٧٢ / والحديث إسناده حسن.

وكان مولانا عز وجل قد أعطى الأمر لأبينا آدم وأمنا حواء فقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ / البقرة: ٣٥/.

وهنا إبليس حسد سيدنا آدم على هذه المكانة العظيمة، كيف يطرد هو، وسيدنا آدم يدخل الجنة، وسيدنا رسول الله ﷺ يقول: « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد» (طب ٨ / ٣٦٩ مجمع ثقات).

الحسد جعل إبليس يسعى في المكر والخديعة والوسوسة لأبويننا ليسلبهما ما هما فيه من النعمة قال ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ / طه: ١٢٠. قال: نعم.

قال أن تأكل من شجرة القمح، واسمعوا كيف إذا قدر الله تعالى أمراً لا ينفذ إلا قضاءه وقدره، مولانا في عليائه من قبل أن يخلق سيدنا آدم قال:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ / البقرة: ٣٠ / يعني آدم سيهبط من الجنة إلى الأرض، والله تعالى لا يظلم فجعل لذلك سبباً، ما هو السبب؟ جعل سيدنا آدم ينسى العهد الذي أخذه على نفسه بعدم الأكل من الشجرة، وهذا التقرير ذكره مولانا في كتابه فقال:

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ / : / .

وراح إبليس ليشغله عن تذكر هذا العهد يحلف له ولأمننا حواء الأيمان الكاذبة ويغريهما بالخلود والبقاء في الجنة ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. فدلّاهما بغرور﴾ / الأعراف: ٢١ - ٢٢. /

وكان أول من أكل أمننا حواء وراحت تنصح أبانا آدم أن يأكل منها، فتركها وأكل من شجرة أخرى من أشجار القمح، ولهذا يقول ﷺ: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها» خ (٣٣٣٠).

وما أن أكلا منها حتى ﴿بدت لهما سواتهما وظفعا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ / الأعراف: ٢٢، وندم سيدنا آدم (استحياء من الله تعالى)، وراح يركض مولياً في الجنة، وكان كثير الشعر فعلمت شجرة بشعره، فناداه مولانا: يا آدم أمني تفر. قال: لم أفر يا رب ولكني استحييتك. قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك.

﴿ألم أنهكما عن تلك الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ / الأعراف: ٢٢. /

قال: بلى يارب، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً، وقد أمرتني حواء بذلك.

قال: فإني قد أعقبتها ألا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً قال فصرخت السيدة حواء عند ذلك، فقال مولانا: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كذاً.

﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾
البقرة ٣٦ / ﴿قال: فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ / الأعراف: ٢٥.

وأهبط سيدنا آدم في الهند، والسيدة حواء في جدة، ثم اجتمعا في عرفات وكان أول طعام أكل آدم من الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من القمح وأمره أن يبذرهما، فبذرهما فنبتت فحصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه فأكل بعد جهد عظيم وتعب ونصب.

وكان أول كسوتهما من شعر الضأن جزّاه ثم غزلاه ولبساه.
وأنزل مولانا من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، أنزلها من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس.

أيها الإخوة: مكث سيدنا آدم في الجنة مئة عام، وبكى على الجنة سبعين عاماً، وعلى خطيئته سبعين عاماً، فما كان على سيدنا آدم مع هذه المكانة التي هو عليها أن ينسى هذا العهد، ولأجل ذلك راح يستغفر ويتوب ويقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً فاغفر لي إنك خير الراحمين. وقد ذكر مولانا استغفار أبينا آدم فقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾
الأعراف: ٢٣.

وهنا توجه سيدنا آدم فقال: أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى. قال: أي رب ألم تسكني جنتك. قال: بلى. قال: ألم

تسبق رحمتك غضبك. قال: بلى. قال: أرأيت أن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة. قال: بلى. (حا ووافقه) واسمع إلى قول مولانا عز وجل:

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ /البقرة: ٣٧.

وبدأ سيدنا آدم يغرس الأشجار ويحفر الآبار ويعمر الديار، فولدت له السيدة حواء تسعاً وثلاثين ولداً في عشرين بطناً، في كل بطن ذكر وأنتى غير سيدنا شيث فإنه ولد في بطن وحده، وكان في جبهته نور المصطفى ﷺ وما زالوا يتوالدون في مدة حياته حتى بلغ عددهم نحواً من أربعين ألفاً، وقد أرسله الله إليهم، (فسيدنا آدم نبي ورسول على الراجح).

وكان سيدنا آدم يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر، فأراد هابيل أن يتزوج بأخت قابيل، وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قرباناً.

فقرب هابيل . وكان راعياً . جذعة سمينة، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرع، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال:

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ /المائدة: ٢٧.

أيها الإخوة الكرام : اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد على الموجة الإيمانية من سورة المائدة، فإن الأمر جد خطير، وسوف يحدث ولأول مرة على الأرض حادثة شنيعة، يقول عز وجل:

﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال: لأقتلنك. قال إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فطوَّعت له

نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه، قال: يا ويلقى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي، فأصبح من النادمين ﴿المائدة: ٣١﴾.

ودفنه في جبل قاسيون شمالي دمشق في مغارة الدم في جبل الأربعين. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير وقال (إنه كان من الصالحين) وأنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل، وأنه استحلف هابيل أن هذا دمه فحلف له، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء، فأجابه إلى ذلك، وصدقه في ذلك رسول الله ﷺ الله وقال: إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس ». الرؤى لا يثبت أياً كان الرائي. قال الألباني في فضائل الشام ودمشق: محض افتراء وكذب _ ولا يثبت _.

أيها الإخوة الكرام : وحزن أبونا آدم حزناً شديداً على ابنه هابيل، وقد عوجل قاييل بالعقوبة يوم قُتل أخاه فتعلقت ساقه إلى فخذه، وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت، تنكيلاً به وتعجيلاً لذنبه وحسده لأخيه، وقد ورد في الحديث عنه ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» (د. أحمد، هـ ٤٢١١)

أيها الإخوة: عاش سيدنا آدم ٩٦٠ سنة، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: (زوائد المسند ٥/ ١٣٦ - ابن سعد ١/ ٣٩ حا : ٢/ ٥٤٥ مجمع الهيثمي ٨/ ٢٠٢).
إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهب بنوه يطلبون له ذلك.

وعهد سيدنا آدم إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك كما أعلمه أنه مقبوض، وراح يوصيه الوصية الأخيرة. واسمعوا وصايا سيدنا آدم لولده شيث وخليفته من بعده في النبوة قال:

« أي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد ﷺ، فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، وإن ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصرًا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوب عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحر الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورقة شجرة طوبا ، وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذلك فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها . »

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليماً﴾ / الأحزاب : / .

« وبحث بنوه عن بعض ثمار الجنة فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل ، فقالوا لهم :
يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ قالوا : أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة ، فقالوا : ارجعوا فقد قضى أبوكم ، فجاءوا فلما رأهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم . فقال : إليك عني فإني إنما أتيت من قبلك فخلي بيني وبين ملائكة ربي عز وجل، ثم التفت إلى الملائكة الكرام فقال:
أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قالوا: أولم تعطها ابنك داود، قال فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم فنست ذريته. وأتمها له مولانا ألفاً ولولده داود مئة سنة.

فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه ، وكبروا عليه أربعاً، ثم أدخلوه قبره فوضعوه فيه ثم حثوا عليه التراب ، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم (صحيح) .

والمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه في الهند ، وقيل بجبل أبي قبيس في مكة .

أيها السادة الكرام: قام بأعباء الأمر بعد أيينا آدم ولده سيدنا شيت، وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حاتم عن أبي ذر مرفوعاً : أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

ثم كان أول نبي بعدهما سيدنا إدريس ، وهو أول من خط بالقلم أدرك من حياة جد جده شيت عشرين سنة.

ويسمى أخنوخ ، وإنما قيل له إدريس لكثرة دراسته في الصحف ، بعثه مولانا إلى بني قابيل وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وهو أول من خاط ثياب القطن ولبسها ، وكان من قبله يلبسون الصوف والجلود ، وكان إذا خاط يسبح الله تعالى عند كل غرزة ، فإذا غفل وخاط نقض ما خاطه بغير تسبيح .

وقد أثنى عليه مولانا ووصفه بالنبوة والصدّيقية وهو أحد أجداد النبي ﷺ وقد مر رسول الله في المعراج به وهو في السماء الرابعة ، وهذا أشار إليه مولانا في كتابه الكريم فقال :

﴿ واذكر في الكتاب إدريس . إنه كان صدّيقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً ﴾
/ : / .

ولما صار له من العمر ٣٦٥ سنة رفعه مولانا إلى السماء ، وقيل :
إن ملك الموت استأذن ربه في زيارته فأذن له فأتى إليه في صورة رجل ، فقال له إدريس : من أنت ؟

قال أنا ملك الموت استأذنت ربي في زيارتك . فقال له إدريس : انا لي إليك حاجة . قال وما هي؟ قال أن تقبض روحي في هذه الساعة ، فقال له ملك الموت . إن ربي لم يأذن لي بذلك . فأوحى الله تعالى إليه أني علمت ما في نفس عبدي فاقبضها ، فقبضها .

ثم أحياه مولانا في الحال . فقال يا ملك الموت بقي لي حاجة أخرى . فقال وما هي : قال تمضي بي إلى جهنم لأنظر حولها فأذن الله تعالى بذلك ، فحمله وأتى به إلى مالك خازن النار . فأوحى الله إلى مالك بأن أوقف عبدي ادريس على شفير جهنم لينظر ما فيها ، فلما وقف ادريس ونظر غشي عليه من أهوالها ، فجاء إليه ملك الموت واحتمله إلى مكانه الذي أخذه منه ، فصار إدريس منذ ذلك اليوم لا تكتحل عينيه بمنام ، ولا يهنأ بشراب ولا طعام ، واعتكف على عبادة الله تعالى ، ثم دخل محرابه وسأل الله تعالى أن يريه الجنة كما أراه النار .

فأوحى الله تعالى إلى رضوان حارس الجنان أن يدلي إليه غصناً من أغصان الجنة ، فأدلى له غصناً من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد إلى السماء فأدخله رضوان إلى الجنة وأراه مافيها من النعيم فلما أطال الجلوس . قال له رضوان اخرج فقد نظرت الجنة وما فيها . فقال له ادريس ما أنا بخارج منها . وقد قال الله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وقد ذقته ، وقال تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ وقد وردتها ، وقال تعالى ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ فما أنا بخارج منها .

فأوحى الله تعالى إلى رضوان قل لعبدي ادريس لا يخرج منها أبداً . وهو أول من كتب الصحف ، وأول من نظر في علم النجوم والحساب ، وأول من عمل الكيمياء ، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه ، وقد انتهت إليه الرئاسة في علم النباتات وأسرار الحروف . وكان يسكن صعيد مصر .

فمن هو النبي الثالث الذي ذكره مولانا في كتابه الكريم ، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

* * *

(٤)

سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام

الحمد لله الذي أحاط بمحادث الدنيا والآخرة حُبْرًا ، وجعل لكل شيء قدرًا ،
وأسبل على الخلائق رعاية وسترًا ، أحمدته على نعمائه شكرًا ، وأسلم لقضائه صبرًا .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً ،
وأستمدّها على الأعداء نصراً .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى البرية عذراً ونذراً ، فدعا إلى
الله سرّاً وجهراً ، ونشر رحمته على العالمين نشرًا .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأدم لهم ولنا يا
مولاي أجراً ، وسلم تسليمًا .

أما بعد:

فحديثنا اليوم . بإذن الله تعالى . عن أول الرسل إلى الأرض ، عن نبي لقبه
المؤرخون بلقب أبي البشر الثاني، كثير النواح والبكاء أثناء عبادته وقيامه، وكان أطول
الأنبياء عمراً وأعطاه الله تعالى الفُلك ، وعلمه صنعته وحفظه بما فيه، وأجراه فوق
الماء، وسماه عبداً شكوراً، وجعل ذريته هم الباقين .

إننا مع الحلقة الرابعة من سلسلة النفحات المنبرية من أعلام الشخصيات
الإسلامية من جامع الدرويشية، ومع ملف النبوات ، وبالذات مع النبي الثالث
الذي ذكره مولانا في كتابه الكريم ، إنه سيدنا نوح الحفيد الثالث لسيدنا إدريس ،
أو الحفيد الثامن لسيدنا آدم ، فقد مضت عشرة أجيال أو قرون كانت كلها على
الإسلام، واشتهر على مدى هذه الحقب التاريخية عبّاد وزهاد وصالحون انتشر
ذكرهم في كل مكان ، أذكر منهم ودّاً وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، كانوا محبين في

أقوامهم ، وكان ود أكبرهم ، كان رجلاً صالحاً فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل (العراق) وراحوا يتبركون به ، فلما رأى إبليس فعلهم وجزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال لهم :

إني أرى جزعكم على هذا الرجل ، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه به ، قالوا : نعم . فصور لهم مثله فوضعوه في مكان اجتماعاتهم ، وجعلوا يذكرون أقواله وأفعاله ومعروفة فلما رأى ما بهم من تذكره قال لهم :

. هل أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله . قالوا : نعم

قال فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله ، ولكل واحد من أصحابه سواع ويغوث ويعوق ونسر ، فأقبلوا عليهم وجعلوا يذكرونهم كلما اجتمعوا مع أهلهم وأبنائهم . ورأى أبنائهم ما فعل الآباء ، وتناسلوا ودرس وانقرض أمر ذكرهم إياهم حتى اتخذ كل منهم إلهاً يعبدونه من دون الله ، وكان أول ما عُبد من دون الله ود . وهكذا فعلت كل طائفة من الأقسام لما تناولت العهود والأزمان ، فجعلوا تلك التماثيل والصور مجسدة في حجر وطين ، ولهذا ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله أنه قال :

« إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة » .

واسمع أيضاً إلى ما قاله سيد الخلق وحبیب الحق ، يقول :

(« من صور صورة في الدنيا (يعني تمثالاً) كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح

وليس بنافخ » (م) ٢١١٠ .

وكان يقول : كل مصور في النار (كل نحّات في النار) يجعل له بكل صورة

صورها نفس فتعذبه في جهنم (م) .

ويقول مولانا في الحديث القدسي: « ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي » (م)، وأشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله. ولذلك ورد: « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون (النحاتون) » مسلم (٢١١٠).

فإبليس زرع الأصنام في الأرض من زمن سيدنا نوح ، هذا النبي (نوح) الذي شب عابداً تقياً حامداً شاكراً ، وكان يحمد الله تعالى على كل حال له ، على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله ، وهذا يكسب العبد رضى مولانا عز وجل عنه، واسمع معي إلى حبيبك رسول الله وهو يقول :

عن أنس بن مالك (إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) (م) مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ونشأ صائماً ذاكراً ، يقول عنه سيدنا رسول الله : صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم عيد الأضحى (ه: ض) وكان لا يرضى ما عليه قومه من الكفر والضلال وانتشار الفساد في الأرض وعبادة الأصنام.

أيها الإخوة الكرام :

حين بلغ سيدنا نوح أربعمئة وثمانية عشرة سنة بعثه الله تعالى رسولاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه ، أمرهم ألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً ، وأن يعترفوا بوحدانية الله ، لا إله غيره ولا رب سواه ، وفي هذا يقول مولانا عز وجل على الموجة الإيمانية من سورة نوح :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب أليم. قال نوح: يا قوم إني لكم نذير مبين. أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى، إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ / نوح: ١ - ٤ / .

وهكذا بدأ سيدنا نوح دعوته بلطف ولين وبالموعظة الحسنة على عادة جميع الأنبياء والرسل ، فاستجاب له أهل الحق والذين كتب الله لهم الهداية، وكان جل أتباعهن الفقراء والمساكين والمستضعفين كما هم أتباع الأنبياء والرسل . استجابوا بمجرد أن دعاهم إلى الله تعالى وذكرهم عذابه وعقابه، لأن أهل الحق لا يحتاجون إلى روية ولا فكر ولا نظر ولا انتظار في الانقياد إلى الحق ، ولهذا مدح مرة سيدنا رسول الله سيدنا أبو بكر الصديق فقال :

(ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر الصديق فإنه لم يتلعثم) (ابن كثير في البداية النهاية). أي استجاب مباشرة، وأما المتكبرون فإنهم أعرضوا عن الحق واتهموا سيدنا نوحاً بالكذب والضلالة، فاسمعوا معي كيف خاطبهم بلهجة الداعية الهادئة على موجات سورة الأعراف: ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أوعجبتكم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾ /الأعراف: ٦١ - ٦٣ .

وتمضي الأشهر والسنوات ونوح يدعو قومه إلى الله تعالى بأنواع الدعوة. ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ /يونس: ٧١ - ٧٢ .

هل سمعتم هذه النبوة الوعظية وهذا الأسلوب الناصح كيف أتى بلطف ولين وصبر وأناة ، وتمضي مئات السنين ، وقوم نوح يزدادون إصراراً واستكباراً ، ووصل عدد المؤمنين به إلى ثمانين ، لا أقول ثمانين ألفاً بل ثمانين رجلاً وامرأة، وكانت امرأة نوح من وراء ستار تحون زوجها سيدنا نوحاً، كلما دخل بعض الناس في الإسلام أخبرت قومها بذلك، فيردوهم عن الإيمان بالله تعالى، بل إن قومها طلبوا من سيدنا

نوح أن يطرد عنه هؤلاء المؤمنين ليدخلوهم في الإسلام ، فبماذا أجابهم سيدنا نوح ،
اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا الموقف الإيجابي على الموجات الإيمانية من سورة هود:
﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا ومانراك اتبعك إلا
الذين هم أراذلنا بادي الرأي] بمجرد دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا
روية [وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرايتم إن
كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة (النبوة الرسالة) من عنده فَعَمِيَتْ عليكم
(فلم تفهموها ولم تهتدوا إليها) أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ (أنغصبكم ونجبركم
عليها) .

﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً ، إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين
آمنو إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون . ويا قوم من ينصربي من الله
إن طردتهم أفلا تذكرون ﴾ .

أيها الإخوة :

وتطاولت الأزمنة حتى بلغت ألف سنة إلا خمسين ، والمحاور والمجادلة تشتد بينه
وبين قومه ولم يزد العدد على ثمانين ، حتى ضاقوا به ذرعاً وقالوا له:

﴿ يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .
قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين . و لا ينفعكم نصحي إن
أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم، هو ربكم وإليه ترجعون ﴾

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن به إلا القليل منهم وكان كلما
انقرض جيل وصّوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربتة ومخالفته حتى أيقن نوح أنه لا
ينفعهم نصيحة ، وكان الذي يخونه بالسر زوجته فهي بالرغم من أنه أنجب منها
أولاداً أربعة سام وحام وياث ويام (وقد آمن منهم ثلاثة: سام ومن أولاده العرب
وفارس والروم، وياث ومن أولاده الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج. وحام وأولاده

القبط والسودان والبربر) أقول رغم ذلك، فقد كانت تحبر قومها بكل من يدخل في الإسلام ليردوه عنه.

وهنا سيدنا نوح دعا ربه ﴿أني مغلوب فانتصر﴾ وراح يعتذر لمولانا قائلاً :
﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً ، وإني كلما
دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا
استكباراً ، ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً فقلت
استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ، مالكم لا ترجون لله وقاراً ، وقد
خلقكم أطواراً﴾
﴿رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من
المؤمنين﴾ .

وهنا يؤس سيدنا نوح من قومه فدعا عليهم دعوة غضب الله عليهم بعدها
غضباً شديداً قال نوح : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن
تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾

أيها الإخوة : دعوة الأنبياء والرسل دعوة مستجابة لذلك يقول سيدنا رسول
الله ﷺ « لكل نبي دعوة مستجابة في قومه، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم
القيامة»، إن مولانا استجاب لسيدنا نوح وأوحى إليه ﴿ إنه لن يؤمن من قومك
إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كان يفعلون . واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا
تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾.

أيها الإخوة الكرام : اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك ، إلى القرون الطويلة
الماضية ، لنشاهد كيف صنع أبو البشر الثاني أول سفينة ، لنرى السفينة تصنع
لأول مرة في التاريخ، سفينة عظيمة لم يكن لها نظير من قبلها ولا يكون بعدها
مثلاً.

﴿ويصنع الفلك وكلما مرَّ عليه ملاً من قومه سخرُوا منه قال: إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾ وتعجب قومه منه كيف يصنع سفينة عظيمة على منطقة ليس فيها بحار أو أنهار عظيمة تسير فيها، ومضى عليه مدة طويلة في صناعة السفينة العجيبة ، سفينة طولها ثلاثمئة ذراع في عرض خمسين ذراعاً في ارتفاع ثلاثين ذراعاً ، مؤلفة من طبقات ثلاث كل واحدة عشرة أذرع، وباب عريض في وسطها ، وجعل لها غطاء من فوقها مطبقاً عليها .

ثم أمره مولانا أن يحمل فيها من كل مخلوق وحيٍّ زوجين اثنين و قال له : ﴿ فإذا جاء أمرنا وفار التنور (الأرض إذا نبعت، نبع كلها شيء حتى أماكن النيران ، التي يخبز فيها الخبز) فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ . وجعل الطبقة السفلى للدواب والوحوش ، والوسطى للناس ، والعليا للطيور .

أيها الإخوة الكرام :

وأعطى مولانا إشارة البدء للطوفان الذي عم الأرض كلها ، فحمل نوح مَن أمره مولانا بحمله، وخاطبه مولانا فقال:

﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجاني من القوم الظالمين . وقل رب أنزلي منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾ .

وامتثل سيدنا نوح لأمر مولانا فقال لأهله وللمؤمنين : ﴿اركبوا فيها بسم مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾ .

أيها الإخوة الكرام :

اسمحو لي أن أنقل لكم هذا المشهد العظيم من كوةٍ على سفينة التوحيد التي يقودها سيدنا نوح على الموجة الإيمانية من سورة القمر :

﴿ففتحنأ أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾ .

﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن من الكافرين . قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم . ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعيزك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين وحال بينهم الموج فكان من المغرقين﴾ .

وإذا بإمرأة معها صبي وكانت تحبه حباً شديداً ، فخرجت إلى الجبل حتى بلغ الماء ثلثه ، فلما طغى الماء استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها ثم ضربته موجة الماء فغرقا .

أيها الإخوة :

كان الطوفان معجزة عظيمة لسيدنا نوح ، فقد طغى الماء وارتفع إلى أعلى جبل في الأرض ، وعم جميع الأرض طولها وعرضها وسهلها وجبلها وقفارها ورمالها ، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير استمر مئة وخمسين يوماً ، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يقول :

﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين . فأنجيناه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك هو العزيز الرحيم﴾ ،
﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ .
﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر﴾ .

وجاء الأمر الإلهي بعد إهلاك الكفرة المجرمين الذين لم يخضعوا لله رب العالمين:
﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء اقلعي ، وغيض الماء وقضي الامر
واستودت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ .

وأوحى مولانا عز وجل لسيدنا نوحاً ﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك
وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ .
أيها الإخوة :

بعث سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوق
على الجيف فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأنتت بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين
، فعرف سيدنا نوح أن الماء قد نضب ، فهبط إلى أسفل الجودي على أرض العراق
في يوم العاشر من المحرم يوم عاشوراء . وفرض على قومه أن يصوموا ذلك اليوم
شكراً لله تعالى .

وهناك في العراق بنى قرية بالثمانين الذين نجوا معه وسميت قرية ثمانين ، لكنهم
وفي يوم من الأيام أصبحوا وقد تبدلت ألسنتهم على ثمانين لغة ، إحداها العربية،
وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ، فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم .
وكان يكبر ويزداد سنّاً حتى أصبح عمره ١٧٨٠ سنة ورغم ذلك لم ينقص له سن
ولم تنقص له قوة، وقد سأله أصحابه حيث حضره الموت قال له : كيف وجدت
الدنيا ؟ فقال : كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

« واستدعى ولده ساماً وجعله ولي عهده وراح يوصيه :

يا بني آمرك باثنين وأنهاك عن اثنتين :

فأما اللذان أنهاك عنهما فلاشراك بالله تعالى والكبر ، فإنه لا يدخل الجنة من
كان في قلبه مثقال حبة من الشك والكبر .

وأما اللذان أوصيك بهما فإني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى ، قول لا إله إلا الله، وسبحان الله، فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع لحرقتهما حتى تبلغ إلى ربهما ، ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة ميزان جمعت بالسموات السبع وما فيهن ، وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون» (١) .

كانت هذه الوصية الأخيرة لأبي البشر الثاني الذي ارتقت روحه الطاهرة إلى بارئها ودفن في مكان بالمسجد الحرام.

فمن هو النبي والرسول الرابع في الترتيب القرآني؟ من هو الحفيد الثالث لسيدنا نوح؟ هل عادت عبادة الأصنام من جديد، أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



(٥)

سيدنا هود

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار . مقدر الأقدار ، مصرف الأمور ومكور الليل على النهار ، تبصرة لأولي القلوب والأبصار . الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار . ووفق من اجتبه من عبده فجعله من المقربين الأبرار .

أحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه أفضل المخلوقين وأكرم السابقين واللاحقين من اتبعه وأحبه كان من الفائزين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وسائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين، الذين رفعوا للإسلام أعلى منار، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فتحن اليوم على موعد مع الرسول الرابع في الترتيب القرآني ، مع نبي كان يتكلم العربية وأرسل إلى العرب العاربة ، أي العرب الذين تكلموا باللسان العربي من ذرية سام بن نوح ، فإن أربعة من الأنبياء كانوا من العرب بعد الطوفان: هود، وصالح، وشعيب ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين .

أيها الإخوة الكرام :

في منطقة الأحقاف من أرض اليمن، وفي بلدة مطلة على البحر، وعلى أرض يقال لها الشحر ، سكن قوم من العرب العاربة من قوم عاد الحفيد الثاني لسام بن نوح ، سكنوا الخيام العالية ، وجعلوا لكل خيمة أعمدة ضخماً ، ووصفها مولانا في كتابه الكريم فقال عز وجل :

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ /الفجر: ./

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾: عاد الحفيد الثاني لسام بن نوح ، وله ولدان شديد وشداد ، ملكا بعد موته ، وقهرا البلاد والعباد ، فمات شديد واستولى على الملك العريض شداد ، ودانت له الملوك والبلاد .

والسبب في ذلك ما ذكره المؤرخون أن قبيلة عاد كانت قبيلة عظيمة، وأقوامها أجسامهم كالعمالقة بل كانوا هم العمالقة ، كانوا أشد أهل زمانهم في الخلق والشدة والبطش .

﴿إرم ذات العماد﴾ مدينة بنوها على وصف الجنة تكبراً وعتوا، بنيت في صحارى عدن وبنوا حولها خصباً خصيباً ، وجعلوا لها بابين عظيمين مرصعين بالياقوت الأحمر ، وغرفها مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت ، ومفروشة كلها باللؤلؤ والنمارق المسك والزعفران .

وحول الحصن القصور الكثيرة بناها شداد بن عاد وأسكن في كل قصر وزيراً من وزرائه ، وحولها الأزقة المملوؤة بالأشجار المثمرة ، وتحت الأشجار أنهار مضطربة يجري ماؤها في قنوات من فضة هذه هي ارم ذات العماد ، لكنهم أفسدوها بأعظم فساد فقد أقاموا وسطها الأصنام .

كان هذا هو الموجز _ معشر السادة - وإليكم الأنباء بالتفصيل من هنا، من المدرسة الايمانية من جامع الدرويشية في الحلقة الخامسة من دروس أعلام الشخصيات الإسلامية.

واسمحوا لي أن أذيع عليكم البيان الإلهي كما ورد على الموجة الإيمانية من سورة هود :

﴿ وإلى عاد أخاهم هودا، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إن أنتم إلا مفترون. يا قوم لا أسألكم عليه أجراً ، إن أجري إلا على الذي فطرني،

أفلا تعقلون. ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين، قالوا يا هود ماجئتنا ببينة وما نحن بتباركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، قال إني أشهد الله واشهدوا أي بريء مما تشركون. من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم ﴿هود: ٥٠ - ٥٦. /

أيها الإخوة الكرام :

تطاولت العهود بين سيدنا نوح وبين سيدنا هود ، أربعة أجيال ، كل جيل يعيش ألف سنة أو أكثر ، حتى أتى الحفيد الثالث له من ولد سام وهو سيدنا هود، وكان من سنة الله تعالى أن لا يرسل رسولاً حتى يحدث تغير وتبدل في العقيدة والعبادة ، فلما اتخذ قوم هود الأصنام (صمداً وصموداً وهرداً) أرسل إليهم سيدنا هوداً ينصحهم ويعظهم ويأمرهم بعبادة الواحد الديان ، فبماذا أجابوه ، وكيف جابهوه ؟

﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال : يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ / الأعراف: ٦٨ .

أرأيتم مثل هذا الأسلوب البليغ ، إنه أولاً يخاطبهم على أنهم من قومه ، ثم هو شفيق عليهم وحريص على هدايتهم ، وثالثاً هو لا يبتغي منهم أجراً ولا يطلب منهم مكافأة ، وكل رسول أرسل إلى قومه نراه يقول لهم هذا الكلام ﴿ يا قوم لا أسألكم عليه أجراً ﴾ ومع ذلك كله نرى قومه يتهمونه بالجنون، وأن الآلهة والأصنام غضبت عليه فاصابته في عقله قالوا له: ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ وتحذوه قائلين : ﴿ فأتانا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾

ثم اسمعوا إلى هذه الحجة الواهية التي احتجوا بها قالوا :

﴿أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذِرُ مَا كَانَ يُعْبَدُ أَبَاؤُنَا﴾ /الأعراف: ٧٠./

فتعجب منهم سيدنا هود قال لهم عجباً :

﴿أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾

/الأعراف: ٧١./

يا قوم إن هي إلا أحجار تنحتونها ثم تعبدونها ، لا تجلب لكم نفعاً ولا تدفع عنكم شراً ، إن هذا إلا ازدراء لعقولكم وانتهاك لكرامتكم ، إن لكم إلهاً واحداً جدير بكم أن تعبدوه، وهو الذي أحياكم، وهو الذي يميتكم، وممّن لكم في الأرض ، وبسط لكم في الأجسام ، وبارك لكم في الأنعام، فآمنوا به واحذروا أن يصيبكم ما أصاب قوم نوح، وما قوم نوح عنكم ببعيد.

أيها السادة الكرام:

هذه هي عادة الرسل في الدعوة إلى دين الله ، إن سيدنا هوداً راح يدعوهم بلطف ، ويحذرهم مغبة شركهم وكفرهم بالله، قائلاً لهم /الشعراء ١٢٨ : ١٣٨/ :

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ (قُصُوراً) لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ .

وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَاتٍ وَعَيْونَ .

إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا : سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين ﴾ ، ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ .

هذا هو الداء الدفين، هذا هو الذي يجعل العبد جباراً في الأرض يظن أنه لن يُرَدَّ إلى علام الغيوب، وهذه الدعوى الكاذبة دعوى لادليل عليها ولا برهان ، إن هذا الكلام (وما نحن بمبعوثين) كلام الجهلة من الزنادقة الذين يقولون : (إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع).

فلم يجد سيدنا هود نفسه إلا وهو يلتجئ إلى الله تعالى قال :

﴿ رب انصرني بما كذبون ﴾ فأجابه مولانا عز وجل ﴿ قال عما قليل ليصبحن نادمين ﴾

أيها الإخوة الكرام :

فكيف أهلك الله قوم هود ؟ كيف جعلهم كالرميم ؟

إن مولانا منع عنهم المطر ثلاث سنين ، حتى كادوا أن يهلكوا من العطش ، فبعثوا وفداً منهم ليستقوا في أرض بالفلاة ، فأنشأ الله سحباً ثلاث، بيضاء وحمراء، وسوداء، ثم قيل لزعيمهم: اختر لقومك من هذا السحاب . فقال : اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماءً ، فناداه المنادي : اخترت رماداً رمداً لا تبقي من عادٍ أحداً ، لا والداً و لا ولداً إلا جعلته همداً إلا بني اللوزية الحمد ، (وهم الذين كانوا مقيمين في منطقة مكة اليوم).

أيها الإخوة :

تعالوا بنا نشهد الفصل الأخير للذين أشركوا، إن قوم عاد الآن، متجهين إلى إرم ليفتتحوها ، إنهم في أوج فرحهم وسرورهم ، جاءهم العذاب وهم في قمة بأسهم، كما يأتي الظلمة والمتجبرين والمتألهين على الأرض ، كما فعل بقارون الذي قال عنه مولانا فخرج على قومه في زينته ثم قال: ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ ، ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ .

إذا بصيحة من السماء (الله أكبر) صيحة عظيمة قوية شديدة، عاتية مبيدة، (الله أكبر) قولوا الله أكبر، من قلب واحد، بلسان واحد، باعتقاد واحد .

الله أكبر سيف الله قاطعهم وكلما قد علوا في أمرهم هبطوا

صيحة واحدة لم تبق أحداً فيهم على قيد الحياة ، إياك أن تكون جباراً على الأرض ، فإن الجبار هو الله ، من الجبار ؟ من القهار ؟ من الملك ؟ من المتكبر ؟ من المعز ؟ من المذل ؟ من القوي ؟ من المتين ؟ من هو الفعال لما يريد ؟ من هو الذي أخذه أليم شديد ؟ إنه الله ، وحدوا الله ، هذه الصيحة جاءتهم مع قدوم الغمامة

السوداء التي خرجت عليهم من واد يقال له المغيث ، فما ان رأوها حتى استبشروا ، وقالوا ﴿ هذا عارض ممطرنا ﴾ ، فقال لهم مولانا :

﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ، تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾
/الأحقاف: ٢٤ - ٢٥/.

﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ /القمر: ٢١/ تتوالى على الظلمة المتجبرين ، أتابع معكم تفصيل الأنباء من مشاهد العذاب الالهي من سورة /الذاريات: ٤٢/:

﴿ وفي عادٍ إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ (كالشيء البالي الفاني) وعلى الموجة الإيمانية من سورة /فصلت: ١٥ - ١٦/ : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا يحدون فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً (ذات صوت شديد) في أيام نحساتٍ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ .

ثم عودة إلى سورة / القمر: ١٨ - ٢١ / : ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأفهم أعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابي ونذر ﴾ .

وعلى موجة سورة الحاقة : ﴿ سخرها عليه سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية ﴾ /الحاقة: ٧ - ٨/ .

فما هي هذه الريح التي أصابتهم ؟ إنها الريح التي ذكرها رسول الله ﷺ في الصحيحين قال : عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « نصرت بالصباء وأهلك عَاد بالدَّبُور » . الدبور ريح عاتية باردة شديدة الهبوب ، وكانت تجيء إلى أحدهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه ، فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس ، وكانت تتبعهم وتدخل عليهم كهوف الجبال فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت

المحكمة والقصور المشيدة ، وراحت تحمل أهل البادية ومواشيهم وتلقيهم على أهل الحاضرة والمدن حتى أهلكتهم جميعاً.

في الصباح كانوا يقولون : من أشد منا قوة ؟ وفي المساء صارت حالهم تقول : من أشد منا ضعفاً وعبودية وذللاً وعذاباً ، ﴿كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أجزى وهم لا ينصرون﴾.

وسألت نفسي ترى ما هي قوة هذه الريح كم قوتها ، ما هي سرعتها في الساعة، وبجثت فوجدت حبيينا رسول الله ﷺ قد أخبرنا عن قوتها فقال :

(ما فتح الله على عادٍ من الريح إلا مثل موضع الخاتم) أحمد في المسند (٣ / ٤٨٣) وت (٣٢٧٣ - ٣٢٧٤) هـ برقم (٢٨١٦) ون باختصار (٨٦٠٧) (٥ / ١٨١) وحسن اسناده. ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٥٧٨) (٥٧٩).

ونجى الله تعالى قوم هود ، وقد اعتزلوا في مكان لهم ، كانت الريح حولهم شديدة عاتية ، وأما على المؤمنين فكانت كالنسيم اللذيذ ، الهادئ الناعم ، وتطهرت الأرض من رجس الكافرين وعُباد الأصنام ، وعاش هود ومن معه حتى لحق بربه عز وجل . ودفن في حضر موت .

أيها الإخوة الكرام :

وقيل أن أسدل الستار على هذه المشاهد أسأل سؤالاً واحداً ، هل لهذه الريح العقيم من عودة لاهلاك أحد من المجرمين ، والجواب نعم اسمع إلى حبيينا رسول الله ﷺ يقول :

(يبئ قوم من هذه الأمة على طعام وشراب وهو فيصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير ، ويصيبهم خسف وقذف ، فيقولون : لقد خسف الليلة ببني فلان ، وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً بشرهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات (المغنيات) ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام). (أبو نعيم والطيالسي - وهب وهو حسن بشواهده).

فحذار حذار معشر المسلمين ، لنبق جميعاً موحدين ، ولنبق جميعاً هنا ، وإياكم
أن تكونوا هناك على موائد الخمر والفجور ، لنبق معاً هنا . وما أدراك ما هنا ، هنا
مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله رب العالمين .



(٦)

سيدنا صالح

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته . والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته ، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكوته ، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا راد لحُكمه وإرادته .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد السادات الذي أكرمنا الله تعالى بحبته .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته ، وسلم تسليماً .

أما بعد:

فيقول الله تعالى في كتابه العزيز :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿كذبت ثمود بالنذر. فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر. أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر . سيعلمون غداً من الكذاب الأشر . إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر . فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ / القمر: ٢٣ - ٣٢ .

كان هذا أيها الإخوة . موجز الأنباء الالهية ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة السادسة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية .

وفي بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد: لا إله إلا الله.

وقد تقدم معنا خمسة من أنبياء الله ورسله الكرام . ممن ذكرهم مولانا في كتابه ووردت الآثار بهم : سيدنا آدم . شيث . ادريس . نوح . هود .

ونحن اليوم مع النبي السادس في الترتيب الزمني ، إنه سيدنا صالح هو الحفيد السابع لسيدنا نوح ، وهو من قبيلة ثمود .

وكثيرا ما يتعرض مولانا في كتابه لذكر عاد مشمولة مع ثمود ، كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والنجم والفجر وهاتان الأمتان من العرب بنت بيوتها في الجبال ، وقد سكن قوم ثمود الحِجر وهي منطقة بين المدينة المنورة وتبوك ، نحتوا الجبال لهم بيوتاً وقالوا من أشد منا قوة، وعتوا عن أمر ربهم فعبدوا الأصنام، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم، وقابلوا نعمة الله كفراً ، فأرسل الله إليهم رجلاً منهم يدعوهم إلى عبادة الواحد الديان بلطف ولين ، واسمعوا معي إلى هذا الاسلوب الناعم اللطيف بلسان سيدنا صالح على الموجة الايمانية من سورة الشعراء :

﴿ كذبت ثمود المرسلين . إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تنقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين . أتتركون في ما ههنا آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ / الشعراء : ١٤١ - ١٥٢ .

هل سمعتم مثل هذه العبارات ولين الجانب لقومه ، وحسن دعوته لهم إلى الخير، فهو يقول لهم :

ما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ، ماذا يكون عذرکم عند الله ، وما يخلصكم من بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك دعاءكم إلى طاعته ، وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب علي، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له حتى يحكم بيني وبينكم وهو خير الحاكمين .

هذا هو أسلوب الدعوة من نبي الله ﷺ صالح لقومه العتاة ، فماذا فعل قومه به ، وبماذا اتهموه ، وكيف جابهوا دعوة الحق بباطلهم ، لقد اتهموه بأنه من المسحورين قالوا له : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴾ / : .

لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده ، وخلع ما سواه من الأنداد والأصنام ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ / : .

اثننا بمعجزة ، بأمر خارق للعادة يدل على صدق ما أتينا به ، قال لهم: وماذا تريدون ؟ !

وكان بجوارهم صخرة كبيرة ، قالوا : أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة حاملاً ، وعلى أن تلد فصيلها (ابنها) بعد خروجها مباشرة .

ناقة ، تخرج من صخرة ، من صخرة صماء ، لا ، وليست ناقة عادية ، بل ناقة حامل ، ومن الذي لققها حتى حملت ، أي فحل في داخل الصخرة الصماء ، لا ، وليس هذا فقط بل ومضى عليها أشهر الحمل حتى إذا خرجت وضعت فصيلها مباشرة ، إن هذا فعلاً أمر خارق للعادة ، ولا يقدر عليه إلا واحد ، هو الله ﷻ ، و الله وحده .

أيها الإخوة الكرام :

الخطب إذا جلل ، والأمر بلغ عقدة هامة ، فقد وضع سيدنا صالح في موقف عظيم ليحضر الدليل على أنه رسول من عند الله تعالى .

فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى عهد قديم قبل عهد سيدنا إبراهيم ، فإن قوم ثمود ظنوا أنهم قد أحاطوا بنبي الله ﷻ ورسوله ، لكنهم حبسوا أنفاسهم وشدوا أعصابهم حين قال لهم :

. أرايتم إن أجبتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئكم به ، وتصدقوني فيما أرسلت به ، فقالوا جميعاً وهم على يقين أنه لن يستطيع فعل ذلك ،

قالوا: نعم. وأعطوه العهود والمواثيق أن يسلموا ويتركوا عبادة الأصنام إن هو نفذ طلبهم .

إذا الأمر جديّ ، وليس كلاماً ، كيف سيحدث هذا الحدث الهائل ، وما هو السبب الموصل إليه؟

ونظر القوم إلى سيدنا صالح: رأوه يقوم إلى مصلاه ، ويقبل على الله تعالى بكلية وقد أهمه أمر أمته ، وكان على إيمانهم حريصاً ، وراح يدعو الإله القادر المقتدر ، الإله الواحد الأحد الذي يستطيع بأقل من لمح البصر أن يفعل ذلك ﴿ وما أمرنا إلا كواحدة كلمح بالبصر ﴾ .

رأوا بأمر أعينهم سيدنا صالحاً يدعو، يدعو الله تعالى باسمه الأعظم، وما هو إلا أن نزل الأمين جبريل يطوي بأجنحته السبع الطباق يحمل رسالة من رب العالمين أسمعوا نص الرسالة كما نزلت :

﴿إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ﴾ الله أكبر .

وفجأة انشقت الصخرة عن ناقة عظيمة حامل على الوجه المطلوب تماماً، بل وما أن انشقت عنها الصخرة حتى وضعت ابنها بإذن الله تعالى ، فيا سعد من آمن وأيقن ووحد الله تعالى .

قدرة باهرة ، وعظمة قادرة ، دليل ساطع ، وبرهان قاطع ، وراح القوم ينظرون وعيونهم مفتوحة ، وعقولهم لا تصدق ، وهنا كتب الله الإيمان على الذين آمنوا فآمنوا لساعتهم ، وأما الذين حجب الله عنهم الإيمان فقد استمروا على كفرهم وعنادهم وضلالهم ، فقال سيدنا صالح :

﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ /الأعراف: ٧٣/، ألم تكن تريدون آية؟! ألم تعطوا العهود والمواثيق على أن تؤمنوا إن أنا نفذت طلبكم ، هذه هي الآية ، ودارت رحى المناقشات الحامية ، بل راح فريق الإيمان يحاجج فريق الكفر، فقامت معركة كلامية سجل بعضها مولانا في كتابه :

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ، قالوا : إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ /الأعراف: ٧٦/.

لكن سيدنا صالحاً حسم الموقف وأعطى أوامره الصارمة ، فقال :
﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ /هود: ٦٤/.

وأمره مولانا فقال: ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شربٍ مُحْتَضَرٌ﴾.
فقال لهم: ﴿هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ /القمر ٢٨/.
وهكذا تم الاتفاق على أن تبقى هذه الناقة وفصيلها بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوماً واحداً كل يومين ، وكانت إذا وردت تشرب ماء البئر يومها ذلك .

هذه الحوادث الإيمانية _ أيها السادة _ أنقلها لكم عمن يعلم السر وأخفى ، هي حوادث حقيقية واقعية فقولوا: آمنا وصدقنا.

فهل هدأ أعداء الإسلام؟ هل سكتوا وقمعوا وانقلبوا هنالك صاغرين؟
إن أعداء الإسلام قعدوا في ليلة ظلماء حالكة يأترون ضد شريعة الله وكانت لهم زعامة في قومهم، فوجدوا أن سيدنا صالحاً سوف يقضي على زعامتهم للقبيلة ويتولى هو الأمر والنهي، فالمسألة مسألة كرسي وزعامة وكله في سبيل الكرسي يهون ، ولو كان فيه قتل الأنبياء والقضاء على الشريعة الإلهية فقرروا جميعاً قرارين : القرار الأول : قتل الناقة وفصيلها .

القرار الثاني : قتل سيدنا صالح وأهل بيته ثم نكران فعلهم هذا أمام قبيلتهم .
ولكن الله من ورائهم محيط ، إن الذي يريد أن يقضي على الإسلام الله خاذله ، واسمع معي إلى القرار الذي اتخذته مولانا ، وليسمع الذين يكيدون للإسلام ، ليسمع كل معادٍ للإسلام ، إن رب العزة اتخذ قراره النافذ : ﴿ومكروا مكراً

ومكرنا مكرراً وهم لا يشعرون ﴿/النمل: ٥٠.﴾ والله خير الماكرين ﴿/آل عمران: ٥٤.﴾

انطلق هؤلاء التسعة لينفذوا أطراف مؤامرتهم.

وكان الناس يرفعون حاجتهم من الماء عن يومين ، ويشربون لبنها وحليبها يوماً ، لكن هذا لم يعجب المجرمين والعتاة ، الذين يغدرون في الليالي الحالكة ، ويخافون من نور الإيمان والحق أن يذهب بضلالتهم ، فبدأوا بعقد خيوط مؤامرة لقتل الناقة ، الناقة التي تحذرت ظلام كفرهم وخطيئتهم وشركهم بالله تعالى .

فكيف بدأت شبكة العنكبوت نسج خيوطها الدنيئة ؟!

معشر السادة الموحدين :

دعوني أنقل لكم على الموجات العاملة من سورة النمل ، وقائع المؤامرة التي تم نسجها ضد الدعوة إلى الله تعالى ، يقول تعالى :

﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهلكه وإنا لصادقون، ومكروا مكرراً ومكرنا مكرراً وهم لا يشعرون ﴿/النمل: ٥٠.﴾

وكان على رأس هؤلاء الرهط ابن زانية يدعى قدار بن سالف، أزرق أحمر أصهب، انطلقوا يرصدون الناقة ، فلما صدرت من وردها وشربها كمن لها هؤلاء التسعة وضربوها بالسهم ، ثم شدّ عليها قدار بالسيف فخرت ساقطة على الأرض ترغو وهي تحذر ولدها الذي انطلق فصعد جبلاً وراح ينادي مولانا عز وجل ويستجير به ، فإذا بصخرة تنشق خلفه في الجبل فيدخل فيها ويغيب عنهم وينجيهم الله منهم .

﴿ففقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ﴿/الأعراف: ٧٧.﴾

ونزل الوحي فأخبر سيدنا صالحاً بقتل الناقة ، وأخبره أن يعلم قومه بعذاب

شديد سوف يحل بهم بعد ثلاثة أيام ، فلم يصدقوه ، بل هموا بقتله في داره مع أهله
سراً :

﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
إنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ /النمل: ٥١/. ﴿ففقروها فقال تمتعوا في داركم
ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ /هود: ٦٥/.

أيها الإخوة الكرام :

كان الانتقام شديداً عظيماً بهؤلاء الرهط التسعة الذين قعدوا في سرهم واتفقوا
على قتل سيدنا صالح مع أهله، وما أن اقتربوا من أهله حتى أرسل الله عليهم
حجارة أهلكتهم عن آخرهم :

﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن
ربك هو القوي العزيز﴾ /هود: ٦٦/.

وهنا بعث إنذاراً لقومه بالهلاك الأكيد ، وأن علامة إهلاكهم أن يصبحوا في
اليوم الأول ووجوههم مصفرة ، وفي الثاني محمرة ، وفي الثالث وجوههم مسودة.
وحين حل بهم العذاب في اليوم الأول عرفوا صدق سيدنا صالح وقعدوا ينتظرون
العذاب الأليم .

فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة من أسفل
منهم ، ففاضت أرواحهم وزهقت ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ طه: ١٠٨/،
وحقت الحقائق وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين إلا رجلاً
واحداً منهم كان في حرم الله ، وهو أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب
قومه ، وقد مر سيدنا رسول الله بهذه البقعة حيث خرج إلى الطائف ومعه صحابته
الكرام ، فقال لهم : أتدرون ما هذا : قالوا : الله ورسوله أعلم .

فقال : هذا قبر أبو رغال ، رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله
عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ، وآية ذلك أنه دفن معه

غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه ، فابتدأ الناس يحفرون فاستخرجوا منه الغصن ، فيا سعد من صلى على رسول الله .

أيها الإخوة الكرام:

وفي أثناء غزوة تبوك ، آخر غزوة غزاها الحبيب الأعظم ، مرّ في طريقه على بيوت ثمود ، فاسمعوا ماذا فعل المشرع النبوي الكريم، هذا هو درس العقيدة اليوم، وأريدكم أن تنتبهوا للدرس جميعاً ، فإن قوم ثمود قد مضى عليهم ردحاً طويلاً من الزمن ، وقروناً متطاولة حتى جاء عهد سيدنا رسول الله ، فرأى مساكنهم ، فنادى على الجيش الذي كان يقوده قائلاً :

« لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، ولا تشربوا من مياههم، ثم تَقْنَعْ وأسرع وسار مع جيشه حتى بلغ بئر الناقة التي كانت تشرب منها فأمرهم بالشرب من هذه البئر .

فإذا ببعض أفراد الجيش يستقي من آبار ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور، فنادى رسول الله (الصلاة جامعة) جمع المسلمين وخطبهم وقال : ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم : فأمرهم أن يهرقوا القدور وأن يطعموا العجين الإبل». عن ابن عمر في الصحيحين.

هذا هو الحدث المخرّج في البخاري ومسلم ، وانتبهوا :

إن سيدنا رسول الله

١ . نهاهم أن يدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم .

٢ . وأن يدخلوا باكين أو متباكين .

٣ . وأسرع مع صحبه بالسير بجوارها .

٤ . ونهاهم عن الشرب من مياههم لأن الله غضب عليهم.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أماكن المعاصي ومقر غضب الرب جل جلاله يحرم دخولها ، ولو تقادمت العهود على هذه الأماكن ، كل مكان تقام فيها المعاصي وتراق فيه الخمر وينتهك فيه الأعراض يحرم دخوله، وكل شخص يدعوا للدخول إلى هذه الأماكن يجب ألا يطاع ، وقد دعاني أحدهم إلى فندق ضخم فخم ، فندق فيه صالة أقام فيها حفلة مولد لعقد ولده ، صالة فوقها تراق الخمر ، وتحتها تنتهك الأعراض وفيها النساء المومسات ، وأنا أسأل نفسي ، إذا كان رسول الله ﷺ قد نھانا عن الدخول إلى ديار نزل عليها غضب الرب جل جلاله، لماذا استبدلنا المساجد واتخذنا فنادقاً حولها أقوام يعصون الله تعالى ، قاعات زينت جدرانها بأصناف الحجارة الكريمة بمئة ويسرة، وحينما تنتهي حفلة المولد يقيمون حفلة في الليل للمغنيات والفسقات . أهذا هو الدين ، لا ، لا يستبدل بيت الله ﷺ الذي قال عنه ﷺ: « أعلنوا هذا النكاح وفي رواية الترمذي (ض) واجعلوه في المساجد » (حسن) (حب ١٢٨٥ - طب ٦٤ / ١ - طس ١ / ١٦٧ / ٢)، في المساجد ، لا يستبدل بيت الله ﷺ بقاعات الدنيا ولو فرش أرضها بالأزهار، ويجب على كل إنسان ممن يدعي أنه متدين ألا يدخلها .

وقديماً أحب أبرهة الحبشي أن يبني كعبة في بلاده ليصرف وجوه الناس إليه ، ولكن العرب (أقول العرب) ، العربي لا المسلم ، العرب لم يستبدلوا ببيتهم الحرام كعبة أبرهة ، ونحن لانستبدل بمسجدنا قاعة من قاعات الفنادق الضخمة التي يدار فيها جميع أنواع المعاصي ، وكلكم يعلم أن رجلاً بال فيها وقامت حرب الفيل على أثرها ونصر الله ﷺ دينه و أعز كعبته ، إنني أدعو المسلمين جميعاً أن يردوا على السفهاء فيجعلوا قاعات الفسق مكاناً لقضاء الحاجة كما فعل العربي بكعبة أبرهة.

ونحن معشر المسلمين . علينا أن ننزه ذكر رسول الله ﷺ في أماكن المعصية لأن ذكر رسول الله ﷺ طاهر مطهر، فلا ينبغي أن يعلو ذكره في هذه الأماكن المشبوهة، علينا أن نفعل كما فعلت السيدة أم حبيبة أم المؤمنين حين دخل عليها أبوها أبو

سفيان وكان مشركاً فأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ فنزعته من تحته وقالت:
إنك رجل مشرك نجس فليس لك أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ .

هل يعرف هؤلاء الذين يدعون الناس إلى أمثال هذه الفنادق أين يذهب ما
يدفعونه لقاء فعلتهم ، إنه يذهب في شراء الخمر ، في الاستعانة على المعاصي .
وكفا بهذا إثماً ومعصية

أيها الإخوة الكرام:

إن قوم ثمود كلفهم قتل الناقة دمارهم وهلاكهم ، ناقة واحدة قتلوها انتقم الله
منهم أشد الانتقام ، فما بالك بالذين يقتلون المسلمين كل يوم ، في فلسطين، في
البوسنة والهرسك ، والشيشان، فما بالك فيما يحارب الاسلام والمسلمين ، إن انتقام
مولانا قادم اليوم أو غداً فليحذر أعداء الاسلام ، ليحذروا انتقام مولانا ، فانتظروا
إني معكم من المنتظرين .

هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



(٧)

سيدنا إبراهيم الخليل

الحمد لله الذي قرب إلى جنبه من أحب واختار ، وصيره من أحبابه السادة الأبرار ، وطرد عن بابه كل شقي وجبار، وحرمه جزيل ثوابه فالحكم لله الواحد القهار .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره أبدع الخلائق بقدرته، وقدر أرزاقهم وآجالهم بحكمته وفضل بعضهم على بعض في الشرف والنسب فانتخب منهم الأنبياء والرسل الأخيار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدرها ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار ، وتحيط به الأوزار ويغضب الملك الجبار .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اصطفاه الله من بين الأنام فهو خيار من خيار من خيار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ورضي الله عن أصحابه الأخيار ، من المهاجرين والأنصار ما تعاقبت الشهور والسنون بأدوار، عدد ما ناح طائر وترنم في الأسحار، وسلم تسليماً.

أما بعد :

فنقف اليوم بإجلال واحترام أمام شخصية عظيمة ، مَلِكٌ تصغر ملوك الدنيا أمامه ، مَلِكٌ لو لم يكن بشراً لقلت أنه مَلِكٌ، وكريم لا يجاريه الكرماء ، إننا أمام نبي ورسول حاز من الفضائل البشرية ما لا يحصى .

هو أول من استاك ، وأول من استنجد بالماء ، وأول من قص شاربه ، وأول من قاتل بالسيف، وأول من أقام المناسك ، وأول من أحيا الله به الموتى، وأول من اتخذ الضيافة فسمي أبا الضيفان ، (٣٣٥٦/ صحيح البخاري عن أبي هريرة: «اختن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقُدُوم». وأما ما ورد في الموطأ

وهو ابن مئة وعشرون فمؤول أو مردود)، وأول من قص أظفاره ، وأول من تتف الإبط ، وأول من هاجر لله ، وأول من رأى الشيب في رأسه فهاله فقال : يارب ما هذا؟ قال الوفار : فقال : يارب زدني وقاراً .

وهو أول من اتخذ السراويل فقد أوحى الله إليه : إنك لأكرم أهل الأرض علي، فإذا سجدت فلا تر الأرض عورتك فاتخذ السراويل ، وهو أول من ضحى، وأول من بنى البيت العتيق بيقين ، وأول من يكتسى يوم القيامة إنه سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الذي شهد فيه مولانا شهادات اختصة الله بها، فقال عنه :

﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ / النجم: ٣٧ .

«إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يكن من المشركين» .

﴿ وتلك حجتنا (الحجة في التوحيد) آتينها إبراهيم على قومه ﴾ / الأنعام:

٨٣ .

أيها الإخوة الكرام :

استعدوا اليوم فنحن على موعد لزيارة أبي الأنبياء لنشهد الأيام الأولى من حياته، ومع الحلقة السابعة من أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية استعرض على حضراتكم أحداث حياته الكريمة .

فقد كانت ولادته معجزة ، وكانت بعثته معجزة ، وكانت حجته على قومه معجزة ، وكانت معجزته أمراً خارقاً لم يحدث لغيره من الأنبياء مثلها .

ولد في زمن الملك الكافر الجبار مدّعي الألوهية النمرود الذي كان من سلالة حام بن نوح ، ولد في منطقة بابل في العراق على رأس ألفي سنة من وفاة سيدنا آدم . ولد في سنة كان النمرود يقتل فيها كل من يلد، لأنه رأى في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففزع من ذلك فزعاً شديداً ودعى السحرة والمعبرين فقالوا له : يولد مولود في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه. فأمر بعزل الرجال عن النساء ، وجعل على كل عشرة رقيباً ، فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها ، فإذا طهرت عزل الرجل عنها ، وأمر بذبح

كل غلام يولد تلك السنة، ثم غادر مدينته وأمر عليها صانع الأصنام آزر ، وأوصاه
وشدد عليه الأوامر الصارمة ، فنفذ كل ما أوصاه به إلا شيئاً واحداً ، فقد دخل
آزر على زوجته فواقعها فحملت بزينة العالمين تلك الليلة ، وأخفى عن النمرود
ذلك، فلما بان حملها خرج بها إلى مغارة ظاهر المدينة فوضعتها هناك وسماه إبراهيم.
ودخلت أمه عليه ذات يوم فوجدته يمص من أصبع له لبناً ، ومن أصبع عسلاً،
ومن أصبع سمناً ، وكان يشب في اليوم كشهر ، وفي الشهر كسنة ، حتى أصبح ابن
ثلاث سنين ، فنجاه الله من الذبح ، وعاد به أبوه إلى مدينته .

وبدأ سيدنا إبراهيم يسأل عن خالقه وربّه أمّه وأباه ، قال لأبيه مرّة:

. يا أبتاه من ربي ؟ قال : أمك

قال فمن رب أمي ؟ قال : أنا

قال فمن ربكما : قال : نمرود

قال من رب نمرود : وهنا لطمه أبوه لطمه أسكتته .

نشأ سيدنا إبراهيم موحداً راشداً ، كان أبوه آزر يعطيه الأصنام التي ينحتها من
الحجارة فيبيعها للناس ليعبدوها ، فكان سيدنا إبراهيم يشدها بالحلل من رجلها ،
ويجرها خلفه على الأرض وينادي عليها ويقول :

من يشتري من يضره ولا ينفعه ، من يشتري هذه الحجارة التي لا تسمع ولا
تبصر ولا تغني شيئاً.

إنه كما قال عنه مولانا عز وجل تماماً : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل
وكنابه عالمين ﴾ .

هذا هو موقف سيدنا إبراهيم ، لما رأى أباه ينحت الأصنام بإزميله ، يعمل من
الحجر صورة فيتخذها هو وقومه آلهة ، حجر تصنعه يد الإنسان ثم تقدسه وتعبده،
إله أخلقه وأطلب منه أن يخلق لي ما أريد، هذا أمر لا يقبله العقل ، فأين هو الإله
الحق إذن .

وذهب يبحث ويفكر ، وأدركه الليل ، وطلع عليه النجم براقاً لامعاً عالياً ، لم
يخرج من الأرض كما الصخرة التي تصنع منها التماثيل ، لم يعمل الإنسان بيده ثم

يعبده ، وظن أنه وجد الإله الذي يبحث عنه ، وإذا بالقمر يطلع فيختفي النجم ، ويرى القمر أكبر في النظر وأضوأ ، فيؤمن بأن القمر هو الإله ، ويرقبه الليل كله ، فإذا بالشمس تطلع فتطفئ شعلة القمر وتفيض النور على الأرض ، فيقول هذا هو الإله ، ولكن الشمس تأفل وتذهب لتدع الأرض في الظلام ، ما هذا الإله الذي يمضي ويتخلى عن ملكه ، كلا ليست الشمس إلهاً خلقتني ولا هذه الموجودات آلهة ولا انا الإله ، أنا ما خلقت نفسي ، ولا خلقت من غير شيء ، فلم يبق إلا شيء واحد صحيح هو الحق وما عداه باطل : هو أن وراء هذه الجمادات كلها إلهاً قادراً عظيماً هو الذي أوجدها وأوجدني وأوجد كل شيء .

أيها الإخوة الكرام :

وكان إكرام الله تعالى لسيدنا إبراهيم عظيماً فقد اصطفاه مولانا واجتباها لنفسه وابتعثه نبياً ورسولاً ، ونزل عليه الملك وبشّره بأنه خليل نبي الله ورسوله فحمد الله تعالى وشكره وطلب من الملك علامة على ذلك . فقال له الملك : علامة ذلك أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك .

فقال سيدنا إبراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى ؟

قال : أو لم تؤمن ؟ . قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي بأنك اتخذتني نبياً ورسولاً وتحييني إذا دعوتك ، وتعطيني إذا سألتك .

قال : فخذ أربعة من الطير . فأخذ طاووساً وديكاً وحمامة وغراباً ، ثم قاله له : فصرهن إليك (قريهن إليك وقطّعن) ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً . فذبح تلك الطيور ونتف ريشها وخلط لحمها ودمها وريشها بعضه ببعض ، وقسم كل طائر فجعل على رأس كل جبل منهن جزءاً ، وأمسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال : تعالين بإذن الله تعالى .

فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى ، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى ، وكل عظم يطير إلى العظم الآخر ، وكل بضعة طير إلى البضعة الأخرى ، وسيدنا إبراهيم ينظر ، حتى اجتمعت الأجسام بعضها ببعض في السماء بغير رؤوس ، ثم أقبلن سعياً إلى رؤوسهن حتى جاء كل طائر إلى رأسه ثم قامت

الطيور حية باذن الله تعالى ونظر الخليل إلى عظمة الله في إحياء الموتى وراح يقول : أعلم أن الله عزيز حكيم .

وهنا انطلق واليقين يملأ قلبه وجوانحه ، وأقبل على أهله وقومه يدعوهم إلى الله تعالى على بصيرة ، فكانت أول دعوته لأبيه بائع الأصنام ، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له ، فراح يدعوهم بالطف عبارة وأحسن إشارة ، لم يُعْلَظ له القول ولم يخفّه ، بل بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان وأعلمه أن الله أعطاه من الهدى والعلم النافع ما ليس عنده أحد في عصره ، واسمعوا هذه المحاورة التي سطرها مولانا في كتابة على الموجات الإيمانية من سورة السيدة مريم رضي الله عنها .

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم . إنه كان صديقاً نبياً ، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ، يا أبت إني قد جاءني العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت إني أخاف أن يمسك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ﴾ / مريم: ٤١ - ٤٥ .

أستمعتم مثل هذا الكلام الذي يفيض حناناً وعطفاً على أبيه ، وانظروا إلى جواب أبيه ، كان جوابه عنيفاً ، لم يقبل النصيحة ولا أخذها عنه بل تهدده بقسوة وتوعده وقال له :

﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً ﴾ / مريم: ٤٦ .

فشفق عليه سيدنا إبراهيم الشفقة العظمى وقال :

﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً ﴾ / مريم: ٤٧ . ﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ .

ولما لم تجد المحاولات الكثيرة لهداية والده ، توجه إلى قومه بالدعوة إلى دين الله تعالى بكلية .

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم هذه المحاورات بين فريق الإيمان الذي يرأسه سيدنا إبراهيم الخليل وفريق الكفر الذي يرأسه عبّاد الأصنام ، أنقل لكم هذه الأنباء على الموجه الإيمانية من سورة الشعراء :

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لي إلا رب العالمين . الذي خلّقي فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين ﴾
/الشعراء: ٦٩ - ٨٣/.

أيها الإخوة الكرام :

وجد سيدنا إبراهيم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يجد باللسان والمقال ، فأراد أن يُري قومه ضَعْفَ الأوثان التي يعبدونها وعجزها إلزاماً للحجة عليهم، فجعل ينتهز لذلك الفرص إلى أن حضرهم عيد، فدعوه للخروج فقال لهم: إني سقيم ، أي سقيم النفس من عبادتكم لغير الله ، ثم تولوا عنه، فسمعه بعضهم يقول :
﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ /الأنبياء: ٥٧/، ثم أخذ فأسه وذهب إلى معبدهم فرأى أمام الأصنام أصناف الأطعمة فقال لهم : ﴿ألا تأكلون؟... ما لكم لا تنطقون... فراغ عليهم ضرباً باليمين (يكسرهن) فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم﴾.

وأقبل الناس من عيدهم فشاهدوا هذا المشهد، آلهة مكسّرة لاحول لها ولاقوة.

أيها السادة:

أنقل لكم هذه الأنباء على الموجات الإيمانية من سورة الأنبياء .
﴿قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون ﴾

وكان هذا مُنيّةً وطلب سيدنا إبراهيم أن يفضحهم على الملأ من الناس، فجاءوا به وسألوه :

﴿ قالوا : أأنت فعلت هذا بآهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فأسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ / الأنبياء: ٦٥ . وهنا سيدنا إبراهيم رماهم بشهب الإيمان وأقام عليهم الحجة والبرهان قال لهم : ﴿ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾ / الأنبياء: ٦٦ . وعلى الموجات الإيمانية من سورة العنكبوت :

﴿ إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكاً . إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون . وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ . وعلى موجة سورة الصافات : ﴿ تعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾ / العنكبوت: ٩٦ .

ثم هاجمهم وهاجم أصنامهم فقال لهم : ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ۝ ﴾ / الأنبياء: ٦٧ .

فلما غلبهم بالحجة القاطعة لم تبق لهم حجة ولا شبهة إلا استعمال قوتهم وسلطانهم كما يفعل الجبارة المتألهون على الأرض لينصروا ما هم عليه من سفهم وطغيانهم ﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾ (يسرعون) . قالوا ﴿ حرّقه وانصروا آهتكم إن كنتم فاعلين ﴾ / الأنبياء: ٢٩ . ﴿ قالوا ابنوا له بنياناً فالقوه في الجحيم ﴾ / الصافات: ٩٧ .

وراح النمرود يأمر الناس ، أن تجمع الحطب من جميع الأماكن لحرق الخليل إبراهيم، ومكثوا مدةً في جمعة حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطباً لحرق إبراهيم . حتى جمعوا حطباً كثيراً في ساحة المدينة وأحاطوها بالحجارة والتراب وأوقدوا فيها النار فاضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر عظيم .

أيها السادة الكرام:

إننا في أوج الحدث الإيماني فقد جاؤوا بالخليل وأوثقوه واتخذوا منجنيقاً ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً ، فضجت السموات والأرض والجبال ضجة واحدة، وطلبوا من الله أن ينصروه، فأذن لهم ، فجاءه ملك المياه فقال إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الريح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء . وكل ذلك وسيدنا إبراهيم ثابت الجنان قوي اليقين واثق بمولاه الرحمن ، وما هي إلا لحظات حتى رمي بالمنجنيق . وفي الهواء جاء سيدنا جبريل فقال له :

«يا إبراهيم ألك حاجة . قال أما إليك فلا ، وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل .» (خ ٤٥٦٤). وهنا جاء الأمر الإلهي .

﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ /الأنبياء: ٦٩/.

فحملت الملائكة الخليل إبراهيم إلى أن أوصلته إلى وسط النار فإذا بروضة على الأرض وعين ماء وفواكه بانتظار خليل الرحمن ضيافة من قبل الواحد الديان .

أيها السادة: إن النار لا تحرق بطبعها ، ولا بقوة أودعها الله فيها ، إنما تحرق بإذن الله ، إن الله يوجد - إن شاء - الحرق عند وجود النار ، وإذا شاء منعها من الحرق والدليل ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ /الأنبياء: ٧٠/.

وتمضي الأيام والخليل وسط النار في جنات وروضات حسان، يؤنسه ملك الظل ، وراح الناس ينظرون إلى الخليل وهو يأكل الفاكهة وهو بأتم صحة وعافية، ونظر إليه أبوه آزر ثم أعلنها عالية مدوية :

نعم الرب ربك يا إبراهيم .

يقول سيدنا إبراهيم : ما كنت أياماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها وودت أن أعيش حياتي كلها مثل إذ كنت فيها (صلوا عليه) .

فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا ، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا ، وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا، وصدق الله العظيم ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ /الأنبياء: ٧٠/ ،

﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ / الصفات : ٩٨ / ، ولن يغلب الله غالب ﴿ولينصرون
الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ .

فماذا كان رد فعل الناس على هذا الحدث العظيم؟ كيف جابه النمرود
الجبار هذا الحدث الإيماني؟ وإلى أين هاجر الخليل إبراهيم؟ أعلق هذه الأسئلة
لأجيب عنها بمشيئة الله تعالى يوم الجمعة القادمة ، وأعود بكم من هناك إلى
هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله
تعالى .



(٨)

سيدنا إبراهيم في بلاد الشام ومصر

الحمد لله مخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي ، العليم بما تخفيه الصدور
وتبديه من كل شي .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه ، وأعوذ به في أداء شكرها من المطلق
واللي .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي هدانا إلى الرشده على رغم
أنف أهل الغي .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أباح له الفيء ، وأظل أمته من
ظلل هديه بأوسع فيء .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيه من كل
قبيلة وحي ، وسلم تسليمًا .
أما بعد .

فما زلت معكم اليوم في الحديث عن نبي عظيم من أولي العزم من الرسل ، رسول
اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة ، وهو أول من سماه الله
حنيفاً مسلماً ، وبرأه من دعاوي اليهود والنصارى ، وشهد له بالاسلام والإخلاص ،
وهو الذي يكسى حلة بيضاء يوم القيامة . ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن ،
وهو أول من استنشق ، وأول من هاجر ، سماه الله حليماً أوهاً ، كان إذا سافر
واشتاق إلى أهله كشف الله له الحجاب بينه وبينهم حتى يراهم وهو بعيد عنهم .

إننا باختصار أمام قمة شامخة من قمم التاريخ الإسلامي ، قمة لم يرتق إليها نبي
ولا رسول إلا سيدنا محمد ، وكنت قد علقت معكم الإجابة عن بعض الأسئلة ،

ماذا كان موقف النمرود من الحدث الإيماني الذي جرى للخليل إبراهيم، وأنا اليوم أستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عن هذا السؤال مع الحلقة الثامنة من أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية . وفي بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

أيها الإخوة :

كان أثر هذا الحدث الإيماني قوياً على أصحاب النفوس الصافية ، فدخلوا في الإسلام بمجرد خروج الخليل من بين أطباق النار ، فخاف النمرود أن يفسد عليه الناس ، فبدأ محاورة عقيمة انتهت بفشله الذريع ، فقد نسي النمرود أنه عبد الله ، رفض ان يكون عبداً لله بالاختيار ، فأذاقه **الله** تعالى عبوديته بالاضطرار، فكيف حدث هذا ؟

معشر الإخوة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى مسرح العمليات الإيمانية لأنقل لكم نهاية أحد الجبابرة المتألهين على الأرض ، الزمان عصر الخليل إبراهيم ، المكان العراق ، الشخصيات: سيدنا إبراهيم والجبار النمرود، وأصغر جرثومة خلقها **الله** قاذفة مقاتلة من النوع الممتاز .

إننا في ساحة المعركة وها هو الخليل يخرج من بين أطباق النار فيتلقاه النمرود يسأله : ما دليل إلهك يا إبراهيم ؟:

قال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت .

قال النمرود : أنا أحيي وأميت ، فأتى بسجينين حكم عليهما بالإعدام، فقتل واحداً وعفا عن الآخر . وقال : أرايت كيف أحييت وأميت.

فأعرض الخليل عن هذه المغالطة التي وقع فيها هذه المتأله وصفعه صفعة توحيدية أردته قتيلاً على أرض العبودية، قال له : إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب .

الله أكبر ، أأست ملكاً ، أأست قادراً ، أأست ترى أنك فوق العبودية لله ، إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر .

ولكن النمرود ما استسلم لهذه الحقيقة وهي أنه عبد ، فأراد الله تعالى أن يجعله عبداً بالاضطرار أراد الله أن يذله فأرسل بعوضة طراز ب ع: قاذفة مقاتلة إذا سلطها الله على إنسان تبقيه يقظاً طوال الليل ، كتب على جناحها (صنع الله القادر المقتدر)، هذه البعوضة بالنسبة للبشر ، من كل مليار من البشر واحد تدخل في الأنف أو في الأذن ، لأن مولانا وضع لكل واحد منا حماية صبغية في الأذن، مادة مرة تقتل الحشرات ، وفي الأنف شعيرات ومخاط تمنع دخولها أيضاً .

أما النمرود المتأله فقد اسقط الله له الأسلحة الدفاعية ، وسمح للبعوضة أن تدخل الأنف حتى وصلت إلى مراكز الدماغ ، آه ، يا من أردت أن تكون رباً ، إن لم تكن عبداً بالاختيار جعلتك عبداً بالقهر والاضطرار ، فكانت هذه البعوضة تريد الخروج فتطنّ في دماغ النمرود ، فيرى أن دماغه تكاد تتمزق فيضرب رأسه بيده ، كفاً ، فتطن فيضرب باليد الأخرى . حتى كَلَّت يداه وتعبتا من كثرة ما ضرب نفسه ، رب يضرب نفسه ، فليسمع من يدعي الألوهية من البشر ، ولكن عذاباً أشد كان ينتظر النمرود، فقد كان يطلب من عبيده أن يأتوا بجلد النعال ويضربوه على رأسه حتى تهدأ البعوضة ويستطيع النوم بعد أن احمرت صلعته وتقيحت من شدة الضرب .

أروني قوتكم أيها المتألهون على الأرض ، وكل من لا يريد أن يكون عبداً بالاختيار حاربه مولانا فجعله عبداً بالقهر والاضطرار .

الجمال والكمال في أن العبد بالاختيار يملك الدنيا والآخرة ، وأما العبد بالقسر والإجبار فيملك أول الدنيا ويذله **اللَّهُ** في آخرها فيخسر الدنيا والآخرة كما حدث للنمرود تماماً، مات من شدة الضرب إلى حيث أَلَقَتْ رَحْلَهَا أم قشعم .

أيها الإخوة الكرام:

هاجر الخليل إلى **اللَّهُ** تعالى وهاجر معه ابن أخيه لوط وابنة عمه سارة التي تزوجها سيدنا إبراهيم، وهاجر هذا الركب الثلاثي وتركوا بلادهم وأقرباءهم وفروا بدينهم إلى أرض مباركة طيبة، قال عنها مولانا في كتابه :

﴿ ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ أتدرون أين تقع هذه الأرض المباركة أيها الإخوة . انما هنا أرض الشام ، أرضنا هذه ، الشام التي قال فيها الحبيب المصطفى : « إن **اللَّهُ** قسم الخير ، فجعل تسعة أعشاره في الشام ، وبقيته في سائر الأرض » (ض).

الشام التي قال عنها الحبيب الأعظم بأن فيها :

(أربعون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن) (ض) وهم بالشام.

ومن الشام دمشق التي قال عنها سيد الوجود :

«دمشق أكثر المدن أبدالاً وزهاداً وأكثرها مساجد وهي لأهلها معقلٌ وأكثر

المدن أهلاً ومالاً ورجالاً» الإمام أحمد (ض).

الشام التي قال عنها من تحبون أن تصلوا عليه : «عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد

اللَّهُ يسكنها خيرته من عباده» (حسن) ثم قال : «إن **اللَّهُ** عز وجل تكفل بالشام

وأهله ، طوبى للشام لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها » . (ت حسن

غريب - حا: صحيح - أحمد).

الشام التي قال عليه الصلاة والسلام مشيداً بأهلها : «أهل الشام سوط **اللَّهُ** في

أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده ، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على

مؤمنيهم، وأن يموتوا إلا همأً وغيظاً وغمأً وحنزأً » صحيح : موقوف ، (ض مرفوع)
طب وأحمد.

وهكذا معشر السادة الكرام :

هاجر الخليل إلى هذه الأرض المباركة الطيبة ، واجتازها حتى استقر في القدس الشريف ، لكن المنطقة كانت تعاني من قحط وجذب وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر بحثاً عن الميرة والطعام، فإذا بها فرعون من الفراعنة الأول، استعبدا شعبها وراح يستولى على كل فتاة أو امرأة جميلة وكانت السيدة سارة من أحسن النساء وأجملهن ، فأتى هذا الجبار رجل وأخبره أن ههنا رجل ومعه امرأة ، ووصف له من حسننها وجمالها، فأرسل الجبار إلى الخليل إبراهيم فجاءه فسأله : ما هذه المرأة منك. ففطن إبراهيم إلى مأربه وعرف مقصده فقال : هي أختي (أي في الدين). فأمره أن يرسلها إليه ليتزوجها فرجع سيدنا الخليل إلى زوجته وأخبرها الخبر ، وقال لها : إنه ليس على هذه الأرض مسلم غيري وغيرك ، فقلت له : إنك إختي. فأنا أسلمك إلى الله ليحرسك ويحفظك (خ ٣٣٤٩).

وذهبت السيدة سارة فأدخلت إلى غرفة الجبار، فقامت فتوضأت ثم وقفت تصلي بين يدي مولانا وراحت تقول : اللهم إن كنت لتعلم أي أمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر .

وأما سيدنا إبراهيم فقد قام هو الآخر يصلي ويناجي مولانا عز وجل ويتوجه إليه بالدعاء ، فإذا بالحجب تنكشف عن السيدة سارة، إننا الآن نرى الخليل وهو قائم يدعو يرى كل ما حدث مع زوجته السيدة سارة ، رأى الفرعون الجبار يدخل على زوجته ، وراها ترفع يدها إلى الله وتقول يا رب ، فإذا بالجبار يقع على الأرض مغشياً عليه .

فقالت السيدة سارة : اللهم إن يمت يقولوا هي قتلته ، فقام من غشيته، ثم تقدم إليها ، فوقع مغشياً عليه ، وكلما قام وقع مغشياً عليه ، ثم قام ينادي خدمه

وعبيده : ما أرسلتم لي إلا شيطاناً أرجعوها إلى إبراهيم وَهَبُوا لها الجارية هاجر .

أيها السادة الكرام :

وعادت السيدة سارة ، ومعها جاريتهما القبطية هاجر ، فدخلت على الخليل وهو قائم يصلي شاكراً لله تعالى وراحت تقول : كفى الله كيد الفاجر ، وأخدمني هاجر : ثم عَقَّبْتُ على قولها فقالت لزوجها:

يا إبراهيم لقد مضى على زواجنا عشرون سنة ، والرب قد حرمني الولد ، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقك منها ولداً .

وبقي الخليل في مصر آمناً مطمئناً وعمل فيها حتى كثر ماله ونما.

لكن الخليل لم تعجبه الإقامة بمصر، وآثر العودة إلى بيت المقدس ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل، وخرج معه لوط الذي أعطاه الخليل قسماً من أمواله وعبيده فسكن أرض الغور من الأردن، بمدينة بجوار البحر الميت اليوم تسمى (مدينة سدوم) وحولها قرى صغيرة ، وكان أهلها أشراً كفاراً فجاراً .

وأوحى الله تعالى إلى سيدنا إبراهيم الخليل وقال له : سأجعل لك بلاد الشام ولأولادك من بعدك، وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض .

وبدأت تتحقق البشارة بولادة أول ولد لسيدنا إبراهيم من السيدة هاجر وهو جدي سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ولدته وكان عمر سيدنا إبراهيم ٨٦ سنة وأوحى له مولانا :

- قد استجبت لك في اسماعيل، وباركت عليه وكثرت ونميته جداً كثيراً، ويولد له اثنا عشر عظيماً، وأجعله رئيساً لشعب عظيم .

وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً هم الخلفاء الراشدين الاثنا عشر الذين بشر بهم سيدنا رسول الله حين قال: لا يزال هذا الأمر قائماً أو عزيزاً حتى يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش ، فهؤلاء منهم الصديق والفاروق وذو النورين وعلي وعمر بن عبد العزيز وبعض بني العباس . (موقوف على ابن عمرو صحيح) (وانظر: خ ٧٢٢٣).

وهذا البشارة التي نالتها هذه الأمة كلها لشرف سيدنا محمد ﷺ الذي سادت به العرب وملكتم جميع البلاد شرقاً وغرباً ، فاللهم صل على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعامة المسلمين .

أيها الإخوة :

أقام سيدنا إبراهيم ببلده وكان مشتهراً بالكرم والجود مضيافاً، بل كان عليه الصلاة والسلام لا يأكل طعاماً بمفرده ، بل يبحث عن ضيف أو أضياف ليأكل معهم ، ويفعل ذلك شكراً لله على ما أكرمه ووسع عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم، حتى شق عليه في يوم من الأيام وهو يبحث عن الضيف ، فإذا برجال من بعيد لم ير مثل حسنهم وجمالهم فقال: لا يضيّف هؤلاء أحد غيري ، فاستضافهم وأسرع فأتى بعجل شواه ثم قربه إليهم .

فامتنعوا عن الأكل منه ، فلما رأى الخليل ذلك ظنهم أعداء له وأوجس منهم خيفة ، وهنا قال أحدهم : يا إبراهيم لا نأكل طعاماً إلا بثمان. فقال الخليل : إن لهذا ثمناً : قالوا وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره ، فالتفت أحدهم إلى الآخر وقال: يحق لهذا أن يتخذ ربه خليلاً .

وقال له أحدهما: إنا أرسلنا إلى قوم لوط . هذا هو ميكائيل وأنا جبرائيل وجئنا لنبشرك ببشارة عظيمة ، نبشرك أن زوجتك سارة سوف تنجب لك ولداً، وكانت السيدة سارة تقف خلف الباب وكان عمرها تسعين سنة فقال لسيدنا جبريل : ما آية ذلك ، فآخذ سيدنا جبريل بيده عوداً يابساً فلوأه بين أصابعه فاهتز العود أخضر بإذن الله تعالى ، وما أن اهتز أخضر بإذن الله حتى رأت السيدة سارة حيضتها، وقد جاءتها مباشرة كبنيت بلغت سن الحيض واسمعوا هذه البشارة على الموجة الإيمانية من سورة سيدنا هود .

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا : سلاما ، قال سلام . فما لبث أن جاء بعجل حинذ. فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم

خيفة . قالوا: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامراته قائمة فضحكت
فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ، قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا
بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ، قالوا :أتعجبين من أمر الله، رحمت الله
وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴿ /هود: ٦٩ - ٧٣ .

وحملت السيدة سارة بإسحق ثم وضعتة باذن الله تعالى ، وراح الخليل يستمتع
برؤيته ولديه يشبان أمام عينيه ويلعبان وراح يعلمهما الرماية وركوب الخيل ، وهما بعد
لم يشبا عن الطوق ، حتى تسابقا مرة أمامه فسبق الأكبر منهما وهو سيدنا إسماعيل
، فوضعه الخليل في حجره وراح يقبله ، فنظرت إليه السيدة سارة وقد وقعت الغيرة
في قلبها فغضبت وقالت: عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك، وعمدت إلى
ابني فأجلسته إلى جنبك، حلفت لا تساكني هذه الأمة في أرض واحدة .

أيها الإخوة الكرام :

فما هو أثر هذه الغيرة التي وقعت في قلب السيدة سارة؟ ما هو الخير الذي
أجراه مولانا على يدي سيدنا إسماعيل ؟ إلى أين هاجر مع والدته السيده هاجر؟
أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم
من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن
يوحد الله تعالى .

الْحَمْدُ لِلَّهِ

(٩)

سيدنا إسماعيل الذبيح

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنّة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه، ورد
أمله وخيب ظنه .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره إذ جعل الإيمان حصناً لأوليائه وُجْهه، وفتح لهم به
أبواب الجنة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله عرّف عباده أن وسيلة
الشيطان إلى نفوسهم الشهوات المستكنّة ، وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنة .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قائد الخلائق وممهد السنة
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ذوي الأبصار
الثابتة والعقول والمطمئنة، وسلم تسليماً .

أما بعد:

فما زلنا معاً ننزل ضيوفاً على سيد الفتيان و خليل الرحمن، الذي جعله مولانا
إماماً وجعل مقامه مصلحاً للناس وأوحى الله إليه فقال : يا إبراهيم انك لما سلمت
مالك إلى الضيفان وابنك إلى القربان ونفسك إلى النيران وقلبك إلى الرحمن اتخذناك
خليلاً وأنزل الله عليه المواعظ:

«أيها الملك المبتلى المسلط المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على
بعض ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر».

«على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات:

ساعة يناجي بها ربه ، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى ، وساعة يحاسب
فيها نفسه على ما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم
والمشرب وغيرهما » .

« على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانهِ ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه ، و الله عن كل محذور يغنيه » .

معشر السادة الكرام :

هذه الكلمات النورانية انتقيتها لكم من الصحف التي أنزلت على أبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد أنزل عليه مولانا عشر صحائف كلها أمثال إيمانية، وقد شهد منه مولانا شهادات عظيمة في كتابه الكريم فقال عز وجل : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ /الممتحنة: ٤/، بل أمر سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ومن خلفه أمته خير الأمم باتباع ملته فقال تعالى : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾.

﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ /النجم: ٣٧/، فبماذ وفى ، اسمعوا تفصيل الأنباء الإيمانية أذيعها على الموجة الإيمانية من سورة البقرة :

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي؟ قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ /البقرة: ١٢٤/.

ابتلاه مولانا وامتحنه واختبره بكلمات وخصال من الإيمان وشعبه، ابتلاه الله بالطهارة، خمس في الرأس وخمس في الجسد وأما في الرأس فقص الشارب والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس . وأما في الجسد : فتقليم الأظافر وحلق العانة والختان وتنف الإبط وبالاستنجاء والاستبراء بالماء .

فقام بها حق القيام لا يشغله شيء عنها وقد اختتن الخليل وكان عمره مئة وعشرين سنة . في صحيح البخاري ثمانين سنة.

أيها السادة:

تركنا الخليل يطوي الأراضي والسحاب على البراق لينقل زوجته السيدة هاجر مع ولدها سيدنا إسماعيل بأمر الواحد الديان إلى أكمة مرتفعة في وادٍ غير

ذي زرع، وحوله الجبال العالية التي احترقت أحجارها من شدة حر الصحراء .
وحقيقة القول أن مولانا أراد أن يكافئ السيدة هاجر، وأن يطيب خاطر سيدنا إبراهيم بامتناله الأمر الإلهي الصادر عن مولانا عز وجل ، فإن الأمر عصيب: شيخ كبير قد بلغ المئة والعشرين خريفاً يأتي بولده الأول الذي جاءه على كبر، والذي أنس به ورأى فيه الأمل في ذرية طيبة، يأتي به إلى مكان قفر لا ماء ولا زرع ولا نبات ولا حيوان .

معشر السادة الكرام :

هذا هو الموقف اليوم فدعوني أنتقل بحضراتكم إلى هناك ، إلى البيت الحرام لأبحث معكم اليوم قضايا إيمانية عدة مع الحلقة التاسعة من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية .

ها هو أبو الأنبياء سلم سقاء فيه ماء وجراباً فيه تمر إلى زوجته السيدة هاجر ، ويولى قفاه راجعاً، فتنادي عليه السيدة هاجر : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فلم يرد عليها شيئاً وهو لا يلتفت إليها : فقالت له :

آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . فقالت : إذن لا يضيعنا .

وانطلق الخليل حتى إذا غاب عن ناظري زوجته استقبل الأكمة العالية التي ترك بجوارها أهلها وراح يدعو بالدعوات الإيمانية عن ابن عباس البخاري (٣٣٦٤).

اسمعوها على الموجة الإيمانية من سورة سيدنا إبراهيم :

﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ / إبراهيم: ٣٧.

وتمضي الليلة الأولى فالثانية وهي تأكل من التمر وتشرب وتستقي من السقاء، حتى نفدا ، ثم عطشت وعطش ولدها ، وبدا يرن في أصداء الوادي بكاء الولد ،

والولد يتلوى ، وارتفع التوتر العصبي عند الأم وراحت تستقبل المرتفعات والأرض بعينها وتنظر هل من أحد ، فلم تر أحداً ، وكلها ثقة بالله أنه لن يضيعها، وراحت تسعى بين جبلي الصفا والمروة اليوم، فما أن أشرفت على المروة السابعة حتى رأت ملكاً من ملائكة الرحمن يضرب الأرض بريشة من جناحه عند أسفل قدمي الغلام، فنبع الماء زللاً بإذن الله تعالى ، وراحت الأم تركض إلى الماء لتجمعه خوفاً من أن ينفد ، وتقول له: زم زم، وهنا سقط ولدها وشربت حتى ارتوت هي وولدها. ثم سمعت الملك يقول لها :لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتاً لله بينه هذا الغلام هو و أبوه .

وتمر الأيام والخليل يتعاهد أهل بيته بالرعاية يأتي على البراق من بيت المقدس إلى البيت الحرام فيطمئن عليهم ويعود ، وبدأت الأرض الطيبة ينبت فيها الكلاء وصدق الله العظيم ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.

أيها السادة:

وقبض الله هذه الأسرة الصغيرة قوماً من قبيلة جرهم العربية، فنزلوا بعيداً فرأوا طيوراً في السماء، فقالوا : إن هذه الطيور لتدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي ومافيه ماء ، فأرسلوا واردهم الذي أسرع يبشرهم بالماء ، فقدم القوم عن آخرهم فشربوا واستقوا ، وعجبوا من الأم ووليدها فاستأذنوها بالنزول في هذه الدوحة الصغيرة ، فأذنت لهم بشرط أن يكون الماء من حقها وحق ولدها .

وهكذا - معشر السادة - استجاب الله دعوة الخليل فجعل أفئدة من هذه القبيلة تميل إلى الأم وولدها لينشأ هذا الغلام بين حنايا هؤلاء العرب ويكون سيدنا اسماعيل أبا للعرب المستعربة، وليكون من نسله النبي الأمي العربي سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

وشب جدي سيدنا اسماعيل حتى بلغ سن التمييز أو العاشرة وإذا بالخليل إبراهيم يأتي أهله زائراً ، ولكنه وفي هذه المرة وعند العودة أخذ بيد اسماعيل وقال لزوجته :

سوف أذهب مع ولدي إسماعيل لنقرب قرباناً إلى الله تعالى وسار الوالد وولده الحبيب حتى إذا بلغ منطقة منى اليوم، أسرع إبليس إلى السيدة هاجر بهيئة انسان فسألها عن زوجها إبراهيم فقالت له: ذهب ليقرب إلى الله قرباناً، فقال لها: والله ما ذهب بإسماعيل إلا ليدبحه. قالت: كلا هو أرحم به مني، وأشد حباً له من ذلك، فقال لها إنه يزعم أن الله أمره بذلك، فقالت له: إن كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه عز وجل، فخرج إبليس من عندها يائساً حتى أدرك إسماعيل وهو يمشي على إثر أبيه فقال له: يا غلام هل تدري أين يذهب أبوك بك؟ قال: نقرب إلى الله قرباناً في هذا الشعب، قال لا والله ما يريد إلا ذبحك، قال: ولم؟ قال يزعم أن الله أمره بذلك، فقال له: فليفعل ما أمره الله به فسمعاً وطاعة لأمر الله تعالى، فلما امتنع منه الغلام أقبل إبليس على الخليل، وعرض له عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فقال له: أين تريد أيها الشيخ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي. فقال: والله إني أرى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه إبراهيم فقال له إليك عني يا ملعون إنني ممثل لأمر ربي، ورماه بسبع حصيات، حتى ذهب ثم عرض له ثانية عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، ثم عرض له عند الجمرة الصغرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب إبليس لعنه الله بغضه لم يصب من الخليل وأهله شيئاً مما أراد، ومنعهم الله منه وأيدهم بحفظه وكنفه. وصارح الخليل ولده بسرّ عجيب وأمر غريب لم يحدث من قبل ولن يحدث من بعد إلا مرة واحدة، فما هو هذا السر؟

﴿وقال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين، فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ / الصافات: ١٠٢.

إن هذا المشهد اليوم ليدل دلالة عظيمة على بر سيدنا إسماعيل لأبيه هذا البر العجيب ، فقد سمعنا كثيراً عن قصص البر بالوالدين ، سمعنا عن رجل حمل أمه على رقبته حاجاً بها من اليمن فرآه ابن عمر فقال له : يا ابن عمر هذه أُمِّي حججت بها من اليمن، أترى أُنِي جزيتهَا ؟

فقال ابن عمر : لا ، ولا بطلقة واحدة ، ولكنك أحسنت و **اللَّهُ** يثيبك على القليل الكثير .

وسمعنا عن رجل طلق زوجته براً بأبيه وأمه وطاعة لهما ، وسمعنا على رجل لم يأكل لَبَّةً بطيخ في حياة والدته، بل كان كلما قسم واحدة قدم لُبَّتْهَا لوالدته لأنها تحبها ، وسمعنا عن رجل كان لا يخرج من بيته حتى يقبل قدمي والديه، ومرة وجد أمه نائمة في غرفتها وقد أقفلت باب غرفتها فقبل عتبة باب امه حتى لا يوقظها .
أما هذه القضية العجيبة فلم نسمعها إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، فقد أراد الخليل إبراهيم أن يجعل لولده فضيلة وأجرأً في استشارته بتنفيذ أمر الرب تبارك وتعالى .

قال له : إني أرى في المنام إني أذبحك ، والعقيدة تقول : إن رؤيا الأنبياء حق وصدق من **اللَّهُ** تعالى لأن الشيطان لا يتسلط عليهم ، ثم قال له: فانظر ماذا ترى ؟ ماذا أرى ؟ وهل لي رأي في تنفيذ أمر الإله قال الغلام مباشرة. ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء **اللَّهُ** من الصابرين ﴾ / الصافات: ١٠٢ .

ليسمع الأولاد ، اليوم . هذا الدرس في بر الوالدين ، ليسمع العاقون لوالديهم كيف يكون البر بالوالدين ، وأن عليهم ألف مرة أن يفكروا قبل أن تطرف أعينهم أو يفكروا لمحة في عقوق الوالدين، أو تسديد النظر إليهم بالغضب:

لما ربط الخليل ولده لينفذ أمر **اللَّهُ** بولده قال الغلام لأبيه :

يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أُمِّي فتحزن، وغط رأسي حتى لا تأخذك شفقة

الوالد على ولده، واشحذ شفرتك وأسرع والسكين على حلقي ليكون أهون علي
فإن الموت شديد، وإذا أتيت أُمِّي فأقري عليها مني السلام ومرها فلتصبر
ولتحتسب، وأعطها قميصي كي يكون لها عزاء .

ففعل ذلك الخليل ثم أقبل على ولده يقبله وقد ربطه وهو يبكي وراحت الدموع
تسيل على خدي الوالد الشيخ وتقاطرت الدموع على ولده إسماعيل وهو يربطه
فبكى الولد على بكاء أبيه، ثم وضع السكين على حلق ولده فلم تذبح السكين،
فراح ولده يقول : يا أبت اذبح ولا تعص الله أمراً ، فيمر الخليل بالسكين ثانية على
رقبة ولده ، مرة بعد مرة ، والسكين لا تذبح، وعند ذلك قال الابن لأبيه: يا أبت
كَبَّنِي على وجهي فإنك إن نظرت إلى وجهي رحمتني وأدرتكت عليَّ رقة تحول بينك
وبين أمر الله، ففعل الخليل ذلك، فلما أسلما وتَلَّه للجبين، ووضع السكين على
قفاه فانقلبت وماقطعت، وكأن رقبة الفتى قد أصبحت من نحاس ، لا والله بل إن
السكين أمرها مولانا أن لا تذبح الفتى والسكين نفذت الأمر الإلهي فلم تذبح،
لأنها لا تذبح بطبعها ولا بقوة أودعها الله فيها، أوتعرفون لماذا معشر السادة ؟

لأن كل ذرة في هذا الوجود إنما تأتمر بأمر واحد فقط هو أمر الله رب العالمين.
ونودي الخليل من السماء ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ /الصفافات: ١٠٧/. نزل الكباش من الجنة وأمسك
الخليل السكين ووضعها على عنق الكباش وأجراها عليه فذبحت باذن الله تعالى ،
وكبر جبريل وكبر الخليل وكبر إسماعيل وكبرت الملائكة ونحن جميعاً ننادي من قلوبنا
الله أكبر . الله أجل وأعظم .

وهكذا - معشر السادة - استعرضت على حضراتكم هذه القضية الإيمانية،
عليكم أن تحفظوا دروسكم: إن السكين لا تذبح بطبعها ، ولا بقوة أودعها الله
تعالى فيها ، وإنما تذبح بإذن من ؟ بإذن الله .

هذه عقيدتنا ، وليضرب المعتزلة رؤوسهم بحيطان المسجد فإن الفاعل الحقيقي في الوجود هو الله، أسمعوني من هو الفاعل الحقيقي في الوجود ؟ هو الله تعالى .
أيها السادة:

ماذا تتوقعون أن تكون المكافأة من مولانا عز وجل للخليل وولده إسماعيل؟
أدعكم في شوق لمعرفة هذه النعمة العظيمة التي منّها الله عليهما، لاستسلامهما المطلق لمولانا عز وجل ، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

سُبْحَانَ اللَّهِ
وَتَعَالَى

(١٠)

سيدنا إبراهيم وإسماعيل بناء الكعبة المشرفة والوفاة

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً ، وكتب حجه على من استطاع إليه سبيلاً . ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله ولن نحصي ثناء عليه فهو كما حمد نفسه وأثني .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الصفات العلى والأسماء الحسنى .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أكمل البرية خلقاً وأجملها حسناً، نبي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لأهل الأرض أمناً، وسلم تسليمًا.
أما بعد:

فإني وقبل أن استفتح بالكلام أرفع تحية إكبار وافتخار وتحية تقدير وتبجيل إلى القائد الأعلى للأمة العربية والإسلامية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، ثم أدعو نفسي وأدعوكم اليوم لحضور عقد قران سيدنا إسماعيل، وقبل أن أنقل لكم هذا التقرير أذيع على حضراتكم موجز الأنباء .

أيها السادة:

وقفت معكم في الجمعة الماضية وقفة حول المواقف الامتحانية التي وقع فيها جدي سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وكان النجاح الذي حققه هذان الرسولان عظيماً ومتعددًا، لذلك بدأت المنح الإلهية

الربانية تتوالى على الخليل وولده إسماعيل ، واليكم معشر السادة الكرام بعض العطايا الإلهية التي استحقها سيدنا إبراهيم على تنفيذ أوامر الرب تبارك وتعالى ، أذيعها على حضراتكم على الموجات الإيمانية من سورة النحل ثم من سورة البقرة .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين ، شاكراً لأنعمه اجتبه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في هذه الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ .

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾
/البقرة: ١٣١/ .

وأما المكافأة الثالثة فقد روى ابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير قال : كان إبراهيم عليه السلام يضيّف الناس فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيّفه فلم يجد أحداً ، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً . فقال : يا عبد الله ، ما أدخلك داري بغير اذني . قال دخلتها باذن ربها . قال : ومن أنت؟ قال : أنا ملك الموت . أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذته خليلاً . قال من هو ؟ فوالله إن اخبرني به وكان بأقصى البلاد لأتيته ثم لا أبرح له جاراً حتى يفرّق بيننا الموت . قال : ذلك العبد أنت . قال: أنا . قال نعم : قال : فيم اتخذني ربي خليلاً : قال : بأنك تعطي الناس ولا تسألهم .

أيها السادة:

يكفي الخليل فخراً أن مولانا ذكره في كتابه الكريم في أكثر من خمسة وثلاثين موضعاً .

كانت هذه - معشر السادة - بعض المكافآت التقديرية التي منّها الله تعالى على خليله ، وكانت المكافأة العظمى التي شرفه الله بها مع ولده إسماعيل بناؤهما للكعبة المشرفة .

فقد عانى الخليل من حرب الأصنام وهدم المعابد التي نصبت فيها ، فبعثه الله بتكسيورها والقضاء على معالمها ، ثم أمره مولانا أن يشيد فوق الأرض شعار التوحيد لعبادة الله وحده ، ويبقى أبد الدهر تعبيراً للعالم عن المعنى الصحيح للدين والعبادة ، وعن بطلان كل من الشرك وعبادة الأصنام.

فالبشرية قضت رداً من الزمن تدين بالعبادة للحجارة والأصنام للطواغيت والمتألهين ، وتنشئ لها المعابد ، وقد آن لها أن تدرك بطلان كل ذلك ورفضه ، وأن لها أن تستعيض عن تلك المعابد هذا الرمز الجديد هذا الحرم الذي أقيم لعبادة الله وحده ، يدخله الإنسان ليقف عزيزاً لا يخضع ولا يذل إلا للخالق خالق الكون كله . وإذا كان لابد للمؤمنين بوحدانية الله والداخلين في دينه من رابطة يتعارفون بها ومثابة يؤوبون إليها ، ووجهة يتوجهون إليها مهما تفرقت بلدانهم وتباعدت ديارهم ، واختلفت أجناسهم ولغاتهم ، إذا كان لابد من ذلك فليس أجدر من هذا البيت الذي أقيم رمزاً لتوحيد الله ، وتعبيراً عن العبادة له وحده ، مهما أقيم من آلهة زائفة ، وانتصب من متألهين باطلين على مر الأزمنة والعصور .

كان هذا معشر السادة الكرام هو معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ / البقرة: ١٢٥ .

وهذا هو المعنى الذي يجب أن يلحظه الطائف بالبيت الحرام بعد أن يملأ قلبه من معنى العبودية لتحقيق أوامره جل جلاله.

ومن هنا : جاءت قداسة البيت وعظم مكانته عند الله تعالى ، وكانت ضرورة الحج إليه والطواف من حوله.

كان هذا هو موجز الأنباء أذعته على حضراتكم مع الحلقة العاشرة من
النفحات المنبرية في أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية .

معشر السادة الكرام :

شَبَّ جدي سيدنا إسماعيل بين حنايا قبيلة جرهم، وتعلَّم منهم العربية وبدأ
واضحاً ذكاًؤه النبوي وأخلاقه المعصومة عن الزلل . كما هي حياة الأنبياء .
فأعجبت القبيلة به أيما إعجاب ، فلما أدرك مبلغ الرجال زوجه امرأة منهم،
وكانت والدته قد توفيت، وكان جدي سيدنا إبراهيم الخليل لا ينقطع عن زيارته،
فقدم مرة فلم يجد ولده ، فشكت إليه زوجه حالها وقالت: نحن بِشَرِّ حال، نحن في
ضيق وشدة، فقال لها: إذا جاءك زوجك فاقري عليه مني السلام وقولي له: يغيِّر
عتبة بابه .

فلما جاء جدي إسماعيل شم رائحة والده الخليل، فقال هل جاءكم من أحد .
فقالت : نعم جاء شيخ كبير ، فسألني عنك وعن حالتنا فأخبرته أننا في جهد
وشدة . قال : هل أمرك بشيء؟ قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول
لك : غيِّر عتبة بابك . فقال جدي إسماعيل : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك
فالحقي بأهلك .

ولبت سيدنا إسماعيل ملياً ثم تزوج منهم ثانية ، ولبت عنهم والده ماشاء الله ثم
أتاهم ، فلم يجده فسلم على امرأته وسألها عن حالهم، فقالت نحن بخير واسع وأثنت
على الله عز وجل فقال: وما طعامكم؟ قالت اللحم. قال: ما شرابكم؟ قالت:
الماء . فقال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، أخبرني زوجك مني السلام ومريه أن
يثبّت عتبة بابه .

وقدم جدي سيدنا إسماعيل فأحس بقدوم والده، فسأل زوجه فحدثته بأن شيخاً
حسن المظهر حسن الهندام... وأثنت عليه وقال يقرئك السلام ويأمرك ان تثبت
عتبة بابك قال: ذاك ابي وأمرني أن لا أفارقك أبداً ، ثم قدم الخليل إليه ثالثة فوجد

ولده يهيئ نفسه للصيد فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك به ربك قال: وتعيني؟. قال وأعنيك. قال: فإن الله أمرني أن أبني له بيتاً هنا وأشار إلى الأكمة المرتفعة . (خ ٣٣٦٤).

معشر السادة:

وبعث الله رجلاً أظهرت للخليل الأساس الصخري للبيت، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَوَانَا لِبَٰرِهَيْم مَّكَانَ الْبَيْتِ﴾ وبدأ الخليل مع ولده إسماعيل بينان البيت من الحجارة من الجبال السبعة التي حول البيت، وحين رفع البناء وجاءه إسماعيل بحجر ليقف عليه حتى وصل الخليل إلى ركن البيت، فطلب من ولده أن يأتيه بحجر يضعه على زاوية البيت، فقال : يأبى قد تعبت. فقال الخليل: أنا احضره. فجاءه سيدنا جبريل بالحجر الأسود وكان ياقوتة بيضاء نزلت مع سيدنا آدم من الجنة وأمره أن يضعه على زاوية البيت، ثم قام جدي إسماعيل ليأتي للخليل بالحجر ، فنظر إليه فإذا بالحجر الأسود، فقال : يأبى من جاءك بهذا ؟ قال جاء به من هو أنشط منك .

وكان كلما ارتفع البناء ارتفع الحجر الذي يقف عليه الخليل : حتى أثرت أصابع قدميه في الحجر، وهو الحجر نفسه الذي يسمى اليوم بمقام إبراهيم ، «يقول سيدنا أنس بن مالك : رأيت في المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعَقِبَ أخص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم». (موطأ ابن وهب) (الفتح ج ٩ / ٢١ (حا ووافقه) هب في الدلائل - الفتح ٦ / ٤٠٨) صحيح.

وروي أن عبد الله بن عمر قال : « اشهد (ثلاث مرات) أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس الله نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب». (حسن لغيره: ابن خزيمة).

وكان هذا الحجر ملتصقاً بجائط الكعبة على ماكان عليه من قديم الزمان إلى أيام سيدنا عمر بن الخطاب، فأخره عن البيت قليلاً لئلا يشغل المصلين عند الطواف بالبيت . عبد الرزاق في (المصنف) بسند صحيح واخرج البيهقي بسند قوي، فتح الباري جزء (٩ / ٢١).

معشر السادة:

وكان الخليل وولده إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وهما يرفعان قواعد البيت يرددان الدعوات الإيمانية

﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكناً وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

فجعل الخليل طول بناء الكعبة في السماء سبعة أذرع (٣,٥م) وجعلها خمسة أضلاع وكانت بغير سقف، وجعل لها بابان متقابلان بقيا كذلك حتى قبيل الإسلام.

معشر السادة:

ما أن انتهت عملية بناء الكعبة المشرفة حتى صدر أمر آخر من مولانا عز وجل لخليله ليزداد به شرفاً على شرف وتقديراً على تقدير ، وكان هذا الأمر هو أن ينادي بالناس ويؤذن فيهم بالحج، فقال الخليل لمولانا :

. يارب ومايلغ صوتي؟ فقال مولانا : عليك الأذان وعليّ البلاغ .

وهنا علا الخليل على أكمة مرتفعةٍ وراح ينادي قِبَلَ اليمن والمشرق والمغرب والشام :

. يا عباد الله كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، إن ربكم قد بنى بيتاً فحجوه وأجيبوا داعي الله.

فسمعه ما بين السماء والأرض ، وما بين الأبحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجاب كل منهم آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالى أن يحج إلى يوم القيامة : لييك اللهم لييك . (حا ٢ / ٥٥٥ ووافقه هب في الدلائل ٢ / ٥٤ - الفتح ٦ / ٤٠٦) .

وسطر ذلك مولانا في كتابه الكريم فقال :
﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ / الحج : ٢٧ .

وأرسل الله تعالى سيدنا إسماعيل نبياً ورسولاً وأثنى عليه في كتابه ووصفه بالحلم والعبادة وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب فقال عز وجل عن الخليل ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ .

وقال : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ / مريم : ٥٥ .

وقد ذكر علماء النسب أنه أول من ركب الخيل ، وكانت الناس قبل ذلك تركب وحوشاً فأنسها وركبها ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أن الله اتخذوا الخيل واعقبوها (توارثوها) فإنها ميراث أبيكم إسماعيل (ابن كثير في الأنبياء) .

وكان جدي إسماعيل أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وهو ابن أربع عشرة سنة ، وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه قانت وقندار فقد ولد له من الذكور اثني عشر ذكراً .

حتى أدركته الوفاة فدفن بالحجر إلى جوار أمه السيدة هاجر وكان عمره مئة وسبعاً وثلاثين سنة .

معشر السادة الكرام .

وأرسل مولانا سيدنا جبريل ليعلم الخليل وولده مناسك الحج كما هي اليوم تماماً .

تزوج جدي سيدنا إبراهيم بعد وفاة السيدة سارة والسيدة هاجر اثنتين وبلغ عدد أولاده ثلاثة عشر ، أنزل سيدنا إسماعيل بأرض الحجاز وسيدنا اسحق بأرض الشام ، وفرق أولاده في البلاد .

ثم مرض الخليل وتوفي عن عمر مئتي سنة ودفن في مدينة الخليل في فلسطين ، وانتقل إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

هذا هو خليل الرحمن وولده إسماعيل وقد جلس بعض صحابة نبينا مرة يذكرون من فضله ومكاته واجتبائه عند الله تعالى ، وراحوا يتكلمون عن صفات الرسل الكرام فقال أحدهم : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر : ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليماً ، وقال آخر : فعيسى روح الله وكلمته ، وقال آخر آدم اصطفاه الله تعالى .

وإثناء مذكراتهم تلك خرج عليهم الهادي عليه السلام فسمعهم فسلم عليهم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم ، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كلمه وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك : إلا وإني أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتحه الله فأدخلها ومعني فقراء المؤمنين ، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة . ت : ض - المشكاة ٥٧٦٦ .

معشر السادة الكرام :

هذا هو تاريخ بناء الكعبة المشرفة ، وأن أول من بناها يقيين سيدنا إبراهيم الخليل ولم يجيء من طريق صحيح أن الكعبة كانت مبنية قبله ، هذا الذي علينا أن نعرفه اليوم وإن يعرفه المسلمون والعرب قاطبة ، المسلمون والعرب الذي اصابهم الوهن

والتفرق لابتعادهم عن رمز التوحيد والوحدة ، العرب الذين استبدلوا قوتهم ببيتهم الحرام فراحوا يستمدون قوتهم من البيت الأبيض والبيت الأحمر الذي احترق ، واسأل الله للبيت الأبيض أن يذوب وماذلك على الله بعزير .
إن المسلمين والعرب اليوم مدعوون جميعاً ليقفوا تحت راية البيت العتيق ليكونوا من بعد كما كانوا من قبل خير أمة أخرجت للناس .

فلن يعود للمسلمين عزهم ومجدهم حتى يعودوا من جديد ليلمسكوا بالدين والإسلام، إنني أدعو الأمة العربية اليوم في مؤتمر القمة القادم ، وأدعوا جميع الملوك والرؤساء العرب والمسلمين أن يركبوا معنا في سفينة الإيمان وتحت راية القائد الأعلى للأمة.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



تذكر عزيزي الموحّد أن:

١- الخليل وولده وابن أخيه لوط هاجروا من العراق إلى بلاد الشام وجعل الله الأبدال على قلبه.

٢- سيدنا إسماعيل ولد لسيدنا إبراهيم من جاريته هاجر وهو الذبيح الذي أمره الله أن يذبحه وفداه بذبح عظيم.

٣- سيدنا إسحق الولد الثاني لإبراهيم من امرأته سارة.

٤- أول من بنى الكعبة المشرفة سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل.

٥- جاء سيدنا إبراهيم بالتوحيد وهدم الأصنام.

٦- سيدنا إسماعيل أبو العرب المستعربة تعلّم العربية من قبيلة جرهم العربية وتزوج منهم.

(١١)

سيدنا لوط

الحمد لله المنتقم ممن خالفه ، المهلك من أغضبه وآسفه ، المتوحد في قهره ،
المنفرد بعز أمره ، أحده حمد شاكر لما أولاه ، مستقيل مما جناه .

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة يقين لا شك فيه وقول
إخلاص عما يقول الكافر ويفتره .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أستأمنه على علم الغيب ، وبرّاه من
كل دنس وعيب .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكاها
وأنزلهم من منازل الكرامة أعلاها ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فنحن اليوم على موعد مع الرسول السابع من الرسل المذكورين في القرآن الكريم
رسول كابد مع سيدنا إبراهيم الآلام والمواقف الإيمانية وهو ابن أخيه سيدنا لوط .

أرسله مولانا إلى غور الأردن في منطقة البحر الميت ، إلى مدن عدة كان على
راسها مدينة سدوم وكانت تلك القرى من أفجرها وأكفرها وأسوأها كفراً ، يقطعون
السبيل ويأتون في ناديم المنكر ، وابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني
آدم .

كان هذا موجز الأنباء وإليكم الانباء بالتفصيل مع الدرس الایماني الحادي عشر في سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، وخير مانستهل هذا الدرس تلاوة عطرة من كتاب **اللَّهُ** المجيد، على الموجات العاملة من سورة الشعراء .

﴿ كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا **اللَّهُ** وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ / الشعراء: ١٦٤ .

معشر السادة الكرام :

كنا في حديثنا عن الخليل قد ذكرنا أنه قدّم لابن أخيه لوط بعض ماله وأرسله بأمر **اللَّهُ** رسولاً إلى قري سدوم، ولكن لم يستطيع سيدنا لوط أن يفرض هيئته على الكفرة فقاموا بسرقة ماله وغنمه واستولوا عليها فاستنجد بعمه الخليل الذي قام بقيادة جيش فاسترد ما استولى عليه هؤلاء وسلمها له ثم عاد إلى بيت المقدس.

وكانت دعوة لوط كما هي دعوة الرسل جميعاً تتخلص في الدعوة إلى دين **اللَّهُ** والأخلاق العالية والنهي عن تفاقم الغدر والفواحش .

وقد ذكر مولانا عن هذه القرية وما حولها من المخازي والموبقات مما يندى له الجبين فقد كانوا :

١ . قطاعاً للطرق . ٢ . وخونة للرفيق . ٣ . ويأتون بالمنكر من الأقوال والأفعال في مجتمعاتهم .

وهنا قال سيدنا لوط : ﴿ يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم (فتزوجوهن على ما أمر الله، وهؤلاء نساؤكم فأتوهن من حيث أمركم الله) فاتقوا **اللَّهُ** ولا تخزون في ضيفي ، أليس منكم رجل رشيد ﴾ / هود: ٧٨ .

ولكن القوم جميعهم كانوا كما قال مولانا لسيدنا محمد ﷺ في سكرة : ﴿لعمرك
إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ /الحجر: ٧٢/ كانوا سفهاء فجرة ، أقوياء كفره ،
أغبياء فسقة ، أتعلمون أيها الإخوة بماذا أجابوا نبيهم وبماذا ردوا عليه : لقد فعلوا
كما يفعل الفسقة اللثام ، تكون عندهم المرأة الحلال فيبتغون امرأة في الحرام، قالوا
له:

﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ /هود: ٧٩/، ما
نريد وماذا تريدون أتريدون أن تفضحوني في ضيفي آه: ﴿لو أني لي بكم قوة أو
آوي إلى ركن شديد﴾ /هود: ٨٠/.

ودخل سيدنا لوط وأغلق الباب وراءه في وجوههم ، فجعلوا يدفعون الباب
ويريدون فتحه ودخوله ، وهو يعظهم وينهاهم من وراء الباب ، وضاق الأمر على
هذا الرسول وعسر الحال وبلغ الأمر ذراه، ورأى ضيوفه حرجه وضيقه فقالوا له :
﴿يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾.

وفوجئ سيدنا لوط بهم ، وقد سمع سيدنا جبريل يقول له : هذا ملك الموت
وهذا إسرافيل وأنا جبريل، وهنا علم لوط أنه كان يأوي الى ركن شديد، ومن هو
أعظم من الله ؟ لا أحد .

وإذا بسيدنا جبريل يظهر على هيئته التي خلقه الله عليها فيضرب وجه الكفرة
المجرمين فيطمس أعينهم فيرجعوا وكل واحد منهم يصرخ ويستغيث ويتوعد ويقولون :
إذا كان الغد كان لنا ولكم شأن .

﴿ولقد راوده عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر . ولقد صبحهم
بكرة عذاب مستقر﴾ /القمر: ٣٧ - ٣٨/.

معشر السادة الكرام : وهنا صدر الأمر الإلهي لسيدنا لوط وابنتيه :

﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يتلفت منك أحد، إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم﴾ /هو: ٨١/ ﴿وامضوا حيث تؤمرون. وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ /الحجر: ٦٥ - ٦٦/. ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ /هود: ٨١/.

أيها الإخوة :

اسمحوا لي أن أنقل لكم العبرة والعظة عن هؤلاء اللوطيين الكفرة، فإن مولانا عز وجل هدد وتوعد بكل من يعمل عملهم بالعذاب نفسه ، ليسمع الذين تسول لهم أنفسهم أن يفعلوا فعل هؤلاء ، فما أن طلعت الشمس حتى جاءهم العذاب ، فقد اقتلع سيدنا جبريل بطرف جناحه القرى السبع بمن فيهن من الأمم وحيواناتهم ورفع الجميع حتى بلغ بمن عنان السماء فسمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم أكفأها أي قلبها لذلك سميت القرى بالمؤتفكات . ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ وسمع إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ /هود: ٨٢/ مسومة عند ربك و التفتت امرأة لوط لترى هذا المشهد الرهيب فأخذها ما أخذهم ﴿وماهي من الظالمين ببعيد﴾ /هود: ٨٣/.

معشر السادة الكرام :

هذا هو الدرس الاخير من هذه النفحات الإيمانية قول مولانا ﴿وماهي من الظالمين ببعيد﴾ كل من يعمل بعمل قوم لوط عقابه أن يرجم بالحجارة حتى الموت، حتى الموت ، وسمع معي إلى حبيبك سيدنا رسول الله ﷺ وهو يقول : «من وجدتموه يعمل بعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» (د ٤٤٦٢ - ت ١٤٥٦ - هـ

٢٥٦٣ - أحمد ١ / ٣ - ح ٤ / ٣٥٥ - هب ٨ / ٢٣٢ صحيح). وذهب الإمام أبو حنيفة أن اللائط يلقي من شاهق جبل ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط تماماً .

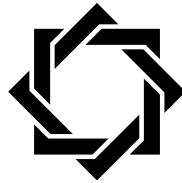
ولهذا يقول ﷺ :

«أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في غضب الله تعالى ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال :

«المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الذكر» (مجمع الزوائد - طس : ض). (يعني اللواط) ثم لعن رسول الله ﷺ من عمل عمل قوم لوط ثلاثاً .

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه : إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسح في قبره خنزيراً .

فلنعد من هناك معاً سريعاً إلى هنا ، إلى بيت الله مقرر رحمة الله وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



(١٢)

سيدنا إسحق وولده يعقوب وحكم رواية الإسرائيليات

الحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته ، ومنه هدايته واجتبايته ومنه سيره وثباته وصيانته ، وبه سبب نيله للعلى ومكانته . أحمده سبحانه وتعالى فيجب أن تشكر نعمته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جامع من افترق ، ورازق من توكل عليه وبه توثق، معين من تكسب بالشرعية وتحقق .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من أنيلت هدايته والذي به أبصر من أعمته عمايته ، وبه أهدى من أضلته غوايته .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير القرون ممن تأخر أو سبق، وسلم تسليمًا :

أما بعد : فقد كنت طوال حديثي معكم عن الأنبياء والرسل الكرام أحاول ما أمكنني أن أبتعد عن الأخذ عن المصادر التاريخية لليهود والنصارى ، وهوما يسمى عند علماء الشريعة (بالإسرائيليات) ، ولكنني اليوم معكم أبحث هذه القضية الهامة، ويعود السبب في أهميتها لشيئين :

الأول : أننا بصدد الحديث اليوم عن رسولين ذكرهما الله تعالى في كتابه هما سيدنا يعقوب ووالده سيدنا اسحق.

السبب الثاني : الأخذ عن الإسرائيليات لأنه لا يوجد مصدر تاريخي إسلامي يحدثنا عن هذين الرسولين إلا القليل النادر .

ولذلك سألت نفسي سؤالاً وأحببت معكم أن أجيب عن هذا السؤال قبل الخوض في حياة هذين الرسولين ، والسؤال هو :

هل يجوز اعتماد الروايات التاريخية الموجودة عند أهل الكتاب والمسماة
بالإسرائيليات ؟

أو أقول : متى يجوز أن نستند إلى الإسرائيليات ونركن لها ؟
معشر السادة الكرام :

هذه هي القضية الإيمانية اليوم التي أعرضها على حضراتكم مع الدرس الثاني
عشر من أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية بدمشق المحروسة.
والإسرائيليات قصص أو حوادث تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى
إسرائيل وهو سيدنا يعقوب بن اسحق بن سيدنا إبراهيم الخليل أبو الأسباط الاثني
عشر ، وإليه ينسب اليهود فيقال : بنو إسرائيل، ونحن نرى الحديث عنهم كثيراً في
كتاب مولانا عز وجل مثل قوله تعالى :

﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

وفي إجابتنا عن السؤال الذي طرحته عليكم ، نجد أن الإسرائيليات ثلاثة
أقسام :

- ١ - قسم موافق لشريعتنا الغراء .
 - ٢ - وقسم مخالف لها .
 - ٣ - وقسم مسكوت عنه ليس في شرعنا ما يؤيده ولا ما يرفضه .
- واسمحوا لي لمزيد من التوضيح أن أطرح عليكم الأمثلة البيانية على ذلك ، فمثال
القسم الموافق لشريعتنا الغراء ، ما ذكره ابن كثير الدمشقي في تفسيره ، عن عطاء
بن يسار قال :

لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني عن صفة رسول ﷺ الله في
التوراة : قال : أجل ، و الله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن :
"أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمم ، أنت عبي
ورسولي ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به

المللة العوجاء بأن يقول لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوباً غلفاً وأذاناً صُماً وأعيناً عُمياً . (خ- أحمد).

قال عطاء : ثم لقيت كعب الأخبار فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً.
ومثال القسم الثاني المخالف لشريعتنا ما نقل عن الإسرائيليات أن مولانا خلق السموات والأرضين وغيرهما في ستة أيام، ثم فرغ في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله واستراح في اليوم السابع.
فهذا مخالف تماماً لعقيدتنا لأن الإله لا يتعب حتى يستريح، ولهذا رد عليهم مولانا في كتابه فقال : ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ /ق: ٣٨.

وأما القسم الثالث وهو ما سكنت عنه شرعنا المطهر، وليس فيه ما يؤيده أو يفنده ، فهو ما سأذكره لكم اليوم عن قصة هذين الرسولين الكريمين.
أيها الإخوة :

بناءً على هذه التقسيمات الثلاثة فقد انقسم العلماء إلى قسمين أمام الإسرائيليات ، منهم من منع روايتها ومنهم من سمح بروايتها .
ونحن إذا نظرنا نظرة المتأمل الفاحص المتدبر لكتاب مولانا عز وجل نجد الآيات الكثيرة الدالة على أن اليهود والنصارى بدلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها ، مما أذهب الثقة فيها وفيما يحدثون به منها، ومن البديهي أن مالا يوثق به لا تجوز روايته ، وغالب رواياتهم خرافات وأباطيل لأن أهل الكتاب ومنهم اليهود قوم عُذُر ﴿ولتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود الذين أشركوا﴾ /المائدة: ٨٢.

وقوله : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ /البقرة: ١٠٩.

هذا هو الحق لا مرية فيه ، ولذلك حاولوا على مدى العصور أن يشوهوا تعاليم الإسلام بمكرهم وحيلهم، وكان على أسفلهم عبد الله بن سبأ اليهودي رأس الفتنة والضلال ، وجميع أعوانه ينشرون الفساد في العقيدة والمقدسات الإسلامية .
لذلك اسمعوا معي إلى الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وهو يقول في صحيح البخاري عن أبي هريرة :

كان أهل الكتاب يقرؤون في التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا». عن أبي هريرة البخاري (٧٣٦١).

ومعنى هذا الكلام عدم الثقة بما يحدث به أهل الكتاب عن التوراة . وإليك يامعشر الإخوة هذا الحديث الإيماني الهام الذي قرر فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منع المسلمين من مطالعة كتب اليهود والنصارى، والكتب الضالة المضلة المضللة لمن يطالعها ، فقد روى الامام أحمد وابن أبي شيبة والبخاري من حديث جابر بن عبد الله أن سيدنا عمر بن الخطاب أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه ، وهنا غضب رسول الله وقال : « أمتهكون فيها يا ابن الخطاب (ايتحدون شاكون في شريعتنا) والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني » . (حسن: ابن أبي شيبة).

وإليك هذه الرسالة الموجهة من حبيبنا سيدنا محمد ﷺ.

(يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه من أحدث الأخبار بالله تقرؤنه لم يشب . وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتب الله وغيروا بأيديهم الكتب (فقالوا : هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً) أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم). خ على ابن عباس ٢٦٨٥ - ٧٣٦٣.

أيها الإخوة : وهكذا تحدث إليكم القائد الأعلى للأمة الإسلامية محذراً وناهيماً
ومانعاً عن مطالعة كتب أهل الكتاب وغيرها من كتب الضلالات التي تفسد
العقيدة ، وكل كتاب يصدر فيه أمثال هذه الضلالات يحرم على المسلمين شراؤه أو
مطالعة استناداً للقرار الصادر عن القائد الأعلى سيدنا محمد ﷺ ، قراراً وجاهياً لا
يستثنى منه إلا العلماء الذين يعرفون الصحيح من الضعيف والحق من الباطل، ولهذا
اسمع إلى قول مولانا لنبية يقول له :

﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرؤون الكتاب من
قبلك** ﴾ (يونس)

فالأنبياء مستثنون من هذا القرار، والدليل: كلمة ﴿ **فأسأل** ﴾ ، والعلماء ورثتهم
، وفي موقف آخر مماثل يقول مولانا :

﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ / آل عمران: ٩٣ . وهذا صريح
في جواز الرجوع إلى التوراة والاحتكام إليها.

ولهذا كان جمع من الصحابة والتابعين الكرام سادات الأمة يرجعون إليها ، أذكر
لكم بعضهم على سبيل المثال لا الحصر : سيدنا أبو هريرة ، سيدنا عبد الله بن
عباس ، سيدنا تميم الداري، وعبد الله بن سلام، سيدنا عبد الله ابن عمرو بن
العاص .

ومن التابعين الكرام : وهب بن منبه وكعب الأحبار، وكل هؤلاء من الثقات
المنزهون عن الكذب، ولكن خلف من بعدهم خلف كذبوا ووضعوا الروايات
الاسرائيلية ونسبوها هؤلاء المتقدمين منهم محمد بن السائب الكلبي ومحمد بن مروان
السدي ومقاتل بن سليمان وغيرهم .

ولست هنا في معرض ذكر الأسماء بل لأبين أن بعض العلماء في الأمة الإسلامية
يرجعون إلى الاسرائيليات ليينوا زيفها وكذبها ويميزوا الصحيح منها ، نعم منها
صحيح لا شك فيه ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ استمع لبعض اليهود وهم يتلون
التوراة ، فيما يرويه الامام أحمد عن ابن مسعود قال :

« إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة » كان هذا موجز الأنباء وإليكم تفصيلها على لسان ابن مسعود : قال :

فدخل الكنيسة (من ؟ سيدنا محمد) فإذا يهودي يقرأ على اليهود التوراة ، فلما أتوا على صفة نبينا أمسكوا ، قال : وفي ناحيتها رجل مريض . فقال النبي مالكم أمسكنم ؟ ! .

فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يجبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة سيدنا محمد ﷺ فقال هذه صفتك يا أبا القاسم وصفة أمتك أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . (الإمام أحمد). وهكذا دخل هذا الرجل الجنة.

معشر السادة : وبناء على هذه المواقف الإيمانية المدعّمة بالآيات القرآنية أذن العلماء للطبقة العليا من الناس بالرد على أهل الكتاب وتبيين التحريف والتبديل في أخبارهم ، وعلى هذا نقول :

كل ما جاء موافقاً لما في شرعنا المطهر تجوز روايته عن أهل الكتاب ، والدليل عليه قوله في الصحيح «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» خ (٣٤٠٦) والمعنى حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه.

وأما ما جاء مخالفاً في شرعنا أو كان لا يصدقه العقل فلا تجوز روايته لأن إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب وإباحة الرسول للحديث عنهم لا تتناول ما كان كذباً ، أو لا يعقل أن يبيح الله ولا رسوله رواية المكذوب أبداً .

وأما ما سكت عنه شرعنا المطهر ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملاً فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه ، وعلى هذا يحمل قول نبينا الأعظم : «لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» خ (٤٤٨٥). وأما روايته فجائزة على أنها مجرد حكاية لما عندهم.

معشر السادة الكرام : إذا علمنا ذلك جاز لنا اليوم أن ننزل ضيوفاً على سيدنا اسحاق وولده سيدنا يعقوب (أو إسرائيل الله) وعلى أولاد ذريته من منطلق القسمين الأول والأخير وهما ما جاء موافقاً لشرعنا وما سكت عنه شرعنا المطهر .

إننا في الصفحة الأولى من هذا الدرس ، وسمحوا لي أن أقرأ عليكم الآيات ومع الدرس الثاني عشر على الموجات العاملة من سورتي الحديد والأنعام : «ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب» .

﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ / الأنعام: ٨٥ .

فكل هؤلاء الأنبياء من ذرية سيدنا إبراهيم وهذه خلعه سنية لاتضاهى ومرتبة عليا لاتباهى، ولهذا لقب بأبي الأنبياء قولوا صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا . وقد مر معنا أنه ولد له لصلبه ذكران عظيمان هما جدي سيدنا إسماعيل الذبيح من السيدة هاجر ، وسيدنا اسحق من السيدة سارة . وكان بينهما سنوات ، وسيدنا اسحق ولد لأبيه وله مئة سنة ، وكان عمر السيدة سارة حين بُشرت به تسعين سنة يقول عز وجل : ﴿وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ / الصافات: ١١٣ .

فلما بلغ الأربعين زوجه والده سيدنا إبراهيم من امرأة فوجدها عاقراً ، فدعا الله لها فحملت فولدت له غلامين توأمين : العيص وهو والد الروم ، وآخر خرج وهو أخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب .

ونما الغلامان وشباً وبدأ يتسابقان على برّ والديهما فحاز قصب السبق في البرّ سيدنا يعقوب .

فدعا له سيدنا إسحق أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك ، ثم دعا للعيص أن يجعل ذريته بعدد التراب لا يملكهم أحد غيرهم .

وبدأت نار الغيرة والحسد تشتد في نفس العيص فحسد أخاه على حب أبيه وأمه له، فإذا به يجد نفسه مرة يتوعده بالقتل ، وهنا قدم يعقوب على والده ، وراح يشكو له أخاه وما يتهده به ويتوعده .

معشر السادة:

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى بيت المقدس لنسمع النصيحة الغالية التي نصحتها اسحق لابنه يعقوب قال له :

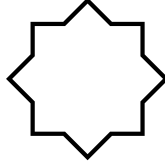
يا بني أترى هذه اللحية البيضاء والجبين المتغضن والظهر المنقوس وقد أصبحت شيخاً متهدماً خذلتني قوتي ، ووقفت على ثنية الوداع ، ويوشك أن يدانيني الأجل، ولا آمن عليك بعدي أن يعانيك أخوك بالعداوة ويحسر لك اللثام عن بطش وكيد، وهو في منعة من شدة أسرته ، وقوةٍ من خلقه ، وحرزٍ من أصهاره وذوي قرباه، وما أرى لك إلا أن ترحل إلى فدان آرام من أرض العراق حيث خالك لا بان بن بتويل ، فابن على إحدى بناته، فإنك تنال العز والشرف والمجد والمنعة، ثم عد بعدها إلى هذه الأرض وإنني لأرجولك عيشاً أخفض من عيش أخيك ، ونسلاً طاهراً خيراً من نسله وولده، و **اللَّهُ** يكلؤك بعينه ويحفظك برعايته.

أيها الإخوة الكرام :

نفذ الابن البار نصيحة أبيه من ليلته وودع أمه وأباه وأخذ زاده وراحلته وراح ينتقل ويسري بالليل وينام في حر النهار، ولهذا سماه الإله إسرائيل ، وهو أول من سرى بالليل ، لكن عندما خرج من مدينته نظر إليها بحنين وشوق ومحبة وجلس على أطرافها يرتاح من عنت الطريق ومشقة السفر فأخذته سنة من النوم فإذا به يرى فيما يرى النائم أن :

سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى **اللَّهُ** إليه: « إني أنا **اللَّهُ** لا إله إلا أنا إلهك وإله آبائك وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك، وباركت فيك وفيهم وجعلت فيهم الكتاب

والحكمة والنبوة ، ثم أنا معك أحفظك حتى أردك إلى هذا المكان وأجعله بيتاً
تعبدي فيه وذريتك فهو بيت المقدس» .
وهنا استيقظ الفتى مسروراً مغتبطاً عازماً على إتمام سفره ، لكنه وقبل أن يغادر
مكانه وضع علامة على صخره عظيمة هناك ليبنى فيها بيت الله .



تذكر عزيزي الموحّد أن:

- سيدنا لوط ابن أخ سيدنا إبراهيم الخليل، وقد أرسل إلى قرى البحر الميت.
- سمي الأقوام الذين فعلوا الفاحشة بالذكور لوطيين.
- الإسرائيليات: قصص تروي عن أهل الكتاب
- إسرائيل هو اسم سيدنا يعقوب بن سيدنا اسحق.
- السبب في تحريم رواية الإسرائيليات تحريف كتبهم.
- والعلماء في رواية الإسرائيليات قسمان: المسموح لهم بالإطلاع على كتب أهل الكتاب هم العلماء فقط.
- لقب سيدنا إبراهيم بأبي الأنبياء لأنه ولد له ذرية وأحفاد كلهم أنبياء ومنهم الرسل وعلى رأسهم سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

(١٣)

سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام وولده سيدنا يوسف

الحمد لله الذي أحاط بمحادث الدنيا والآخرة خيراً، وجعل لكل شيء قدراً،
فأسبل على الخلائق رعاية ستراً، أحمدته سبحانه تعالى على نعمائه شكراً، وأسلم
لقضائه وقدره صبراً.

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً،
وأستمدّها على الأعداء نصراً.

وأشهد سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى البرية عذراً ونذراً، فدعا إلى الله
سراً وجهراً، ونشر رحمته على العالمين نشرأ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا
محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة وسلاماً تعلو في سماء الخافقين ذكراً وسلم
تسليماً

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

نحن اليوم مع عَلمٍ من أعلام النبوة، مع رسول ونبي جعله مولانا درساً للشباب
عامة، وللشباب الأغنياء خاصة، إنه شاب آتاه ﷻ تعالى كل شيء، الجمال
والكمال والغنى، ثم امتحنه مولانا بكل شيء، أتته الدنيا بين يديه لتكون له بالحرام
فأبأها أيما إباء وأراها أيما شتم، وامتحنه بإخوته الذين خذلوه وحاولوا قتله، فلما
أقدره ﷻ عليهم كان رحيماً بهم وحليماً، فكانت مكافأة ﷻ تعالى له أن آتاه
ملك مصر وما حولها، وجعله علماً من أعلام الأنبياء، والرسل الكرام لتكون عبرة
للشباب المؤمنين. وسمّى سورة من طوال السور باسمه وذكر حياته الإيمانية بالتفصيل.

إننا باختصار مع رسول قال عنه نبينا ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ بنُ يعقوب بنِ اسحق بنِ إبراهيم» خ (٣٣٩٠) قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

كان هذا -معشر السادة الكرام- موجزَ الأنباء، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الدرس الثالث عشر من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية في جامع الدرويشية، بعد أن ترفعوا أصواتكم بشعار التوحيد. «لا إله إلا الله».

تركنا في الجمعة الماضية سيدنا يعقوب وهو متجه إلى العراق ليلتقي بخاله لابان، الذي رحب به أيما ترحيب وضمه لأسرته واعتنى به وصار يرعى أغنامه. وفي هذا يقول نبينا الأعظم ﷺ: «ما من نبي إلا رعى الغنم» خ (٢٢٦٢).

وكان من وصية والده سيدنا اسحق أن يتزوج ابنة خاله لابان، فانتقى فتاة من بناته اسمها راحيل، وهي صغرى بناته، فخطبها من خاله فقبل على أن يكون مهرها أن يرعى له الغنم سبع سنين فوافق عن طيب خاطر فلما أتم سبعاً تدخلت العادات القبلية في هذا الزواج، فقد اقتضت هذه العادات ألا تتزوج البنت الصغرى حتى تتزوج الكبرى، فزوجه خاله من ابنته الكبرى وقال له: إن أردت أن تتزوج معها أختها الصغرى - وكان هذا جائزاً في شريعتهم - فعليك أن تخدمني سبع سنين أخرى.

وهكذا **معشر السادة** - قام سيدنا يعقوب بخدمة خاله سبع سنين أخرى، حتى تمت فتزوج السيدة راحيل التي أعقبت له إغلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمّاه يوسف. كما أعقب من امرأته الأولى ستة أولاد وبناتاً. وكان لكل من الزوجتين جارية، فوهبت كل واحدة منها جاريتها لسيدنا يعقوب فولدتا له أربعة أولاد.

معشر السادة الكرام:

بعد هذه السنين الطويلة أمر مولانا سيدنا يعقوب بالعودة إلى بيت المقدس، فطلب من خاله أن يسرحه للعودة إلى والده، فقال له لابان: يا بني قد بورك لي بسببك فسلمي من مالي ما شئت. فقال: تعطيني كل حمل يولد من غنمك هذه

السنة وذكر ألوانها. فوافق لابان، وحدثت المعجزة العظيمة فولدت الغنم كلها الألوان التي طلبها يعقوب فوهبها له خاله كلَّها، فصار له أغنام كثيرة ودواب وعبيد.

فودَّع خاله وأقرباءه وساق ماله كله وعبيده بإتجاه وطنه، وتفتقت قريحة سيدنا يعقوب النبوية عن عمل عظيم ليتألف به أخاه العيص، إذ أنه جمع عبيده وأعطى كل واحد منهم نوعاً من أنواع الدواب النفيسة وأمره أن يكون بين كل قطيع وقطيع مسافة، ثم تأخر هو وأزواجه وإماؤه وأمواله ليلتين.

وسار هذا الركب، وثار الغبار بمسيره فخرج العيص مع بعض قومه ليرى ما الأمر، وما هذه الدواب، فصار يلقي كل عبد مع دوابه فيسأله لمن هذا القطيع؟ فيقول العبد هذه هدية سيدي يعقوب لأخيه العيص.

وكلما قدم عبد مع نوع من الدواب بهديته زاد السرور في قلب العيص وزال حسده عن أخيه، حتى مضت الليلتان فإذا بالعيص يخرج إلى أخيه يعقوب إلى ظاهر المدينة في أربعمئة راجل ليستقبل أخاه الغائب الذي ما إن رأى أخاه العيص حتى سجد له - وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان - وأمر زوجته وإماؤه وعبيده أن يسجدوا له.

وهنا احتضن العيص أخاه وقبله وراح ييكى، ثم سار به إلى أبيه اسحق الذي فرح فرحاً شديداً بولده. وكان أول عمل قام به سيدنا يعقوب أن وفى بوعد له مولانا عزوجل، حيث بنى مذبحاً لله تعالى سمَّاه إيل، أي إله إسرائيل، وهو اليوم بيت المقدس، وهو ثاني مسجد وضع لله تعالى على الأرض، “وقد سأل مرة سيدنا أبو ذر سيدنا رسول الله ﷺ فقال: أي مسجد وضع أول. قال: المسجد الحرام. قلت ثم أي. قال: المسجد الأقصى قلت كم بينهما. قال أربعون سنة# خ (٣٣٦٦) عن أبي ذر.

أيها السادة: ما إن مضى وقت يسير على السيدة راحيل وهي في بيت المقدس حتى وضعت ولدها الثاني بنيامين، الأخ الشقيق لسيدنا يوسف، لكنها قضت نحبها عقب الولادة، فخص يعقوب بالحب الولدين وعوض عليهما بالحنان، وخاصة أن

سيدنا يوسف أتى إليه ليحدثه عن رؤيا غير عادية تدل على أنه النبي بعد أبيه، وقد سطر مولانا هذه الرؤيا في كتابه الكريم فقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ /يوسف: ٤ - ٦.

وانظروا - معشر السادة - إلى قوله ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ فإنه أمره بكتمان رؤياه فإذا كتمها فإن ربه يجتبيه ويخصه بأنواع اللطف والرحمة ويعلمه من تأويل الأحاديث وتفسير المنامات، ثم قال له: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: أي بالوحي إليك والنبوة كما أعطاها أباك يعقوب وجدك اسحق ووالد جدك إبراهيم.

معشر السادة

وراح سيدنا يعقوب يغمر ولده يوسف بالحب والعطف والحنان، ويعتني به ويهيؤه لهذا المنصب الرفيع الذي سيتولاه. لكن هذا العطف فَسَّرَهُ إخوته تفسيراً عكسياً، فصاروا يحسدون أخاهم على ذلك، بل إنهم اجتمعوا ليدرسوا هذا الحب الغامر الذي يحظى به أخوهم يوسف وراحوا يحكيون خطوط مكيدة ليوقعوا بأخيهم أو يتخلصوا منه لينالوا حظاً من عطف أبيهم وحبه.

معشر السادة الكرام: اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى الاجتماع السري الذي عقده إخوة يوسف بعيداً عن أبيهم وأخيهم بنيامين، وقد حدثنا مولانا عن هذه المكيدة فاستمعوا وأنصتوا لعلكم ترحمون. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ، إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَا وَنَحْنُ عَصِيْبَةُ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ

بعده قوماً صالحين. قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ﴿/يوسف:./

وهكذا - معشر السادة - أجمعوا على الرأي الأخير فعند ذلك أتوا إلى أبيهم ورادوه عن يوسف وأظهروا له أنهم يريدون أن يرعى معهم وأن يلعب وينبسط، وقد أضمروا في صدورهم ما الله به عليم.

﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون . أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . قال إني ليحزني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون. قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾.

فما زالوا به حتى بعثه معهم، فما أن غابوا عن عينيه حتى جعلوا يشتمونه ويهينونه، ثم ألقوه في غياهب الجب أي في قعره على صخرة وسط البئر، فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه: لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة التي أنت فيها، ولتُخبرن إخوتك بصنيعهم هذا في حال أنت فيهم عزيز وهم محتاجون إليك خائفون منك وهم لا يشعرون.

وكان يوسف ابن ست سنين وبعث إليه ملكاً يؤنسه وهو في البئر وأتاه بفاكهة من الجنة، فلما أمسى يوسف أستأذن الملك بالذهاب. فقال يوسف: إذا أنت ذهبت استوحشت، فقال الملك: بل أعلمك دعاءً لاتستوحش معه، فقل:

«يا صريخ المستصرخين، يا غياث المستغيثين، يا مفرج كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري»

فصار سيدنا يوسف يرددّها، فأذهب الله عنه الوحشة.

ثم قام الإخوة الأصدقاء بحيلة أخرى لتبرير غياب أخيهم، إذ أنهم ذبحوا نعجة ولطخوا قميص أخيهم بدمها، ورجعوا إلى أبيهم عشاء ييكون على أخيهم، ولهذا قال بعض السلف: «لا يغرّنك بكاء المتظلم فرب ظالم وهو باك»، واسمعوا البيان الإلهي في هذه القضية الجنائية:

﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ (جاءوه في ظلمة الليل ليكون أمشى لغدرهم لا لغدرهم): قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين. وجاءوا على قميصه بدم كذب.... ﴿
/يوسف: ١٦ - ١٨/.

ونظر المكلم إلى أولاده فرأى قميص يوسف وهو غير محرق ولا ممزق فبكى بشدة شديداً وقال:

تالله ما رأيت كالיום ولا ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيباً ولا مزقاً له شقاً. وصاح صيحة وخرّ مغشياً عليه.

وحين أفاق طلب سيدنا يعقوب من أولاده أن يحضروا إليه الذئب الذي أكل ولده إن كانوا صادقين. فعمده الأولاد إلى حبالهم وعصيهم ومضوا إلى الصحراء فاصطادوا ذئباً وشدوه وأوثقوه ثم حملوه إلى يعقوب، وأوقفوه بين يديه.

وهنا وجه سيدنا يعقوب الكلام إلى الذئب فقال: أيها الذئب أكلت ولدي وقرّة عيني وحبيب قلبي وثمرّة فؤادي لقد أورشنتني حزناً طويلاً وألماً عظيماً.

وهنا أنطق الله الذئب فإذا به يقول: لا وحق شيتك يا نبي الله ما أكلت لك ولداً، وإنّ لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء لمحرمة علينا، وإني لمظلوم مكذوب علي، وإني لذئب غريب في بلاد مصر جئت أزور الذئاب.
وعند ذلك قال يعقوب لأولاده:

﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾
/يوسف: ١٨/.

معشر السادة الكرام: مكث سيدنا يوسف في البئر ثلاثة أيام، وكان يدعو بالأدعية المختارة ويلتجئ إلى الله تعالى الذي لا يخيب أحداً، فلما كان اليوم الرابع مرت قافلة نزلت قريباً من الحب، في ذلك يقول مولانا عزوجل:

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه﴾ (فتمسك به يوسف) قال: يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون﴾، سارت القافلة فمرت

في طريقها على قبر راحيل والددة سيدنا يوسف، فلم يتمالك الطفل إلا أن رمى بنفسه عن الناقة إلى القبر وراح يناجيها ويقول: يا أماه حلي عنك عقدة الردى، وارفعي رأسك من الثرى، وانظري إلى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلايا، يا أماه لو رأيت ضعفي لرحمتيني، يا أماه لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدوني، وفي الجب ألقوني، وعلى حر وجهي لطموني، وبالحجارة رجموني ولم يرحموني، وكاتباع العبيد باعوني، وكما يحمل الأسير حملوني.

وراح الطفل يبكي بكاءً مرأً، وإذا بصوت يُسمَع يناديه من خلفه يقول «اصبر وما صبرك إلا بالله».

وفي هذا يقول مولانا عزوجل: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين. وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾.

وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو وزير المالية الذي كانت الخزائن مسلمة إليه، (وكان ملك مصر في زمنه رجل من العماليق) اشتراه بعشرين ديناراً ورباه وأمر زوجته بحسن تربيته، حتى بلغ أشده وهو أربعين سنة، وقيل عشرين سنة، وقيل ثلاث وثلاثون سنة، وظهر جماله وحسنه وعلمه مولانا عز وجل من لدنه علماً، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ / يوسف: ٢٢.

أيها الإخوة:

كانت مِنَّةُ اللَّهِ تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمناً لمحتته، ومحتته مكمناً للمحنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر وجميع القرى من حول مصر. ورحم الله ابن عطاء الله السكندري عندما قال: «ربما كُئِيتَ المنن في المحن» وكانت من تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق

السوي والجمال المفرط فاشعل ذلك في نفسها جذوة الحب. وصار ذلك يزداد بتكرار رؤيتها له، إلى أن غلبها الحب على حيائها فأخذت تداعب يوسف، وهو يُعرض عنها لعاملين يكفي كل واحد منهما لعزوفه عما تريد:

الأول: إيمانه بالله تعالى وامتثال أوامره وعصمته من الأرجاس الخلقية، تلك الطهارة التي وجد عليها أباه وَجَدَهُ وجد أبيه.

والثاني: أن بعلها (سيده) الذي حذب عليه وأكرم مثواه ومكن له في بيته، فلا ينبغي أن يقابل نعمته بالكفران.

كان ذلك دأب يوسف معها، إلى أن هاج بها هائج الغرام واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة، فصارحته القول ودعته إلى نفسها دعوة لا هودة فيها. وانصاعت للأمر وأخذت عدتها له.

هذا الموقف هو درس للشباب اليوم الذين يفرطون في النعم التي آتاهم الله إياها.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن أذيع على حضراتكم وقائع المحاولة الفاشلة التي قامت بها امرأة العزيز على الموجات العاملة من سورة سيدنا يوسف:

﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك. قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون. ولقد همت به، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين، واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب. قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم. قال: هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ /يوسف:

./٢٨

معشر الإخوة: هذا هو الدرس الإيماني اليوم الذي قدمه لنا سيدنا يوسف الصديق في هذا البيان الإلهي البديع، ولينظر الشباب ماذا يجب عليهم أن يفعلوه تجاه عروض الإغراء والفساد المتفشي الذي ينتشر في مجتمعاتنا، لينظروا إلى هذا الجواب البديع الشريف الذي رد به سيدنا يوسف عرض الإغراء لقد قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ وربي هنا أي رب المنزل وصاحبه، أحسن إلي وأكرم مقامي عنده، لكنها مع كونها امرأة وزير غلبتها شهوتها فهتت به، وهنا يجب علينا أن نقف عند قراءتنا لهذه الآية الكريمة، ولقد علمتنا اللغة أن نفهم ما نقراً ، فإن الآية واضحة الدلالة اللغوية، ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ /يوسف: ٢٤/ أو نقول نحن: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

لولا المطر لهلك الزرع: لولا وجود المطر لهلك الزرع، فنقول:

البرهان وهو لولا أن رأى برهان ربه لهم بها: لولا وجود العصمة لهم بها، أي أنه امتنع الهم لوجود العصمة، فلا يوجد هم منه أبداً. إن مولانا يحلف بعظمته فيقول ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ فاللام رابطة لجواب القسم، وأيده بقدر التي هي للتحقيق، ولا تقف في قراءتنا للآية عند قوله تعالى ﴿وَهُمْ بِهَا﴾، لأنها مخالفة للعقيدة، لأن الذي يجب أن يعتقد المسلم أن الله تعالى عصمه وبرّاه ونزهه عن الفاحشة وحمّاه عنها وصانه منها، والدليل على ذلك تنمة الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، هذه شهادة عظيمة وقوله أيضاً ﴿وَإِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ /يوسف: ٢٤/ وهذه شهادة أعظم من الأولى.

وإليك الآية القرآنية الأخرى على براءة سيدنا يوسف وعصمته، فإن امرأة العزيز لما أراد سيدنا يوسف أن يسرع إلى الباب ليتخلص من هذا الموقف الذي وقع فيه، إذ بها تسرع هي إليه وتشده من قميصه، فإذا بالمفاجأة الكبرى تقع، إذ أن زوجها فتح الباب ودخل فإذا بها تسارع إليه وتقول متهمة سيدنا يوسف: ﴿مَا جِئَ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾ /يوسف: ٢٥/ (ضربني وبكى

وسبقني واشتكي) اتهمته وهي المتهمة، وبرأت عرضها ونزهت ساحتها، فرد سيدنا يوسف على الاتهام بالحقيقة فقال: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ /يوسف: ٢٦/.

وهنا حدثت معجزة عظيمة لسيدنا يوسف لم تخطر على بال امرأة العزيز التي كذبت وشهدت زوراً وبهتاناً، فقد- كان طفل في المهد لم يبلغ السنتين من عمره - على نقلته كتب السّير - هذا الطفل أنطقه الله تعالى ليكون حكماً فصلاً في هذه القضية، قال الطفل بلسان فصيح ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾ / يوسف: ٢٦ / لأنه يكون قد راودها فدافعت حتى قدت قميصه من قدام ﴿وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ /يوسف: ٢٧/، لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت به فانشق قميصه من الخلف.

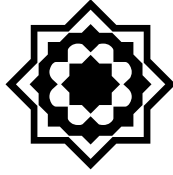
وهنا نظر الوزير فلما رأى قميصه قد من دبر توجه إلى زوجه باللوم والعتاب وقال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم.

ثم توجه بالرجاء والاعتذار لسيدنا يوسف فقال ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ ولا تذكره لأحد، لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن، ثم أمرها بالاستغفار والتوبة إلى ربه عزوجل، وأهل مصر وإن كانوا يعبدون الأصنام إلا أنهم يعلمون أن الذي يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له.

ولهذا يقولون في الأمثال أفرس الناس ثلاثة: «العزيز حين قال لأمرأته أكرمي مثواه، والمرأة التي أتت إلى أبيها وقالت عن سيدنا موسى يا أبت استأجره، وسيدنا أبو بكر الصديق حين استخلف سيدنا عمر من بعده»، وما أن مضت هذه السنوات عليه حتى أصبح أثيراً لدى الوزير فجعله صاحب أمره ونهيه والرئيس على خدمه والمتصرف في بيته، بحيث لم يكن لأحد في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته. وقد تولاه مولانا بالهداية والتربية والتوفيق، وعلمه من لدنه علماً، وهذا هو معنى قول مولانا ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره. ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ /يوسف: ٢٢/.

معشر السادة الكرام:

فما هي المكيدة الثانية التي كادتها امرأة العزيز لتوقع بسيدنا يوسف الصديق،
أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من
هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد
الله تعالى.



(١٤)

سيدنا يوسف في قصر العزيز

الحمد لله الذي انفرد بالبقاء. وكتب على غيره الزوال، وجعل الدنيا منتقلة لا تدوم على حال، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال، فكم ممن يؤمل الآمال فتحرمه دونها الآجال، وكم ممن يفجؤه النوال ولم يخطر له على بال. أحمده سبحانه وتعالى على عطائه وأشكره على جميل بلائه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتعالي عن الأشياء والمثال، المتصرف في عباده باختلاف الأحوال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله هادياً من الضلال. وداعياً إلى شرف الخلال، ومرشداً لصالح الأعمال ومحذراً من الجحيم والنكال ومبشراً بالنعيم والظلال.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وسائر النبيين والصحابة والأولياء المتقين نعم الأصحاب وحبذا الآل، وسلم تسليماً. أما بعد:

فما زلنا ننزل ضيوفاً على الكريم بن الكريم بن الكريم سيدنا يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم لنأخذ الدروس العملية الإيمانية من خلال سيرة حياته، ومع الدرس الرابع عشر من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية أنتقل بحضراتكم إلى قصر عزيز مصر ووزير ماليتها، لنسمع معاً ونشاهد هذا اللغظ والكلام المبهم الذي يدور بين خبايا القصر، وبين أفراد طبقة الأمراء والأميرات وزوجات الوزراء، فما هو هذا الخبر المتداول الذي أثار هذه الزوبعة الكلامية في الخفاء؟ اسمعوا وانصتوا لعلكم ترحمون.

﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين﴾ /يوسف: ٣٠/. وثارت ثائرتها وأرادت أن تنتقم لنفسها لهذه الكلمات التي وصلتها منهن، فأجمعت كيدها وأرسلت إليهن تدعوهن إلى قصرها، واعتدت لكل واحدة منهن ضيافة مما يقطع بالسكاكين، وما أن أخذت كل واحدة منهن مكانها وتناولت سكينها وفاكهتها لتقطعها، حتى أمرت امرأة العزيز سيدنا يوسف وقد ألبسته أحسن الثياب، أن يخرج عليهن وهو أجمل من البدر لا محالة ﴿فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾ /يوسف: ٣١/.

وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يجرحن أيديهن بتلك السكاكين وهن لا يشعرن بألم من شدة افتتاحهن بجماله، وهنا ردت امرأة العزيز الصفحة بمثلها، ورأت أنها قد انتصرت على طبققتها فقالت: ﴿فذلكن الذي لمتني فيه﴾ في حبه وشغفي به ، لقد رأيته عفواً ، وشاهدته لمحاً، فما بالكن تلمني فيه وقد ترعرع في داري، وبلغ أشده واستوى بين سمعي وبصري، فأنا أشاهده في قعوده وقيامه، ويقظته ومنامه، وطعامه وشرابه، وحركته وسكونه، وأخلو به في ليلي ونهاري، وأترأى له في زيني، وأعرض على نظره محاسني، فيعرض عني استعصاماً، ولا يرفع إلى طرفاً، ولا يميل نحوي عطفاً، فمثلي سيدة مالكة، تأمره أو تشير فطاع، وتريد إظهار سلطانها عليه فتعجز.

ثم أظهرت امرأة العزيز ما أبدت له من ميل وقالت ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ /يوسف: ٣٢/ أي امتنع وأبى، فقالت النسوة ليوسف: أطع مولاتك. فلم يسمع لهن، بل أبى أشد الإباء، ونأى لأنه من سلسلة الأنبياء. لكنه ترك مجلسهن فسمع أواخر كلمات امرأة العزيز وهي تقول لهن:

﴿ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ /يوسف: ٣٢/. فقال سيدنا يوسف يخاطب مولانا عزوجل ويناجيه: ﴿رب السجن أحب إلي مما

يدعونني إليه، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم.

وهكذا - معشر السادة الكرام - اجتاز سيدنا يوسف المحنة الثانية بلطف الله ورعايته، لكن امرأة العزيز لم تتوقف عن كيدها ومعها سلاح الحكم المطلق، ورغم كل تلك الآيات الدالة على براءة سيدنا يوسف أرادت وقد يئست من محاولاتها أن تحفظ سمعتها، ولو كان بسجن فتى بريء، كل جريمته أنه لم يستجب.

فقد رأى العزيز ومشيره أنه لا يخلصهم من العار ويكف السنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن، ليخيلوا إلى الناس أنه مازج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة، وأن زوجة العزيز بريئة مما قُذفت به، قال مولانا عزوجل: ﴿ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ / يوسف : ٣٥.

وكان يمكن للعزيز أن يوقع بزوجه العقاب على ما اجترحته، ويُمكن لسيدنا يوسف ويظهر للناس براءته بمعنى ما ذكر مولانا في كتابه: ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ / النجم : ٣١ / ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، بل شكّل محكمة عرفية وحكم على سيدنا يوسف بالسجن وهو قضاء خير منه الاستبداد، لأن الاستبداد يجوز فاعله على أن عمله جور وظلم، ولكن القضاء الذي يجوز ويظلم ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء، وهذا ما حدث بالضبط لسيدنا يوسف. وهذا هو جو الحكم المطلق وجو القصور وجو الأوساط الأرستقراطية وجو الجاهلية، فسجنوه ظلماً وعدواناً وكان هذا من قدر الله له، ومن جملة ما عصمه به، ليعده عن معاشرتهم ومخالطتهم.

وهنا معشر السادة - بدأت المحنة الثالثة التي اجتازها سيدنا يوسف أيضاً بنجاح باهر وصبر عليها مدة طويلة ولم يتركها هباءً، بل عمل فيها بالدعوة إلى الله تعالى والإحسان إلى المساجين، فكان أحدهم إذا مرض قام على تمريضه ومداواته

حتى يشفى، وخاصة أنه شاهد قوماً قد انقطع رجاؤهم، واشتد بلاؤهم وطال حزنهم، فجعل يقول لهم: أبشروا واصبروا توجروا إن في هذا الصبر ثواباً عظيماً.

ففرح أهل السجن به وخاصة فتيان منهم أحدهما رئيس الطهارة، والثاني رئيس السقاة، اتحما بمحاولة سم الملك في طعامه وشرابه، فأمر بهما إلى السجن، أصبح كل منهما صاحباً لسيدنا يوسف، فابتدأ معهما في هدايتهما إلى مولانا عز وجل وكانا عابدي وثن، وسمع معي إلى البيان الإلهي: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراي أعصر خمراً، وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين. قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي، إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ /يوسف: ٣٧/.

فقد انتهز يوسف هذه الفرصة ليث بين السجناء عقيدته الصحيحة، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقائد الفاسدة القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الألوهية على الأرض.

بدأ بطمئنة زميليه في السجن إلى أنه سيؤول لهما الرؤى، لأن ربه علمه علماً لدنياً خاصاً جزاءً على تجرده لعبادته وحده، وتخلصه من عبادة الشركاء هو وأقرباؤه من قبله.

وبذلك كسب الثقة منهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما، ثم دخل عليهما بلطف وكياسة ورقة على عادة الدعاة إلى الله تعالى فقال لهما: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ويقصد بهم القوم الذين ربي فيهم، أعني بيت العزيز وحاشية الملك ومن تبعهم، ولكنه لم يصرح بذكر أسمائهم كي لا يخرجهما ولا ينفّرهما، وهي كياسة وحكمة ولطافة حس وحسب مدخل، ثم بيّن ما هي الملة الحقّة، إنها التي اتبعها هو وآباؤه، وهي ملة التوحيد

الخالص الذي جاء بها الأنبياء والرسل الكرام: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ /يوسف: ٣٨/.

وسار معهما خطوة فخطوة في حذر ولين، ثم أخذ يتوغل في قلوبهما أكثر وأكثر، ويفصح عن عقيدته ودعوته إفصاحاً كاملاً، ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما في عبادة الأصنام، فقال:

﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماءٌ سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن الحكم إلا لله، أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ /يوسف: ٤٠/.

معشر السادة الكرام:

بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة رسم يوسف كل معالم هذا الدين، وكل مقومات العقيدة، كما هزَّ كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً عنيفاً شديداً، فكيف حدث ذلك؟

بدأ أولاً بمؤانسة رفيقيه بقوله: يا صاحبي السجن. فهو يتخذ منهما صاحبين ويتحجب إليهما ليدخل إلى ما يريد، وهو لا يدعوها مباشرة، بل يعرضها قضية موضوعية ويسألهما:

﴿أأرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار﴾ /يوسف: ٣٩/.

لأن الفطرة لا تعرف لها إلا إلهاً واحداً، فقيم إذن تعدد الأرباب، إن الذي يستحق أن يكون رباً يعبد، ويطاع أمره، ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار، ولا يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ثم يدينون لغيره ويخضعون لأمره، فالله الواحد القهار خيرٌ أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب والمتألهين على الأرض، وما شقيت البشرية قط بمثل شقائها بتعدد الأرباب، والأرباب الأرضيون

الذين يغتصبون سلطان الله وربوبيته، وخاصة عندما تنشأ طبقة من الناس تمجدهم وتسخر الطبل والزرمر والنفخ فيهم.

ثم خطى سيدنا يوسف خطوة أخرى ليثبت أن هذه الأرباب من صنع الجاهليين من البشر، قال: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماءٌ سميتوها أنتم وآباؤكم وما أنزل الله بها من سلطان﴾

آه، فنحن الذين ألهمناهم علينا، نحن البشر، الذين أعطيناهم صفات الخلود والألوهية، عندما مجّدناهم وأعطيناهم فوق ما يستحقون تمجيداً ما أنزل الله به من سلطان.

ثم ضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة، فبيّن لهما لمن يكون السلطان والحكم المطلق، ولمن ينبغي أن تكون الطاعة والعبادة، قال لهما: ﴿إن الحكم إلا لله، أمرٌ ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم﴾ /يوسف: ٤٠/.

الحكم والطاعة والعبادة لا تكون إلا لله، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته، وهذا الكلام يجب على الملحدّين والكفرة أن يسمّعوه، إن الحاكمية من خصائص الألوهية، ومن ادعى أن الحكم المطلق له فيه الحق فقد نازع الله تعالى في خصائص ألوهيته، سواء ادّعى هذا الحق فرد، أو طبقة أو هيئة أو أمة، أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية، من ادعى أنه يشرع مع تشريع الله أو ضد تشريع الله فقد كفر بالله كفراً صريحاً.

وليس من الضروري أن يقول العبد: ما علمت لكم من إله غيري، أو يقول أنا ربكم الأعلى، كما فعل فرعون، لا، ولكنه بمجرد أن ينحّي شريعة الله عن الحكم بها على الأرض، ويستمد القوانين من مصدر آخر، وبمجرد أن يقرر أن الجهة التي تملك الحكم المطلق هي جهة أخرى غير مولانا عز وجل فهذا كافر كافر كافر، لماذا؟ اسمعوا جواب سيدنا يوسف: ﴿إن الحكم إلا لله أمرٌ ألا تعبدوا إلا إياه﴾ /يوسف: ٤٠/.

فالله هو الحاكم المطلق، وما الحكام وما الوزراء وما الأمراء إلا أداة تنفيذية لشرع الله سبحانه على الأرض، وهذه النتيجة تماماً هي التي أراد أن يصل إليها سيدنا يوسف، إن الحكم إلا لله، ومادام الله هو الحاكم فالله هو المعبود، ذلك: الدين القيم.

لذلك قلت لكم: لقد رسم يوسف بهذه الكلمات كل معاني الدين، وبلغ أقصى الغاية من الدرس الذي ألقاه على صاحبيه، ثم راح يؤول لهما رؤياهما ليزيدهما ثقة في قوله وتعلقاً به:

﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً، وأما الآخر فيُصَلَّبْ
فتأكل الطير من رأسه، قضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ /يوسف: ٤١/.

وانتهى الأمر كما أوّله لهما، وهكذا كل رؤيا تعبر تمضي كما عبرها المعبرون، لذلك اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد ﷺ يقول فيما روي عنه: إن الرؤيا على جناح طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت، وقال: الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا لأول معبر فلا تقصها إلا على ذي رأي وعقل . (أو كما قال).

معشر الاخوة الكرام.

وأما القضية الإيمانية التي نستفيدها اليوم فهي جواز السعي في الأسباب، ولا ينافي ذلك التوكل على رب الأرباب وسمعوا الدرس التالي في البيان القرآني : ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك، فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ هذا الدرس (اتخاذ الأسباب مع التوكل على الله) خاصٌ بنا، أما بالنسبة للرسول والأنبياء فهو درس آخر فقد سألتني أحد طلبتي الأذكياء فقال: لماذا سيدنا يوسف لبث في السجن بضع سنين، لماذا نسي الساقى أن يذكر سيدنا يوسف للملك، فقلت هذا موقف خاص بالأنبياء، فقد شاء مولانا عز وجل أن يعلم سيدنا يوسف كيف يقطع الأسباب كلها ويتمسك بسببه هو وحده، لم يرد أن يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بالعبد، وهذا كان من اصطفاؤه

وإكرامه، لأن عباد الله المخلصين يدعون قيادهم لله وحده، وحين يعجزون بضعفهم البشري يتفضل الله سبحانه فيقهرهم عليه حتى يعرفوه ويتذكروه ويلزموه بعد ذلك طاعة ورضى وحباً وشوقاً، ولهذا كان شيخنا الدروبي رحمه الله تعالى خطيب هذا المنبر قبلي يقول: «والحق أن تمكث حيث أنزلك حتى يكون الله منه نقلك»، واسمع معي إلى ابن عطاء الله السكندري يقول «لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك في أخرى فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج»: ولهذا لما استغاث يوسف بالساقى دخل عليه سيدنا جبريل بهيئة إنسان، فلما رآه سيدنا يوسف عرفه وقال:

يا أخا المنذرين مالي أراك بين المخطئين، فقال له سيدنا جبريل: يا طاهر الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك: أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين، فوعزتي لألبثك في السجن بضع سنين، قال يوسف: يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راضٍ عني، قال نعم. قال إذاً لا أبالي.

معشر الإخوة الكرام:

وتمضي السنوات السبع وسيدنا يوسف يعمل بالدعوة إلى الله حتى أحبه السجناء والسجانون، فإذا بيوم من الأيام يرى الملك رؤيا أفزعته، وطلب من المعبرين والكهنة أن يؤلّوها له، وهم يقولون: أضغات أحلام (أباطيل) لا تعبیر لها، فما هي هذه الرؤيا اسمعوها:

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضرٍ وآخر يابسات، يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون. قالوا أضغات أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ يوسف: ٤٤.

وهنا تذكّر الساقى سيدنا يوسف فطلب الإذن من الملك ليأتيه بتعبير رؤياه، ويمضي إلى السجن فيلتقي بصاحبه القديم ويعتذر له عن نسيانه هذه المدة، ثم يقول: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف،

وسبع سنبلاتٍ خضرٍ وأُخِرَ يابساتٍ لعلِّي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون، قال: تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴿/يوسف: ٤٩/.

هذا كله كان من جملة أسباب خروج سيدنا يوسف من السجن على وجه البر والاكرام، وهذا التعبير للرؤيا عظيم فقد أخبرهم بما يفعلونه من تخزين الحبوب في سني الخصب في السبع الأولى في سنبله، إلا ما يرصد بسبب الأكل، ثم بتقليل البذر في سني الجذب في السبع الثانية، إذ الغالب على الظن أنه لا ينبت من الحقل، وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم.

وقدِمَ الساقى على الملك (وهو الريان بن الوليد من سلالة سام بن نوح) فأخبره بتعبيرها فأعجبه كثيراً ، وطلب أن يحضروا له الذي عبرها ليقربه إليه ، ﴿وقال الملك إئتوني به﴾ لكن سيدنا يوسف رفض أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين الخائنين ليقف أمام الملك، أراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة، فأمر رسول الملك أن يعود إلى الملك فيسأل عن امرأة العزيز والنسوة اللاتي قطعن أيديهن: ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنَّ ربي بكيدهن عليم﴾ /يوسف: ٥٠/.

وأحضرهن الملك وراح يسألهن، قال:

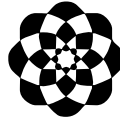
﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه؟! قلن حاشَ لله ما علمنا عليه من سوء. قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق (بان وظهر) أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين. ذلك ليعلم (أي عزيز مصر) أنني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ /يوسف: ٥٣/.

﴿وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسى﴾ وعاد رسول الملك بخبر براءته وبطلب الملك له ليكون مقرباً عزيزاً لديه، ونظر يوسف إلى رفاقه في السجن وقد تفرق الدمع في عيونهم لمفارقتهم، فطيب خاطرهم ودعا لهم وقال: اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تُعَمِّ عنهم الأخبار. ثم توجه إلى باب السجن وكتب عليه: «هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء». ثم اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جدداً وقصد إلى الملك وما أن دخل باب قصره حتى قال:

حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه، عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره.

معشر الإخوة الكرام

فماذا كانت مكافأة سيدنا يوسف على صبره وتحمل بلاء السجن، ماذا جرى بينه وبين الملك، ماهي القضية الإيمانية التالية؟ أعلق هذه الاسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله وأعود بكم من هناك من قاعة الملك إلى هنا، إلى قاعة العبودية لله تعالى، وما أدراك ما هنا، هنا من مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



(١٥)

سيدنا يوسف على عرش مصر

الحمد لله الذي شرح صدور أحبابه بنور اليقين، وذاقهم لذة القرب منه فشغلهم عن الخلق أجمعين، أحمده سبحانه وتعالى حمد المطيعين المحسنين، وأشكره شكر المعتمدين عليه والمنيبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين المبلغ عن ربه ما أمر بتبليغه عن رب العالمين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فنقف اليوم معاً بإجلال أمام شخصية عظيمة قلّ نظيرها في التاريخ البشري، شخصية نبي من الأنبياء أعطى التاريخ العالمي مثلاً في العفة والفضيلة إنه شاب في ريعان شبابه قد حُفّ بالمغريات وموجبات الصبوة، طلبته سيدته وربة نعمته إلى الحرام، ومع ما هي عليه من جمال، ورفاعة ورغبة فيه وهو شاب ماطر شاربه في إبان فيضه الحيوي وأوان التهاب جذوة الشهوة وإحتشاد الدواعي الطبيعية وانتظار الآمال والأمانى الجسام، إذا هو يأبى، فأعطى للشباب المؤمن درساً خرج منه متوجاً بتاج العفة والصبر عن الشهوات، لم يكثرث بذلك كله، واستمسك بعقيدته، ولا قى الصعاب والأهوال في سبيل إستمساكه بالفضيلة، فلم يغير مبدأه السجن والإذلال مع أنه لو أجاب لدواعي الشهوة لكان منعماً ومرفهاً ولكان منظوراً إليه بعين

الإكبار في الدنيا، ولكنه استمسك بالدين، الدين الذي هو أصل كل فضيلة ومنبع كل جميلة، إنه سيدنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن سيدنا إبراهيم قولوا: عليهم الصلاة والسلام، غذي بدر النبوة، ونشأ أبوه على التقوى ورشحه بالصلاح، وتعهده بالأخلاق النبوية الكريمة فنشأ أصلح نشأة وأحسن من صغره بمجد آبائه وأجداده قال له والده حين قص عليه رؤياه: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾ والأصول كما يقولون: عليها ينبت الشجر.

وفعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الأعاجم أعجم

عشق دينه فلم يترك فرصة تمر دون أن يدعو فيها إلى دين الله، هذا الدين الذي تغلغل في أعماق نفسه حتى وهو في السجن، وصبر، والصبر من أعظم الفضائل وأجلها قدرًا حتى لما جاءه الأمر بالافراج عنه والخروج من السجن صبر لان عنده خلق الإباء والشمم، شرف نفسه وطهارتها عنده جعله يرفض الخروج من السجن، لم يشأ أن يقال عنه مجرم سُرَّ منه الملك فعفى عن جريمته، فأبى أن يفرج عنه إلا بعد أن تثبت براءته.

أيها الإخوة الكرام: إن سيدنا يوسف شهد ببراءته كل أطراف القضية شهد له مولانا بالبراءة حينما قال ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾، وشهد له الشيطان بالبراءة عندما قال لمولانا ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾، وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾، وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيدهن بقولهن ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ وشهد ببراءته امرأة العزيز بقولها ﴿الآن حصحص الحق أنا روادته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ فالذي يريد أن يتهم سيدنا يوسف بالهم فعليه أن يختار أن يكون من

حزب الله أو من حزب الشيطان، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفرّ بالإقرار بالحق على أيّة حال، وهو البراءة الناصعة لسيدنا يوسف، وأنتم أيضاً قولوا معي ونحن نشهد أيضاً ببراءته.

معشر الإخوة الكرام: إننا ما زلنا مع ملف النفحات المنبرية من أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، ومع الدرس **الخامس عشر** انتقل بكم إلى هناك إلى مصر حيث سيدنا يوسف يدخل الآن على ملك مصر بعد أن سمع منه تأويل الرؤيا سماعاً، فلما رآه قام إليه وأجلسه بجواره وكلمه قال له: ما ترى في رؤياي أيها الصديق فقال: سيدنا يوسف:

إني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام، وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وتبني الأهرام والخزائن، وتجعل الطعام في قصبه وسنبله ليكون أبقي له، ويكون قصبه وسنبله علفاً للدواب، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس، فيكفيك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، ثم تأتيك الخلائق من جميع القرى فيمتارون منك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لأحد من قبلك.

فقال الملك: من لي بهذا ومن يجمعه لي ويكفيني الشغل فيه؟

قال له سيدنا يوسف:

﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ أي إني كاتب حاسب، حفيظ

لما استودعني عليهم سنين المجاعة، وبلغة من يأتيني.

فقال له الملك ومن أحق به منك. فولّاه ذلك كله، ثم قال له: أريد أن تخالطني

في كل شيء غير أنني آنف أن تأكل معي.

فقال سيدنا يوسف: أنا أحق أن آنف بذلك منك لأنني أنا ابن يعقوب إسرائيل

الله ابن اسحاق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله فقال الملك: إذن فكل معي. ثم توجه

إلى سيدنا يوسف وتوجّه بتاجه وقلّده سيفه وحلاه بخاتمه، وأمر له بسرير من ذهب

مككل بالدر والياقوت، ﴿اسمعوا أيها الشباب عندما تتركون لذة في محرّم كيف

يبدلك الله خيراً منها كما فعل بسيدنا يوسف ﴿﴾، وضرب عليه بقبة من استبرق، وأمره أن يخرج متوجهاً فخرج سيدنا يوسف ولونه كالثلج ووجهه كالقمر، فلما رآته امرأة العزيز قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته وجعل الملوك عبيداً بمعصيته.

ثم عزل الملك زوجها قطفير وجعل يوسف مكانه وأصبح سيدنا يوسف الجناح الأيمن للملك ففوض إليه أمر مصر كلها، ثم توفى قطفير فتزوج سيدنا يوسف امرأته، فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خير مما كنت تريدين، فلما بنى بها وجدها عذراء، فأصاب منها فولدت له بإذن الله تعالى.

واستوشق له ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه القاصي والداني، وذلك قوله عز وجل ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾ وحتى مضت سبع سنوات مخصبة، ثم دخلت السبع المجذبة، فعانى الناس من القحط والجذب ما لم يعهده في السنين الماضية، حيث هلك فيها كل شيء، فجعل أهل مصر يبتاعون من سيدنا يوسف الطعام.

١ - فباعهم في سنة بالنقود وبالذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهماً ولا ديناراً إلا قبضه.

٢ - وباعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء.

٣ - وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع.

٤ - وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه.

٥ - وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور.

٦ - وفي السنة السادسة باعهم بأولادهم، فإن الرجل كان يشتري بولده الحنطة والشعير من شدة القحط فلم يبق لأحد ذكر ولا أنثى إلا ممالك له.

٧- وباعهم في السنة السابعة بقرابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حرّولا عبد ولا أمة إلا صار ملكاً له.

وعجبت الناس من أمر سيدنا يوسف فقالوا: تالله ما رأينا ملكاً أجلاً من هذا وأعظم، ثم قدم سيدنا يوسف على ملك مصر وقال له: كيف رأيت صنع ربي فيما ولائي فقال له الملك: الرأي رأيك وإنما نحن لك تبع.

فقال سيدنا يوسف: فيأني أشهد الله وأشهدك أني اعتقت أهل مصر جميعاً، ورددت عليهم أموالهم وعقارهم وعبيدهم وأولادهم.

وقصد الناس - أيها السادة - مصر من كل ناحية يمتارون، يطلبون الميرة والطعام، وجعل سيدنا يوسف لا يميكن أحداً منهم (ولو كان عظيماً) لا يميكنه أكثر من حمل بعير، عدلاً بين الناس وتوسيعاً عليهم، فتزاحمت عليه الخلائق ونزل بسيدنا يعقوب ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر لطلب الميرة، فأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وبعث إخوة يوسف العشرة من أرض فلسطين إلى مصر، فدخلوا عليه قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ وكان حين تركوه صغيراً، فلما قدموا عليه وكلمهم بالعبرانية وأنه من أهل الشام واتهمهم جميعاً بأنهم عيونٌ عليه. فأنكروا ذلك وقالوا: إنما نحن إخوة من أبٍ نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب، قال: فكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا إلى البرية وكان أحب إلى أبينا منا فهلك، فقال: وكم أنتم هناك؟ قالوا: عشر. قال: وأين الآخر؟ قالوا: إن أبانا يتسلى به قال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟ فقالوا: أيها الملك إنا في بلاد لا نعرف فيها. فقال سيدنا يوسف: ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرُونَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ /يوسف: ٥٩/.

قالوا ﴿سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون. وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون. فلما رجعوا إلى أباهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل، فأرسل معنا أخانا نكتل به وإنا له لحافظون. قال هل

آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم
الراحمين. ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، قالوا يا أبانا ما نبغي
هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ﴿/يوسف:
٦٥.﴾

أي إذا ذهب معنا بنيامين يأخذ حصته - كيل بعير - قال سيدنا يعقوب ﴿لن
أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم﴾ ﴿/يوسف:
٦٦.﴾ يعني يهلكوا - يقول ابن عباس رضي الله عنه: اتعرفون ما هذا العهد الذي
أخذه عليهم في الموثق؟ قال لهم:

العهد الذي أطلبه منكم أن تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن
لا تغدروا بأخيك، ففعلوا ذلك ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ (قال لهم سيدنا يعقوب) الله
على ما نقول وكيل ﴿، ثم أوصاهم أمراً لهم منعاً من الحسد﴾ ﴿يابني لا تدخلوا مصر
من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من شيء إن
الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون . ولما دخلوا من حيث أمرهم
أبوه ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها -
وهي ألا تصيبهم العين - وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا
يعلمون . ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه (وأخبره إنك أنت أخي) فلا
تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهّزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه
(بالاتفاق معه ليقى بنيامين عنده) ثم أذن مؤذن (نادى منادي) أيتها العير إنكم
لسارقون . قالوا واقبلوا عليه ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به
حمل بعير وأنا به زعيم - يعني أنا الذي أتكفل وأعطيه هذا الحمل - قالوا تالله
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين . قالوا فما جزاؤه إن كنتم
كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه - أي يسترق من قبل
المسروق منه - كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها

من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان أن يأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴿يوسف: ٧٦﴾.

وهذا الذي فعله بأمر من الله لانه يترتب عليه مصلحة عظيمة بعد ذلك، من قدوم أبيه وقومه عليه، ثم استخرج الصاع من وعاء أخيه بنيامين. ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ (سيدنا يوسف لما كان صغير عنه قالوا في العراق أخذ الصنم الذهبي الذي عند خاله وكسَّره) قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال: بل أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون ﴿ثم راحوا يتلطفون له ويرجون له﴾ قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون - بإطلاقنا المتهم وأخذنا البريء - فلما استئسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ﴿﴾.

وهكذا بقي عند يوسف بنيامين وأخوه الأكبر وكان وقع الخبر على الوالد عظيماً وخاصة اتهام ولده بالسرقة لأنه ليس له سمة ولا من خلقه ذلك، لذلك قال: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم. قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين. قال إنما اشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ - أعلم أن رؤى يوسف حقاً وسأسعد له أنا وأنتم بما رأى، لأن رؤيا الأنبياء حق على المعتمد.

أيها السادة: حين شكى حزنه إلى الله نزل إليه ملك الموت زائراً وكان سيدنا يعقوب قد أغلق على نفسه الباب وراح يبكي، فإذا بملك الموت أمامه فسلم عليه قائلاً: السلام عليك أيها العظيم، فأقشعر جلده وارتعدت فرائصه، ورد عليه السلام ثم قال: من أنت ومن أين دخلت؟ فقال: أنا ميثم الأولاد ومرمل الأزواج ومفرق الجماعات قال: أنت ملك الموت؟ قال: نعم قال سيدنا يعقوب: أنشدك الله تعالى ياملك الموت إلا أخبرني هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. قال: هل جئني زائراً أم داعياً؟ قال: يانبي الله ما جئتك إلا مسلماً إن الله تعالى لا يميئك حتى يجمع بينك وبين يوسف وما أذن الله لي بزيارتك إلا لأبشرك وأجيبك عما تسألني وإن شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك. فقال له: فأعلمني قال: ياإسرائيل الله هل تذكرت الجارية التي اشتريتها عام كذا وكذا ثم فرقت بينها وبين أبويها؟ قال: نعم. قال: فلأجل ذلك ابتليت بفقد ولدك، وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر؟ قال: لا قال: أمرت بذبح جذعة يوم كذا وكذا فذبحتها وشويتها في يوم كذا وكذا فمر تميم العابد وهو صائم ما أفطر منذ اسبوع فاشتت قنار الشواء فلم تطعمه شيئاً. هذا هو السبب إذاً - والله أعلم -.

وهنا اعتق سيدنا يعقوب من كان بحضرته وأمامه من الإمام وأمر بذبح غنمة كل يوم وتفريق لحمها على الفقراء، ثم أمر أولاده أن يذهبوا للبحث عن يوسف وأخيه بنيامين، وهنا عادوا إلى مصر فدخلوا على عزيزها سيدنا يوسف وشكوا إليه حالهم وحال أبيهم، فقال لهم مصارحاً: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون﴾ وهنا تعرفوا عليه فقالوا ﴿أنتك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم - لن اعاتبكم بعد اليوم- يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتي بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾. وما أن اقتربت العير من

ديار فلسطين حتى قال لهم أبوهم: ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا
تالله إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير - يعني بالقميص - ألقاه على
وجهه فارتدَّ بصيراً﴾ بإذن الله عندئذٍ قال لأولاده ﴿إني أعلم من الله ما لا تعلمون
(قالوا) يآبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه
هو الغفور الرحيم﴾ /يوسف: ٩٨/ وآخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة لان فيها ساعة
مستجابة.

وساروا جميعاً إلى سيدنا يوسف فلما دخلوا عليه آوى إليه أبويه وقال:
﴿أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً﴾
وكانت تلك تحية الناس في ذلك الزمان، وهنا توجه إلى أبيه قائلاً يا أباي ﴿هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء
بكم من البدو من بعد نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه
هو العليم الحكيم﴾ / يوسف: ١٠٠ / .

وعاشت الأسرة النبوية أربعة وعشرين عاماً بآتم عافية حتى حضرت



(١٦)

سيدنا أيوب وولده ذو الكفل

الحمد لله الذي لم يزل بالنعم منعماً، وبالمعروف معروفاً وبالأحسان محسناً
وبالكرم موصوفاً.

كلَّ «يوم هو في شأنٍ» يكشف كرباً ويغفر ذنباً ويغيث ملهوفاً ويجبر كسيراً
ويجبر خائفاً ويرسل بالآيات تخويفاً.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأستغفره وأسأله السلامة من حمل العصيان وإن
كان الحمل خفيفاً

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة للذي فطر
السموات والأرض خفيفاً.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرة أعیننا سيدنا محمداً
صلی الله علیه وسلم عبده ورسوله وخليله، خلقه الله سيدنا كريماً صادقاً أميناً شريفاً
عفيفاً.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد،
وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر، وفي
رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة
للعالمين ورحمة لنساء العالمين. صلاة وسلاماً تزيدهم بها تصديقاً وتشريفاً، وسلم
تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على حفيدين من أحفاد سيدنا إسحاق بن سيدنا إبراهيم الخليل الذي قال عنه مولانا في كتابه:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾ /الأنعام:

./٨٤

حفيدان نص كتاب الله على نبوتهما ورسالتهما فقال عز من قائل:

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب﴾ /النساء: ١٦٣./

إنهما سيدنا أيوب وولده سيدنا ذو الكفل عليهما الصلاة والسلام

ومع هذه الحلقة السادسة عشرة من سلسلة النفحات المنبرية في الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، أذكر لكم العقيدة الحقّة في حقيقة ابتلاء الله لنبيه أيوب عليه الصلاة والسلام.

معشر السادة الكرام: إن سيدنا أيوب كان رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه. (غنم، إبل، مواشي، أنعام) وكانت منطقة حوران كلها تحت تصرفه وفي قبضة يده.

ومع هذا الغنى الكبير. نجد أن مولانا أكرمه بالنبوة والرسالة ومنعه من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العجزة والتشاغل واللهو عن أمر الله تبارك وتعالى، والقضية الإيمانية تقول:

«إنه لا تسلط للشياطين على الأنبياء والرسل الكرام».

كان هذا النبي ذاكراً شاكراً عابداً صائماً رحيماً بالمساكين كافلاً للأيتام مكرماً للضيّفان، معيماً لابن السبيل، حتى تعجبت منه الملائكة من صلاحه وتقواه فراحت

تذكره وتصلي عليه، وهنا أدركت إبليس الغيرة والحسد والبغي، ساءه أن يرى عبداً صالحاً قد أشغل وقته بالله عز وجل.

وكانت الشياطين من قبل بعثة نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم يَسْمَعُونَ إلى الملائكة من الملائكة ، فلما رفع سيدنا عيسى حجبت الشياطين عن أربع سموات، فلما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حجبت عن الثلاثة الباقية.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى السماوات العلى على جناح العقيدة والإيمان، حيث يسمع إبليس ثناء الملائكة على سيدنا أيوب، فصعد إلى السماء فوق موقفاً كان يناجي فيه رب العزة جل وعلا.

قال: إلهي نظرت في عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك. وما يعبدك تطوعاً من نفسه ولا نافلة من عنده، إنما يعبدك ثناءً لما منحته من مال وبنين وما أسبغت عليه من ثروة وعقار، طمعاً في أن تبقي له ماله، وتحفظ له دنياه، فهو يخاف عليها وهو يشكرك خشية أن يمسخها الزوال أو يصيبها الفناء، فعبادته مشوبة بالرحمة والرغبة مشوبة بالخوف والطمع، لم تختبره لا بشدة ولا ببلاء، وأنا لك زعيم لأن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك، وهناك أراد مولانا عز وجل أن يُري إبليس أنه لا تسلط له على أحد من عباده المخلصين، قال: إذهب فقد سلطتك على ماله، وهنا جمع إبليس جنوده وأعوانه وحزبه على وجه الأرض. قال لهم: ماذا عندكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب؟

(والمال إن ذهب مصيبته فادحة وفتنته لا تصبر عليها الرجال).

فقال عفريت من الجن: أعطيت من القوة ما إن شئت تحولت إلى إعصار من نار فأحرقت كل شيء أتى عليه.

فقال إبليس لعنه الله: فأت الإبل فأحرقها ورعاتها.

فانطلق عفريت الجن يسوق الإبل حتى إذا أوت إلى مرابعها. فما شعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تفسخ منه رياح السموم لا يدنو منه أحد إلا احترق، حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس بصفة راعي ثم انطلق يؤمُّ سيدنا أيوب حتى وجده قائماً يصلي ويسبح، قال له: يا أيوب.

قال: لبيك. قال: هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإبلك ورعاتك؟

فقال أيوب: إنها ماله أعارنيها وهو أولى بها، إن شاء تركها وإن شاء أخذها. وقد تحققت وطيت النفس أني ومالي للفناء والزوال.

فقال إبليس: وإن ربك أنزل عليها ناراً من السماء فاحترقت كلها. فقال سيدنا أيوب:

الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى القبر، وعرياناً أحشر إلى ربي عز وجل.

ليس ينبغي للمرء أن يفرح حين أعاره الله، ويجزع حين يقبض عاريته فله ما أخذ، و له ما أعطى، فله الحمد معطياً وسالماً وساخطاً وراضياً. نافعاً وضاراً، ثم خر أيوب ساجد لله تعالى.

فرجع إبليس لعنه الله إلى أصحابه خائباً ذليلاً فقال لهم: ماذا عندكم من القوة. إني لم أكلم قلبه؟!.

فقال عفريت من الجن: عندي من القوة ما إن شئت صرخت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه.

فقال له إبليس: فأنت الغنم ورعاتها.

فأتاه حتى إذا توسطهم صاح صوتاً ماتت منه الغنم ورعاتها فجاء إبليس بزي راع آخر إلى سيدنا أيوب.

فقال له مثل ذلك، فرد عليه أيوب مثل ما رد عليه، فأرسل إلى مزارع أيوب عفريتاً ثالثاً تحول ريحاً عاصفة قضت على الزرع والثمر، فلم يؤثر ذلك عند أيوب حتى أتى إبليس على ماله كله ولم يزحزح من قلبه ذرة من إيمان فوقف إبليس موقفه في السماوات وقال:

إلهي: إن أيوب علم أنه مهما فعلت به من ماله فأنت معطيه المال وإنه يطمع أن يشتد ظهره بأولاده فيرد عليه ما ذهب من ماله ويرجع ما فقدته من ثروته، وإنك إن سلطني على أولاده افعل بهم ما يكره فأنا موقن أن أيوب سيصير أشد ما يكون كفراً وجحوداً فهل أنت مسلطي على ولده؟
إنها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال.
فقال له مولانا:

قد سلطتك على ولده.

وانقض عدو الله حتى جاء على أولاد سيدنا أيوب وهم في قصرهم فزلزل قواعد القصر ثم رفعه إلى السماء وقلبهم فمات أولاده جميعاً.
وأقبل إبليس متمثلاً بمعلم الصبيان ورأسه يسيل منه الدم وراح يصف لسيدنا أيوب كيف مات أولاده وشقت بطونهم وتناثرت أمعائهم، فلم يزل به حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه.
فاغتنم إبليس الفرصة وصعد إلى السماء ليزف تأييد كلامه لمولانا عز وجل إلا أن سيدنا أيوب استغفر وشكر فصعدت الملائكة باستغفاره وتوبته فاستبقوا إبليس إلى موقع المناجاة، فوقف إبليس خاسئاً مدحوراً.

وقدم أصحاب سيدنا أيوب وراحوا يطلبون منه أن يتوب إلى الله وظنوا أن ما نزل به هو من جراء معصية قام بها سيدنا أيوب، فكان كلامهم هذا أشد على نفسه من مصيبيته بفقد ماله وولده، وأعلمهم بأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل

فالأمثل. (حب ٢٨٨٧ - حا ٢ / ٥٨١ - أبو يعلى ٣٦١٧ - بز ٢٣٥٧ - الفتح ٦ / ٤٢١ - ١٠ / ١٢٤).

معشر السادة الكرام:

هذا هو حقيقة بلاء سيدنا أيوب.

أقعد بعد ذلك في فراشه لم يتحرك فيه. لم يصل إليه دود ولم يصل إليه نتن لأن عقيدتنا التي نحن نعتقد في القضايا الإيمانية أن الأنبياء لا يصابون بمرض منقر، إن الأمراض التي تصيب الأنبياء لا تبعد الناس عنهم وكل ما ذكر في الكتب من أن سيدنا أيوب كان عليه دود، والدود كان يتساقط منه، كله كذب وافتراءات وإسرائيليات.

لم يثبت هذا الأمر في عقيدة أهل السنة والجماعة، ولأجل ذلك لما رأى إبليس سيدنا أيوب صرخ بأعلى صوته فجمع شياطين الأرض وشكى لهم خيبته في التسلط على نبي الله. فقال له أمكرهم:

- أين مكرك يامعلم؟ أين علمك الذي أهلكك به من مضى.

قال: بطل ذلك كله في أيوب.

فقال له: أشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيت. قال: من قبل امرأته.

قال: فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها.

فانطلق عدو الله حتى أتى امرأة أيوب تطلب الصدقة فأتاها بصورة رجل. فسألها عن زوجها وذكرها بفقد ماها وأولادها فصرخت، وهنا قال لها: أنا إله الأرض (قولوا: لعنه الله)، وأنا صنعت بصاحبك ما صنعت، لأنه عبد إله السماء وتركني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت إليك ما كل شيء، فقدمت المرأة المسكينة على زوجها وهي تخشى عليه.

قالت له:

ياأيوب، إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال، وأين الماشية، وأين الولد، وأين الصديق، وأين عشيرتك؟ ثم طلبت منه أن يسجد لإله الأرض.

فقال لها:

أتاك عدو الله إبليس فنفخ فيك؟! والله لأضربنك مئة ضربة إن شفاني الله عز وجل.

ثم قال لزوجته:

كم لنا ونحن في الرخاء؟ قالت: ثمانين سنة.

ثم قال لها: وكم أنا في البلاء قالت: ثماني عشرة سنة.

قال لها: وملك ما عدلت ولا أنصفت، أما صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا الله به ثمانين سنة كما كنت في الرخاء، إني لاستحي أن أطلب من الله رفع بلائي وما قضيت فيه مدة رخائي، فاهربي عني لا أراك حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فذهبت امرأته وهو طريح في الفراش، هنا انقلب على وجهه ساجداً لله تعالى ونادى ربه من قلب مكلوم:

﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ / الأنبياء: ٨٣.

فإذا بصوت من أعلى يناديه: ارفع رأسك فقد استجبت لك.

معشر الإخوة الكرام:

وإذا بعين ماء عذبة تنبع من أمام أيوب وإذا برب العزة، يقول له ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾.

فقام أيوب بإذن الله فاغتسل من الماء وشرب منه فرد الله عليه قوته وكشف همه وكساه حله من أجمل الحلل، وأنزل عليه مولانا مكافأة جراداً من ذهب فرداً عليه ماله فجعل يجمعه، فناداه مولانا ياأيوب ألم أغنك فقال: بلى يارب ولكن لا غنى لي عن بركتك. (خ ٢٧٦ - ٣٣٩١ - ٧٤٩٣ ن ١ / ٣٠٠ - ٢٠١ - هب في الأسماء والصفات ٣٠٢ - حب ٦٢٢٩ أحمد ٣ / ٣٤٣ - ٣٠٤).

وأشفقت عليه زوجته وقد تركته جائعاً ولا شراب عنده، فعادت إليه فلم تجده ولم تعرف زوجها، فراحت تبكي وتسال عن زوجها أين أنت ياأيوب فقال لها سيدنا أيوب: ألا تعرفينه؟.

فقالت: وكيف لا أعرفه.

قال: انظري إليّ.

قالت: أنت أشبه به خلقاً.

فقال: أنا أيوب وقد شفاني الله عز وجل.

ودعا مولانا وشكره فعوضه مولانا عن أولاده فردّ لهم الحياة وردّ لامرأته شبابها، وأتاها سيدنا أيوب فولدت له على التوالي ٢٦ بإذن الله الواحد الأحد.

وأراد أيوب أن يبر يمينه فقال له مولانا:

﴿وخذ بيدك ضعثاً فاضرب به ولا تحث﴾ /ص: ٤٤/.

فأخذ حزمة من حشيش يابس تشتمل على / ١٠٠ / عود صغير فضربها به ضربة واحدة فبرّ بها يمينه.

ثم توفي سيدنا أيوب وأوصى من بعده إلى ابنه حومل، وبعده ابنه بشر نبياً وسماه ذو الكفل، وأمره بالدعوة إلى توحيد الله فإذا بذى الكفل يأمر قومه بالجهاد. فكفوا عن ذلك وضعفوا عنه وقالوا:

يا بشر إنا قوم نحب الحياة ونكره الممات، ومع ذلك نكره أن نعصي الله تعالى ورسوله، فلو سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يمتنا إلا إن شئنا لنعبده ونجاهد أعدائه.

فقال لهم بشر: لقد سألتموني عظيماً وكلفتموني شططاً.

ثم قام وصلى ودعا الله قال:

إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها، وأمرتني أن أجاهد أعدائك وأنت تعلم أنني لا أملك إلا نفسي، وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم مني به فلا تأخذني بجرمة غيري، أعوذ برضاك من سخطك وبغفوك من عقوبتك.
فأوحى الله تعالى إليه:

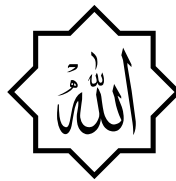
يا بشر قد سمعت مقالة قومك، وإني قد أعطيتهم ما سألوا، طوّلت أعمارهم فلا يموتون إلا أن يشاءوا، فكن كفيلاً لهم مني بذلك.

فبلغهم بشر رسالة مولانا، وأخبرهم بما أوحى الله إليهم وتكفل لهم بذلك فسمي ذو الكفل، فتوالد القوم وكثروا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا من كثرتهم، فسألوا بشراً أن يطلب من الله أن يردهم إلى آجالهم.
فأوحى الله إلى بشر: أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم. « الخيرة فيما اختاره الله » .

فرد الأقوام إلى أعمارهم وماتوا بآجالهم، ومات بشر بن أيوب في الشام وعمره ٩٥ سنة (١).

وهكذا معشر السادة نزلنا في هذا اليوم ضيوفاً على نبيين ورسولين من الرسل الكرام سيدنا أيوب وسيدنا بشر.
فمن هو الرسول بعدهما؟

اعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.
وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



(١٧)

سيدنا شعيب وسيدنا يونس

الحمد لله المنتقم ممن خالفه، المهلك من أغضبه وآسفه، المتوحد في قهره، المنفرد بعزّ أمره. أحمده حمد شاكر لما أولاه مستقيل مما جناه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يقين لا شك فيه وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتره.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي استأمنه على علم الغيب وبرّاه من كل دنسٍ وعيب.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في معقد صدق عندك يامليكننا المقتدر، في رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم، وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على نبين ورسولين من الرسل الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه الكريم، أما أولهما فهو سيدنا شعيب، وأما الثاني فهو سيدنا يونس، وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطره مباركة من سورتي هود ويونس:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان، إني أراكم بخير وأني أخاف عليكم عذاب يوم مغيث، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ. قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما

نشاء، إنك لأنت الحليم الرشيد. قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي
ورزقني منه رزقاً حسناً، وما أريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلا
الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴿ هود: ٨٨ / ٨٨.﴾

أيها الإخوة الكرام:

إننا مع الحلقة السابعة عشرة ، ومع الرسول الثالث عشر أدعوكم وادعوا نفسي
لنقف على قضية إيمانية من سلسلة النفحات المنبرية في أعلام الشخصيات
الإسلامية من جامع الدرويشية .

إنه سيدنا يونس بن قيس الذي بعثه الله تعالى إلى أهل نينوى من أرض
الموصل، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال عليه الأمد ولم يستجيبوا له
توعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث، فقال بعضهم لبعض:
- إنا لم نجرب عليه كذباً قط، فانظروا فإن بات فيكم فليس بشيء، وإن لم يبت
فإن العذاب مصبحكم.

فلما كان الليل خرج سيدنا يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا أظلمتهم سحابة
سوداء فكانت فوق رؤوسهم، قال ابن عباس: إن العذاب كان أهبط على قوم
يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلى قدر ثلثي ميل إذ أرسل الله عليهم غيماً أسود
هائلاً حتى اسودت أسطحهم. فلما رأوا العذاب قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة
وندموا على ما كان منهم ولبسوا المسوح وعجوا بالدعاء وتضرعوا بالبكاء، فكشف
الله عنهم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عذابه، وكانوا زهاء مئة ألف لا محالة.

أيها السادة: فكيف كان رد ربك على سيدنا يونس عندما ترك قومه بدون
استئذان إن من المعلوم لدينا في العقيدة أن الرسل مأمورون، يأثمرون بأمر مولانا عز
وجل، لا يتصرفون تصرفاً إلا بوحى من الله تعالى.

لكن سيدنا يونس خرج من عندهم مغضباً دون أمر إلهي بخروجه، ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله وهو دعوة قومه إلى الله والصبر عليهم، فكان ذلك في حقه ظلماً، لأن القاعدة التوحيدية تقول (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، ربما في حقنا نحن البشر العاديون الدعاة إلى الله تعالى أن نترك مجالس الدعوة لعدم استجابة الناس لنا، أما في حق الرسل والأنبياء فهذا ترك للأفضل مع قدرتهم على تحصيله، لذلك نرى سيدنا يونس يتجه إلى سفينة في البحر فيركبها فإذا بها تضطرب في عرض البحر وتوَجُّ بأهلها، فصار كل واحد منهم يقول لصاحبه: إن بيننا رجلاً أبقاً هارباً من مولاه، فتشاوروا بينهم أن من وقعت عليه القرعة أن يلقوه في البحر فاقتنعوا مرة بعد مرة وكل ذلك تقع القرعة على النبي يونس، واسمعوا هذه القضية الإيمانية يتلوها علينا القرآن الكريم.

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ ابق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين﴾ /الصفات: ١٤١/ (المقترعين) وما أن ألقى سيدنا يونس من على متن السفينة حتى وجد حوتاً عظيماً فاتحاً فمه ينتظر هذا الضيف الذي سوف يستضيفه بأمر رب العالمين، قاله له: خذ عبدي، لا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً. واستقر سيدنا يونس في بطن الحوت. لذلك سمي ذا النون أي صاحب الحوت وكانت مفاجأة مذهلة لسيدنا يونس، حسب أنه قد مات فراح يحرك أعضائه واحداً بعد واحد فوجد نفسه حياً، وخر ساجداً لله تعالى وقال: يارب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحد في مثله.

وراحت السفينة الحوتية تجوب البحار، وتقتحم الأمواج ويونس يسبح تسبيح الحصى لفالق الحب والنوى، ورب السموات العلى، ورب الأرضين وما بينهما وما تحت الثرى، فعند ذلك قال بلسان الحال والمقال، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال، الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى، الله الذي يسمع الأصوات وإن ضعفت، ويعلم الخفيات وإن دقت، ويجيب الدعوات وإن عظمت: ﴿نادى في

الظلمات (ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت) أن لا اله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي
المؤمنين ﴿/الأنبياء: ٨٨/.

وسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة: قال:
ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر.

قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟!
قال نعم. وهنا استشفعت الملائكة له وقالوا: يا ربنا ألا ترحم ما كان يصنعه في
الرخاء فتنجيه في البلاء؟ قال: بلى.

وهنا صدر الأمر الإلهي من مولانا الباري للحوت الساري: أن اقذف عبدي
يونس إلى اليابسة قال تعالى:

﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم فلوла أنه كان من المسيحين للبت في بطنه الى
يوم يبعثون﴾. وهكذا هي سنة الله في خلقه من تعرف الى الله في الرخاء عرفه
مولانا عند الشدة. ﴿وأنبئنا عليه شجرة من يقطين﴾ ليقوى جسمه وأرسل الله
إليه وعلة فكان يشرب من حليبيها، حتى اشتد لحمه ونبت شعره فأمره مولانا أن
يعود إلى قومه لأنهم قد تابوا ورجعوا إلى الله وآمنوا قال تعالى: ﴿فممتعناهم إلى
حين﴾ /الصفات: ١٤٨/. بز- ابن حجر في (الفتح ٦ / ٤٥٢).

وأما الرسول الرابع عشر فهو سيدنا شعيب الذي بعثه مولانا إلى أهل مدين،
وهي قرية من بحيرة لوط، ومدين هو من ذرية سيدنا إبراهيم الخليل.

وأهل هذه المدينة من العرب، لذلك رأيت الحبيب الأعظم يقول لأبي ذر: أربعة
من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر (حب). الفتح ٧ / ١١٣.

إن أهل مدين - أيها السادة - لم يراعوا حق مولانا عز وجل ولم يطيعوا أوامره
وانتهكوا حدوداً كثيرة، فهم كانوا من الكفرة المردة، يقطعون السبيل - ويخيفون المارة،
ويعبدون الأيكة (وهي شجرة من الأيكة حولها أشجار ملتفة) وكانوا يبخسون

المكيال والميزان، ويطففون فيها، ويأخذون بالزائد، ويدفعون بالنقصان، فبعث الله إليهم سيدنا شعبياً فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن تعاطي الأفعال القبيحة، وعن بخسهم حقوق الناس وأشياءهم، وقال لهم: بقية الله خير لكم: أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس وما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف . وما أحسن قول مولانا عز وجل

﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾

إن القليل الحلال خير من الكثير الحرام لأن الله تعالى توعدهم بمحق الحرام وإن كثر، أليس قد قال لنا ﴿ يحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ /البقرة: ٢٧٦، أوليس قد قال لنا الصادق المصدوق «إن الربا وإن كثر فإن مصيره إلى قِل» هذا هو شعار التاجر المسلم ﴿بقية الله خير﴾.

فماذا كان جواب قومه؟

معشر السادة: ولكي نعرف معاً جواب هؤلاء المجرمين اسمحوا لي أن انتقل بكم اليوم الى أطراف الأردن، الى أرض معان حيث المجادلة الكلامية على أشدها، وانتبهوا إلى هذا الذكاء وتلك الفطنة التي اتاها الله تعالى سيدنا شعبياً، والذي كان يلقب بخطيب الأنبياء لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعوة قومه الى الإيمان برسالته. علينا أن نشهد هذه القضية الإيمانية لأن صفات الأنبياء أربعة واجبه لهم: الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة، والفطنة تعني سرعة البديهة والذكاء العالي في رد حجج خصوم الدعوة الإسلامية، نشهده هذا اليوم معاً في أهل مدين أصحاب الأيكة:

﴿ يا شعب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز. قال يا قوم أرهطي أعزُّ عليكم من الله ﴾ /هود: ٩١ - ٩٢ /
أتخافون قبيلتي وعشيرتي وتراعوني بسببهم ولا تخافون عذاب الله ولا تراعوني لأني رسول الله.

﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ /هود: ٩٠.

فقالوا له على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص: ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ /هود:

٨٧/. قال نعم، قالوا إن نطق الأصنام بصدق ما تقول تكن قد جئت بالحق.

معشر السادة: إنما هناك في مدين، وأرى سيدنا شعبياً يدعو مولانا عز وجل ويتقدم إلى الأصنام ليسألهم سؤالاً واحداً فقال:

— من ربكم ومن أنا؟

وهنا حدثت المعجزة إذ أن الأصنام أنطقها الله الذي أنطق كل شيء فقالت: ربنا الله ورب كل شيء، وخالقنا وخالق كل شيء، وأنت يا شعيب رسول الله ونبيه (ض).

ثم راح كل يسقط على الأرض ساجداً لله تعالى. وهنا دخل عدد كثير من قومه في الإسلام، لكن الكفرة لم ينفعهم هذا الموقف، ولم يوقنوا أن الله واحد، لا، بل أنكروا واتهموه بالسحر، قالوا على موجات سورة الشعراء

﴿إنما أنت من المسحَرين، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين. قال ربي أعلم بما تعملون. فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾.

معشر السادة: وبدأ مسلسل العذاب الإلهي، أولاً تحول الهواء حاراً عليهم سبعة أيام فأصابهم حر شديد، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل، ولا دخولهم في السرايب.

فأرسل ملكهم يهدد شعبياً ومن آمن معه بالقتل، فعند ذلك قال شعيب ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ /الأعراف: ٨٩.

وإذا بريح قد هاجت وماجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى بعض الناس أنفسهم في الآبار والسراديب وهم لا يزدادون إلا نفوراً.

وأرسل الله عليهم الذباب الأزرق يلدغهم كلدغ العقارب، وربما قتل أولادهم وأشغلهم الله بأنفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به.

وهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا فرجاً ومخرجاً، وشعيب يناديهم أين تهربون ، توبوا إلى الله، ارجعوا إلى الله. فكانوا يجيبونه: . يا شعيب نحن نكفر بك وبربك فزدنا ما نحن فيه.

تكبروا وتجبروا وتحذوا الواحد الأحد، وجاءت الضربة القاصمة، سحابة سوداء أظلمت وأظلمت الأرض عليهم حتى لم يبصر بعضهم بعضاً واشتد عليهم الأمر.

وأوحى الله إلى شعيب أن اخرج أنت وقومك واعتزلهم، وانظر كيف يحل عذابي فيهم، فلما خرج شعيب ومن معه أحاطت السحابة بكل المتكبرين (وللكافرين والملحدين أمثالها) فلما تكاملوا تحتها أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب، ورجفت بهم الأرض، وجاءت صيحة من السماء فأزهقت الأرواح وأحرقت الأكباد فأصبحوا في دارهم جاثمين واحترقوا كما يحترق الجراد فصاروا كالرماد. ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ /الأعراف: ٩٢/.

أيها السادة: بقي رسول الله شعيب مئتين وأربعاً وخمسين سنة وهو الذي تزوج سيدنا موسى ابنته، وكان ضرير البصر، وقد روى في حديث مرفوع ضعيف الاسناد أنه بكى من حب الله حتى عمى فردَّ الله عليه بصره وقال:

يا شعيب أتبكي خوفاً من النار أو من شوقك إلى الجنة فقال: بل من محبتك يارب، فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي، فأوحى الله عز وجل اليه : هنيئاً لك يا شعيب لقائي لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي (ضعيف).

أيها السادة:

فمن هو النبي الخامس عشر؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة
بإذن الله تعالى.
وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها
عليه أن يوحد الله تعالى.



(١٨)

سيدنا موسى بن عمران الولادة والزواج

الحمد لله الذي أوضح الطريق للطالبيين وسهل منهج السعادة للمتقين، وبصر بصائر المصدقين بصائر الحكم والأحكام في الدين، منحهم أسرار الإيمان وأنوار الإحسان واليقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم
باحسان الى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فنحن اليوم ننزل ضيوفاً على نبي ورسول من رسل الله هو سيدنا موسى بن عمران الحفيد الرابع لسيدنا يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام رسول وصفه مولانا بأولي العزم من الرسل لما لاقى من أهوال وشدائد في قومه بني إسرائيل.

واسمحوا لي أن أذيع عليكم الأنباء مع هذه الحلقة الثامنة عشرة من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية.

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لنرفع شعار التوحيد:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وخير مانستهل به حلقتنا اليوم تلاوة معطرة من كتاب الله عز وجل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم. تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون. إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين. ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونريّ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ /القصص: ١ - ٦/.

أيها السادة:

بعد أن توفي سيدنا يوسف بقوا دهرًا متمسكين بدينهم ثم بدأ الوهن الديني يدب إلى بني إسرائيل فعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم أشرارهم، فلم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر فسلط الله عليهم فرعون حكمهم أربعمئة سنة، وهو يسومهم سوء العذاب فذبح أبناءهم واستحيي نساءهم، ومد الله له مدا كما قال في كتابه:

﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًا﴾ /مريم: ٧٥/ مدّ الله في عمره وصحته هذا الزمن الممتد، فرأى فرعون نفسه عاش هذه المدة فجمع شعب مصر وقال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي قالوا: بلى قال: ما علمت لكم من إله غيري. تحدى مقام الربوبية وأسقط مقام العبودية في ذاته، فأراد مولانا أن يريه أنه عبد لله فأراه رؤيا حق.

رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط وترك بني إسرائيل. فدعى فرعون الكهنة والمعبرين والسحرة والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه.

فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ووكل على ذلك القوابل وأمر عليهم أتباعه حتى شكى القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً فولد هارون في عام المساحة عن قتل الأبناء ، وولد سيدنا موسى في عام قتلهم فصارت أمه تخاف عليه من أعوان فرعون فكانت تخفيه لئلا يراه أحد، ومات أبوه حين بلغ أربعين يوماً. فألهم الله أمه أن تتخذ له تابوتاً فربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر، وأمسكت بطرف الحبل عندها، فإذا ذهب الجند استرجعته إليها. فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الحبل عندها، فذهب مع النيل وأمر الله الملائكة بحفظه، ثم طلبته فلم تجده، وعجبت من نفسها كيف ربط الله على قلبها، وراحت تبحث عنه بحذر، وفي هذا يقول عز وجل:

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ / القصص: ٧.

وهنا علينا أن نفهم أن قضية الوحي بالنسبة لسيدتنا أم موسى (واسمها أيارخا) ليس وحي نبوة، بل هو من قبيل قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلنا نحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ / النحل: ٦٨ وهو ما يسمى بالوحي الغريزي، فليست أم موسى نبية كما زعمه الظاهريون بل:

وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبداً وشخص ذو فعال

فما أرسل الله إلى الخلق إلا رجالاً، وسمع إلى مولانا يذكر هذه القضية الإيمانية وهو يخاطب نبينا محمداً ﷺ فيقول: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ فماذا فعل الله بسيدنا موسى الوليد .

قال تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ / القصص: ٨، التقط الجواري التابوت وكان مغلقاً عليه، فلم يتجاسر أحد على فتحه حتى وضع

بين يدي امرأة فرعون السيدة آسية بنت مزاحم، وما أن فتحتة حتى وجدت سيدنا موسى يتلألاً بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فدخل حبه قلبها، فإذا بفرعون يطل بجبروته فيرى الوليد فيأمر بذبحه، فاستوهبته منه ودافعت عنه وقالت له: ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾ /القصص: ٩/.

فقال لها فرعون: أما لك فهو قرة عين، وأما لي فلا. (لا حاجة لي به). لذلك أكرمها الله بالإيمان فقّرت عينها بموسى وهو طفل، فأقر الله عينها في رضى الجنة وجعلها الله يوم القيامة من أزواج سيدنا محمد هي والسيدة مريم. وامرأة فرعون هذه - أيها السادة - هي التي طلبت من الله فقالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ قال تعالى:

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً (من كل شيء إلا من موسى) إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها (صَبَرْنَاها) لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه (اتبعي أثره) فَبَصُرَتْ به عن جُنُب (عن بعد) وهم لا يشعرون﴾ /القصص: ١١/.
ورأت أخته كيف عرضوا على موسى المراضع وهو يأباهن، فقالت لآل فرعون ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ /القصص: ١٢/، فقالوا ما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه. فقالت: رغبة في سرور الملك ورجاء منفعة. فأطلقوها وأحضرت أمها فأرضعته وأقبل على ثديها، فعرضت عليها امرأة فرعون أن تبقى عندها في القصر فأبت وقالت: إن لي أولاداً. فأرسلته معها ورتبت لها الرواتب والنفقات والهبات قال تعالى:

﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ /القصص: ١٣/.

ولما صار لموسى ثلاث سنين أقعده فرعون في حجرة فمد موسى يده إلى الحية فرعون ونتف منها خصلة، فاغتاظ فرعون غيظاً شديداً وقال: هذا عدوي وهم

بقتله. فقالت آسية: ليس للصغار عقل ولا معرفة، وأنا أتيك بدليل، وأمرت باحضار طست وجعلت فيه تمرة وجمرة وقدمته إلى موسى فمد يده إلى التمرة فحول جبريل يده إلى الجمرة ورفعها إلى فيه فأحرقت لسانه وأخذ في البكاء الشديد فسكن غيظ فرعون.

ولما تم لموسى سبع سنين قعد مع فرعون على سريريه فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير وهو غضبان وضرب برجله قوائم السرير فتكسر منه قائمتان فسقط فرعون وانهمش أنفه وسال الدم على وجهه، فهم بقتله، فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك، فسكن غضبه.

ولما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج واغتسل ووقف يصلي ويسبح فقال رجل من خواص الملك: ياموسى لمن تصلي؟ قال: لسيدي ومولاي. فقال: الرجل تعني أباك فرعون. قال موسى: على فرعون لعنة الله. وكان ذلك دأب موسى يلعن فرعون والكفرة، وكان كل من أتى يخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الإخبار، فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار.

وهكذا - **معشر السادة** - ربي سيدنا موسى في مقر فرعون وكأن القدر يقول لفرعون: أيها الملك الجبار، المغرور بكثرة جنوده وسلطته وبأسه واتساع سلطانه قد قدر العظيم الذي لا يغلب ولا يمانع ولا تخالف أقداره، أن هذا المولود الذي تحتز منه، وقد قتلت بسببه من النفوس مالا يعد ولا يحصى، لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك وفي منزلك. وأنت الذي تتبناه وتربيته ووتنفده، ولا تطلع على سر معناه ثم يكون هلاكك في دنياك وأحراك على يديه، لمخالفتك ماجاء به من الحق المبين وتكذيبك ما أوحى إليه، لتعلم يا فرعون أنت وسائر الخلق أن رب السموات والأرض هو الفاعل لما يريد وأنه هو القوي الشديد.

فهل هناك قهر أعظم من هذا، فتحداهم مولانا بذلك وأصبح آل فرعون خدماً له، وفرعون ربه فأصبح خادماً له وامرأة فرعون خادمة له، وكان سيرى في بيت متواضع، فربي في القصور، وصار شاباً وبلغ الحلم.

قال تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً. وكذلك نجزي المحسنين﴾ /القصص: ١٤/. وكان ذلك في سن الأربعين إذ بعثه الله نبياً ورسولاً وأصبح له في مصر صولة ومكانة بسبب تبني فرعون له وتربيته في بيته، وأعز الله به بني إسرائيل وصارت لهم وجاهة لأنهم أخواله والذين أرضعوه وسمحوا لي أن أعرض أمام حضراتكم هذا الموقف الذي كان فيه الخير الكثير لسيدنا موسى وجعله الله سبباً في تركه مصر، قال تعالى:

﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته (من بني إسرائيل) وهذا من عدوه (قبطي) فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى (ضربه بمجمع كفه) ففضى عليه﴾ /القصص: ١٥/.

وكان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسقتله بالكلية وإنما أراد ضربه وردعه بدليل أنه قال ﴿هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين، ومع ذلك استغفر وأتاب﴾ قال رب أني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، قال رب بما أنعمت علي (من القوة والجاه) فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ /القصص: ١٧/.

أيها الإخوة:

صار سيدنا موسى يسير في المدينة خائفاً يترقب ويتلفت، فبينما هو كذلك إذ ذاك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يصرخ به ويستغيثه على آخر قد ضربه، فعنف موسى الإسرائيلي ولامه على كثرة شره ومخاصمته وقال له: إنك لغوي مبين، فأراد أن ييطش بذلك القبطي فظن الإسرائيلي أنه سييطش به

هو فقال: ﴿ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ فسمعه القبطي الذي أفلت، فذهب فاستعدى فرعون على موسى، فطلبه فرعون إلى قصره ليحاسبه على قتل القبطي، فإذا برجل ناصح لموسى يأتي إلى موسى قال: ﴿ياموسى إن الملائة يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من الناصحين﴾ /القصص: ٢٠/.

فخرج منها خائفاً يترقب من فورة لا يهتدي إلى طريق حتى ساقه الله لقاء مدين وهو يدعو: ﴿رب نجني من القوم الظالمين﴾ /القصص: ٢١/، ﴿عسى ري أن يهديني سواء السبيل﴾ /القصص: ٢٢/.

حتى ورد إلى بئر مدين وهم أصحاب الأيكة قوم شعيب، فوجد عليها جمعاً من الناس يسقون واسمعوا البيان الإلهي في هذه القضية الإيمانية وتأملوا معي: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ وإنظروا إلى قوله تعالى: ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ تبعدان الغنم عن أن تختلط بغنم الناس وهما أي البنتان بعيدتان لا تختلطان بالرجال، أتدرون لماذا؟

لأن الاختلاط بالشرع المطهر حرام، وهو في حق نساء الأنبياء والرسل وبناتهم أشد حرمة، إن مولانا في هذه القضية يقدم لنا الدليل على حرمة الاختلاط ويبين لنا ماهي شروط المرأة العاملة، متتعد المرأة في عملها والشرط الأول: عدم مزاحمة الرجال لأعمالهم، فمتى وجد الرجل الذي يقوم بوظيفة المرأة حرم على المرأة أن تتقدم إلى العمل، وقد بينت الفتاتان سبب عملهما بعد أن سألهما ماخطبكما قالتا: ﴿لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ /القصص: ٢٣/.

والشرط الثاني: يحرم اختلاطها بالرجال، واسمع إلى قول مولاك ﴿ووجد من دونهم امرأتين﴾ لم تختلطا بهم، وحين سألهما ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾.

الشرط الثالث: إذن وليها فلا يجوز للمرأة أن تخرج حتى يأذن لها أبوها أو زوجها أو ولي أمرها.

الشرط الرابع: أن تخرج بحجابها الكامل وسترتها المعهودة في الدين.

الشرط الخامس: أن تعمل عملاً يناسب طبيعة جسدها كترية الأطفال وسقي الماء وتضميد الجرحى.

هذه هي شروط عمل المرأة المستمدة من هذه الآية الكريمة وإن نسيت لا أنسى حدثاً جرى زمن نبينا الأعظم ﷺ فيما يرويه أبو داود في سننه (٥٢٧٢- هـ) أن جماعة من الرجال والنساء صلوا في المسجد مع سيدنا رسول الله ﷺ فلما انتهت الصلاة وخرجن مع الرجال، مشين في وسط الطريق متسترات بثياب الصلاة والحجاب الشرعي، لكنهن اختلطن مع الرجال، فإذا بالقائد الأعلى للأمة يناديهن وقد رأى هذا المشهد ناداهن:

. يامعشر النساء لا تَرْكَبَنَّ حُقُوقَ الطريق وعليكن بحافات الطريق.

يقول الراوي ياسادة ياكرام فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. وفي رواية ابن حبان ١٩٦٩: «ليس للنساء وسط الطريق» (عد- هـ ٢ / ٤٧٥ / ٢) إسناد حسن. ولهذا مكروه أن يمشي الرجل بين المرأتين.

أيها الإخوة:

فلما رأى سيدنا موسى ضَعَفَ البنيتين وسمع عن كبر أييهما رحم ضعفهما ونزع حجراً كبيراً كان على فوهة البئر، يقول سيدنا عمر وكان لا يرفعه إلا عشرة فسقى لهما غنمهما، ثم تولى إلى الظل تحت شجرة رآها خضراء ترف، وهناك أعلن ضعفه وفقره وعبوديته فقال: ﴿رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾ / القصص: ٢٤ /.

وهو صفوة الله من خلقه لم يأكل من أيام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً سقطت نعلاه قدميه، وقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع وإنه لاحتاج إلى شق تمرٍ

فنادى بصوت أسمع المرأتين ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ /القصص: ٢٤.

فلم تمض إلا ساعات قليلة حتى جاءته إحداها تمشي على استحياء، لتسمع النساء الحرائر كيف تمشي الحرة، على استحياء، لم تلبس بنطلوناً ضيقاً ولم تكشف عن رأسها وساعديها ورجليها، إن الحرة بنت الحر تمشي مثل ابنة سيدنا شعيب التي قالت بصوت خفيض وقد وضعت نظرها على الأرض: ﴿قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ /القصص: ٢٥. واستعان سيدنا موسى بالله العظيم وعرف أن هذا فرج من الله تعالى، فانقاد لأمره وسار مع الفتاة، لم يسر وراءها بل قال لها: كوني من ورائي فإذا اختلف الطريق فأحذني لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق، حتى قدم على سيدنا شعيب فأضافه وأكرمه فلما قصَّ عليه ما كان من أمره بشَّره بأنه قد نجا وقال له ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾، فعند ذلك قالت إحدى البنيتين لأبيها:

﴿ياأبت استأجره (لرعي غنمك ثم مدحته فقالت) إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ فقال لها: وكيف عرفت ذلك؟ فقالت: إنه رفع صخرة لا يرفعها إلا عشرة رجال، وأمرني أن أسير وراءه، وهنا قال سيدنا شعيب: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ /القصص: ٢٧.

قال سيدنا موسى: ﴿ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل﴾ (١) /القصص: ٢٨.

وهكذا معشر السادة الكرام.

آجر سيدنا موسى نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه، فأبي الأجلين قضى سيدنا موسى؟ من منهما تزوج الصغرى أم الكبرى؟ ماهو أهم حدث في حياة سيدنا موسى وأخيه سيدنا هارون؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

الله

(١٩)

رسالة سيدنا موسى إلى فرعون

الحمد لله الصبور الشكور العليّ الكبير السميع البصير العليم القدير الذي شملت قدرته كل مخلوق وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور قدر مقادير الخلائق وآجالهم وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معاليشهم وأحوالهم وخلق الموت والحياة ليلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله جل عن الشبيه والنظير وتعالى عن الشريك والظهير فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وأميرنا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من بريته وصفوته من خليقته وأمينه على وحيه، أعرف الخلق بدو وأعلاهم عند منزلة وأوسعهم عنده شفاعته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة

كنت قد علقت معكم في الجمعة الماضية بعض الأسئلة حول المواقف الإيمانية التي وقعت لسيدنا موسى قولوا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وذلك عندما نزل ضيفاً على سيدنا شعيب في مدين على أطراف البحر الميت اليوم.

وأرجو من الله تعالى أن يوفقي لأجيب عنها ، وكان أول سؤال علقتة : «أي الأجلين قضى سيدنا موسى، هل خدم سيدنا شعيباً ثماني سنوات أم عشر. من هي التي تزوجها سيدنا موسى الصغرى أم الكبرى»

ماهي القضايا الإيمانية المستنبطة من تلك المواقف؟

أيها الإخوة

إننا مع الحلقة التاسعة عشرة من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله الا الله وحده لا شريك له

وخير مانستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة على الموجات الإيمانية من سورة القصص (٢٩ - ٣٠):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون. فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾

أيها السادة:

قضى سيدنا موسى الأجل وهو مهر السيدة بنت شعيب، قضاه عشر سنوات، لأن الأنبياء يفعلون الأكمل والأفضل، وقد روى أنه سئل نبينا الأعظم ﷺ: أي الأجلين قضى موسى. قال أوفاهما وأبرهما، قال: وإن سُئلت أي المرأتين تزوج. فقال ﷺ: الصغرى منهما. (البخاري وابن أبي حاتم بسند ضعيف) أبو يعلى ٢٤٠٨ - ح ٢ / ٤٠٧ - ابن جرير ٢٠ / ٤٤ - بز في كشف الأستار ٢٢٤٥ - والحميدي ٥٣٥ - مجمع الهيتمي ٧ / ٨٧. ورواه خ موقوفاً على ابن عباس ٢٦٨٤.

وبارك الله تعالى لسيدنا شعيب بماله وغنمه وإبله حتى كاد أن يلتهى بها عن العبادة فدعا الله تعالى، ومأدراك مادعا، طلب من الله تعالى أن يذهب عنه بعض ماله لكي يتفرغ للعبادة، فأمره مولانا أن يأكل خبزاً يابساً في الطريق، فلما أراد شعيب أن ينفذ الأمر الإلهي رأى أن الخبز اليابس سيتساقط منه ذرات وقطع من الخبز على الأرض فماذا يفعل وهذه نعمة الله لا يجوز أن تهان وتلقى على

الأرض؟ فوجد أن يضع مخللةً في رقبته، فكان يأكل الخبز اليابس ويتساقط في المخللة بعض قطع الخبز فلما كان يصل إلى بيته يجمع تلك القطع الصغيرة ويأكلها حفظاً على نعم الله تعالى، فماذا كانت النتيجة؟ إذا بعدد الغنم يزيد أضعافاً مضاعفة فقال سيدنا شعيب يارب: طلبت منك أن تنقص لي من عددها فزدت عددها، فأوحى الله إليه: يا شعيب كيف تريدني أن أذهب نعمتي عمن يحفظها ولا يضيعها. (أين الموحدون).

وحين أراد سيدنا موسى أن يغادر إلى بلده مصر قام شعيب بتقديم هدية لصهره وهدية لابنته، أما هدية موسى فهي عصا غير عادية، عصا يبدو أن سيدنا شعيباً أمر بتسليمها لسيدنا موسى، ليهش بها على غنمه، قال له سيدنا شعيب أدخل هذا المخدع وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك، فلما دخل موسى الغرفة ومد يده ليختار إحداها، إذ بعصا تثب إليه فتصير في يده، فخرج بها فنظر إليها سيدنا شعيب وقال: ردها وخذ غيرها، فردها موسى، ثم أراد أخذ غيرها فوثبت إلى يده، فعل ذلك مراراً وشعيب يقول له ردها. فقال له موسى: قد رددتها وكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي، فعلم سيدنا شعيب أن ذلك أمر يريد به الله فقال له خذها.

أيها السادة

تعالوا معي نر ما هذه العصا وما ميزاتهما فإن أكثر العلماء على أنها من أس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى، وكانت ذات شعبتين وبعض أسنان الحديد في أسفلها، وكان موسى إذا دخل مغارة ليلاً تضيء شعبتها بمد البصر، وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فيرتفع الماء ويفور من قعر البئر فيستقي بها، فإذا نزعها عاد الماء إلى قعر البئر، وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق، وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبداله فيه طريق منفرج، وكانت تقاتل أعداءه عنه، وكان إذا

تاه عن الطريق انطقها الله تعالى فتقول له العصا: خذ جانب كذا وكذا، وكان إذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومخلاته ومقلاعه وكسائه وطعامه وشرابه، فعرف سيدنا موسى أن في تلك العصا قدرة، وعرف أن لها شأنًا وأي شأن فهذه مآرب موسى فيها.

ثم قدّم شعيب لابنته مقابل السنوات العشر، التي هي المهر، قدم لها كل شاة تلد بلقاء (ملونه) في ذلك العام، فلما أوردها سيدنا موسى الماء جاء الأمر الإلهي أن يضرب الماء الذي تستقي منه الأغنام، فوقف بإزاء الحوض وضرب الماء وسمى الله تعالى عليها. فإذا بجميع الغنم التي كانت تلد مرة تلد مرتين غنماً بقاءً ملونة بإذن الواحد الديان.

ثم ساق سيدنا موسى كل ذلك الغنم وسار بجوار البحر الميت اليوم متوجهاً إلى مصر، وحين وصل إلى طور سيناء في ليلة باردة مظلمة، أضاعوا الطريق، وهناك جعل موسى يريد أن يشعل ناراً ليدفئ أهله ورعيانه فلم يستطع، فبينما هو كذلك إذ أبصر من بعيد ناراً تأجج في جانب الطور. فقال لأهله: ﴿امكثوا إني آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ / طه: ١٠.. وهذا كله سبب لينال موسى المكانة والخطوة عند الله بسماع كلامه القديم.

معشر السادة الكرام

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جوار فلسطين الأسيرة فك الله أسرها، وبالذات أقف بكم على جبل الطور في سيناء بجوار وادٍ اسمه طوى، وأرى شجرة ترف أوراقها الخضراء عن يمين نبي الله موسى، رآها شجرة تضطرم تحتها النار وتأجج وكلما اضطربت زادت خضرة تلك الشجرة ولمعت أنوارها من خلال النار، فوقف موسى متعجباً من هذا المنظر البهيح، وهناك من تلك البقعة المباركة من الشجرة سمع صوتاً أتاه من كل النواحي لم يسمعه بأذنه فقط ولكنه سمعه بكل جزيئة من جزيئات جسمه، سمع صوتاً ماسمع مثله من قبل صوتاً ناداه:

﴿ ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾
/طه: ١٢ - ١٤/.

افهموا هذه القضية الإيمانية إن الله لما كلم نبيه أزال الحجاب بينه وبين كليمة حتى أدرك كلامه القديم بجميع أعضائه من جميع الجهات ثم رد عليه الحجاب، وليس المعنى أنه كان ساكتاً ثم تكلم ولا أنه انقطع كلامه بعد أن رد عليه الحجاب، لأن كلامه تعالى قديم باق لا ينقطع، احفظوا هذه القضية الإيمانية تماماً: كلام الله تعالى قديم باق لا ينقطع، ولا تقولن كيف سمع موسى كلام الله تعالى القديم، اسمع الجواب بهذا الأثر الوارد فإن مولانا قال لسيدنا موسى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعني، وعشرة آلاف لسان حتى كلمتني وأقرب ماتكون مني وأحب ماتكون إلي إذا صليت على حبيبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

وخر سيدنا موسى على الأرض من شدة خشية الله تعالى ومرت عليه الدقائق وكأنها ليست من الدنيا، وحين أصابت موسى الجلالة والمهابة خاطبه مولانا مؤانساً له وراحماً ضعفه فقال:

﴿وماتلك بيمينك ياموسى﴾ /طه: ١٧/: أما هذه هي عصاك التي تعرفها منذ صَحِبَتْهَا ﴿قال: هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾، بل هذه عصاي التي أعرفها وأتحققها، وجاء الأمر الإلهي ﴿ألقها ياموسى، فألقها فإذا هي حية تسعى﴾ /طه: ٢٠/ بإذن الله القادر المقتردر.

كانت صغيرة على حجم العصا ثم تورمت وانتفخت حتى صارت ثعباناً عظيماً في سرعة الجان وهي بنت الحية، وصارت شعبتها شديقين لها، وعليها عرف يهتز ويلمع وعيناها تتقدان كالنار.

إنه ليس تخيلاً ولا وهماً ولا سحراً بل حقيقة وأمر خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الله رب العالمين الذي يقول للشيء كن فيكون.

وهرب موسى من هول مارأى، وماذا رأى اسمعوا البيان الإلهي ﴿فلما رآها تهنتر كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب﴾ (ولم يلتفت). وناداه مولانا ﴿ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ /القصص: ٣١/. ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ /طه: ٢١/. وتقدم موسى إلى الثعبان فما هو إلا أن وضع يده على ذنبها حتى عادت عصا بإذن الله، وكانت الحكمة في أمر الله تعالى إياه بإلقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفزع منها موسى إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون. ثم أتى البرهان الثاني والمعجزة الثانية: إن الله أمره أن يدخل يده في جيب صدره الأيسر: ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ /القصص: ٣٢/. فأخرج موسى يده فإذا هي تتلألأ ولا برص ولا أذى فيها فهاجها موسى، فقال له مولانا ﴿اضمم إليك جناحك من الرهب﴾ /القصص: ٣٢/، ضع يدك على فؤادك وأعد يدك تسكن رهبتك وتعود كما كانت. ثم زوده مولانا بتسع آيات إلى فرعون لأنه طغى وجاوز الحد في العصيان والتمرد، قال له:

ياموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتى وإنك بعيني وسمعي وإن معك يدي وبصري، وإني ألبسك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمر بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي، بطر نعمتي وأمن مكري حتى جحد حقى، وأنكر ربوبيتي، وإني أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار، فبلغه رسالتى وادعته إلى عبادتي وتوحيدي وحدِّرَ هُ نَمَتِي، وقل له قولاً ليناً، وأخبره أن ناصيته بيدي ولا يتنفس إلا بعلمي إني أنا الله رب العالمين. وأخبره أنني إلى المغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة، وقد أمهلك في طول المدة وأنت في كلها تدعي الربوبية دونه، وتصد عن عبادته، وهو في كل ذلك يطر عليك السماء وينبت لك الأرض، وسلمك للعافية حتى لم تحرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تُغَلَبْ، ولو شاء لعاجلك بالנקمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم إني أنا الله رب العالمين، يغضب لغضبي السموات

والأرض والبحار والجبال والشجر والدواب، فلو أذنت للسموات لحصبته وللأرض لابتلعته وللجبال لدكته وللبحار لغرقته، ولكن وسعه حلمي وأنا الغني عنه وعن جميع خلقي، وحق ذلك لي، وأنا خالق الغنى والفقر لا غني إلا من أغنيته ولا فقير إلا من أفقرته.

ثم جاءه التكليف الإلهي والسفارة الإلهية بمهمة إيمانية على الموجات العاملة من سورة طه:

﴿واصطنعتك لنفسي (اصطفيتك واجتبتك رسولاً لنفسي: لذاتي) اذهب أنت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري (لا تبطئا في ذكري) اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى.

فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جنناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى. إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ / طه: ٤٨.

قالا: ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال: ﴿لا تخافا إني معكما أسمع وأرى﴾ / طه: ٤٦.

لا تخافا إني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، ولا يخفى عليّ من أمركم شيئاً، واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يتحرك إلا بعلمي وبأمرى، أنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي.

معكما بذاتي وصفاتي، معكما أسمع وأرى، سمع وبصر ليس كسمع وبصر المخلوقات لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

سميع بصير: سمع وبصر قديمان ليس كسمعنا وبصرنا المخلوقان، مولانا يسمع ويصير بدون آله ولا أذن وجارحة ولا حدقة لأنه تعالى ليس مجسماً ولا مركباً، (وحدوا الله).

أيها الإخوة الكرام

وحين رد الله الحجاب بينه وبين كلمه نظر موسى إلى الجبل فإذا هو قد صار
ياقوتة من عقيق، وألبس موسى حلة نور وشيعة الملائكة.
نزل إلى أسفل الجبل فوجد أهله قد أخذهم الرعيان وعادوا بهم إلى سيدنا شعيب
لما تأخر موسى، وكان قد بقي فيه سبعة أيام والله أعلم.
فإلى أين اتجه سيدنا موسى؟ هل اتجه إلى تنفيذ الأوامر الإلهية أم اتجه إلى شعيب
ليبشره البشارة ببعثه نبياً ورسولاً؟ ماهي الأحداث الهامة التي جرت له ولأخيه سيدنا
هارون؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود
بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن
يوحد الله تعالى.

الله أكبر

(٢٠)

بعثة سيدنا موسى

الحمد لله مجلي السماء ببديع المصاييح، ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح، الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات، وسبح له الخلق باختلاف اللغات، فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض ولا في السموات. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على أفضاله ونعمه السابغات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قائلها في الجنة أعلى الدرجات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزاناً وأوضحها بياناً وأعلاها مقاماً وأحلاها كلاماً وأوفاها ذماماً، فأوضح الطريقة ونصح الخليفة وشهر الإسلام، وكسر الأصنام وأظهر الأحكام وحذر الحرام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام، وسلم تسليمًا.

معشر السادة الكرام:

مازلنا ننزل ضيوفاً على نبيين ورسولين من رسل بني إسرائيل هما سيدنا موسى وسيدنا هارون، سيدنا هارون الذي أتته الرسالة بناء على طلب سيدنا موسى، فقد أوحى الله إلى أخيه هارون ليبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون.

إننا . أيها الأخوة مع الحلقة العشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية أستعرض على حضراتكم موجز الأنباء الإلهية على الموجات العاملة من سورة الشعراء:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَن أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون وَيَضْحِكُوا بِصَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُوا لِسَانِي فَأَرْسَلْ إِلَىٰ هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون. قَالَ كَلَّا، فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ. فَاتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ / الشعراء: ١٦.

ونزل سيدنا موسى من على جبل الطور فوجد أن أهل بيته قد عادوا مع الرعيان إلى سيدنا شعيب في مدين . فتركهم وتوجه تلقاء مصر فأتاها ليلاً ونزل ضيفاً على أمه وأخيه اللذين لم يعرفاه من شدة النور الذي كان في وجهه، وضمت الأم ولدها إلى صدرها وأسرعت كلثم أخت موسى فضمت أخاها أيضاً وفرحت به، فدعاها إلى الإيمان بالله تعالى فأمننا مباشرة، وحين علمت الأم أن ولدها قد أرسل إلى فرعون الطاغية صاحت صيحة خوف ووجل على ولديها، لكنهما طمأنأناهما بأنهما مؤيدان من قبل الواحد الأحد الذي لا يخشى أحداً.

وكان تنفيذ الأمر الإلهي فورياً لم يتأخراً ولم يبطئاً فانطلقا ليلاً والتمسا الدخول عليه وسألها بواب القصر: من أنتما؟ فقالا: قل لفرعون إنا رسولا رب العالمين. ففزع البواب ودخل على مولاه. وقال له: إن ههنا مجنونان يزعمان أنهما رسولا رب العالمين. قال: أدخلهما.

معشر السادة الكرام:

اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى مصر إلى مقر فرعون الذي أرغى وأزبد وجن جنونه وأيقظ من في القصر جميعاً حتى زوجته السيدة آسية بنت مزاحم، وقامت قائمة القصر عندما وضع موسى رجله على أول درجة منه وما أن صعداها حتى بدأ يلهج بالدعاء وقال: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما يبينهن ورب العرش العظيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أدرك بك في نحره

وأعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكففه بما شئت. فلما نطق موسى بهذه الكلمات النورانية تحول ما في قلبه من الخوف أمناً وطمأنينة، وصدق الله العظيم ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾: /.

معشر السادة

وأقبل الجبار الطاغية وسيما الغضب على وجهه، وراح فرعون يتأمل خصمه حتى عرفه فقال له: أأنت أنت موسى ﴿ألم نربك فينا ولدأً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين﴾ / الشعراء: ١٨ - ١٩ / (الآن تخرج عن ديننا وتكفر بنا) فقال سيدنا موسى مباشرة:

﴿فعلتها إذن وأنا من الضالين (المخطئين) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾ / الشعراء: ٢١ / ثم انعطف على فرعون يقول له: ﴿وتلك نعمة تُمْنُّها علي أن عبّدت بني إسرائيل﴾ / الشعراء: ٢٢ / هذه النعمة التي ذكرت من أنك أحسنت لي وأنا رجل واحد مقابل ما اتخذت منهم عبيداً تنتزع أبناءهم من أمهاتهم، تترك من شئت وتقتل من شئت. هذا مانسميه بالفطنة التي يتصف بالمرسلون: (الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة) وهي إقامة الحجة على خصوم الدعوة ومجادلتهم وقمعهم، وإليكم هذه المناظرة التي جرت بين موسى وبين عدو الله فرعون أذيعها على حضراتكم من سورة الشعراء:

﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ / الشعراء: ٢٨ /.

وعلى الموجات العاملة من سورة طه جانب آخر من هذه المناظرة التي قطع فيها موسى حجة فرعون الواهية فما هي هذه الحجة التي ذكرها فرعون وكيف كان رد كليم الله عليهم، اسمعوا بعد أن توحدوا الله تعالى:

﴿قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. قال فما بال القرون الأولى﴾ هذه حجة فرعون التي أراد أن يظهر موسى بأنه عاجز عن الإجابة عن هذا السؤال، لأن فرعون قال لموسى: إذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادي للخلائق لما قدره، وأنت تقول بأنه لا يستحق العبادة سواه، فلم عبد الأولون غيره وأشركوا به من الكواكب والأنداد ما قد علمت، فهلا اهتدى إلى ربك القرون الأولى، واسمعوا كيف أزال موسى هذه الشبهة التي احتج بها فرعون قال له موسى ﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾، إن الأولين وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك، ولا يدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة كفره مثلك، وكل شيء فعلوه في الزبر، وكل صغير وكبير مستطر وسيجزئهم على ذلك رب البشر الذي لا يضيع مثقال ذرة، لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده في كتاب لا يضل ولا ينسى ﴿الذي جعل لكم الأرض مهذاً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي. منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً من أخرى﴾ (طه: ٤٩ - ٥٥).

هذه هي الحجة البالغة القاطعة التي آتاها ﷻ رسله الكرام على خصومهم ولهذا علينا أن نشهد لهم بالفطانة كما أنه علينا أن نحفظ أن صفاتهم الواجبة الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

معشر السادة الكرام

ورفض فرعون أن يقتنع بالدليل العقلي الذي جاءه به سيدنا موسى فقال له ﴿أولوجئتك بشيء مبين﴾ تعرف به صدقي وأنت من الكاذبين قال فرعون ﴿فأت به إن كنت من الصادقين﴾ (الشعراء: ٣٠ - ٣١).

وهنا ألقى سيدنا موسى أول معجزة له ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ (الشعراء: ٣٢) فتح فمه واضعاً أسفل فمه على الأرض ورأسه تحت أقدام

فرعون، فذعر الناس ووثب الإله المزعوم عن عرشه وبال بثوبه لساعته، إله بيول من شدة الذعر وهو لا يصدق ما يرى، وامراته على طرف باب القاعة ترقب ما يجري، لما رأت هذا المنظر صرخت: أشهد أن إلهك حق يا موسى فماذا عن الإله المذعور الذي ملأ البول سرواله؟ هاهو ينادي ويصيح: يا موسى أنشدك بربك وحرمة الرضاع إلا أمسكتها عني، فمد سيدنا موسى يده إلى الثعبان وأمسكه من بين شدقيه فانقلب عصاً بإذنه ﷻ تعالى.

وانهار فرعون على كرسيه، وظن موسى أنه قد استسلم هو وحاشيته ووزيره هامان لكن الإله المزعوم بقي عنده ذرة من شك، فلما رأى موسى الشك عنده نزع يده من صدره فإذا هي بيضاء للناظرين، ولها نور تكل عنه الأبصار وتضيء ماحولها حتى لم يستطع فرعون النظر إليها، ثم ردها إلى جيب صدره، ثم أخرجها فإذا هي على لوحتها الأول.

وهنا هم فرعون بتصديقه غير أنه نظر إلى هامان يستشيريه فقال وزير السوء: يامولاي قد كان ظني بك خيراً من هذا بينما أنت إله تعبد إذ أنت تصير تابعاً لعبد، فاطلب منه مهلة نفكر بالأمر.

فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغداً فقال سيدنا موسى إن ربي أوحى إلي أنك إن آمنت به وحده عمّرتك في ملكك ورددتك شاباً طرباً وأبقيتك حاكماً للبلاد.

﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ / طه: ٤٧.

معشر السادة:

قضى فرعون ليلته وهو يفكر بكلام سيدنا موسى، وكلما بدا له تصديقه نفخ فيه وزير السوء وجعله يعدل عن اقتناعه، فقال فرعون ولكنه وعدني أن يردني شاباً طرباً فقال هامان: أنا أردك شاباً. فأتى له بصباغ فحضب شعره بالسواد. ثم اتفقت كلمة الكفرة على أن يتهموا موسى بالسحر بما جاءهم به، وهذا الاتفاق سطره

مولانا في كتابه على موجات سورة الشعراء ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين. يأتوك بكل سحرٍ عليم﴾ /الشعراء: ٣٧/.

وحين دخل سيدنا موسى عليه ابتداءه فرعون بقوله ﴿أجئتنا لخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى. ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا (الذي تدعوننا إليه) في آبائنا الأولين﴾.

وهنا أجابه موسى فقال: ﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ /القصص: ٣٧/.

قال فرعون: ﴿فلنأتينك بسحرٍ مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى. قال: موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى﴾ /طه: ٥٩/.

معشر السادة الكرام

اختر سيدنا موسى المناظرة مع السحرة في يوم الزينة، وكان عيداً من أعيادهم ومجتمعاً لهم، واختار الوقت وقت اشتداد ضياء الشمس، ليكون الحق أظهر وأجلى، لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجمع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية.

وجاء اليوم الموعد، وهنا سترى العجب: من كان **اللَّهُ** معه لا يخيب سعيه، من كان **اللَّهُ** معه لا يضل سؤله، من كان **اللَّهُ** معه لا تذُل قدمه، من كان **اللَّهُ** معه قال له **اللَّهُ** تعالى أنا سمعك الذي تسمع به وبصرك الذي تبصر به ولئن سألتني لأعطينك ولئن استتصرتني لانصرنك.

معشر السادة: إن السحرة قبل أن ينزلوا إلى الميدان إذا برئيس السحرة يقول لأتباعه: ليذهب أحدكم إلى هذا الذي معه العصا، ويسرقها منه، فإن استطاع أن يسرقها منه فهو ساحر، وإن لم يستطع أن يسرق العصا فهو نبي مؤيد بالحق من ربه.

إن سيدنا موسى نائم الآن في ليلة سيكون لها مابعداها، وإذا بأحد السحرة يقترب منه وبجانبه عصاه، إنها ليست عصا من الابنوس أو كعصا الماريشالية، إنما هي عصا كعصا الرعاة إلا أن الله أودع فيها الإعجاز لأن هذا السارق للعصا لما حاول أن يسرقها انقلبت العصا ثعباناً فجرى أمامها الساحر، ورفع تقريره إلى سيده فقال سيده: أيتها السحرة إن هذا نبي فإذا مألقي عصاه غداً فلا بد أن نؤمن بربه مهما كان الثمن.

﴿وجاءت سحرة فرعون﴾

إن موسى وهارون يقفان الآن وحدهما أمام آلاف الجماهير وأمام السحرة المهرة الذين احتشدوا في هذا الميدان، هذه الآيات أنقلها لحضراتكم من الموجات العاملة في سورة الأعراف:

﴿وجاء السحرة فرعون قالوا: إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين، قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ /الأعراف: ١١٤/، وهنا تقدم سيدنا موسى الى السحرة وراح يزجرهم عن تعاطي السحر الباطل ﴿قال لهم ويلكم لاتفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾ /طه: ٦١/.

فاختلف السحرة فيما بينهم وقال عنهم مولانا: ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم قالوا: إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفواً وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ /طه: ٦٤/.

وبدأت المباراة الحاسمة فعلى الموجات العاملة في سورة طه:

﴿قالوا ياموسى أما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى، قال: بل ألقوا﴾ /طه: ٦٦/.

أذكركم - أيها السادة - إننا الآن في وقت الضحى، ﴿فألقوا حباهم وعصيتهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ /الشعراء: ٤٤/، أقسموا بعزة من لا عز له،

أما مولانا فقد وصف حال موسى وشأنه فقال: ﴿فَإِذَا حَبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سَحَرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ /طه: ٦٦/.

ووصف الله حال الناس وشأنهم فقال: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ /الأعراف: ١١٦/.

ذلك أن السحرة وعددهم اثنين وسبعين ساحراً لونوا حباهم وخشبهم وجعلوا فيها الزئبق ليوهومهم بالحركة، فالسحر لا حقيقه له إنما هو تخیلات في الحواس وأوهام في القلب، السحر لا يقلب حقائق الأشياء، لذلك هناك فرق بين المعجزة وبين السحر، أريدكم أن تفهموا اليوم هذه القضية الإيمانية نحن أمام خوارق سبع: أولها، المعجزة تقلب حقائق الأشياء هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ليبرهن الرسول على صدق دعواه.

وثانيهما الارهاص تظهر قبل النبوة كتظليل الغمام وسلام الشجر والحجر على نبينا الأعظم ﷺ.

وثالثها الكرامة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح وهو الولي الذي يواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي.

ورابعها: المعونة وتظهر على يد العوام المستورين تخليصاً لهم من شدة. خامسها: الاستدراج تظهر على يد فاسق أو كافر خديعة له ومكراً وإهانة. سادسها: الاهانة وتظهر على يد العبد تكديماً له كما فعل الله ﷻ بمسيلة الكذاب، جيء إليه بأعور وقيل له إن محمداً تفل بعين أعور فأبصر، فتفل مسيلة الكذاب في عين الأعور لتبرأ فعميت عينه الصحيحة.

سابعها: السحر وهو فعل أشياء أو تخيلها بطلاسم موهمة وهو فسق أو كفر، ومنه الشعوذة وهي خفة اليدين بحيث يظهر الشيء حقيقة وليس كذلك، تبقى العصا عصا والحبال هي الحبال ولكن يخيل إلى من ينظر إليها أنها تسعى ولذلك اسمع إلى قول مولانا عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ /الأعراف:

١١٦/، العيون ترى الأشياء وكأنها هي والحقيقة أنها أوهام ولذلك سيدنا موسى قال كلمة عندما رأى ما فعلوا اسمعوها:

﴿قال موسى: ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ /يونس: ٨١/.

فماذا كان بعد أن امتلأ الميدان بجمال السحرة وعصبيهم، ماهي الحالة النفسية لسيدنا موسى، إن مولانا قال عنه:

﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾، فأزال الله عنه ذلك الخوف وأوحى إليه: ﴿قلنا: لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ طه: ٦٧ - ٦٨/.

﴿لا تخف إن الله معنا﴾، ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾، الله أكبر لو أن رجال اليوم يتمنعون في هذا الكلام ويفهمونه ويعلمون أن من ينصر الله ينصره. ليسمع هؤلاء إن رب العالمين خاطب موسى: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ طه: ٦٩/.

لم يقل له ألق عصاك، بل قال: ألق ما في يمينك، ولا تعجب إذا كان ما في يمينك عصى فإن العصا إذا نظر الله إليها بعين العناية حركت الجبال وسيرت العوالم. وإذا استمعنا إلى موجات سورة الأعراف: ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك، فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ /الأعراف: ١١٧/ تبتلع كل ما وضع أمامها من العصي والجبال، فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون وغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين وتأملوا كلمة وقع، فإن نتيجته مذهلة، إسمعوا النتيجة:

﴿وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ /الأعراف: ١٢٢/.

إنها عظمة الله، نور الله يجعل الكافر ولياً، لو اعتمدنا على الله وتوكلنا على الله وسرنا وراء سيدنا محمد رسول الله هداًنا الله ولزالت الغمة عن هذه الأمة من شرقها إلى مغربها وفتحنا العالم أجمع.

ألقي السحرة ساجدين، لمن؟ لفرعون؟ لا، بل لرب العالمين، ربّ مَنْ؟ ربّ موسى وهارون، إن الإيمان أيها الشباب إذا باشرت بشاشته شغاف القلب يفعل الأعاجيب، كانوا أول النهار كفاراً سحرة فأمسوا آخره شهداء برة.

﴿قال فرعون: آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ في سورة طه والشعراء.

وفي الأعراف: ﴿آمنتم به قبل أن آذن لكم إنه لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا أهلها فسوف تعلمون﴾ /الأعراف: ١٢٣.

وفي الشعراء: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون﴾.

وفي طه: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾ /طه: ٧١.

قال: آمنتم به... آمنتم له. آمنتم به: أي صدقتم بما جاء به. آمنتم له: استسلمتم له وخضعتم لما رأيتم منه. آمنتم له قبل أن آذن لكم: وهل الإيمان يحتاج إلى إذن؟! فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف: يد يميني ورجل يسرى. فماذا قال السحرة؟

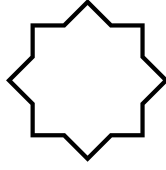
كانوا في الصباح يقولون: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، وقبل أن تغيب الشمس في رحاب الأفق قالوا: لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض.

والذي فطرنا: قسم ﴿فاقض ما أنت قاض﴾، لا تقتصر على قطع الأيدي والأرجل، افعل ماتشاً ﴿إنما تقضي﴾ (تعيش هذه الحياة الدنيا الحقيرة)، إنا آمنة برنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر.

وإذا قلت: ولتعلمن أينما أشد عذاباً وأبقى. فنحن نقول لك: ﴿والله خير
وأبقى﴾ / طه: ٧٢ - ٧٣.

كانوا في الصباح سحرة كفرة، وقبل غروب الشمس أمسوا شهداء بررة، وانتهت
المباراة، وانتصر الحق وبطل ماكانوا يعملون.
معاصر السادة:

أعود بكم من هناك إلى هنا، وماأدراك ماهنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها
عليه أن يوحد الله تعالى.



(٢١)

المؤمنون الثلاثة برسالة سيدنا موسى

الحمد لله رب العالمين الذي رفع منازل المخلصين. وتجلّى بالرضوان على المطيعين والمحسنين، أحمده حمداً المنيبين إليه وأشكره شكر المعتمدين عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المرسل رحمة للعالمين. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

كانت المباراة الإيمانية التي جرت بين فريق الإيمان الموسوي وفريق القبط الفرعوني لها أكبر الأثر في إيمان بني إسرائيل، وخاصة بعد إيمان السحرة، ولم يؤمن من القبط إلا ثلاثة السيدة آسية بنت مزاحم زوجة فرعون وماشطتها، ورجل من حاشية الملك، آمنوا سرّاً ولم يعلنوا ذلك أمام أحد، وأما بقية القبط فلم يزدحم ذلك الموقف إلا كفرّاً وعناداً وبعداً عن الحق، بل إنهم حينما رأوا غلبة موسى على السحرة عقد فرعون معهم اجتماعاً طارئاً جمع فيه زبانيته ومستشاريه.

معشر السادة:

إننا مع الحلقة الواحدة والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مصر التي بدأت المعارك الإيمانية تدور في ساحاتها. ثم انتقل بكم إلى مقر فرعون الذي أرى الاضطراب بادياً على محيا الإله المزعوم، وأرى وزير السوء هامان ينفخ فيه هو

وحاشيته، واسمعوا نفخات إبليس من الحاشية سطرها القرآن الكريم على الموجات العاملة من سورة الأعراف:

﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهلك (وعبادتك) قال : سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ /الأعراف: ١٢٧/.

واسمعوا كيف انقلب الطاغية واعظاً ومذكراً: ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه، إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ /غافر: ٢٦/.

وهنا برز من بين أعضاء الاجتماع الطاريء رجلٌ مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه خوفاً منه على نفسه، فلما همَّ فرعون لعنه الله بقتل موسى وعزم على ذلك وشاور ملأه فيه خاف هذا المؤمن على موسى، فتلطف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب على وجه المشورة والرأي، واسمحو لي أن أعرض على حضراتكم هذا الموقف الإيماني الذي يشع من جنباته الإخلاص في الدعوة إلى دين الله تعالى، اسمعوا كيف يخاطب الداعية الطواغيت والمتجبرين:

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم، فإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يكن صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض (أي عالين على الناس حاكمين عليهم) فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾ يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فإنه ماتعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزهم، لأن الذي ينصر الدين هو الله، وكل حاكم يحاول أن يمس دين الله بسوء سلبه الله تعالى حكمه وملكه كما وقع تماماً لفرعون.

وانتبهوا معي إلى هذه النبرة الجميلة الهادئة لمؤمن آل فرعون:

﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد. يا قوم إنما هذه الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار. لا جرم إنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار. فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد﴾ / غافر: ٣٨ - ٤٤ ./

هذه النبرة الهادئة للمؤمن آل فرعون جعلت فرعون يلتفت إلى وزيره هامان، فماذا طلب منه فرعون؟ اسمعوا الطلب وتعجبوا منه:

﴿وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات (أبوابها) فاطلع إلى إله موسى وإني لا أظنه كاذباً﴾ / غافر: ٣٦ - ٣٧ ./

وهكذا انفض الاجتماع الطارئ على أن يبنى الوزير قصراً منيفاً مرتفعاً من الآجر المشوي بالنار، وانتبهوا إلى هذه القضية:

إن فرعون لما ادعى الربوبية واعتقد الجهة لله تعالى قال: ﴿ياهامان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى﴾ / غافر: ٣٦، فماذا كان رد ربك على هذا السفیه صاحب الرأي السخيف؟ رد عليه فقال:

﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ / غافر: ٣٧ ./

وقبل أن الج معكم سرادقات الزمن الممتد إلى الماضي أريد أن أطرح عليكم قضية إيمانية تتعلق بهذا الموقف الذي وضع فرعون نفسه فيه فادّعى أن الله جهة وأن جهته في السماء، وهذه القضية قضية حصر الإله في جهة ليست جديدة لأن بعض الناس اليوم أسرفوا على أنفسهم فخاضوا في هذا القول، وأتوا في حديثهم بما لم يأذن به الله، وأتوا بألفاظ غامضة تحتمل الكفر والإيمان لأنهم تصوروا الذات الإلهية جسماً

له جهة، وراحوا يستدلون على رأيهم الفاسد بظواهر آيات من القرآن، بل إنهم أضلوا الناس ونقلوا لهم أن الله في السماء، وأنه يشار إليه بالبنان، وأسندوا ذلك إلى سلفنا الصالح وخيلوا إلى الناس أنهم سلفيون، وأن لمولانا من الجهات الست جهة فوق بل صرح بعضهم أنه في السماء حقيقة، تماماً كما ظن فرعون الطاغية، وأما عقيدتنا فهي أن الله تعالى لا يحل في مكان، وليس محتاجاً إلى زمان، ولا متحيزاً بجهة، فلو وجب اختصاصه تعالى بالجهة لكانا محتاجاً إليها، وذلك يقدح في كونه تعالى غنياً عن كل شيء يفتقر إليه كل شيء.

إن العلم يحدثنا أن الجهات أمور نسبية فما هو فوق بالنسبة إلينا يكون تحت بالنسبة لجهة الكرة الأرضية تحتنا، ولذلك رد الله على الجهمية فقال ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فِثْمَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ /البقرة: ١١٥/.

واسمعوا معي إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه يقول: من قال لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض فقد كفر، لأن هذا يوهم أن للحق سبحانه مكاناً، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه.

أيها السادة:

أنتقل بحضراتكم الآن إلى غرفة أخرى في قصر فرعون، إلى موقف إيماني آخر أعرضه عليكم لأهميته إنه مشهد بسيط نراه في بيوتنا مرات ومرات، ولأننا مؤمنون والله الحمد لا نلتفت إلى مغزاه الإيماني، أرى بنت فرعون وماشطتها تمشط لها شعرها، فيقع المشط على الأرض، فتمد الماشطة يدها إليه لترفعه على الأرض وتقول: بسم الله.

إنها كلمة عظيمة ذات مُدلول كبير لكننا لا نلتفت إليه كثيراً لأن الإيمان شعشع في جوانب حياتنا . والله الحمد . أما ابنة فرعون فقد انتبهت للمعنى، وماهو هذا المعنى، إن نبينا الأعظم ﷺ دلنا على هذا المعنى فقد روي: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتراً أو أقطع أو أجزم» (الخطيب- الرهاوي

بسند ضعيف) والمعنى على كل الألفاظ أنه ناقص وقليل البركة، إن قلتها في نحو الأكل انتفى قلة انتفاع الجسم به، وإن قلتها في نحو القراءة دلت على انتفاع القارئ، وإن قلتها في نحو التأليف انتفى قلة انتفاع الناس به، وهكذا وروي أنها لما نزلت هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بأذانها، ورجعت الشياطين، وحلف الله بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على مريض إلا شفاه، ولا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه.

وعدد حروفها تسعة عشر حرفاً، وعدد خزنه جهنم تسعة عشرة خزاناً قال ابن مسعود: فمن أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشرة فليقرأ البسملة، فيجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد منهم فإنهم يقولونها في كل أفعالهم وبها قوتهم.

قال بعضهم: معاني كل الكتب التي أنزلت مجموعة في القرآن، ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة، ولهذا سميت أم الكتاب، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها أتعرفون مامعناها، معناها: بي كان ماكان وبى يكون مايكون، ثم قالوا: ومعاني الباء في نقطتها ومعنى النقطة: أنا نقطة الوجود المستمِدُّ مني كل موجود (اسمعوني توحيد الله)، لذلك قال سيدنا علي: لو طويت لي وسادة لقلت في الباء من بسم الله الرحمن الرحيم حَمَلُ سبعين بعيراً (١).

ويكفي أن الله تعالى أبتدأ كتابه بها، وأن رسول الله ﷺ كان يصدر رسائله إلى الملوك بها.

وورد: من أراد أن يحيا سعيداً ويموت شهيداً فليقل عند ابتداء كل شيء بسم الله الرحمن الرحيم.

وهكذا -معشر السادة- مَدَّتِ الماشطةُ يدها إلى المشط وقالت: بسم الله
لتموت شهيدة في سبيل الله، فكيف حدث ذلك؟

إنني مازلت أنقل لكم الأحداث الإيمانية من قصر فرعون الطاغية، وفي حجرة
الزينة بالذات أرى الماشطة وإلى جوارها ابنه فرعون وعلى وجهها سيماء الاستفهام،
سألت ماشطتها: تقولين «بسم الله» تعنين به أبي؟ قالت الماشطة: لا، بل ربي
وربِّك وربَّ أبيك!! (صحيح).

وماهي إلا ساعات قليلة حتى وصل التقرير المفصل ووضع على طاولة فرعون
الطاغية، فنظر فيه وغلا الدم في عروقه فاستدعى الماشطة على جناح السرعة، ووجه
إليها سؤالاً واحداً، اسمعوه، قال لها:

. من ربك؟ فقالت الماشطة بثبات وإيمان: الله ربي.

قال لها: أولك ربُّ غيري؟

قالت الماشطة: ربي وربُّك الله.

وتعالى صراخ الطاغية، فأرغى وأزبد، ودعا بتنور من نحاس، فأحمى حتى صار
جمرًا ملتهباً يغلي فيه الماء كغلي الحميم، وهدد الماشطة بإهلاك أولادها إن هي لم
تعد عن كلمتها، ولكنها ثبتت، فراح يلقي أولادها أمام عينيها، وكلما ألقى واحداً
راودها علترك الإيمان، وهي لا ترضى حتى جاء دور طفلها الأخير الرضيع، فلما
رفعه ليلقيه في الماء المغلي ترددت الماشطة واضطربت، فإذا بالقادر المقتر ينطق
الطفل الرضيع ويقول: يا أماه! إياك أن تترددي، قعي ولا تقاعسي (ولا تتأخري)
فإنك على الحق) الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

وجاء دور المرأة المؤمنة سألها فرعون: ماهي أمنيته الأخيرة؟ فقالت: أمنيته هي
أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفننا معاً حتى نبعث يوم القيامة معاً. ونظر إليها
فرعون للمرة الأخيرة، امرأة ثابتة على مبدئها وعقيدتها، هل لهذه مثيلة في النساء،
أروني أمثالها، لتسمع الأمهات، لتسمع اللواتي تَرَكْنَ العفة والطهارة ومشينَ سافرات

في الطرقات، إن الماشطة وأولادها أعطونا درساً نادراً في الثبات على العقيدة والدين.

فماذا فعل فرعون؟ لقد نَقَذ فرعون رغبته فدفنها مع أولادها في حفرة واحدة، أتعرفون هذه الحفرة التي دفنت فيها مع أولادها، هذه البقعة مرّ عليها الحبيب المصطفى في ليلة الاسراء والمعراج فشم رائحة أطيب من ريح المسك (هـ: ض)، إنها رائحة الموحدين، إنها رائحة المؤمنين، إنها رائحة كل مسلم في الملاء الأعلى إلى يوم الدين، قال يا أخوي يا جبريل: ماهذه الرائحة الطيبة المسكية فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. يأسعد من وحد الله، يأسعد من صلى على مصطفىاه.

معشر السادة:

إلى هنا لم تنته المواقف الإيمانية، فمازلنا في قضية التمسك بالعقيدة والدين، مازالت المشاهد تتابع:

أولاً: السحرة وإيمانهم.

وثانياً: ثبات الماشطة:

وأما المشهد الثالث فهو فريد من نوعه لم نره إلا مرة واحدة، لأن صاحبه هي سيدة مصر الأولى السيدة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون. إنه مثل ضربه ﷻ لكل إنسان يحمل فكرة خيالية أو عقيدة فاسدة فإذا بأهل بيته وأولهم زوجته ترفض الإيمان بفكرته وترفض الإيمان بعقيدته، لقد ذكر لنا التاريخ بعد فرعون أن جميع الذين دعوا إلى هتك الحجاب ونزعه عن رأس المرأة المؤمنة، جميع الذين دعوا إلى هذه الفكرة الضالة كانت نساؤهم محجبات لم يكشفن عن رؤوسهن منهم سعد زغلول، وقاسم الأمين ، والوطواط. إن امرأة فرعون لما رأت ما حلّ بماشطتها حين صعدت روحها إلى ﷻ تعالى، لم تحتمل هذا الموقف الإيماني الثابت، فصرخت في زوجها قائلة: ويلك يا فرعون ما أجراك على ﷻ تعالى.

فنظر إليها الإله المزعوم وهو لم يَنْفُضْ بَعْدُ يديه عن جارتها، فقال لها: ماذا قلت؟ وهل اتخذت إلهاً غيري. (يا كذاب لو عبدك أهل أرض جميعاً أتكذب على نفسك وتقول هذا، إذا كنتَ قد كذبتَ على شعبك أفتكذب علي أنا زوجتك؟ قد جالستك وواكلتك ورأيت شهوتك وحاجتك، إن الإله لا يأكل ولا يشرب، إن الإله ليس بجسم ولا له أعضاء فلا تدَّعي أمامي الألوهية لأنني عرفتُك حق المعرفة (على هامان يافرعون، على زوجتك يافرعون) إذا كذبت على جميع الناس فإنك لا تستطيع أن تكذب عليَّ (حَبِزْتُكَ وعجنتك ورأيت أعلاك وأسفلك)، وأماموسى فإنني أعرفه ربيته في حجري، وضممته إلى صدري، وشاهدت أنوار نبوته في قلبي، ولأجل ذلك اتخذته ولدي، وأنا اليوم أتُخذُه نبياً ورسولاً من ربي عز وجل.

وكتمت إيماني لخوفي من بطشك إلى أن رأيتُ ما فعلتَ بالماشطة وكيف عذبتها فصبرتُ ولم ترجع عن الإيمان حتى جادت بأنفاسها الأخيرة وأما اليوم فلا أخاف بطشك، ولا أُرهب قوتك فاصنع ما بدا لك فلقد أحببته لقاء ربي عز وجل.

هكذا كان لسان حال الزوجة المؤمنة، فاستدعى فرعون أمَّها لتحاول اقناعها بالردِّ عن الدين، ولكن بدون فائدة، فبدأ معها سلسلة من طرق العذاب الجسدي عذبها بالحديد المحمَّى، وضربها بالسياط وهي ثابتة تنادي وتقول: لا إله إلا الله.

فأمر فرعون الطاغية فَرِطُطت يداها ورجلاها إلى أوتادٍ أربعة، ولهذا سمي فرعون بذئ الأوتاد، ووضعوا على صدرها صخرة عظيمة تحت حر الشمس المحرقة، وهي ثابتة على عقيدتها لا يتزحزح إيمانها قيد شعرة، ومر على هذا المشهد الرهيب المؤثر كلِّمَ اللهُ موسى فراها على هذه الحالة فتأثر أشد التأثر، فصبرَّها ووعداها الجنة. وهنا فتحت المرأة عينها، ربما لآخر مرة فرأت سيدنا موسى، وبصعوبة شديدة حركت يدها المربوطة وكأنها تطلب من موسى أن يدعو الله لها أن يخلصها مما هي فيه وأن يثبتها على الإيمان، فرفع موسى كفيه إلى الواحد الديان، رفع كفيه وقد بلغ التأثر مبلغه عنده فقال: يارب خفف عن عبدتك آسية؟.. فما الذي حدث وما

الذي جرى؟ إنه لعجيب، وماهو بعجيب لأن فرعون رآه بعينه، ليس بعجيب لأننا تعلمنا من دروس العقيدة أن من كان **اللَّهُ** معه أتى بالأعاجيب والكرامات، من كان **اللَّهُ** معه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً، من كان **اللَّهُ** معه فلا يخاف ظملاً ولا هضماً (أين الموحدون).

إن السيدة آسية وهي تحت العذاب بكت، بكت لا من شدة العذاب ولكن شوقاً إلى لقاء **اللَّهُ** تعالى فتوجهت إلى مولانا وبكل ضراعة وخضوع نادته بصوت خفيض ممتلىء صدقاً وإيماناً قالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ /التحريم: ١١/.

(يارب ابن لنا بيتاً في الجنة مع حبيبك الأعظم، ونجنا من كل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ونجنا من القوم الظالمين).

وهنا تسمع العجب، وهنا تعرف العجب، إذ بالحجاب يكشف عن عين السيدة آسية فترى هذا البيت الذي أعده **اللَّهُ** لها في الجنة فتضحك، ضحكت السيدة آسية، وأنساها **اللَّهُ** آلام العذاب، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي قد اعتراها، اقتلوها، فإذا بصخرة عظيمة تلقى على المؤمنة الآمنة المطمئنة فترفع روحها إلى جناتٍ ونهرٍ في مقعد صدق عند مليك مقتدر. أيها السادة الكرام:

كنت أحب أن أسدل الستار وأكفّ البيان عند هذا الموقف الرهيب لكنني رأيت الأنوار تتلألأ من تاريخ هذه المرأة الصالحة، أما النور الأول والمكافأة الأولى فإن **اللَّهُ** تعالى رفع من قدرها ومكانتها فذكرها في كتابه الخالد أبد الدهر فقال تعالى:

﴿وضرب **اللَّهُ** مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ /التحريم: ١١/.

وكافأها نبينا سيدنا ﷺ محمد فقال في الصحيح: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد ﷺ» (طب- أبو نعيم- الثعلبي، خ ٣٤١- م ٢٤٣١).

بل كانت مكافأة مولانا لها أعظم مكافأة، بأن جعلها الله يوم القيامة زوجة لسيدنا محمد ﷺ فقد جلس نبينا ﷺ على فراش السيدة خديجة بنت خويلد وهي تجود بأنفاسها الأخيرة يبشرها بالجنة ثم قال لها:

«بالكره مني ياخديجة سلّمي لي على ضرائرك في الجنة، قالت: وهل تزوجت قبلي يا رسول الله، قال: إن الله زوجني في الجنة بأسية زوج فرعون ومريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى عليه السلام».

ولهذا هي من أمهات المؤمنين في الجنة فقولوا رضي الله عنها. فما هي الآيات التي توات على فرعون والقبط في مصر؟ هل دخل القبط في الإسلام على أثر هذه الآيات؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



(٢٢)

الآيات التسع ونهاية فرعون

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات، وجعل أمته وسطا وفضلها على سائر الأمم في العبادات،

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فأعطى آدم الصفوة وإبراهيم الخلة وموسى تسع آيات بينات، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم الجهالات، وجعل الصلاة عليه تحية عقد الآمال والأعمال الصالحات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم عندك في مقعد صدق يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعله رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

مازلنا في تمادي فرعون في تكذيب سيدنا موسى وهارون وقد أخذته العزة بالإثم وعنا عن أمر الله تعالى، ﴿وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ /الأعراف: ١٣٢/.

واسمعوا إلى قول مولانا جل جلاله:

﴿ و لقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ / القمر: ٤١ - ٤٢ ./

وأوهم فرعون بني إسرائيل أنه ستيخذ الوسيلة للصعود إلى إله موسى ليصقي الحساب بينه وبينه، ولعله فهم من قول موسى ﴿رب السموات والأرض﴾ أنه موجود في السماء، لأن العظيم القادر على العلو لا ينزل إلى أسفل، وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمر تناله قدرته، فأصدر أمره إلى هامان أن يطبخ له الآجر، ويبي له صرحاً يأخذ في السماء صعوداً حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى، ثم أردف قائلاً: بأنه يظن أن موسى كاذب في أن له إلهاً سوى فرعون.

وهذا أمر عجيب فإن هذا كمن كَذَبَ كذبة على الناس ثم صدقها، فمن الناس من يذكر فكرة ما عالماً بأنها غير صحيحة، ثم لا يزال يخادع نفسه ونفسه تخداعه حتى يخيل إليه أن الأمر صحيح فيصدقّه. وهذا ما حدث تماماً لفرعون، إن فرعون كان من الجهل بدرجة أمل فيها أن ينال السماء ببناء بينيه صاعداً فيها، أراد أن يختل القوم الذين معه حتى لا يخامر أنفسهم خلجة في حطه عن عرش الربوبية، فأراد أن يدخل في روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر على منازلة كل إله ولو كان في السماء، وأنه على استعداد لمحاربة إله موسى الذي في السماء إذا كان فيها، ولذلك أمر باتخاذ صرح يبلغ به أبواب السموات وعهد بينائه إلى وزيره هامان، ومع علم هامان والحاضرين بكذب فرعون فإنهم أخذوا يظهرن له امكانية هذا الأمر، ولم يجسر أحد منهم على تكذيبه أو رده. وسمعوا الى هذه الدعوى الكاذبة التي أخبر عنها مولانا في كتابه الكريم: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى و إني لأظنه كاذباً ٠﴾ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدده عن السبيل ﴿/ غافر: ٣٧ ./

إننا مع الحلقة الثانية والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أدعكم لتملؤوا قلوبكم بتوحيد الله تعالى، اسمعوني شعار التوحيد الذي يتضمن الشهادتين:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة اسمحوا لي . أن أنتقل بكم إلى مصر فإن الحركة الشعبية نحو الإيمان على أشدها، وبدأت هذه الحركة ببناء الصرح الذي قام به هامان حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء، ثم صعد الإله المزعوم وصب سهماً إلى السماء ورمى به فعاد إليه النصل مخضباً بالدم، أتدرون ماذا قال الأفك الأثيم قال: لقد قتلت إله موسى، ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ / غافر: ٣٧، فلما قال مقالته تلك كان ربك له بالمرصاد، حذره موسى غضب الله ، وأعلن له على ملأ من حاشيته بأن الله سيوقع بهم العذاب جزاءً لهم على تكذيبه، فقالوا له:

﴿مهما تأتانا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ / الأعراف: ١٣٢ / فماذا كان رد ربك على الذين قالوا هذا القول، اسمعوا الرد القاصم ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ / الأعراف: ١٣٣ .

هذه الضربات التأديبية وقعت على رؤوس القبط أمهلهم خلالها مولانا ليؤمنوا به ويتركوا عبادة فرعون، فهل أفلحت هذه الضربات؟، وأريد أن أذكركم أن موسى حذرهم بطش مولانا وشدة عذابه، لكنهم لم يرتدعوا أو يرجعوا عن غيهم، فبدأت سلسلة طرق العذاب بأن منع عنهم مولانا ماء النيل وقصّر عن إرواء أرضهم فأصابهم الجذب ونقصت الثمرات، اسمع الى قول مولانا: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ / الأعراف: ١٣٠ .

فجاءوا إلى سيدنا موسى يرجونه أن يسأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب، وأعطوه العهود والمواثيق على الإيمان به وأن يرسلوا معه بني إسرائيل، فدعا مولانا عز

وجل أن يكشف البلاء عنهم وقد دام عليهم أياماً ممتدة فلما كشف عنهم إذا هم ينكثون، وبعد شهر من نكثهم أتاهم عذاب آخر وآية أخرى إنه الطوفان، فاض نهر النيل حتى أغرق الحرث والنسل ونزلت الأمطار بغزاره وفتحت الغمام وكأنها أفواه القرب حتى قيل إن الماء فاض حتى وصل الماء الى تراقيهم ، بينما بنو إسرائيل لم يدخل بيوتهم من الماء قطرة ماء واحدة وهذا من تمام المعجزة البالغة والحجة القاطعة، وجاءوا إلى سيدنا موسى يرجونه أن يكشف الله عنهم هذا العذاب ويؤمنون به فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان، فلم يؤمنوا فأنبئت الله تعالى لهم في تلك السنة الكلاً والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك، فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا فأقوا شهراً في عافية، ثم أرسل الله عليهم جيشاً قال عن الحبيب المصطفى: إنه أكثر جنود الله، جيشاً يجوز أكله، إنه الجراد الذي ورد عن ﷺ في الصحيحين: «أنه غزا سبع غزوات يأكل مع أصحابه الجراد» (خ ٥٠٧١ - م ٣٦١٠ - ت ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ن ٤٢٨١ - د ٣٣١٧ - أحمد ١٨٣٣٤٠).

فقد كتب على باب القيادة العليا للجبار جل جلاله، كتب على بابها ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ / المدثر: ٣١ / فصدرت الأوامر لأفراد الجراد أن تتحرك من قواعدها على جناح السرعة، وتحرك سلاح الطيران الجرادي ليأكل في طريقه كل شيء من نبات الأرض فيذرهما قاعاً صفعاً لا ترى عوجاً ولا أمتاً، جعلها الجراد حصيداً كأن لم تغن بالأمس، كل ذلك ولم يدخل بيوت بني إسرائيل جرادة واحدة، فضجوا وعجوا وعاهدوا على الإيمان فخرج موسى إلى الفضاء وأشار إلى المشرق بعصاه فعادت الجيوش إلى قواعدها سالمة.

والقمل: حشرة خطيرة انتشرت في فراش القبط وآل فرعون فأقلقته مضاجعهم مهما استعملوا من المبيدات فلم تجزئ المبيدات شيئاً أمام خالق الأرض والسموات، فقد أمر سيدنا موسى أن يضرب بعصاه صخرة فإذا بها تتحول إلى قمل ملأت فرشهم، فأمسوا لا ينامون من الليل فإذا ناموا تحركت جيوش القمل بأمر الواحد

الديان. فهل آمنوا؟ لا، بل رجعوا إلى غيهم وطغيانهم، فماذا فعل الله بطعامهم وشرابهم؟

إن الذين اتهموا موسى بالسحر ونكثوا العهد وعادوا إلى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أن موسى ساحر إلا اليوم فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني إسرائيل، فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فأوحى الله إليه أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه، ففعل فتتابع جيوش الضفادع بالنقيق، من كل جانب وخرجت من النيل قبل الليل الدامس، ودخلت كل بيت بغتة فكانوا لا يعجبون عجباً إلا أكله الضفادع ولا يطبخون قِدرًا إلا امتلأت منه . فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا لموسى وعاهدوا ثم غدروا.

فجاء الأمر الإلهي لموسى أن اضرب بعصاك النيل، وإذا بقدرة قادر لا شريك له يتحول الماء في بيوتهم إلى دم، كل ذلك وبنو إسرائيل في أتم خير وعافية، فكان القبط يأتون اليهم ليشربوا من عندهم الماء، فما أن يضع أحدهم فمه على كوب الماء حتى يحوله الله إلى دم أحمر، كما يتحول الماء في أيامنا إلى عرق سوس أسود، ارجعوا إلى الله فتصبحوا في أتم عافية، ارجعوا الى الله قبل ان ينفذ فينا عذابه فتندمون ولات ساعة مندم.

فقد أمهلهم العظيم الحليم القدير ولم يعجل عليهم، أخر عذابهم وهو يمدُّهم مداً، إن رب العزة أقام الحجة عليهم بعدد من المعجزات فلما أعرضوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر، اسمع الى قول مولاك: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ / الزخرف: ٥٥.

﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم (لماذا؟) بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ / الأعراف: ١٣٦ / التكذيب والغفلة، لا تسمحوا للتاريخ أن يعيد نفسه إني لكم منه نذير مبين.

إن الدم كان آية من آيات الله ومعجزة عظيمة، لكن آل فرعون تمادوا بالنذر عصوا رسول ربهم فحول الله طعامهم إلى ضفادع ومياه الشرب إلى دماء، هذا هو

مخزن الأسلحة الإلهية: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والأخذ بالسنين والنقص من الثمرات وجور الحاكم وهو فرعون وكفى بجور فرعون طغيانا فماذا بعد ذلك؟

إن مولانا وصف خداعهم، أرادوا أن يخدعوا من؟ الواحد الديان يخادعون الله وهو خادعهم، اسمع الى مولانا يقول: ﴿ولما وقع عليهم الرجز (أي العذاب) قالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ /الأعراف: ١٣٤/.

فكان سيدنا موسى يدعو الله لهم ليكشف عنهم الرجز والعذاب فماذا حدث؟ اسمع:

﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾ /الأعراف: ١٣٥/ (يرجعون) ولكن الله لا يخادع.

معشر السادة:

لا تظنوا إذا أقمنا على المعاصي أن الله يغفل عنا، لا تظنوا أنا بمنجى عن عذاب الله، من يرتكب المعاصي فقد أعلنها عصياناً على الله كما فعل آل فرعون، إن الله يهمل ولا يهمل والدليل آل فرعون.

معشر السادة

اسمحو لي أضع أمامكم اليوم نهاية هذا الطاغية، فبعد أن قدّم له موسى البراهين والأدلة على وجود الله تعالى، وأيد رسالته بالمعجزات الكثيرة رفض فرعون ذلك كلّهُ وأعلنها الوهية في الأرض وربوبية بين عباد الله تعالى، وأكل أرزاق العباد واستعبد شعب مصر واسترقهم لخدمة مآربة ونزواته وشهواته، فأراد الله تعالى أن يذله ويقهره أمام أعين العباد الذين ادعى أمامهم الألوهية، لقد أصبح جرثومةً آن انجعافها وثمره خبيثة آن قطافها، ومنهجة ملعونة تحتم إتلافها، فدعا موسى ربه قال:

﴿وقال موسى: ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. قال قد أجيبك دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ /يونس: ٨٩/.

إنها لدعوة عظيمة دعا بها كلیم الله موسى على عدو الله فرعون غضبا عليه لمكابرته الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي، فاستجاب الله له فكيف تم ذلك؟ أدعكم أولاً لتوحدوا الله تعالى.

أمر الله كلیمه موسى أن يستعير بنو إسرائيل من القبط جواهرهم وحليهم لعيد لهم فأعاروهم شيئاً كثيراً، ثم أمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا جميعاً من مصر نحو بلاد الشام ومعهم هذه الحلي والجواهر في غفلة عن القبط.

وفي تلك الليلة وبلحظة واحدة حول الله أموال القبط إلى حجارة منقوشة كهيئة ما كانت عليه حتى الحمص والبيض حولها إلى حجارة، فخرج القبط يطلبون حليهم من بني إسرائيل فلم يجدوهم، فأخبروا فرعون الذي أعلن حالة الطوارئ والتعبئة العامة فجمع جنوده وحاشيته، وسمعوا هذا الأنباء سطرها آيات سورة الشعراء. ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين﴾ /الشعراء: ٥٣ - ٦٠/.

وسار موسى ببني إسرائيل رغم جبروت الطاغية فرعون، وأمرهم أن يجمعوا متاعهم وما خف حمله وغلا ثمنه

ونزل الجبار الطاغية بدروعه وصولته وجبروته، وساق جيشه يتبع موسى ومن

معه.

أيها السادة الكرام:

إننا هناك، وأرى مشهداً رهيباً أمام البحر الأحمر ممتداً عبر الأفق إلى سيناء وبني إسرائيل يتجهون إليه، وخلفه على بعد أميال قوم فرعون وجنوده وحاشيته، وحينما وصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر ورأوا ما خلفهم وسمعوا وشاهدوا الغبار يعمّ طبقات السحاب من شدة كثرة جنوده، فوقع الخوف في قلوبهم وراحوا يستنجدون بموسى ويقولون جميعاً: ﴿إنا لمغرقون﴾، إنها النهاية إنه الدمار والهلاك، أتعرفون ماذا أجاب موسى أجاب بثبات وإيجاز ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾، الله أكبر، ما أعظم تلك القوة، وما أشد هذا السند، الله سند من لا سند له.

وقف سيدنا موسى أمام البحر الهائج وقال لمن معه: هنا أمرت. ونظر الناس بعضهم إلى بعض، وضاق الحال واشتد الأمر، واقترب فرعون وجنوده في حدّهم وجدّهم وحديدتهم وغضبهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، عند ذلك جاء الأمر الإلهي: ﴿إِنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ الشعراء: ٦٣ / ورفع موسى عصاه وقال: انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى.

فإذا بالمياه السائلة تنشق عن أرض يابسة، وترتفع المياه إلى أعلى وأمسكها الله أن تنزل إلى الأسفل بقدرته القادرة، ارتفعت إلى اعلى فرقتين على اثني عشر طريقاً قال تعالى ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الشعراء: ٦٣ /، وصارت أرض البحر كاليابسة، ونزل موسى ومن معه، سعيّاً وسط البحر وهم لا يصدقون، ساروا وهم يتطلعون إلى هذه الآية العظيمة والدرس الإيمانى الذي أخذه أن الله يخلق في لحظة واحدة من العسر يسرا ومن الضيق الفرج ومن الكرب النجاة.

يا رب قد ثقلت علي كبائر	بإزاء عيني لم تزل تتردد
يا رب مالي غير لطفك ملجأ	ولعلني عن بابه لا أطرد
يا رب هب لي توبةً أقضي بها	ديناً علي به جلالك يشهد
من أي بحر غير بحرك نستقي	و لأي باب غير بابك نقصد

فالله لا يريد شيئاً إلا أن نكون معه، إلا أن نلتجئ إليه والله لو عدنا إلى الله، والتجأنا إلى الله حق الالتجاء لجعل لهذه الامة فرجاً ومخرجاً ولكننا نخاف من العباد أكثر مما نخاف من الله، فيارب حول قلوبنا إلى الخوف منك، والرجاء لك، يا رب ثبتنا على دينك، ثبت قلوبنا على طاعتك، وثبت أقدامنا على عبادتك.

ونظر فرعون مع جنوده إلى هذه الآية العظيمة، وبدل أن يدخل الإيمان قلبه قال لقومه: انظروا كيف انحسر البحر لي، لأدرك بيدي الآبقين الهاربين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدي. لقد بقى مصرّاً على أنه إله إلى آخر لحظة، فإذا بجواده يقتحم البحر وفرعون لا يملك أن يوقفه فلما رآته الجنود قد سلك البحر اقتحموا ورائه مسرعين.

إن فرعون لم يفكر بان هذه آية ومعجزة لقوم موسى وللناس من بعد موسى، بل فكر أنه سحر، ومسح الله عقله وفهمه

وكان ذا عقل وسمع وبصر	إذا أراد الله أمراً بامريء
وسلّ منه عقله سلّ الشعر	أصمّ أذنه وأعمى قلبه
ردّ إليه عقله ليعتبر	حتى إذا نفذ فيه حكمه

وأراد موسى بعد ان نجى إلى سيناء ان يضرب البحر ليعود كما كان ولكن الله أمره ﴿واترك البحر رهوا﴾ اتركه كما هو حتى اريك كيف انتقم لك ولبنى اسرائيل. وما أن همّ أول جنود فرعون بالخروج من البحر حتى جاء الأمر الإلهي لموسى أن اضرب بعصاك البحر، الله أكبر، وهوت الأمواج المرتفعة العظيمة على جنود فرعون، واسمعوا البيان الالهي على موجات سورة يونس:

﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً، حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين ﴾ / يونس :

٩٠ - ٩١ /.

الله أكبر، ورأى فرعون الموت بعينه وأحس انه عبد حقيقي فاعترف بعبوديته، وشهد بربوبية الواحد الأحد ﴿قال آمنت برب العالمين رب موسى وهارون﴾. ولكن مع الأسف حيث لا ينفعه الإيمان، أمهلناك كثيراً، والآن وقد وصلت الروح إلى الحنجرة وعانيت الغرق تؤمن، لا، إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر. وألقاه الله جثة هامدة على الشاطئ، هذا هو إلهكم المزعوم، فيامن لا يعترفون بالله رباً، ولا يخافون عذاباً يا من تريد العبرة لنفسك في هذا الزمن اذهبوا إلى مصر وادفعوا قرشاً واحداً لتروا جثة فرعون داخل زجاج مكتوب عليه فرعون موسى، وصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم.

﴿فاليوم ننجيكَ بيدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ / يونس: ٩٢ / لأهل القرن العشرين، سننجيكَ بيدنك إلى زمان تقل فيه العبودية لله، إلى زمن يشعر الناس فيه أنهم أرباب مخلدون، إله مع الله، إله مع الله، إله مع الله مع الله»
لا إله الا الله - لا إله الا الله - لا إله الا الله

معشر السادة الكرام:

هذه هي نهاية كل ظالم متكبر لا تقولوا هذه حالة نادرة فريدة في الزمن، أبداً، لقد سبق فرعون النمرود في إدعائه الألوهية، وأتى بعد فرعون آخرون انتظروا نهايتهم اليوم أو غداً ﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾. ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى



(٢٣)

سيدنا موسى في سيناء

الحمد لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناظرة، المنزه عن التخيلات والأوهام الخاطرة، العالم ما تحت أمواج البحار الزاخرة، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة، الذي جعل الموت أول منازل الآخرة، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة. أحمدته على آلائه ونعمه المتواترة، وآياته الباهرة المتظاهرة، حمدا أرفع به حلول كل فاقة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادرة عن طوية غير مرتابة ولا فاترة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة والمفضل بالمقامات الفاخرة، الذي أَلَّفَ اللهُ به بين القلوب المتنافرة. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى عترته الطاهرة وعلى أصحابه الأنجم الزاهرة، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فقد اتخذ بنو اسرائيل اليوم الذي نجوا فيه من فرعون وجنوده عيداً، وأمرهم سيدنا موسى بصيامه. هذا اليوم هو يوم عاشوراء الذي روى فيه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

«قدم النبي إلى المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء. قال: ما هذا اليوم الذي تصومونه. فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. قال النبي ﷺ لأصحابه: لأنتم أحق بموسى منهم فصوموا».

أيها السادة: إننا مع الحلقة الثالثة والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أدعكم لتملؤوا قلوبكم بتوحيد الله لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة الكرام

أستطيع أن أقول: إننا اليوم قد بدأنا فتح ملف جديد لأمة المكر والخديعة، وأن الحديث سيكون طيلة شهر - والله أعلم - عن شعب اللؤم والخسة، عن شعب الغدر والخيانة، أو بتعبير آخر أدق عن الوجه الثاني للشيطان، فاليهود والشيطان وجهان للشر والفتنة، الشيطان هو الوجه الخفي واليهود هم الوجه الظاهر. لأن من درس حياة اليهود لا يشك في أنه يرى إبليس رأى العين ممثلاً في صورة آدمية، هي هؤلاء اليهود واحداً واحداً.

كل من يريد ان يفتح ملف اليهود سيجده يمتلىء بالمخزيات والموبقات، ومن السيء جداً أن نقرأ أمثال تلك الصفات، لأن النفس تشمئز والقلب ينفر من أناس جمعوا ما جمعت اليهود من المخازي والسفالات، لذا اسمحوا لي أن أترك ملفهم جانباً، وأنقل إلى كتاب أذن الله لنا أن نفتحه ونديم النظر فيه، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب جعل الله قراءة بعضه فريضة وقراءة بقيته عبادة، إنه كتاب الله الخالد، فقلما نجد سورة من طوال السور تخلو من ذكر اليهود، بل إن مولانا سمي سورة بكاملها (سورة بني إسرائيل) هي سورة الإسراء التي سننغطف على ذكرها بإذن الله تعالى، ستجدون . أيها الإخوة آيات كثيرة تحدثنا عنهم، اقرأوا القرآن، فبعدما أنقذهم الله من فرعون وأغرقه وجنوده، وأرجلهم كانت لا تزال مبتلة بالماء، أتدرون ماذا قالوا لموسى؟ اسمعوا البيان الإلهي على الموجات العاملة من سورة الأعراف: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ /الأعراف: ١٣٨/.

إلهاء؟! ﴿إن هؤلاء مُتَّبَرِّ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال غير الله أبغيتكم وهو فضلكم على العالمين﴾ /الأعراف: ١٣٩ - ١٤٠/.

وكان من عظمة الله وقدرته أنه لما حول لهم أرض البحر الأحمر إلى اليابسة ورفع البحر كأنه الجدران الشامخة فكان كل فرق كالطود العظيم، لم يجعل لهم طريقاً واحدة إنما جعل لهم اثنتي عشرة طريقاً لأنهم كانوا اثني عشر سبطاً كل فريق يسير في طريق واحدة، حتى لا يحدث زحام وهم يعبرون البحر، وعبروا البحر فكان جزاء الإحسان أن طلبوا أن يكون لهم اله غير الله.

ودخلوا سيناء. قالوا: يا موسى اشتدّ بنا الجوع فادع لنا ربك، فدعا موسى ربه ان ينزل عليه الطعام، فكان الطعام من أعجب وأطيب ما يكون كان مناً وسلوى، أتدرون ما المن والسلوى؟! السلوى حمام والمن كالعسل الأبيض، يضعون الأواني فارغة وفي الصباح تمتلئ الأواني بعضها حماماً مشوياً وبعضها كالعسل الأبيض، وقال لهم مولانا: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تنفخوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ / طه: ٨١.

يا موسى عطشنا فأمره مولانا أن يضرب بعصاه حجراً الله أعلم بحجمه، فانفجرت منه اثنتا عشر عينا، فشرب كل سبط فيهم من عين ثرة سلسبيل خلقها لهم الله رب العالمين.

وكان من إكرام الله لهم أن ثيابهم كانت لا تتسخ ولا تبلى، بل قيل أنهم كانوا يجدون ثياباً معلقة في أغصان الشجر، كل واحد من الستين ألفاً له ثياب مفصلة عليه لا واسعة ولا ضيقة، صنع الله الذي اتقن كل شيء.

وكانت شمس سيناء حارة، فسألوا موسى أن يطلب من الله الظل، فأرسل لهم الغمام والسحب تظللهم حيث ساروا وحيث أقاموا.

اسمعوا قصة اليهود من القرآن وليس من التوراة والانجيل، بعد كل هذه النعم والعطيات العظيمة، لم يقيم بنو إسرائيل بشكرها ولا رعوها حق رعايتها، بل لعلكم لا تتصورون مدى ما طلبوا بعد هذا النعيم، انهم تجمعوا وتبرموا وسألوا موسى استبدلها، بماذا؟ اسمعوا البيان الالهي.

﴿واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإنّ لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ /البقرة: ٦١/.

معشر السادة:

إننا في الخيانة الثانية التي وقع فيها بنو اسرائيل، فإن سيدنا موسى أمرهم بالدخول إلى بلاد بيت المقدس (القدس اليوم) فأبوا ونكلوا عن الجهاد فسأط الله عليهم الخوف وألقاهم في التيه، يسيرون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في أماكنهم السنين طويلة العدد، فعلى موجات سورة المائدة.

﴿يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ /المائدة: ٢١/. أتدرون بماذا أجابوه؟ ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ /المائدة: ٢٢/.

بل إنهم تهادوا في غيهم وأصابهم وهن عظيم وتفوهوا بكلام نالوا عليه عقوبة عظيمة: ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ /المائدة: ٢٤/.

وهنا توجه سيدنا موسى إلى مولانا عز وجل وقال:

﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ /المائدة: ٢٥/ وجاءت العقوبة جزاء وفاقاً:

﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ /المائدة: ٢٦/.

هذا هو ما قالوه وأجابوا به نبيهم، لكن أصحاب سيدنا محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى، بل قال له المقداد: يا رسول الله إنا لا نقول

لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون. فُسِّرَ بذلك رسول ﷺ ﷻ. خ (٣٩٥٢).

أيها الإخوة:

لقد أضاف اليهود إلى صفاتهم الخسيسة صفة أخرى هي:
الحرص على الحياة، وهذا صرح به كتاب مولانا عز وجل، قال عز من قائل:
﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ /البقرة: ٩٦.

صحيح - أيها الإخوة . أن حب الحياة فينا غريزة معشر الآدميين، ولكن أشد الآدميين حرصاً على الحياة هم اليهود، والله تعالى لم يقل ولتجدنهم حريصين على حياة، أما قال أحرص الناس على حياة، وفرق كبير في لغتنا بين أحرص وحريص، فأحرص اسم تفضيل تفيد اشتراك شيئين في صفة واحدة مع زيادة أحدهما على الآخر. فاليهود أشد الناس حرصاً على الحياة، لا، بل على حياة. وفرق بين الحياة وبين حياة، الحياة: معرفة، وحياة: نكرة، فاليهود ليسوا حريصين على الحياة، انما هم حريصون على حياة أي حياة مهما كانت دنئية، ومهما كانت ذليلة، ومهما كانت خائفة.

هذه هي صفات اليهود، اليهودي يحرص على حياة، والحرص على الحياة يعطينا
ثلاث ردائل: الأولى: الجبن

والثانية:	البخل
والثالثة:	الدُّل

الرجل الحريص على حياة: جبان، بخيل، ذليل، وهاتيكم الصفات الثلاث مركوزة في طباع اليهود.

هم جنباء ، بخلاء ، أذلاء ، والله ما جعل منهم رجلاً إلا جنباء، وإلا ما نحن عليه من هوان وتفرقه، لأن المسلمين لما توحّدوا واعتصموا بكتاب الله وكانت العزة شعارهم قال الله لهم:

﴿لأنتم أشدُّ رهبة في صدورهم من الله﴾ /الحشر: ١٣ / إنهم يخافون منكم أشد من خوفهم من الله، لكن لما وليناهم ظهورنا وأعطيناهم الدّنية من انفسنا استأسدوا، وقديماً قالوا: (استأسد الحَمَل لما استنوق الحمل).

اليهود لا عهد لهم ولا ذمة ولا وعد لهم، لم يقل هذا كارتز ولا ديغول: إن الذي قال هذا الذي يعلم السر وأخفى، وهو الذي يقول: ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم﴾ /البقرة: ١٠٠ / وهو الذي يقول ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ /الأنفال: ٥٦ / في كل مرة وهم لا يتقون، هل سمعتم هذا؟

أيها السادة

كان لابد لبني إسرائيل من شريعة يسيرون عليها، فأمره مولانا أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا، وذهب سيدنا موسى إلى جبل طور سيناء وأمرهم أن يجتمعوا حول الجبل.

وأمر الله تعالى سيدنا موسى أن يصوم ثلاثين يوماً في شهر ذي القعدة فلما استكملها، استاك بسواك ليطيب فمه، فأمره ان يمكسك عشرّاً أخرى، فصارت أربعين ليلة وهي عشر من ذي الحجة فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر، وفي مثله أكمل الله عز وجل لسيدنا محمد ﷺ دينه، وأقام حجته وبراهينه، وهذا هو ما ذكره مولانا في كتابه

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممنا بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾.

واستخلف موسى أخاه هارون على قومه

معشر السادة الكرام اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى سيناء إلى جبل
الطور إلى اليوم الذي كلم الله فيه موسى تكليماً.
وأنزل عليه مولانا الكلمات العشر اسمعوها على الموجات العاملة من سورة
الأنعام:

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم:

- ١- ألا تشركوا به شيئاً
- ٢- وبالوالدين إحساناً
- ٣- ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم
- ٤- ولا تقربوا الفواحش مظهر منها وما بطن
- ٥- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.
- ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) الأنعام.
- ٦- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده.
- ٧- وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها
- ٨- وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى
- ٩- وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون /الأنعام: ١٥٢./
- ١٠- وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿١٥٣: الأنعام/.
- وهناك في ذلك المقام طلب سيدنا موسى من مولانا أمراً عظيماً، فلم يكتف
موسى بأن الله أسمعه كلامه وناجاه وقربه وأدناه، بل طلب من مولانا رفع الحجاب
ليراه، واسمعوا هذه المناجاة على موجات سورة الأعراف:
- ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك. قال: لن تراني،
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾/الأعراف: ١٤٣./

إن الجبل أقوى وأكبر ذاتاً وأشدُّ ثباتاً من الإنسان، فإن ثبت عند التجلي فسوف تراني، ومَن الذي يمكن أن يرى الله في الدنيا إلا سيدنا محمد ﷺ إن مولانا لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، إن نبينا الاعظم يقول لنا «حجاب الله النور» وفي رواية (النار) لو كشفه لاحرقَتْ سبحات وجهه ما انتهى إلى بصره من خلقه (ق) اللفظ لمسلم (١٧٩).

إن رؤية مولانا جائزة عقلاً دنيماً وأخرى لأن الباري جل جلاله موجود، وكل موجود يصح أن يُرى لكن مولانا يُرى من غير إحاطة. ولو كانت الرؤية ممتنعة عقلاً لما سأها موسى ، ولهذا قال له مولانا: ﴿لن تراني﴾ ولم يقل له: لن أر، لن تراني عينك الفانية.

وكيف ترى العين الفانية الباقي جل جلاله، إن الجبل لا يستطيع أن يثبت أمام التجلي الإلهي فكيف بالإنسان، ولهذا اسمع البقية الآية: ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعباً﴾ (مغشياً عليه). وحدوا الله تعالى /الأعراف: ١٤٣.

بينما سيدنا محمد ﷺ لما علا سدرة المنتهى وتجلّى له مولانا لم يصعق والسدرة على حالها لم تدك، وهذا شرف سيدنا محمد ﷺ على ربه:

ولو قابلت آية لن تراني بما كذب الفؤاد فهمت معنى

فموسى خر مغشياً عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنه

وحين أفاق الكليم موسى استغفر وتاب من سؤاله الرؤية وقال ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، قال يا موسى: إني أصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ /الأعراف: ١٤٣ - ١٤٤.

وهناك في ذلك المقام مقام الخطاب سأل سيدنا موسى ربه جل جلاله قال: رب هل أحد أكرم عليك مني، قربتني نجياً وكلمتني تكليماً، قال: نعم محمد أكرم علي منك.

قال موسى: فإن كان محمد أكرم عليك مني، فهل أمة محمد أكرم عليك من بني إسرائيل؟ فلقت لهم البحر، وأنجيتهم من فرعون وعمله، وأطعمتهم المن والسلوى. قال: نعم أمة محمد أكرم علي من بني إسرائيل.

قال: ربي أرنيهم قال: لن تراهم، وإن شئت أسمعك صوتهم. قال: بلى يارب: فناداهم (إن رب العزة نادانا ونحن في أصلاب الرجال وفي أرحام النساء)، يا أمة محمد أجيئوا ربكم، فأجابوا وهم يلبنون: لبيك اللهم لبيك أنت ربنا حقاً، ونحن عبيدك حقاً، قال: صدقتم أنا ربكم وأنتم عبيدي حقاً. وأنزل مولانا على نبيه الكريم ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾، أي نادينا أمتك كي يسمع موسى كلامهم.

أيها السادة: يعز علي أن أعود بكم من ذلك المقام إلى هنا. فمن أراد أن يكرمه الله في الآخرة بلذة المناجاة، وأن ينال شهادة من مدرسة التوحيد فعليه أن يوحد الله تعالى.



تذكر عزيزي الموحّد:

- إن الله أيد سيدنا موسى بآيات كثيرة منها:
- العصا - اليد البيضاء - انشقاق البحر - الطوفان - الجراد - القمل - الضفادع - الدم.
- آمن من قوم فرعون السحرة وثلاثة من أهل بيته منهم زوجته السيدة آسية.
- نجى الله فرعون ببدنه ليكون آية للقرن العشرين.
- خيانات بني إسرائيل كثيرة، وذرائلهم: الجبن، والبخل، والذل، ولا يؤمنون إلا لمن يقهرهم.
- الوصايا العشر من القرآن الكريم.

(٢٤)

سيدنا موسى ونهاية السامري

الحمد لله الذي تفرّد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته ، وتعزز بعلو أحديته، وتقُدّس بسمو صمديته، وتكبّر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفاته عن كل تناء وتصوير.

أحمده سبحانه وتعالى فله الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبّه بخلقه، فسبحان من لا حدّ يجمعه، ولا مكان يمسكه ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدر، ولا وهم يصوره، تعالى عن أن يقال كيف هو أو أين هو؟ هو **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**، له الحمد في الأولى والآخرة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وناهياً عن الفحشاء والمنكر والبغي، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع البصير.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد:

فما زلت في حديثي معكم عن اليهود الذين فاحت منهم في عصرنا المخازي والموبقات وتعطيل مداوات السلام، ورائحة اليهود النجسة ليست جديدة، بل قديمة منذ زمن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

أقول لكم هذا الكلام من فوق هذا المنبر لأنني أرى أن اليهود لن يكلوا ولن يملوا حتى ينفذوا ما كتبوه على باب الكنيسة: (اعملوا على قيام دولة اسرائيل من الفرات إلى النيل)، وهم الآن يوجهون كل قواهم إلى تدمير الإسلام والمسلمين، تارة بالقوة العسكرية وتارة بالحرب النفسية وتارة بالإباحية والشهوات الحيوانية، وأخرى

بالتشكيك بتعاليم الإسلام، فهم لا يكتفون بحرب من نوع واحد، ولكنهم يحاربونا على شتى الأصعدة، ومن كل أنواع المصايد التي يتصيدون بها ضعاف الإيمان الذين انتشروا في عصرنا وصاروا ينادون بشعارات زائفة تخالف الدين، كل ذلك حرب على الإسلام ليتحول الناس على أيديهم إلى قطع من البهائم تساق بالعصا، عصا السياسة، عصا الشهوات والموبقات، وعلى ذلك فقس،، ولو أننا بحثنا اليوم عن أصحاب بيوت الزنا في العالم الظاهرة والخفية لعلمنا أنهم اليهود علينا . **أيها السادة** - أن نحذر المكاييد التي تكاد للإسلام، وعلينا أن نبه أولادنا الشباب من أولئك الذين يطعنون الإسلام من الخلف، ولو لبسوا لنا جلود الضأن، وتقربوا إلينا اقتراب الثعلب لينقض على فريسته.

لو بحثنا عن معبودهم الأوحد لوجدنا أنه الذهب، يقدسونه ويعبدونه لذلك لما أراد موسى السامري اليهودي أن يحولهم عن عبادة الله تعالى وحده، وكان سيدنا موسى قد ذهب إلى طور سيناء للمناجاة، انظروا كيف يكيد اليهود بعضهم لبعض، ان السامري لكي يربطهم بعبادة إلههم المزعوم أخذ الحلي والذهب وصنع لهم منه العجل المشهور، اسمعوا هذا الحدث من كتاب الله تعالى، ودائماً قدوتنا كتاب الله تعالى، فهو الصدق والحق لامية فيه، فعلى الموجات العاملة من سورة الأعراف يقول مولانا:

﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلًا جسدًا له خوار﴾ كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة، فيرقصون حوله ويفرحون، ثم ادعى هذا السامري دعوى كاذبة شنيعة، أتدرون ماذا قال لهم؟ قال: ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ /طه: ٨٨/ قولوا لعنه **اللَّهُ**، والدعوى الأشنع أنه ادعى أن سيدنا موسى نسي الهه عنده وذهب يتطلبه وهو هنا، تعالى **اللَّهُ** عما يقولون علواً كبيراً وتقدسست أسمائه وصفاته.

معشر السادة الكرام.

أعرض على حضراتكم هذه الأحداث الإيمانية مع الحلقة الرابعة والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات من جامع الدرويشية، وقضيتنا اليوم هي لماذا اتخذ بنو إسرائيل العجل إلهاً؟!.

إنَّ بني اسرائيل قد ألفوا وثنية المصريين وقلدوهم في وثنيتهم، شأن المغلوب في تقليد الغالب، فغلبت عليهم بلادة الطبع وماركز في طبيعتهم من السخف فدفعتهم إلى أن يتخذوا إلهاً له جسد أو جسم، إننا اليوم مع قضية إيمانية هامة هي أن الاله المعبود ليس بجسم، لأن الأجسام إما متحركة أو ساكنة والإله منزه عن الحركة والسكون المخلوقتان، الإله ليس له أجزاء، وليس جرمًا أي لا يأخذ حيزاً من الفراغ كما هو عجل بني إسرائيل، فالله تعالى - أيها الإخوة - لا يشبه أحداً من المخلوقات، الأجسام تموت ويلحقها العدم والله عز وجل باقي حي لا يموت، واحفظوا هذه القاعدة التوحيدية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يَشَبْهُ النَّاسُ فَكُلُّ مَا خَطَرَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ». وعليه نقول:

إن مولانا ليس ممثلاً لشيء من مخلوقاته فليس جسماً ولا صفَةً ولا كلاً ولا جزءاً ولا محتاجاً إلى حركة أو سكون أو قيام أو قعود، ولا جهة ولا فوقية ولا أسفل، ولا يكون فوق العالم ولا تحته، ولا يقال كيف هو ولا أين هو ولا ما هو، إحفظوا القواعد التوحيدية (كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك).

ولهذا فإنَّ بني اسرائيل قد ضلوا الضلال البعيد حين عبدوا العجل، فهل رأيتم أئفاه من عقولهم، لكن يبدو أن سيدنا موسى قد استعجل بتركهم دون أن يمكِّن عقيدة التوحيد فيهم، وعجلته هذه صرح بها مولانا في كتابه الكريم على الموجات العاملة في سورة طه: ﴿وَمَا أَعَجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجَلْتَ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى، قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ طه: ٨٣ - ٨٤ - ٨٥.

وهنا حمل موسى الألواح التي كتبت عليها شريعته ونزل من على الجبل، وقد بدا الغضب على محياه.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن انتقل بحضراتكم إلى هناك لأعرض على حضراتكم هذه الأنباء الإلهية:

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً، أطفال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتكم موعدتي. قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم ففقدناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي، أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ طه: ٨٩.

فماذا فعل سيدنا موسى؟ لقد ثار ثورة عظيمة حين رأهم مفتنون فصرخ فيهم قائلاً: بئسما خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم (أعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل) وألقى الألواح التي فيها التوراة من شدة الغضب، وتقدم إلى أخيه هارون فأخذ بلحيته وراح يحرقه إليه وصرخ في وجهه:

﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أف عصيت أمري، قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ طه: ٩٤.

وعلى موجات سورة الأعراف قال: ﴿يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾.

وبهذا أعذر سيدنا هارون نفسه، بل إن مولانا شهد بعذره هذا فقال على موجات سورة طه: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به (بالعجل) وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين

حتى يرجع إلينا موسى ﴿ طه: ٩١ /.

وهنا انعطف سيدنا موسى على الكافر صانع العجل وقال له:
﴿فما خطبك يا سامري﴾ / طه: ٩٥ / ، ما الذي حملك على ما صنعت ؟ ،
﴿قال بصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا بِهِ﴾ / طه: ٩٦ / رأيت ما لم يروا، وماذا أبصرت؟،
قال: رأيت جبريل يركب فرساً وكلما وطئت فرسه بجوافرها على موضع اخضر
واعشوشب فأخذت قبضة من أثرها فألقيتها في العجل ﴿وكذلك سولت لي
نفسي﴾ / طه: ٩٦ /.

وكانت العقوبة شديدة على قدر الذنب الذي ارتكبه هذا الكافر الأفاك، لقد
دعا عليه سيدنا موسى، ألا يستطيع أن يمسه أحد، وكلما مسه أحد أصابه الجرب،
فكان كلما اقترب منه أحد يقول له: لامساس (أي لاتمسن) وأما في الآخرة فإن له
موعداً لن يخلفه.

أيها السادة الكرام.

إننا في أوج الحدث الإيماني وفي قمته، أرى الكليم وقد أمسك بالعجل فحرقه
حتى أصبح رماداً، وذرة في البحر، وأمر بني إسرائيل فشربوا منه، فكل من عبده
منهم اصفر لونه، وأنزل مولانا عزوجل:

﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا
وكذلك نجزي المفترين﴾ / الأعراف: ١٥٢ /: فهل قبل الله توبتهم؟ إن مولانا لم
يقبل توبتهم إلا بالقتل، أن يُقْتَلُوا، بل أمر كليمه أن يبلغ هذا النبأ لهم ﴿وإذ قال
موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم
فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ / البقرة: ٥٤ /.

- وفعلاً بوشر بالتقتيل بهم، فقتل منهم في يوم واحد ثلاثة آلاف نسمة، وراح
سيدنا موسى يستشفع للكفرة الذين عبدوا العجل، ويطلب من الله أن يغفر لهم،
فغفر الله لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة.

أيها الإخوة:

لما جاء الأمر الإلهي بالمغفرة أمر سيدنا موسى سبعين من خيار بني إسرائيل أن يتجهزوا ليذهبوا إلى جبل الطور، ليستغفروا جميعاً مولانا عز وجل، ويعتذروا لبني إسرائيل في عبادتهم للعجل، فماذا فعل هؤلاء الخيار؟

إنهم ما إن وصلوا إلى الجبل ووقع على موسى الغمام وتغشى الجبل كله وذلك أمام القوم، وسمعوا موسى وهو يكلم مولانا فوقعوا سجداً مستغفرين إنهم ما إن انتهت هذه العملية ورجع إليهم موسى، حتى قالوا له :

يا موسى هل كنت تخاطب ربك؟ قال : نعم، قالوا : لن نؤمن بذلك حتى نرى الله جهرة!! هؤلاء هم خيار بني إسرائيل يتحدثون الأنبياء والرسل، الخيار رفضوا الإيمان حتى يروا الله تعالى، وما أن أتموا هذا الكلام حتى رجفت الأرض من تحتهم ونزلت صاعقة من السماء فماتوا عن آخرهم ﴿ و إذا قلتهم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ /البقرة: ٥٥.

هذه عقوبة من يتحدى الأنبياء، نظر موسى إلى وفد المستغفرين وهم من حوله موتى، ومرت اللحظات رهيبة صامته ، وانفجرت عاطفة سيدنا موسى قال : يارب ماذا أقول لبني إسرائيل ، أقول إنك قد أهلكت خيارهم، ﴿ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ﴾ قبل خروجنا إليك، وعندها يرون أنك أهلكت خيارهم، إنهم سفهاء ، ﴿ أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك ﴾ اختبارك وابتلاؤك وامتحانك ، من الذي فتنهم؟... الله ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ /الزمر: ٣٦/ قولوا آمنا. إن هي إلا فتنتك. أأنت الذي قدّرت هذا ؟ ﴿ تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ﴾ /الأعراف: ١٥٥ - ١٥٦.

فماذا أجاب رب العزة على هذا المعروض الذي قدمه سيدنا موسى بين يديه
يعتذر لقومه؟ قال مولانا : ﴿عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء
فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ /الأعراف:
١٥٦/.

فمن هؤلاء اسمعوا وافرحوا واسعدوا، إن هؤلاء هم : ﴿الذين يتبعون الرسول
النبي الأمي (سيدنا محمداً) الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ / الأعراف :
١٥٧/ . اللهم اجعلنا منهم .

واستجاب الله لشفاعته كليمه ، ورد الأرواح إلى السبعين فقاموا ينفضون غبار
الموت عنهم ، اسمعوا ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ /البقرة:
٥٦/.

ونظر موسى إلى هذا الإكرام الإلهي الذي أكرم الله به أمة سيدنا محمد، فراح
يطلب من مولانا شرفاً لأمته فقال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً أناجيلهم في
صدورهم يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا
شيئاً ولم يعرفوه، وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم اجعلهم
أمتي ، قال رب العزة : تلك أمة أحمد ﷺ.

قال : رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر
ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتي، قال تلك أمة
أحمد ﷺ .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له
عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، رب اجعلهم أمتي، قال : تلك أمة أحمد ﷺ .

قال رب : إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي
قال : تلك أمة أحمد ﷺ.

صلوا على الحبيب سيدنا محمد ﷺ .

وهنا قال موسى : يا رب فعلمي شيئاً أذكرك به وأدعوك به ، قال : يا موسى
قل لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقول هذا قال : قل لا إله إلا الله ،
قال إنما أريد شيئاً تخصني به، قال : يا موسى .. لو أن أهل السموات السبع
والأرضين السبع وعامرهن غيري اجتمعوا في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم
لا إله إلا الله. هذه هي مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

الله أكبر

(٢٥)

سيدنا موسى ونهاية قارون

الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم من خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين، فمنهم شقي وسعيد، وغوي ورشيد، ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ / فصلت: ٤٦ /.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفؤ ولا عدل ولا ضد ولا نديد.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد، الساعي بالنصح للقريب والبعيد، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد.

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة دائمة وسلاماً لاتزال على كر الجديدين في تجديد، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

حديثي إليكم اليوم ، حول قضايا ثلاث تصب في محور واحد، هو كشف الغطاء عن مخازي أمة اليهود وحقيقتهم ضمن زمان محدد هو عصر سيدنا موسى، فقد كنت مهتد لكم منذ جمعيتين مضتاً بعض ما يتصف به هؤلاء من الجبن والذل والخضوع، وزيادةً في الإيضاح أرى لزماً علي أن أستعرض هذه القضايا الثلاث لأريكم كيف لاقى سيدنا موسى من قومه العجب العجائب.

كان هذا هو الموجز ، معشر السادة ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الخامسة والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لنرفع معاً شعار التوحيد عالياً .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

القضية الأولى التي أعرضها على حضراتكم والتي يجب أن يتنبه إليها أعضاء مداولات السلام هي أن اليهود إذا لم تكن هناك قوة تقهرهم على قبول الحق فلن يرضخوا أبداً، هم سيستمرون في غيهم وبغضهم لنا وبناء المستوطنات في فلسطين حتى تأتيهم ضربة قاهرة قاسية عاتية توقفهم عن غيهم وحتى يعطوا الحق لأصحاب الحق، وما هذه المؤتمرات التي تعقد لتنفض وتنفض لتتعقد إلا تسويق وتضييع للوقت، حتى إذا أتموا بناء ما يريدون رأيناهم يمثلون أنهم قد قبلوا شروطنا ورضخوا لنا، اسألوا التاريخ: الكذب نبع من اليهود، ولن نتصر عليهم إلا إذا توحدت الأمة العربية تحت راية قائد البلد، وتحت راية الإسلام وضربت ضربتها القاهرة، لم آت بهذا الكلام من جعبي بل من كتاب الله الخالد. فرغم العقوبة التي نالها السامري وكل من عبد العجل، رغم أن القتل وقع في رقابهم وقتل منهم من قتل كفارة لهم ، رغم كل ذلك لم يتعظ بنو إسرائيل ، اسمعوا وانتبهوا وصلوا على نبينا الأعظم ﷺ ، وتعالوا بنا لنر ما فعل هؤلاء ، وماذا فعل الله عز وجل بهم ، هيا بنا ننقل إلى سيناء ، إلى نبي الله وكليمه سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، أراه وقد هدأ غضبه منهم وأخذ الألواح التي ألقاها في ساعة غضب، وقال لهم: هذه هي التوراة شريعة ربكم فخذوا بها بقوة وعزم ونفذوا ما فيها بأمر الرب جل جلاله.

ونظر بنو إسرائيل بعضهم إلى بعض، وصاروا يقولون: شريعة، توراة ، تكاليف، أوامر ونواهي ، وراحوا يراجعونه فيها ويقولون: إن كانت سهلة قبلناها وإن كانت صعبة وقاسية لم ننفذها، قال: بل اقبلوها بما فيها، فرفضوا وعصوا، واسمعوا البيان الإلهي لما قال لهم موسى :

﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ أندرون بم أجابوا نبي الله قالوا :

﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِم الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ /البقرة: ٩٣/.

فلما انقلبوا على أعقابكم وقعت معجزة عظيمة لسيدنا موسى، إذا بالرب جل جلاله يأمر ملائكته فتحمل قمة جبل الطور وترفعها فوق بني إسرائيل كأنها قطعة عظيمة من السحاب، وقال لهم موسى: إن لم تقبلوا ما في التوراة دعوت الله أن يسقط عليكم هذا الجبل فوق رؤوسكم. (الله أكبر).

وانبطح بنو إسرائيل على بطونهم، خروا سجداً وجعلوا ينظرون وهم ساجدون بطرف أعينهم، وهم ينادون: سمعنا، سمعنا، سمعنا وأطعنا.

هكذا هم بنو إسرائيل لا يقبلون الحق إلا قهراً، لسمع هذا الكلام من يجلسون معهم على طاولات مداولات السلام مع اليهود وأمريكا، وأمريكا حكامها يهود، وزرأوها يهود وأصحاب الاقتصاد فيها يهود، ليسمعوا إلى الرب جل جلاله في كتابه، يقول على موجات سورة البقرة:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ /البقرة: ٦٣/.

وعلى الموجات العاملة من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلٌّ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ /الأعراف: ١٧١/.

أضيفوا هذه الصفة إلى الصفات الخسيسة التي يتصف بها هؤلاء، واذكروا معي هم جناء، أذلاء، لا يرضخون إلا بالقهر، ويحبون الدنيا، آه الدنيا، بل يقتلون لأجلها أعزَّ أقربائهم (حتى ولو كان أبوهم يقتلونه لأجل الدنيا)، فقد كان رجل في بني إسرائيل كثير المال (ابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد صحيح الفتح حديث ٣٤٠٦)، وكان شيخاً كبيراً وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه، فدفع أحدهم حب الدنيا لأن يقتل عمه في الليل ليرثه، وطرحه في سبط آخر، (حي

آخر)، فلما أصبحوا وفقدوه أصدر موسى بطاقة بحث عنه، فوجدوه مقتولاً، وجاء ابن أخيه القاتل فجعل يصرخ ويمثل حبه لعمه، وحين لم يجدوا القاتل عادوا إلى سيدنا موسى ليسأل مولانا من القاتل، فأمره مولانا أن يذبحوا بقرة، فقالوا: نسألك عن أمر هذا القتل وأنت تقول لنا هذا. قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلي).

قال ابن عباس وغيره: فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها، ولكن شددوا فشدد عليهم، فراحوا يسألونه عن صفتها ولونها وسنّها، فأمرهم مولانا أن يذبحوا بقرة عوان: (وهي وسط بين الكبيرة والصغيرة). وأن تكون صفراء فاقع لونها مُشَرَّبٌ بحمرة تسر الناظرين، وهذا اللون عزيز وجوده، وسمعوا هذه الأنباء على موجات سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا، قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالُوا ادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ. قَالُوا ادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، قَالُوا ادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ (الماء) مُسَلَّمَةٌ (من كل عيب) لَا شَيْءَ فِيهَا (ليس فيها لون يخالف لونها الأصفر)﴾
/البقرة: ٦٧ - ٧١/.

وهكذا حُصرت الأوصاف وضُبطت، أتعرفون لماذا؟ لأن هذه البقرة بالذات كانت عند رجل كان باراً بأبيه وأمه، فطلبوها منه فأبى عليهم حتى أعطوه بوزنها ذهباً فباعها لهم ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوه بَعْضُهَا﴾ فضربوه بجزء منها قيل هو لسانها، فلما ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى فقام من رقدته وقال قتلي ابن أخي فلان ثم عاد ميتاً كما كان، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

لعلكم تعقلون ﴿البقرة: ٧٣﴾، كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياءهم في ساعة واحدة كما قال ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ / لقمان: ٢٨.

هكذا - أيها السادة - يصنع اليهود، يقتلون أقرباءهم، ولذلك هم أدنى درجة من الوحوش المفترسين الذين يحمون أولادهم من بقية الوحوش، إن هؤلاء الوحوش يقتلون اليوم إخوة لنا في فلسطين يذبجونهم ببنادقهم الفاجرة، إن تاريخ اليهود يمتلئ بالمخزيات وسوف يأتي نبأها بعد حين، فمع ما وصل إليهم من نعم وأموال وأصبحوا من الأثرياء، وبدل أن يشكروا مولانا عز وجل ويحمدوه عليها ادَّعوا أن هذه الأموال التي أكرمهم الله بها جمعوها بعضلاتهم وكسبهم وتعبهم وراحوا ينكرون فضل مولانا عليهم، وهذه مصيبة الأغنياء الذين يتكبرون على نعم الله تعالى، وقد حدثنا القرآن عن ثلاثة أحدهم قال: (أنا)، والثاني قال: (لي)، والثالث قال: (عندي)، فانظروا كيف كان عاقبة أمرهم خسرا.

الأول: ابليس أمره رب العزة أن يسجد لآدم فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. رغم أن رب العزة هو الذي أمره لكنه أصرَّ على معصيته وقال أنا خير منه، (أنا) هذه جعلته يُطرد من رحمة الله قال له مولانا فوراً ﴿فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾.

الثاني: الذي خسر الدنيا والآخرة هو فرعون قال: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ / الزخرف: ٥١. (لي) وسيدنا موسى خيرٌ أن يؤمن ويقيمه على ملك مصر وله الجنة في الآخرة، وحين استشار وزير السوء هامان قال له: أبعد أن تكون إلهاً معبوداً تصبح عبداً عابداً؟! هذا مثلاً عن بطانة السوء، تُهْلِكُ الملوك والحكام، أما أمة سيدنا محمد ﷺ فكان لخلفائها وزيراً خاصاً، سيدنا عمر بن عبد العزيز كان له وزير خاص اسمه عمر بن مهاجر، كانت له وظيفة هامة جداً، قال له سيدنا عمر بن عبد العزيز: عينتك وزيراً لشيء واحد،

ما هو؟ قال له: إذا رأيتني نسيت حكم الله فخذ بتلايب ثوبي وهزني وقل لي اتق الله ياعمر فإنك ستموت.

هل سمعتم بمثل هذا الوزير، وزير الإرشاد؟!

إن فرعون رفض أن يعترف بعبوديته وأعلنها ألوهية على الأرض وتركه رب العزة مدةً من السنين، فلما بدأ يذبح الناس في مصر لم يمهله رب العزة، لأن الخلق عباده، الخلق عيال الله: يعولهم ويرعاهم، الله لا يرضى للحكام أن يظلموا الناس وينتقم من الظالم مباشرة، فكأن رب العزة يقول: ادعيت الألوهية فتركناك، أما أن تقتل عبادي وأنا الذي خلقتهم فلا، فأخذه إلى البحر الأحمر هو وجنوده وغرق الأرض من فوقه، وحين عاين فرعون الغرق استغاث بموسى: أغثني ياموسى، وموسى لا يسمع له، فأوحى الله إلى موسى فقال: «ياموسى استغاث بك مرات فلم تغثه، وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لوجدني سميعاً بصيراً». . انما هو كان غيباً، عمره لم يقل: يارب.

معشر السادة: نحن ما زلنا في صفات اليهود وحبهم للدينا فنحن مع الثالث.

الثالث: لم يقل أنا، ولم يقل لي، بل قال عندي: إنه قارون موسى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه: كان ابن عم موسى، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري، وكان سبب إهلاكه كثرة ماله وتكبره على أهل عصره حتى قيل: إنه زاد في ثيابه شبراً طويلاً ترفعاً على قومه. ومولانا لا يرضى لأحد من العباد أن يتكبر على أحد من خلقه، أليس هو القائل: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي». عن أبي هريرة رضي الله عنه عند م (٢٦٢٠).

ولذلك - أيها السادة - لا يغتر الإنسان بماله ولا بحسبه ولا بنسبه ولا بعبادته وأذكر أنني قرأت أن رجلاً جاء إلى سيدنا موسى يسأله فقال له موسى: من أنت؟ قال الرجل: أما عرفتني أنا فلان بن فلان فذكر له تسعة آباء فأوحى إليه رب العزة:

ياموسى قل لهذا الرجل إنه قد ذكر تسعة آباء كلهم في النار وهو عاشرهم. أخرجه أحمد في المسند (١٣٨ / ٥) والبيهقي في شعب الإيمان جزء من حديث واسناده صحيح رجاله ثقات.

قارون قال (عندي)، فكيف حدث ذلك؟ اسمحوا لي أن أعرض على حضراتكم موجز الأنباء في قصة قارون:

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين قال: إنما أوتيته على علم عندي﴾ /القصص: ٧٨/.

إن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أني أستحقه، ولولا أني حبيب عليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني. فرد عليه مولانا رداً قوياً قال له ولأمثاله: ﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ /القصص: ٧٨/، قد أهلكنا من الأمم الماضية بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فلو كان ما قال صحيحاً لم نعاقب أحداً ممن هو كان أكثر مالاً، ولم يكن ماله دليلاً على محبتنا له وامتناننا به، كما قال عز وجل: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ فانظروا - معشر السادة - كيف كان عاقبة أمره خسراً، لماذا؟ لأن قارون تهادى في غيه وطغيانه لم يكتف بتكبره وترفعه على عباد الله بماله وغناه، بل إنه أغرى امرأة زانية بالمال، على ماذا؟ على أن تقول أن موسى فعل بها كذا وكذا.

وحين حان موعد تنفيذ المؤامرة الدنيئة خرج قارون على قومه في زينته قال تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا (مساحين

الجوخ والمنافقين الذي يحبون المظاهر رغم أن الظهور يقصم الظهور، ماذا قالوا؟
قالوا: ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم» /القصص: ٧٦/.
وأما أهل الحكمة والعلم فقالوا ﴿ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً
ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ /القصص: ٨٠/ هل سمعتم أجمل من هذا الكلام؟!
لذلك كانوا يقولون: طوبى لمن عاشر أهل العلم والحكمة، وجالس أهل الذل
والمسكنة.

معشر السادة الكرام:

إننا هناك في سيناء، أنقل لكم هذا البث الحي على موجات القضايا الإيمانية،
وأرى سيدنا موسى أمام ملاً كثير من قومه يسيرون، وإذا بالمرأة الزانية تدخل بين
الناس وتعلن أمام الملاً أن موسى قد زنى بها. ونظر إليها موسى وصعد الدم إلى
رأسه وغلا في عروقه، والناس ينظرون إليه ماذا سيفعل، سكت سيدنا موسى وقام
يصلي أمام الناس، ثم انتهى من صلاته ودعائه وأقبل على المرأة البغي وإذا برب العزة
يحول قلبها ولسانها فتعترف بأن قارون هو الذي أغراها على ذلك ودفع لها المال.
وأسودَّ وجه قارون، ولكنه أخذته العزة بالإثم، أراد أن يستمر في لعبته القذرة فقال
لسيدنا موسى بكل وقاحة: لئن كنت فُضِّلْتُ علي بالنبوة فقد فُضِّلْتُ عليك بالمال،
ولئن شئت فلتدعوني علي.

وهنا لما شاهد موسى تعنت قارون وتجرؤه ووقاحته على مقام الرسالة والنبوة، خر
ساجداً لله وراح يمرغ رأسه ولحيته في الأرض ويقول: يارب انتصر لي، يارب انتصر
لي، فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه.

ولم يتأخر سيدنا موسى وراح ينادي لما جاءه الأمر: يا أرض خذيه، ويصرخ
ويقول: يا أرض خذيه. ﴿فخسفنا به وبداره الأرض، فما كان له فئة ينصرونه من
دون الله وما كان من المنتصرين﴾ /القصص: ٨١/ قال ابن عباس: إن الله خسف
بهم إلى الأرض السابعة.

ونظر الذين تمنوا مكانه بالأمس إلى هذا المشهد الرهيب فراحوا يحمدون الله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾. واسمعوا إلى هذا القرار الإلهي قرار أبدي سرمدي:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ / القصص: ٨٣.

هذا هو الحق والصدق، فقولوا آمنا بالله تعالى.

أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

سيدنا الخضر صاحب سيدنا موسى

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا سيدنا محمداً ﷺ في الدنيا وفي الأخرى، وأسرى به ليلاً فأعظم به فخراً، وقدمه سيدنا جبريل فصلى بالأنبياء والمرسلين لنعلم أنه الإمام الأعظم وأنه بذاك المقام أخرى، ثم ترقى إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى فظهر بمستوى سمع فيه صرير الأقلام ورأى من آيات ربه الكبرى، وتجلى له ربه جل جلاله وخاطبه وثبت فؤاده وأعطاه سؤله وأعظم له بذلك أجراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالى علينا عقائدها ترى. وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وكنزاً لهم وذخراً، دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

فقبل أن أبدأ معكم حلقة العقيدة اليوم أريد أن أرفع التحية بأسمى آيات التبريك وأعظم الصلوات وأزكاها للقائد الأعلى سيدنا محمد ﷺ بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج التي يحتفل بها كل مسلم في العالم الإسلامي، وبهذه المناسبة أرفع باسمكم وباسم أهالي دمشق واسم سورية وباسم العالم الإسلامي قاطبة التحية للحبيب الأعظم.. فقولوا: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا

حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا خاتم رسل الله، عليك وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين وسائر الأنبياء والمرسلين .

وأستميح حبيبي وقرة عيني سيدنا رسول الله أن أتحدث عن إخوته من الأنبياء أعني بهم سيدنا موسى .. وفتاه سيدنا يوشع بن نون ورفيق دربه وصديقه سيدنا الخضر . قولوا عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

أيها السادة الكرام:

أقف اليوم معكم بإجلال وإكبار أمام بحرين عظيمين من البحار العلمية النبوية، إنه نبي بحر الشريعة سيدنا موسى ونبي بحر الحقيقة سيدنا الخضر عليهما الصلاة والسلام، لنشهد معاً نبوة هذين العلمين من أعلام الأمة الإسلامية النبوية، فقد ضرب الله بهما لنا مثلاً لكل من يريد أن يتأدب ويتعلم، ولا يكتفي بما وصل إليه من علوم ومعارف، بل يستزيد علماً ولو كان العالم أدنى حالاً من المتعلم، إننا اليوم نرفع شعار قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ وقول أحد الحكماء (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد).

كان هذا . **معشر السادة .** الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة السادسة والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُكُمْ أولاً لترفعوا شعار التوحيد عالياً.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأستميح سيدنا موسى قليلاً لأتحدث عن صديق دربه وعظيم عصره وأستاذ علم الحقيقة سيدنا الخضر، الذي نشأ نقياً عابداً تقياً، وترك أهله وتعبد مولانا في جزيرة في البحر ثم بعثه الله نبياً وعَلَّمَهُ من لدنه علماً، يروي الإمام البخاري عن أبي هريرة عنه عليه السلام قال : إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة (حشيش) بيضاء «يابس» فإذا هي تتهتز من تحت خضراء بإذن الله تعالى، وقد اختلف العلماء هل هو حي أم لا، قال جماهير العلماء والصالحين: إنه حي، لأنه شرب من عين الحياة، وذهب

آخرون إلى أنه ميت والله أعلم به، وعلى كلا القولين أرجو من الله أن يجمعنا به تحت لواء سيدنا محمد ﷺ .

أيها الأخوة: هذا النبي الكريم كان لا يرد أحداً سألته، وكان كريماً إلى درجة تبلغ فوق التصور، وإليكم هذا الحدث الإيماني الذي ذكرته كتب السير عنه (طب بإسناد ضعيف) ، تقول: كان يوماً في سوق بني إسرائيل فأبصره رجل مكاتب فقير، فقال: تصدق علي بارك الله فيك، فقال الخضر: آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيكه.

فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت علي، فإني نظرت إلى السماحة في وجهك ورجوت البركة عندك.

فقال الخضر: آمنت بالله ما عندي شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبيعي فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، الحق أقول لك: لقد سألتني بأمر عظيم أما إني لا أخيبك مادمت سألتني بوجه ربي عز وجل، بعني وخذ ثمن.

قال: فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمئة درهم، فمكث عند المشتري لا يستعمله في شيء. فقال له: إنك إنما ابتعتني التماس خير، فأوصني بعمل. قال: أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف. قال ليس تشق علي قال: فانقل هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم. فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم رجع فوجد الخضر وقد نقل الحجارة في ساعة. فقال: أحسنت وأجملت وألطفتم ما لم أرك تطيقه.

ثم عرض للرجل سفر فقال: إني أحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة. قال: فأوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشق عليك. قال ليس تشق علي، قال: فاضرب من اللبن حول بيتي حتى أقدم عليك. فمضى الرجل لسفره ثم رجع وقد شيد الخضر سوراً وحائطاً حول البيت.

وراح الرجل يدور حول داره فلم يعرف بيته لوجود السور الذي بني بسرعة، فاستقبله سيدنا الخضر وعلى وجهه آثار الدهشة والاستغراب فقال لسيدنا الخضر: أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك؟ قال: سألتني بوجه الله والسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية سأخبرك من أنا، أنا الخضر الذي سمعت به، سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيه، فسألني بوجه الله فأمكنته من رقبتي فباعني، وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائلاً وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده لا لحم له ولا عظم يتققع.

فقال الرجل: آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم. فقال: لا بأس عليك فقال له الرجل: أبأي وأمي يا نبي الله أحكم في أهلي ومالي بما أراك الله. أو أخيرك فأخلي سبيلك، فقال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي، فخلي سبيله.

معشر السادة:

هذا هو الخضر عليه الصلاة والسلام الذي كتب الله له أن يلتقي بسيد أهل زمانه كليم الله موسى. فكيف تم ذلك؟

ولكي أجيب عن هذا السؤال اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى عصر سيدنا موسى لألتقي مع حضراتكم بهذين البحرين، بهاتين القمتين الشاخصتين لأتناول معكم القضية الإيمانية الأولى، التي تقول إن العلم قسمان: الأول: علم الشريعة.

والثاني: وعلم الحقيقة الذي يعرفه الناس باسم العلم اللدني، أو العلم الذي يهبه الله تعالى لخلص عباده ولا تعارض بين هذين العلمين إلا بحسب الظاهر، العلم الشرعي يجب أن يعلمه الناس جميعاً، أما العلم اللدني فهو خاص بأولياء الله وكبار الصالحين من عباده، يقول سيدنا أبو هريرة: (خ) «علمني حبيبي رسول الله جرابين من علم، أحدهما لو أخبرتكم به لقطعتم عنقي هذا».

فالعالم اللدني هو العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، ولأبدأ معكم القضية الإيمانية التالية من خلال هذا الموقف الذي وقع لسيدنا موسى، فقد قام خطيباً في بني إسرائيل فذكّرهم الله تعالى ووعظهم حتى إذا فاضت العيون وركت القلوب ولّى عنهم فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فتأمل سيدنا موسى هنيهة ثم قال: لا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى إليه فقال: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: يارب فكيف لي به، فقال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل (سلة) فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ (ق).

فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، وسارا نحو المشرق نحو بحر العرب وبحر الروم، وصار يأكلان من هذه السمكة الكبيرة أثناء الطريق، حتى أصابهما التعب، فتوقفا عند صخرة نام سيدنا موسى عندها، فإذا بالحوت يضطرب ويرد الله إليه الحياة ويخرج من المكمل ويسقط في البحر، وأمسك الله عن الحوت جري الماء فصار كالطريق في البحر، واسمحو لي أن استعرض على حضراتكم هذه الأنباء الإلهية على الموجات العاملة من سورة الكهف:

﴿وإذ قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُتْبا﴾ (ثمانينات من السنين لأن الحقب ثمانون سنة). فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفته آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال أرايت إذ أوبنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال ذلك ما كنا نبغ فارتدّا على آثارهما قصصاً فوجدوا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً / الكهف: ٦٥.

وإذا هو مسجى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام يانبيّ بني إسرائيل فقال موسى: ومن عرفك؟ قال الذي أرسلك إلي، قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً. هذا هو الأدب العالي الرفيع سيدنا موسى الرسول من

أولي العزم يقول: ﴿هل أتبعك﴾ هل تأذن لي أن أجعل نفسي تابعاً لك وهذا مبالغة عظيمة في التواضع واسمعوا بقية الآداب:

﴿على أن تعلمني﴾ وهذا إقرار منه على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم بل قال له ﴿مما علمت﴾ علمني بعض ما علمك الله، وهذا تواضع، كأنه يقول: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً لك في العلم، بل أطلب أن تعطيني جزءاً من أجزاء ما علمت.

وبهذا أتى كلّم الله في طلب العلم بأعظم أبواب المبالغة في التواضع وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بكل الغايات، فقال سيدنا الخضر: كفى بالتوراة علماً وبينني اسرائيل شغلاً فقال موسى: الله أمرني بهذا قال الخضر: ﴿انك لن تستطيع معي صبرا﴾ ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه ربي لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه.

فقال موسى ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ / الكهف: ٦٩.

فقال له الخضر: ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ / الكهف: ٧٠ . فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم من العالم.

معشر السادة:

وهكذا انطلق الركب الثلاثي: سيدنا موسى وسيدنا الخضر وسيدنا يوشع بن نون يقوم على خدمتهما، وكان أول امتحان صادف سيدنا موسى السفينة التي ركبوها ليعبروا بها البحر، فقد عرف أصحاب السفينة سيدنا الخضر فحملوهم بغير أجر، فلما ركبوا في السفينة لم يفاجأ موسى إلا والخضر يمسك لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ويخلعه، فصرخ موسى عليه: قوم حملونا بغير نولٍ عمدت إلى سفينتهم فخرقتها، ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً﴾ «عظيماً منكراً». قال: ألم

أقل إنك لن تستطيع معي صبرا، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ﴿/الكهف: ٧٣. ولا تكلفني مشقة ولا تعبّر علي متابعتك. وإذا بعصفور يقع على حرف السفينة فينقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ياموسى ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر. (الله أكبر).

هذا هو الدرس الذي أراد مولانا أن يأخذه سيدنا موسى، وإن كان ذلك مما يعلمه سيدنا موسى حق العلم، ولذلك راحت الأدلة والمواقف تترى عليه ولنكون نحن على يقين من ذلك، لأن سيدنا موسى وصاحبيه خرجوا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله، وهنا صرخ نبي ورسول الشريعة (وهذا الواجب على كل إنسان أن يفعله) صرخ ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً﴾ /الكهف: ٧٤.

ما هو ذنب هذا الغلام الذي لم يبلغ الحلم بعد، ماذا فعل حتى أقمت عليه حد القتل؟ ونظر نبي الحقيقة إلى نبي الشريعة ودّكره العهد قائلاً: ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ /الكهف: ٧٥ فقال له موسى: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ /الكهف: ٧٦.

وانطلق الراكب النبوي حتى دخلوا قرية وطلبوا من أهلها طعاماً فأبوا أن يعطوهم طعاماً (بخلاء) بثمن أو بغير ثمن، حتى أطعمتهم امرأة، وإذ هما أثناء سيرهما يجدون جداراً مائلاً قابلاً للسقوط، فمد الخضر يده وأقامه، فقال موسى: قوم آتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ ليكون لنا قوتاً بُلْغَةً على سفرنا.

وهنا نظر سيدنا الخضر إليه وقال ﴿هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ /الكهف: ٧٨.

أتدرون ماذا قال الحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ قال: يرحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يُقَصَّ علينا من أخبارهما (ق).

فقال نبي الحقيقة: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم (أي أمامهم) ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ /الكهف: ٧٩، فإذا مرت أمام أعوانه ورأوها فيها عيب تركوها وبهذا ارتكب سيدنا الخضر أخف الضررين وهو تعييبهما خوفاً أن يستولى عليها كلها فيخسرهما أصحابها. وهذا منتهى عين الحكمة.

﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما (يكلفهما) طغياناً وكفراً﴾، خشي الخضر أن يحملهما حبُّ الغلام على أن يتبعاه على دينه، وقيل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغفل عنه أبواه فيدخلان النار . ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة (أي يرزقهما مكانه غلاماً صالحاً تقياً) وأقرب رحماً﴾ عطفاً ورحمة بأبويه قيل: فأبدلهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت له نبياً فهدى الله على يديه أمة من الأمم. فلو بقي هذا الغلام كان فيه هلاكهما، فرضى المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره وخير له من رضاه فيما يحبه.

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾ /الكهف: ٨٢ / ذهباً وفضة كما أخرجه الترمذي. ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ /البقرة: ٨٢ / كان جداهما تقياً وهو الجد السابع.

يقول محمد بن المنكدر: إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم. وعن سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي في صلاتي لعلني أن أحفظ فيهم.

وروي عن يحيى بن إسماعيل بن مسلمة أنه كان له أخت أكبر منه فاختلط عقلها فتوحشت وسكنت غرفة في أقصى سفح الدار بضع عشرة سنة، وكانت مع ذهاب

عقلها تحرص على الطهارة والصلاة، يقول يحيى بن اسماعيل بن مسلمة: فطرت بابي ليلاً فقامت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة، فسألها عن حالها وكيف شفيت؟ فقالت:

«نمت الليلة فأتاني آتٍ في المنام فقال إن الله حفظ أباك إسماعيل بن مسلمة بمسلمة جدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت فلك الجنة، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله لحب أبيك وجدك لسيدنا أبي بكر وعمر فقالت إن الله لواسع الفضل لخلقته، لا يتعاضم شيء في حكمه لو شاء لجمعهما لي، قال فقليل لها: قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما لأبي بكر وعمر، فانزلي فإن الله أذهب ما كان بك».

وهكذا - معشر السادة - تعلمنا اليوم آداباً وفضائل كثيرة، لأن الخضر علم موسى فقال ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾ /الكهف: ٨٢/ وحينما ذكر السفينة قال: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ /الكهف: ٧٩/ أضاف العيب لنفسه أدباً مع الله، وهناك أضافه الله تعالى، لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله عز وجل، وهذا يدل على أن الله عباداً يتصرفون في خلق الله بأمره، ولهذا اسمعوا ماذا قال الخضر قال: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ بل فعلته عن أمر الله وإلهامه ووحيه، وهذه العبارة تدل على أن الخضر كان نبياً، ولا يعلم نبياً إلا نبي، واسمعوا إلى هذا الحوار الختامي بين هذين البحرين، قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى: «أتلومني يا موسى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقيتك أمك وأنت صغير في اليم فحفظك الله تعالى، وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر، وتلومني على ترك أخذ الأجرة في إقامة الدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسباً لله تعالى».

وهكذا **معشر السادة** تناولت معكم اليوم عدة قضايا إيمانية من خلال الآداب التي تعلمناها من مواقف هذين النبيين، فما هي القضايا الأخرى في قصة هذا النبي الرسول؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

(٢٧)

سيدنا موسى ونهاية بلعام بن باعوراء

الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، المكرم من خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين، فمنهم شقي وسعيد، وغوي ورشيد، ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفؤ ولا عدل ولا ضد ولا نديد. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل «مررت ليلة أُسري بي بموسى في السماء السادسة، فقال جبريل: هذا موسى فسلم عليه. قال فسلمت عليه فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي» (م: ١٦٥).

وفي رواية الإمام أحمد: «رفع لي سواد عظيم فقلت: ما هذا الشيء فقيل هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم ثم قيل: انظر إلى هذا الجانب، فإذا سواد عظيم فقيل: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» (خ).

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة: درسنا اليوم هام للغاية، إنه درس لجميع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بالدنيا، فإن من الأمة فئة إنما تتعلم وتدرس

تبلغ المراكز والمناصب في الدنيا، أو لتطعن الإسلام من خلف شأن المستشرقين الغربيين. إن علماء السوء يلقون الناس بوجه الدين، وحين يخلون إلى شياطينهم ترى وجوههم الحقيقية، يطعنون الإسلام من الخلف يخادعون **اللَّهُ** ورسوله وما يخدعون إلا أنفسهم، هذه النوعية الرديئة من الناس موجودة منذ القديم، بدأ اليهود سلسلتها، اليهود من بني إسرائيل.

كان هذا -أيها السادة- هو الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة السابعة والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، وخير ما تستهل به هذه الحلقة تلاوة عطرة مباركة من سورة الاعراف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ /الاعراف: ١٧٦/.

هذا هو المثل الذي ضربه مولانا لرجل من أتباع سيدنا موسى يدعى بلعام بن باعوراء، ضربه مثلاً للعالم الذي يتبع هواه ويترك آخرته. وبلعام هذا كان من خواص سيدنا موسى ففتنه بنو إسرائيل ، فكيف حدث ذلك؟

أيها الإخوة:

رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة - كما قدمنا - خوفاً منهم أن يُقتلوا، وراحوا يكيّدون لسيدنا موسى، فقدموا إلى بلعام بن باعوراء وكان يعرف اسم **اللَّهُ** الأعظم، فقالوا: إنا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا حيلة مع موسى فادع **اللَّهُ** لنا أن يرّدّ عنا موسى ومن معه.

فقال لهم بلعام: ويلكم هذا نبي **اللَّهُ** ومعه الملائكة والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من **اللَّهُ** ما أعلم، وإني إن فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخري.

فلما رفض ذلك جاؤوه من قبل امرأته التي قدموا لها الهدايا والذهب والفضة، فراحت تراوده وتزين له حتى قبل، فركب حمارته، حمارته التي أبت أن تسير به فراح يضربها، فإذا بها تنطق بإذن الله تعالى وتقول له:

- ويحك يا بلعام أين تذهب، ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي، أتذهب إل النبي الله والمؤمنين تدعو عليهم.

فلما سمع ذلك بلعام خر على الأرض ساجداً باكياً متضرعاً، حتى غابت عنه الملائكة، وحضر شياطين الانس يوسوسون له أن ينطلق إلى جبل حُسبان فيصعد عليه ليدعو على موسى وجيشه، فركب أتاناه الملعون حتى أشرف على جبل حُسبان فقلب الله لسانه فجعل يدعو على قومه بدل أن يدعو على موسى وجيشه، وسلب الله منه اسمه الأعظم عقوبة له، فقال له قومه: ماذا تصنع أنت تدعو علينا فقال: لا أملك من هذا الأمر شيئاً قد غلبني الله عليه.

وهنا علم بلعام أنه قد طرد من رحمة الله كما طرد ابليس من قبل فقال لقومه: قد ذهب مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة، فسأحتال لكم، فجمّلوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن الى المعسكر يبعن ويشترين معهم، وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، ثم قال لهم: فإنه لو زنى رجل منهم كفيتموهم.

أيها الإخوة

هذه هي الورقة الأخير الراجعة التي قامر بها بلعام بن باعوراء، وكان كما توقع، فإن الشهوة غلبت على أمة اليهود فقد رأوا النساء بأبهى زينة لهن يتغلغلن ضمن أفراد العسكر والجند، وإذا بأحد قواد العسكر يأخذ بيد إحدى الزانيات، وقد أعجبه حسنهما، فوقف على موسى وراح ينادي بوقاحة وقحة ويقول: أظنك ستقول إن هذه حرام علينا.

فقال: أجل هي حرام عليكم. قال: لأطيعك في هذا، ثم خلى بها الملعون فواقعها.

فكيف كان انتقام ربك عز وجل؟

إذا بالأوامر تصدر الى جرثومة الطاعون لتأتي على الجيش من بني إسرائيل فجاست خلال الديار فحصدت منهم سبعين ألفاً في ساعة واحدة. فقام عظيم من عظماء بني إسرائيل وقد فطن أن السبب هو مخالفة أوامر كريم الله موسى والمعصية التي ارتكبتها قومه، فإذا به يأخذ حربته بذراعه ويأتي على هذا الجاهر بالمعصية فيدخل عليهما الخيمة أو الخبية فيغرس فيهما حربته وهما يتضاجعان، ثم يخرج بهما ويقف على سيدنا موسى ومن معه ويقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك وما أن أتم كلامه حتى رفع الله الطاعون عنهم مباشرة.

وانزل مولانا في بلعام بن باعوراء هذه الآية التي صدّرت بها حديثي إليكم، وضرب به مثلاً الكلب ﴿فمثلُه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ /الأعراف: ١٧٦/ واللهث حالة طبيعية في الكلب إن حمّله أو تركته، فكذلك الحريص على الدنيا إن وعظته أو لم توعظه فهو حريص على الدنيا، والحريص على الدنيا كلب، والكلب مثله مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله إذ جاءهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا، وإن تركوهم لم يهتدوا، قال تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿فاقصص القصص (على قومك) لعلهم يتفكرون﴾ /الأعراف: ١٧٦/.

وهكذا معشر السادة الكرام: خاب أمل بلعام في رد جيش موسى عن دخول الأرض المقدسة.

وسار الجيش بعدده وعدته وبلغ بهم الجهد مبلغه فطلبوا الوقوف عند بقعة فيها ماء ليغتسلوا، وامتنع سيدنا موسى أن يغتسل معهم وكانت هذه عادته لا يكشف جسمه أمام بني إسرائيل، ﴿فقالوا: لا بد أن به عيباً يجلبده﴾ (إما آفة أو برص). فأراد الله تعالى أن يبرّته مما قالوا، فقام يوماً وحده على شط بقعة من

البحيرة فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإذا بالحجر يأتيه الأمر أن يحمل ثياب الكليم وينطلق بها، وراح الحجر يعدو بالثياب، وأخذ موسى عصاه وراح ينادي الحجر : ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر. حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوا جسده احسن ما خلق الله وبرأه الله مما يقولون . ووقف الحجر بعد أن ثبتت براءة الكليم فإذا بالكليم، يأخذ ثيابه ويلبسها، وطلق ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لنبدأ من أثر ضربه ثلاثاً أو أكثر)، (خ ٢٧٨ - ٣٤٠٤ - ٤٧٩٩)، واسمع معي إلى قول مولانا جل وعلا:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾ /الأحزاب: ٦٩/.

ومات من مات منهم أثناء اتجاههم إلى الأرض المقدسة، ومنهم رجل عاص ما عبد الله تعالى في عمره قط، واشتهر بين بني إسرائيل أمره حتى أبغضه كل واحد منهم، فلما مات ألقى بنو إسرائيل جثته إلى المزابل. فأوحى الله إلى سيدنا موسى يا موسى: خذ هذا العبد وغسله وكفنه وادفنه، فإن بني إسرائيل ألقوه على المزابل. وسأل سيدنا موسى قومه عن هذا الرجل حتى دلوه عليه، فأخذه وغسله وكفنه ودفنه معزراً مكرماً، فتعجب بنو إسرائيل من فعل الكليم وراحوا يذكرون له ماضيه السيء، وأنه لم يسجد لله سجدة، قط ولم يترك معصية إلا فعلها فقال لهم: أمرني ربي عز وجل أن أفعل به ذلك. فقالوا: سل لنا ربك عن سبب تكريم هذا العاصي؟ فتوجه سيدنا موسى لرب العزة يدعوه ويسأله تفسيراً عن ذلك. أتعرفون ماذا أوحى الله إليه؟ قال: يا موسى وقع في يده يوم من الأيام ألواح من التوراة فرأى فيها اسم حبيبي محمد فقبله محبةً به، ولأجل ذلك غفرت له ذنوبه وأدخلته الجنة. (صلوا على الحبيب).

معشر السادة الكرام

ما إن وصل سيدنا موسى الى أطراف بلاد الشام حتى اختار من قومه وفداً مؤلفاً من اثني عشر نقيباً، وأرسلهم طليعة الى مدينة أريحا ليستطلعوا له خبر قومها، ولكنهم لما رأوا قوة الجبارين نكلوا عن حربهم ومقاتلتهم فأوحى الله إليه: - إلى متى يعصيني هذا الشعب، وإلى متى لا يصدّقون بهذه الآيات، لأهلكنهم جميعاً ولأجلبن لك شعباً أقوى وأكثر منهم، فقال موسى: إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لقاتل الأمم الذين سمعوا ذلك إنما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة، وأنت الرب الصبور غفار الذنوب فاغفر لهم ولا توبقهم، فقال الله لكليمه: - أي قد غفرت لهم بكلمتك، ولكن بعدما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم وحلفت بعزّي لأحرّم عليهم دخول الأرض المقدسة وليأتينهم حتفهم في هذه القفار، وأما بنوهم الذين لم يعصوني ولم يعملوا الخير ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة.

وقد قام بفتح هذه المدينة سيدنا يوشع بن نون على مقدمة الجيش. وكان فتحها معجزة وكرامة عظيمة إذ أن أسوار المدينة سقطت بصيحة واحدة. الله أكبر. فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم، فكانت الجماعة من بني إسرائيل يجتمعون على الرجل الواحد فيضربونه ضربة واحدة، وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت، فخشي يوشع أن يدخل السبت عليهم فدعا مولانا فقال: اللهم اردد الشمس عليّ وقال للشمس أنا في طاعة الله كما إنك في طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل غروبها، فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين. ثم أمر جنوده أن يدخلوا أريحا متواضعين مستغفرين خافضين رؤوسهم، وفي هذا يقول عز وجل:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وادْخُلُوا الْبَابَ
سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ (أي حط عنا خطايانا) نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
المحسنين ﴾ /البقرة: ٨٥/.

أيها السادة:

إننا مع المخطات الأخيرة من حياة هذا النبي، فقد بلغ منه العمر مئة وعشرين
سنة وملّ كذب وخداع قومه، فأرسل مولانا إليه ملك الموت على هيئة إنسان فقال
له: أجب ربك. فقال: إلى ماذا؟ فقال له: لتموت. فرفع سيدنا موسى يده فلطم
عين ملك الموت البشرية ففقأها، وظنه رجل يكذب وأنه ليس ملكاً. فرجع الملك
إلى مولانا وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عليه عينه وقال: ارجع إليه
فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعره سنة. قال،
موسى: أي رب ثم ماذا؟ قال ثم الموت. قال فالآن، ولكن يارب قربني من الأرض
المقدسة رميةً بحجر، يقول سيدنا رسول الله ﷺ لصحابته الكرام: فلو كنت هناك
لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . (ق).

أيها الإخوة: وهكذا انطوت صفحة أخرى مشرقة من تاريخ نبي من الأنبياء،
فمن هو النبي الثامن عشر المذكور في الترتيب القرآني ما هي القضايا الإيمانية
المستنبطة من حياته، أعلق هذه الاسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله
تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس
فيها عليه أن يوحد الله.

(٢٨)

سيدنا إلياس واليسع وداود عليهم الصلاة والسلام

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد ورسله أرسله رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين وحرزاً للأُميين وإماماً للمتقين، بأوضح دليل وافصح تنزيل، وأفسح سبيل وأنفس تبيان وأبدع برهان.

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المجاهدين وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً.

أما بعد: فنحن ننزل اليوم ضيوفاً على عدد من الأنبياء والرسل الكرام من أنبياء بني إسرائيل، وكلهم هنا في بلاد الشام، هذه البلاد الطيبة المباركة مهبط الوحي ومبعث الأنبياء والرسل الكرام، الشام التي بارك الله فيها وبزروعها وثمارها وأهلها وخصها بخيرة خلقه ورسله، وهؤلاء الأنبياء مقدمة بين يدي الحديث عن سيدنا داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

إننا باختصار مع الحلقة الثامنة والعشرين من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة نرفع عالياً شعار التوحيد.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من سورة الصافات:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ

أحسن الخالقين. **اللَّهُ** ربكم ورب آبائكم الأولين. فكذبوه فإنهم لمحضرون. إلا عباد **اللَّهُ** المخلصين. وتركنا عليهم في الآخرين سلام على إلياسين. إنا كذلك نجزي المحسنين ﴿ /الصفات: ١٢٣ - ١٣١ /.

إلياس أيها الإخوة هو الحفيد الثاني لسيدنا هارون أخي نبي **اللَّهُ** موسى. أرسله مولانا الى أهل بعلبك الذين كانوا يعبدون صنماً (اسمه بعل) فدعاهم إلى **اللَّهُ** عز وجل فكذبوه وهما يقتله فهرب منهم واختفى عنهم في مغارة، حتى أهلك **اللَّهُ** هذا الملك وتولى غيره، فعرض عليه سيدنا إلياس الإسلام فأسلم ، وأسلم من قومه خلق عظيم.

«وقد اختلف في هذا النبي فقيل أيضاً: إنه حي إلى يوم القيامة وقيل إنه يجتمع مع سيدنا الخضر في كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس، ويحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما كل العام، وأتتاهما يجتمعان في عرفات وأنه يخلق كل منها للآخر عند نهاية الحج (قط في الأفراد - ابن عساكر: ض)، والله أعلم بصحة ذلك».

لكن الذي صرح به كتاب **اللَّهُ** تعالى أن مولانا أثنى عليه وأبقى ذكره حسناً في العالمين ﴿سلام على إلياسين﴾ /الصفات: ١٣٠ /.

وكان بعد إلياس اليسع من أولاد سيدنا يوسف بن يعقوب مكث فيهم يدعوهم الى **اللَّهُ** تعالى حتى قبضه **اللَّهُ** تعالى، قال تعالى ﴿واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلاً فضلنا على العالمين﴾ /الأنعام: ٨٦ /.

معشر السادة:

ويذكر لنا التاريخ أن أمر بني اسرائيل قد مَرَج وعظمت فيهم الخطوب والخطايا، وقتلوا من قتلوا من الأنبياء، فسلط **اللَّهُ** عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يسفكون دماءهم، فكان بنو إسرائيل إذا أرادوا النصر على الأعداء حملوا معهم تابوتاً فيه بعض

الآثار من زمن سيدنا موسى وهارون . فكانوا ينصرون ببركته، فلما رأى أعداءهم ذلك قهروهم ونزعوه من أيديهم وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع، حتى بعث الله فيهم نبياً يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه عدوهم في غزة وعسقلان.

وشمويل هذا هو المشار إليه في كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة البقرة: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم، والله عليم بالظالمين. وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ /البقرة: ٢٤٧.

وطالوت هذا هو من ذرية بنيامين بن يعقوب كان سقاً فاحتقروه لفقره وقالوا: ﴿أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ /البقرة: ٢٤٧.

فطلبوا منه آية على ملكه عليهم فقال لهم:

﴿إن آية ملكه أن يأتىكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ فإذا بهذا التابوت تأتي به الملائكة من أعدائهم حتى وضع أمام أعين بني إسرائيل، فكانت هذه الآية من بركة ولاية هذا الرجل الصالح.

وفعلاً تولى قيادة جيش بني إسرائيل وسار بهم نحو الأردن، وأراد الله أن يمتحنهم ليرى المخلصين منهم فعلاً، فقال لهم:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِكُمْ بَنَهْرَ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا
مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ / البقرة: ٢٤٩ / قال المفسرون: كان الجيش عدة آلاف
فشرب منه أكثرهم فبقي معه ٣١٣ مقاتل فقط (على عدة أهل بدر)، ولذلك لما
جاءوا نهر الأردن استقلوا أنفسهم واستضعفوا عن مقاتلة عدوهم، لكن الشجعان
منهم والفرسان أهل الإيمان واليقين قالوا لهم: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً
بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ / البقرة: ٢٤٩ / فتوجهوا جميعاً إلى اللَّهِ تعالى حين
برزوا لجالوت الكافر وجنوده وقالوا:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصِرْنَا عَلَى قَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ / البقرة:
٢٥٠ / وبرز مقاتل صنيدي من بين المقاتلين أبدى شجاعة في القتال، وهو الذي
تولى قتل جالوت، فمن هو وكيف حدث ذلك؟

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم الى ساحة المعركة لأشهد معكم مقاتلاً صنيدياً هذا
المقاتل الصنيدي هو سيدنا داود عليه الصلاة والسلام، إن سيدنا داود سمع طالوت
ملك بني إسرائيل أثناء تحريضهم على قتل جالوت وجنوده يقول: من قتل جالوت
زَوَّجْتُهُ بَابْنِي وَأَشْرَكْتُهُ فِي مَلَكِي، وكان داود يرمي بالمقلاع رمياً عظيماً، فبينما هو
مع بني إسرائيل إذ ناداه ثلاثة أحجار أن يأخذها، وقالت: بنا تقتل جالوت، فأخذ
الثلاثة في محلاته، وما أن تواجه الصفان حتى برز إلى الطاغية جالوت واستقبله
بمقلاعه الذي جمع فيه أحجاره الثلاثة، ثم رمى بها ففلق رأس جالوت، وفرَّ الجيش
مهزوما وهذه النتيجة الإيمانية سطرها الموجات القرآنية اسمعوها: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ / البقرة:
٢٥١ /

وهنا كافأ طالوت سيدنا داود وزوجه من ابنته ، وأجرى حكمه في ملكه، وعَظَّمَ داود عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا إليه، فترك طالوت الملك له لما رأى من عدله وحبِّ رعيته له.

وهكذا معشر السادة:

تبدأ صفحة جديدة من حياة هذا النبي الذي أوتي من الفضائل والمكارم ما لم يؤت غيره من الأنبياء، فقد ألان له مولانا الحديد، وأعانه على عمل الدروع ليتحصن المقاتلة من الأعداء، واسمعوا إلى قول مولانا عز وجل في سورة سبأ:

﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد. أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بماتعملون بصير﴾ / سبأ: ١١. وعلى موجات سورة الأنبياء.

﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين، وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ / الأنبياء: ٨٠.

قال المفسرون: ألان الله له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج النار ولا مطرقة، وكان أول من عمل الدروع من الزرد، وإنما كان قبل ذلك من صفائح، وكان يبيعها لقومه، ولهذا يقول نبينا الأعظم ﷺ :

«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده» (خ- ن) «وقد بلغ في العبادة والطاعة وقيام الليل والصوم مبلغه ولذا كانت الجبال تسبح معه حيث تسمع صوته الجميل، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله، فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرةً وعشيا، وخفف الله عليه تلاوة الزبور فكان يقرؤه بوقت قصير، واسمعوا الى الحبيب يقول لنا في رواية البخاري: «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تُسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يديه» (خ

٣٤١٧). والمراد بالقرآن هنا الزبور المنزل عليه في شهر رمضان وهو مواعظ وحكم وعلى موجات سور ص:

﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيدٍ انه أَوَّابٌ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق و الطير محشورة كلُّ له أواب . و شددنا ملكه و آتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ /ص: ٢٠.

أعطيناه ملكاً عظيماً، وحكماً نافذاً، وقضائاً، مبرماً وطاعة نافذة في قومه، وانظروا قوله جل جلاله: ﴿وآتيناه الحكمة﴾، أي النبوة وفصل الخطاب أي كيفية الحكم والقضاء، وهو الشهود وحلف الأيمان ضمن القاعدة الشرعية (البينة على المدعي واليمين على من أنكر) فعن ابن عباس: ان رجلين تداعيا الى داود في بقرة وادعى أحدهما على الآخر أنه قبضها منه، فأنكر المدعى عليه، فأرجأهما الى الليل ليحكم بينهما، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعى، فلما أصبح قال له داود.

إن الله قد أوحى الي أن اقتلك، فأنا قاتلك لا محالة، فما خبرك فيما ادعيتك علهذا، قال: والله ياني الله إني لحق فيما ادعيت عليه، لكني كنت قتلت أباه قبل هذا، فأمر به سيدنا داود فقتل.

وأنزل عليه مولانا جل جلاله: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ /ص: ٢٦.

هذا هو الوعيد لولاة الأمور وحكام الناس يأمرهم مولانا بالعدل، واتباع الحق المنزل من الله تعالى، لamasواه من الآراء والأهواء، وتوعد من سلك غير ذلك، وحكم بغير ذلك، ولهذا اسمعوا الى حبيب القلوب ﷺ يقول:

«المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين

يقسطون في أهليهم وحكمهم وماولّوا» (م ٦ / ٧).

وقال: «إن أحب الناس إليّ يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً: إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً: إمام جائر(ظالم)» (ض: الروض ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧).

ولهذا جعل سيدنا رسول الله ثلثي القضاة من أهل النار فقال: «قاضي في الجنة وقاضيان في النار» (الأربعة د ٣٥٧٣ - هـ ٢٣١٥ - هب ١٠ / ١١٦ - حا ٤ / ٩٠).

فياويلهم قضاة السوء - الذين يحكمون بغير ماأنزل الله تعالى.

قال وهب بن منبه: لما كثر الشرّ والشهادات الزور في بني إسرائيل أعطي داود سلسلة لفصل القضاء، فكانت ممدودة من السماء لا يصل إليها أحد إلا صاحب حق، فلم تزل كذلك حتى استودع رجلٌ لؤلؤة عند رجل، فلما طلبها منه جردها، فاحتكما إلى سيدنا داود، فأمرهما المثل أمام السلسلة، فإذا بهذا المحتال أودع اللؤلؤة ضمن عصي خبأها فيها، فلما حضرا عند السلسلة قال للمدعي (صاحب اللؤلؤة) أمسك لي هذه العصا قليلاً ثم أمسك السلسلة وقال: اللهم انك تعلم أي دفعتها إليه، فإذا بالسلسلة يرفعها رب العزة الى السماء من غير رجعة.

وقد عرضت قضية على سيدنا داود من قبل خصمين تسورا عليه المحراب أثناء عبادته، وسمعوا إلى هذه القضية يعرضها علينا كتاب الله على موجات سورة ص فقال عز من قائل:

﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم، قالوا: لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشرط واهدنا إلى سواء الصراط﴾ فما هي هذه القضية اسمعوها بامعان وإنصات : ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة فقال: أكفلينها وعزني في

الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴿٢٤﴾ /ص:

قضى سيدنا داود مباشرة بهذه القضية دون أن يسمع من الخصم الآخر، وعرف داود أن هذا الأمر الذي فعله كان امتحاناً من الله له فتاب وأناب، واسمعوا تنمة الحدث:

﴿وطني داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ /ص: ٢٥.

وهكذا معشر السادة

قضى سيدنا داود عمره الذي بلغ المئة سنة في العدل والعبادة، وكان فيه غير شديدة على أهل بيته، كان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، وكان قد تزوج مئة امرأة، منهن أم سيدنا سليمان، فخرج ذات يوم وغلق الدار فأقبلت امرأته فاطلعت على صحن الدار فإذا برجل قائم وسط الدار، وخاف النسوة من الفضيحة، فلما جاء سيدنا داود داره فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لأهاب الملوك ولا أمانع من الحجاب فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله.

وفي رواية: أتاه ملك الموت وهو نازل من محرابه. فقال له: دعني أنزل أو أصعد. فقال: يا نبي الله! قد نفذت السنون والشهور والآثار والأرزاق. قال: فخر ساجداً على درجة من تلك الدرجات فقبضه وهو ساجد.

هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند (٢ / ٤١٩) وفيه المطلب بن عبد الله بن حنسطب وثقه أبو زرعة وبقيّة رجال الصحيح.

أيها السادة : خرج بجنّازة نبي الله داود يومئذ أربعون ألف راهب ، ولم يمت

في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعاً عليه منهم على داود، قال: فأذاهم الحر، فنادى سيدنا سليمان أن يعمل لهم وقاية لما أصابهم من الحر، فنادى سليمان الطيور وأمرها أن تظلل الموكب، فأظلتهم الطير، فكان ذلك أول مارأوه من ملك سليمان.

أيها السادة:

وهكذا يموت الأخيار ويتبعهم على الدرب العبيد والأحرار، ولن يستطيع أحد أن يدّعي الخلود على الأرض فمن ادعى ذلك فهو كذاب. لو خُلِدَ أحد على الأرض لخلد الله الأنبياء والمرسلين اذكروا هذه القضية تماماً. ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ / فصلت: ٤٦/. وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

(٢٩)

سيدنا سليمان بن داود

الحمد لله الذي قَرَّبَ إلى جنانه من أحبِّ واختار، فصَيَّرَه من أحبابه السادة الأبرار، وطرد عن بابه كل شقي وجبار، وحرمه جزيل ثوابه فالحكم لله الواحد القهار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم تشخص فيه الأبصار، وتحيط به الأوزار، ويغضب الملك الجبار
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنتخب من جميع الأنبياء والرسل الكرام، فهو خيار من خيار من خيار
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته الطيبين الأطهار. وسلم تسليماً.

أما بعد:

فأعود بكم اليوم قروناً طويلة من الزمن، رحلةً بعيدة في الزمان، ولكني لن أبعد بكم في المكان، بل سأقف بكم أمام قبة الصخرة في القدس الشريف، هذه البقعة المباركة كانت يوماً من الأيام عاصمة الأرض كلها، فيها الغنى والسلطان، فيها الجمال والجلال، وكانت الكلمة تخرج منها فلا يردّها شيء حتى تصل إلى أقصى المشرق وأبعد المغرب، يوم أن كان هناك قصر الملك، وأي ملك كان يسكن تلك البقعة، إنه أحد الأقوياء الأربعة الذين حكموا الأرض كلها قاصيها ودانيها. كان له بساط مركب من أخشاب يسع جميع ما يحتاج من البيوت المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجان، فإذا أراد سफراً أو متنزهاً أو قتال ملك من أي البلاد شاء، حمل هذه الأمور المذكورة على البساط، وأمر الريح فدخلت تحته فرفعته، فإذا استقل بين السماء والأرض أمره فطار به، فإذا أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعت في أي مكان شاء،

كان يرحل أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح في ساعة ما تسير به الجمال مسيرة شهر، ثم يرجع آخر النهار إلى القدس الشريف.

إنه النبي ابن النبي، والرسول ابن الرسول، والمملك ابن المملك سيدنا سليمان بن داود أحد ذرية سيدنا يعقوب، قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

إننا باختصار مع النبي والرسول الواحد والعشرين في سلسلة النبوات والأنبياء ومع الحلقة التاسعة والعشرين من ملف أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة نرفع معاً شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله تعالى:

﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً، وقالوا: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين: وورث سليمان داود وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين﴾ / النمل: ١٦ /.

معشر السادة الكرام

هذا هو خطاب العرش الذي ألقاه سيدنا سليمان عندما تولى سدة النبوة والمملك والخلافة في الأرض عن أبيه سيدنا داود، ولأول مرة في التاريخ نسمع عن ملك له جيش من جميع طبقات الخلق: الإنس والجن، والطير والوحوش، فقد كان الجن والإنس يمشون بركابه. والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره، وأمام هذه الجيوش وفي مؤخرتها وزعة أي نقباء وعرفاء يردون أول الجيش على آخره فلا يتقدم أحد من موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر.

معشر السادة الكرام: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بثاً حياً على الهواء مباشرة للعرض العسكري الذي أقامه القائد الأعلى للجيوش السلিমانيّة سيدنا سليمان داود:

﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ (يدفعون) حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا

يخطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني (اجمعني كلي: جوارحي ومشاعري وخواطري، اجما طاقاتي كلها)، أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴿النمل: ١٩﴾.

إذا كان معرفة سليمان للغات الجن والطير والحيوان معجزة فالمعجزة الأعظم أن تعرف النملة أن هؤلاء سليمان وجنوده (وحدوا من لا يغفل ولا ينام). فلماذا يا ترى خرج بجنوده هؤلاء جميعاً، وفي هذا اليوم بالذات، خرج هو وأصحابه يستسقون، أتعرفون ماذا رأى سيدنا سليمان؟! لقد رأى عجباً، رأى غملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول:

. اللهم أنا خلق من خلقك، ولا غنى بنا عن فضلك.

فقال سيدنا سليمان: ارجعوا فقد سقيتم من أجل غملة، وما أن أتم كلامه حتى صب الله عليهم المطر.

أيها الإخوة الكرام: وفي عرض آخر لجنوده قام القائد الأعلى للأمة السليمانية باستعراض جيشه على عادته من جميع طبقات جنوده ففقد أحد قادة طيوره، لم يحضر الاجتماع الصباحي على ما يبدو، فماذا حدث؟

اسمعوا هذا التفقد الذي ذكره مولانا على موجات سورة النمل:

﴿وتفقد الطير فقال: مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ /النمل: ٢٠/
(يعني بغير إذن، وحينئذ يتعين الحزم كي لا تكون فوضى، وسيدنا سليمان ليس ملكاً جباراً إنما هو نبي، وانظروا إلى سمة النبي العادل قال): ﴿لأعذبه عذاباً شديداً، أو لأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ /النمل: ٢١/ (حجة قوية بين فيها عذره).

أرايتم مثل هذه اليقظة والدقة والحزم، لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشد الضخم من الجن والإنس والطير، وإذا بالهدهد يأتي ويُطَّلَع سيدنا سليمان عن وجود مملكة عظيمة في اليمن على رأسها امرأة تدعى بلقيس، رغم أن نبينا الأعظم ﷺ

يقول : (لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة) (خ ٧٠٩٩) ، واسمعوا البيان القرآني يحدثنا عن الهدهد:

﴿فمكث غير بعيد فقال: أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأً يقين. (ما هو؟): إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾ /النمل: ٢٤./

هذا هو التقرير المفصل الذي قدمه الهدهد لسيدنا سليمان، وكما يفعل كل حر شريف، كل قائد لأية مجموعة يقدم له تقرير، أراد أن يتأكد، قال له : ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ /النمل: ٢٨./

وهكذا معشر السادة : صدر القرار الملكي إلى الهدهد، فنفذه بحذافيره وسار من فلسطين إلى اليمن، فوجد الملكة بلقيس في مجلس حكمها، فألقى عليها رسالة الملك، فنظرت فيها وراحت تقرأ الرسالة على أعضاء مجلس الملك:

﴿قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم: ألا تعلو علي وأتوني مسلمين. قالت: يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون . قالوا : نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ /النمل: ٣٣./

وراحت تفكر في نفسها : إن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع فارتأت رأياً أرشد من رأيهم:

﴿ قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ /النمل: ٣٥./

هذا هو الرأي الذي تمخض عنها، أن ترسل الهدايا والتحف، والهدية تنفع مع ملوك الدنيا، فإن لم يقبلها فهو أمر يتعلق بالاعتقاد، وإذا تعلق الأمر بالعقيدة

فمعناه عدم المبالاة بالدنيا، لأنها لم تعلم أن هذا الملك غير الملوك، ملك لا تزن الدنيا عنده جناح بعوضه، ملك مؤيد من ربه لا يقبل صرفاً ولا عدلاً لأنهم كافرون، وهو وجنوده عليهم قادرون.

أيها الإخوة : وسارت الجمال مُحَمَّلَةً بالهدايا والتحف من اليمن مسيرة شهرين أو أكثر في موكب عظيم ذكره المفسرون، فكيف كان ردُّ الملك على هذه الرشوة؟ إن سيدنا سليمان انتفض وغضب وقال لوزير الملكة بلقيس وسفيرها حينما دخلوا عليه بالهدايا:

﴿أَتَمْدُونِي بِمَا (أَتَقْدُمُونَ لِي هَذَا الْعَرْضَ التَّافَهُ الرِّخِيسَ)، فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا أَتَاكُمْ (آتَانِي الْعِلْمَ وَالنَّبُوَّةَ وَتَسْخِيرَ الْجِنِّ وَالطَّيْرِ، فَمَا عَادَ شَيْءٌ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا يَفْرَحُنِي) بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارْجِعْ إِلَيْهِمْ. أَيُّهَا السَّفِيرُ. فَلْنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلِنُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَذْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ / النمل: ٣٧ / (مهزومون).

هذا هو القرار الحربي الذي أعلنه سيدنا سليمان على هذه المملكة، وردَّ الهدايا والوفد الملكي المرافق لها إلى ديارهم، فأخبروا ملكتهم بما شاهدوه من أمر هذا الملك العظيم، وعظم مملكته وكثرة جنوده وأنهم لا طاقة لهم به، فبادروا جميعاً إلى السمع والطاعة وأجابوه مباشرة في تلك الساعة، وأقبلوا بصحبة ملكتهم بلقيس سامعين مطيعين.

أيها السادة : وبلغ سيدنا سليمان قدومهم عليه ووفودهم إليه فجمع حاشيته وقال لمن بين يديه، ممن هو مسخر له من الإنس والجان ما ذكرته الموجات الإيمانية القرآنية.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ (قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ مَجْلَسُ حَكْمِكَ) وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ (وَزِيرُ سُلَيْمَانَ وَابْنُ خَالَتِهِ) كَانَ يَحْفَظُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ قَالَ لَهُ بِكُلِّ يَقِينٍ وَإِيمَانٍ) أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (هذا مخلوق فكيف بك بالخالق جل جلاله) ولم يتم كلامه

حتى نبع العرش من الأرض بجوار عرش سليمان هذه هي الكرامة العظيمة التي دلت على حاشيته الملك سليمان، حاشيته أولياء لهم كرامات، إذ أن الله استجاب له مباشرة.

هذه هي قدرة الله ظهرت على يد هذا العالم الرباني تقديراً وكرامة له، أو قل هي ومعجزة لسيدنا سليمان لذلك استوجبت هذه النعمة شكر سيدنا سليمان الذي قال مباشرة: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ /النمل: ٤٠/.

وأعطى سليمان أمراً ﴿قال نكروا لها عرشها (غيروا صفات العرش جملوه بغير زينته لنختبر عقل الملكة) اتهمتي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ /النمل: ٤١/. قالوا: إن هذه الملكة أمها جنية تزوجها أبوها فصارت تعرف كل شيء عن الجن، فخاف جن سليمان أن يتزوج من هذه الملكة فتكشف له أمر الجن، فراحوا يسيئون الكلام فيها، فقالوا: إن رجليها كرجل الحمار، وعلى ساقها يوجد شعر ك شعر الرجال. فماذا فعل سيدنا سليمان؟

أقام لها بجوار عرشها صرحاً من زجاج صافٍ جداً وسيرٍ ضمنه الماء. أيها الإخوة : تعالوا بنا نشهد خاتمة هذه الملكة التي خرجت من اليمن نحو فلسطين السليبية (ردها الله سالمة)، ودخلت ضمن موكب عظيم يليق بالملوك، حتى إذا استأذنت بالدخول وأذن لها فوجئت بعرش آخر يشبه عرشها بجوار عرش سيدنا سليمان قال لها: ﴿أهكذا عرشك﴾ /النمل: ٤٢/.

فكانت ذكية فطنة وهي التي تركت عرشها في اليمن، لكن قد يكون عند الملك سليمان قدرة للإتيان به فقالت ﴿كأنه هو﴾ هذا جواب سياسي ذكي محنك، يدل على أن الملكة كانت في غاية الذكاء والحزم. وأمرها سيدنا سليمان أن تجلس على العرش، فرأت الصرح فظنته ماءً فكشفت عن ساقها، فرد سيدنا سليمان نظره عنها وقال:

﴿إنه صرح بمرد من قوارير﴾ / النمل: ٤٤ / لا تخافي فإن عليه زجاجاً، وهنا عرف سيدنا سليمان كذب الجن، وعرض عليها الإسلام ووجوب الاعتقاد بالله ووحدانيته، وربّ الكون والشمس والقمر، فإذا بها تسلم على يديه وانظروا إلى النهاية السعيدة قالت تائبة منيية؟ إلى الله تعالى:

﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ النمل: ٤٤ .
وهكذا - معشر السادة - تزوج سيدنا سليمان من السيدة بلقيس وأقرها على مملكتها في اليمن، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقم عندها ثلاثة أيام على بساط الريح ذهاباً وإياباً، وبني لها قصوراً ثلاثة في اليمن مشهورة مباركة.
فما هي النعم العظيمة التي آتاها الله نبيه سيدنا سليمان، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

(٣٠)

وفاة سيدنا سليمان

الحمد لله على جزيل نعمائه، أحمده على جليل آلائه، وأشكره على جميل بلائه .
وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أعدّها ليوم لقائه.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد رسله وخاتم أنبيائه
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأصفيائه،
وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت قد علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول النعم التي آتاهها الله نبيه
سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأنا اليوم بعون الملك المعبود أجيب
عن هذا السؤال بإذن الله تعالى مع الحلقة الثلاثين من سلسلة أعلام الشخصيات
الإسلامية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

أيها الإخوة الكرام

إن أعظم نعمة مَنَّها الله تعالى على سيدنا سليمان نعمة النبوة والرسالة ثم نعمة
الملك، هذا الملك الذي اتسعت رقعته حتى شمل أكثر الأرض، وكثر جنوده وتنوعوا
حتى لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه لأحد بعده مثل ما أوتيته، وقد صرحت الآيات
القرآنية بذلك على لسان نبي الله سليمان، فعلى الموجات الإيمانية من سورة النمل ثم
سورة ص: ١٦ ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ /ص: ٣٥/.

وآتاه الله تعالى معرفة لغة الطيور والحيوانات، وسخر له الريح تجري بأمره حيث
أراد من أي البلاد على بساط الريح، وسخر له الجن والشياطين يعملون بين يديه

بإذن الله الواحد القهار، لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن أمره عذّبه ونكّل به الله عز وجل وسخر له النحاس ليصنع فيه ما يشاء، وسمعوا إلى النعم هذه ذكرها رب العزة والجلال ممتناً بها على نبيه سيدنا سليمان، قال تعالى:

﴿ولسليمان الريح عاصفة، تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين، ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين﴾ / الأنبياء: ٨٢.

وعلى موجات سورة ص:

﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرّنين في الأصفاد﴾ / ص: ٣٦ - ٣٨.

وعلى موجات سورة سبأ: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر﴾ / النحاس: ١٢.

أيها الإخوة الكرام

ومن أعظم النعم التي آتاها الله سيدنا سليمان بناؤه لمسجد بيت المقدس حيث بناه ورفع به بناء محكماً، وكان أول من أوقفه مسجداً سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام، وساعده على ذلك الإنس والجن معاً ولأول مرة نسمع أن الجن مع الإنس يبنون، حتى أتم بناء المسجد بناءً جميلاً، أقاموا فيه المحارب، ورسّموا اللوحات والحيوانات على الجدران (وكان ذلك جائزاً في شريعتهم) وصنعوا الأحواض المائية والقدور الثابتة، وكان من كرم الله تبارك وتعالى أن سخر له النحاس لأنه كالماء يجري بين يديه وسمع معي إلى الموجات العاملة في سورة سبأ تصرّح بذلك:

﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له ما يشاء من محارب وتمانيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ / سبأ: ١٣.

أيها الإخوة الكرام:

فمن المعلوم أن بين سيدنا إبراهيم باني المسجد الحرام وبين سليمان داود أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة، وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بعد بناء البيت المقدس.

اسمحو لي أن انتقل بكم إلى هناك لأشهد مكان الاحتفال المهيب بافتتاح بيت المقدس، هذا المعبد الذي أقيم في الأرض لعبادة الله تعالى وحده، وأرى نبي الله سليمان ساجداً شاكراً لمولانا أن أكرمه الله ببناء بيته، وهنا توجه إلى مولانا يدعوه ويسأله ثلاث دعوات:

فعن صلى الله عليه وسلم أنه:

قال: إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلافاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة: سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه . وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه.

وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، يقول الحبيب الأعظم: « فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها » (ن ٢ / ١٣٣٤ برقم ٦٩٣ - أحمد ٢ / ١٧٦ - حب ١٦٣٣ خزينة ١٣٣٤ - ١٤٠٨ هـ - صحيح).

فهل حقق الله له هاتين الدعوتين . تعالوا . معشر الإخوة . ندخل قصر سيدنا سليمان إلى قاعة حكمه وقضائه فلإني أرى على بابه قضيتين، إننا هناك في قاعة الحكم وهي تموج بقوم رفعوا أمرهم إلى الملك سليمان واسمحو لي أن استعرض لكم موجبات القضية:

فقد هوجمت غنم لقوم من بني إسرائيل على أرض زراعية فيها كروم العنب الممتدة فراحت تأكله الليل طوله، فاختمص الجيران أصحاب الغنم مع أصحاب الأرض ورفعوا أمرهم إلى نبي الله داود فحكم سيدنا داود لأصحاب الكروم بقيمته.

فلما خرجوا التقوا سيدنا سليمان فسألهم بما حكم بينكم نبي الله، فقالوا: بقيمة الكروم. فقال لهم أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكروم فيستغلونها نتاجاً ودرأً (حلياً) حتى يصلح أصحاب الغنم كروم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمهم فبلغ ذلك والده. فقال نعم القضاء والرأي، ثم حكم لهم به.

وهذه النتيجة القضائية سطرتها الموجات الإيمانية من سورة الأنبياء فقال رب العزة:

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ (رعبه بالليل) وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ﴿/الأنبياء: ٧٩/.

وأما القضية الثانية فكانت بين امرأتين إحداهما أكبر من الأخرى، وقد ولدت كل واحدة منهما ولداً حديثاً وقد عُرضت هذه القضية وتحدث بها من تحبون من أن تصلوا عليه، فقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا أبي هريرة أن نبينا الأعظم ﷺ قال:

بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ أحدهما، فتنازعتا في الآخر، فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك. فقالت الصغرى: بل ذهب بابنك. فتحاكما إلى سيدنا داود، فحكم به للكبرى، فخرجتا على سيدنا سليمان، فقال: آتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها. فقضى به لها أي للصغرى، لأنها خافت على ولدها.

ومما منَّ الله به على نبي الله سليمان: انه تزوج ألف امرأة، سبعمائة منهن حرائر وثلاثمائة جوارٍ، وكان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً، وسمعوا معي إلى حبيبنا وقرّة أعيننا سيدنا محمد ﷺ يقول (ق):

«قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمئة امرأة - أو تسع وتسعين - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، قال الحبيب الأعظم: ونسي أن يقول إن شاء الله. قال فأطاف بهن (في ليلة واحدة)، فما هي النتيجة اسمع الى نبينا ﷺ يقول: فلم تلد منهم امرأة إلا واحدة (ولدت) نصف انسان». ثم قال: «ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته. وفي رواية (ضعيفة): والذي نفسي بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ماقال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل. وهذه الحادثة سمّاها رب العزة فتنة. فقال عز من قائل:

﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب، قال: رب اغفر لي﴾

ص: ٣٤ - ٣٥/.

معشر السادة الكرام

مازلنا في تعداد النعم التي أنعمها الله تعالى على نبيه سليمان، فمع كل ماآتاه الله تعالى من الملك والجاه والسلطان، مع كل هذه النعم قال له رب العزة:

﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ / ص: ٣٩ / هذا عطاؤنا فإعط من شئت وارفع من شئت فلا حساب عليك.

هذه هي المكانة العظمى التي بلغها نبي الله سليمان، وإن له مكانة أعظم مما أوتي في الدنيا، واسمعوا ماذا يقول مولانا:

﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ / ص: ٤٠/.

هذا هو شأن الرسل والملوك يتصرفون كيفما شاؤوا، وأما العبد الرسول فلا يتصرف أي تصرف حتى يستأذن سيده ومولاه الله رب العالمين، وقد حُيّر نبينا ﷺ بين هذين المقامين في المعراج، سأله رب العزة: أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبياً عبداً، فالتفت إلى سيدنا جبريل فأشار إليه: أن تواضع. فاختار نبينا أن يكون عبداً رسولاً.

هذا النبي المصطفى، هذا الحبيب المجتبي، أتدرون ماذا كافأه الله على تواضعه، إن رب العزة جعل الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة، كرامة لسيدهم سيدنا محمد ﷺ.

أيها السادة الكرام :

بقي سيدنا سليمان ملكاً أربعين سنة، كان ملك الموت يزوره خلالها فقال له سيدنا سليمان: ياملك الموت. قال لبيك. قال: إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني. فقال ملك الموت: ماأنا أعلم بذلك منك، إنما هي كتب يلقي إليَّ فيها تسمية من يموت.

ومرة دخل ملك الموت (بهيئة إنسان) على سيدنا سليمان وعنده رجل من حاشيته، فنظر إليه ملك الموت وتأمله بدهشة واستغراب، فلما خرج من عند سليمان قال الرجل لسيدنا سليمان: من هذا يانبي الله؟ فقال سيدنا سليمان: هذا ملك الموت. فقال الرجل: والله يانبي الله ارتعدت فرائصي منه ومن نظراته تلك، فَمُرَّ الرياح تبعدني عن هذا المكان فإني أخاف أن تقبض روحي فيه، فأمر سليمان الريح فحملته الى بلاد الهند في لحظة واحدة، فإذا بملك الموت يدخل ثانية على الملك فيسأله سيدنا سليمان: لماذا كنت تنظر الى جليسي فلان بدهشة واستغراب. فقال ملك الموت: استغرب أن أجده عندك في بيت المقدس وقد أمرني مولاي أن أقبض روحه في الهند بعد لحظات (صحيح).

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ /النساء: ٧٨/.

وكان نبي الله سليمان يمكث الشهر والشهرين والسنة والستين في بيت المقدس، يدخل فيعتكف هناك، ولايجرؤ أحد أن يدخل عليه محرابه. فاذا دخل عليه شيطان ما أو جني احترق وإنذر، حتى دخل مرة ومعه عصاه، فقام بين يدي مولانا في محرابه يتعبد قائماً، حتى تعب فتوكأ على عصاه، فجاءه ملك الموت فقبضه وهو قائم يصلي. وكان موته آية من آيات الله تعالى، إذ أن الجن كانوا يدعون أنهم

يعلمون الغيب فراحوا يعملون وهم ينظرون إليه من الشبابيك والكوى وهو قائم ولم يعلموا بموته، فيقومون بعملهم بدون توان ولا تقصير خوفاً من العقاب فبقي سيدنا سليمان على تلك الحالة سنة كاملة، قائماً متكئاً على عصاه، فأرسل الله دودة الأرض تأكل من أسفل عصاه وداخلها، حتى ضعفت العصا وثقل عليها فخر سيدنا سليمان على الأرض، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وتفرقوا شذر مذر، واسمع الى البيان القراني:

﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾
/سبأ: ١٤/.

وهكذا معشر السادة الكرام

تطوى صفحة مشرقة من صفحات الأنبياء، فمن هو النبي الواحد والعشرين؟
أعلق هذا السؤال إلى مابعد شهر رمضان المبارك، فإن رمضان معيار لايسع غيره.

وأعود بكم من هناك الى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

(٣١)

سيدنا زكريا وولده سيدنا يحيى

الحمد لله الدائم بلا زوال، القائم بعميم الفضل والنوال، المتصرف في عباده وأنبيائه باختلاف الأحوال، المتوحد بالعظمة والجلال، المنفرد بالقدم والبقاء والكمال، المتعالي عن الأشياء والأمثال، لا إله إلا هو الكبير المتعال، أحمله حمداً يحفظ النعم عن الزوال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ قائلها نهاية الآمال.
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله هادياً من الضلال، وداعياً إلى أشرف الخلال، ومرشداً إلى صالح الأعمال، ومخدراً من الحجيم والنكال ومبشراً بالنعيم والظلال.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، وسلم تسليمًا..

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

كنت قد علقت معكم سؤالاً قبل شهر رمضان المبارك عن القضايا الإيمانية في حياة النبي الثاني والعشرين من سلسلة الأنبياء والنبوات، وها نحن اليوم نستفتح بحمد الله تعالى الأيام الأولى من شهر شوال المبارك لنقف معاً على أعتاب هذا النبي، بل النبيين الشهيدين اللذين قتلتهما أعداء الإنسانية اليهود، ومنذ أن بدأوا يقتلون أنبياءهم لم يتوقفوا عن القتل حتى هذه اللحظة.

إننا باختصار مع حفيدين من أحفاد سليمان وداود مع سيدنا زكريا وولده سيدنا يحيى الحضور في الحلقة الواحدة والثلاثين من سلسلة النفحات المنبرية في أعلام

الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله الا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من سورة آل عمران:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً
بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا
فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آل عمران: ٣٣ - ٣٥ .
معشر السادة الكرام:

آل عمران هم أسرة السيدة مريم، وعمران هذا أبوها، كان قبل وفاته صاحب
صلاة بني إسرائيل وإمامهم في زمانه، وكان في عهد نبي الله ورسوله سيدنا زكريا زوج
أخت السيدة مريم.

وقبل أن ألج معكم إلى حياة هذا النبي الكريم أرى لزماً علي أن أتصفح معكم
صفحةً رقيقاً الصفحة الأولى من ملف حياته، فإن مولانا صدّر الحديث عن حياته
بالحديث عن مشاهد إيمانية جعلها مقدمة للحديث عن القضايا الإيمانية الخاصة
به، هذه المشاهد الإيمانية خاصة بحياة السيدة حنة والدة السيدة مريم إحدى
عابدات بني إسرائيل، وكانت امرأة عاقراً، فرأت يوماً طائراً يطعم فرخاً له فاشتتهت
الولد، فنذرت وهي قائمة تتعبد، نذرت لله إن هي حملت لتجعلن ولدها محرراً
(حبيساً) في بيت المقدس، وما أن أتمت دعاءها حتى استجاب الله لها فحاضت من
فورها، فلما طهرت واقعها زوجها فحملت شاكراً لله تعالى هذا الإكرام العظيم،
لكنها فوجئت حينما وضعت أنها وضعتها أنثى، والناس في ذلك الزمان يندرون
لبيت المقدس الذكور من أولادهم، لكنها وَقَّتْ بنذرهما الذي نذرت، واستودعتها رب
العزة وعودتها من شر الشيطان الرجيم ، و إليكم البيان

القرآني حول ذلك:

﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾
آل عمران: ٣٦ / هكذا يجب على الأمهات أن يفعلن، أتعرفون إذا فعلن ذلك ماذا تكون المكافأة من مولانا؟، اسمعوا المكافأة التشجيعية على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول لنا (ق):

«ما من مولود إلا الشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها» وفي رواية:

"كل انسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا ما كان من مريم وابنها، ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ. قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه».

أيها السادة :

وشبَّت السيدة مريم وسلمتها أمها إلى عبّاد بيت المقدس القائمين على خدمته، لكنهم تنازعوا في كفالتها، كُلُّ يريد أن يربّيها، فرفعوا أمرهم إلى نبي الله زكريا، فطلب أن يكون هو المشرف على تربيتها باعتبار أنه زوج خالتها، فطلبوا أن يقتلعوا قرعه، فيلقوا أقلامهم ويأتي غلام فيلتقط قلماً فمن ظهر قلمه فهي له، ففعلوا فخرج قلم سيدنا زكريا، فضجوا، وقالوا: بل نعيد الاقتراع فنرمى أقلامنا في النهر فأيهم جرى قلمه على عكس الأقلام فهو الكافل لها، ففعلوا فكان قلم زكريا، فكفلها هو إذ كان أحق بها شرعاً وقدرراً لوجوه عديدة، وعلى الموجات الإيمانية من سورة آل عمران يقول عز من قائل:

﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ / آل عمران: ٤٤ .

وهكذا معشر السادة الكرام: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسنٍ وأنبثها نباتاً حسناً وكفلها زكريا﴾ / آل عمران: ٣٧، اسمعوا العجب العجاب:

﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ / آل عمران: ٣٧.
هذه هي المتعبدة الناسكة الولية صاحبة الأحوال المرضية والصفات الشريفة، قال المفسرون: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، أليس هو من عند الله؟!!

وهنا هاجت نفس نبي الله وكان قد أسن وكبر، وهناك في المحراب وأمام هذه الآية العظيمة رفع سيدنا زكريا كفيه ونادى قائلاً: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾. يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لي ولداً وإن كان في غير أوانه، وإليكم هذه الحالة النفسية مع المناجاة الإيمانية: ﴿رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين﴾.

وعلى الموجات العاملة من سورة مريم: بسم الله الرحمن الرحيم
﴿كهيعص. ذكر رحمة ربك عبده زكريا، إذ نادى ربه نداء خفياً، قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً، ولم أكن بدعائك رب شقياً، وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً﴾ / مريم: ١ - ٦.

التجأ سيدنا زكريا للقادر المقتدر بهذه المناجاة الإيمانية الصادرة من قلب هذا النبي الرسول، وفي محراب العبودية لله، بالتجاء صادق للذي يقول للشيء كن فيكون، فإذا بالنداء يأتيه من قبل الملائكة: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾ / مريم: ٧ / ﴿إن الله يبشرك بيحيى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾.

النبي يحيى (أي يعيش ويحيا) وما دام يعيش ويحيا فسوف يموت شهيداً ليبقى
يحيا. ولكن كيف وما السبيل؟

رجل بلغ من العمر سبعاً وسبعين سنة، وامرأته عاقر، كيف يتم ذلك؟!
هذه هي القضية الإيمانية التي تربط قصة سيدنا يحيى وسيدنا عيسى ومن قبلهما
السيدة مريم، لذلك تعجب سيدنا زكريا من وجود ولد له وهو شيخ كبير وامرأته
على حالتها تلك، اسمعوا الاستفهام:

قال ﴿رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً﴾
فقالت الملائكة له توحى إليه بأمر مولانا: ﴿كذلك قال ربك هو على هين وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ /مريم: ٩٠.

واستجاب الله له ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه﴾ (لماذا؟) إنهم
كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ /الأنبياء:
٩٠. هذا هو السر لكل رجل لا ينبج أولاداً، لسمع الناس هذه النصيحة الغالية
إذا أرادوا أولاداً الحل فى ثلاثة أمور:

١ - المسارعة فى الخيرات.

٢ - والدعاء فى السر والعلانية.

٣ - والخضوع لله تعالى والخشوع له جل جلاله.

فكيف قضى الله أمره؟

إن سيدنا زكريا سأل مولانا علامة وآية على استجابة دعائه، فقبل له: إن
علامته أن يعتريك سكوت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴿فخرج على قومه
من الخراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرةً وعشيا﴾ /مريم: ١١.

وأكرم الله سيدنا زكريا بولده يحيى، وشبَّ وعلمه مولانا الكتاب والحكمة وهو
بعد ما زال فى حال صباه، قال له مرة أحد الصبيان: تعال بنا نلعب، فقال له: ما
للعب خلقتنا.

ونشأ طاهراً مطهراً معصوماً زكياً براً بوالديه تقياً نقياً، وسماه الله سيداً وحصوراً
(أي لا يأتي النساء) و نبياً من الصالحين. يلبس الشعر ويأكل الشجر مخافة الذنب،
ويرد ماء الأنهار ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان، وكان مع ذلك يقول: من أنعم
منك يا يحيى؟

ومرة فقداه أبوه فجعلوا يطلبونه ثلاثة أيام حتى وجدوه، أتدرون أين؟ وجدوه قد
حفر قبراً وجلس فيه وهو يبكي ودموعه قد بللت ثيابه. قالوا له: نحن نطلبك منذ
ثلاث وأنت هنا قائم تبكي. فقال لهم: يا أبت ألسنت أنت أخبرتني أن بين الجنة
والنار مفازة لاتقطع إلا بدموع البكّائين، فجلسوا جميعاً وقد أبكاهما كلام ولدهما.
وهذا هو معنى دعائه ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾.

لكن سيدنا زكريا كان أشد في النصيحة من ولده على بني إسرائيل، وكان لا
يسكت عن خطأ رآه منهم، فائتمروا عليه يوماً ولحقوه ليقتلوه فهرب منهم فدخل في
شجرة فجاؤوا فوضعوا المنشار عليها، فلما وصل المنشار إلى أضلاعها راح يأنّ
فأوحى إليه ربه: لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها، فسكت أنينه حتى
قطعوه قطعتين. فقولوا لعن الله من قتله.

أيها السادة:

وورث يحيى والده سيدنا زكريا في النبوة والرسالة فعند الإمام أحمد رضي الله عنه
عن نبينا صلى الله عليه وسلم: أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل
بهن وأن يأمر بهن بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فجمع سيدنا يحيى بني إسرائيل في
بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقع على الشرفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم الله أن تعملوا بهن،
وأولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من
خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره
أن يكون عبده كذلك، وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

وَأَمَرَكُم بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ قَبْلَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، وَأَمَرَكُم بِالصِّيَامِ فَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلَ رَجُلٍ مَعَهُ جَرَّةٌ مِنْ مَسْكِ فِي عَصَابَةٍ كُلِّ يَوْمٍ يَجِدُ رِيحَ الْمَسْكِ، وَإِنْ رَائِحَةُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ. وَأَمَرَكُم بِالصَّدَقَةِ، فَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلَ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُو فَشَدُّوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَمُوهُ لِيَضْرِبُوهُ عُنُقَهُ، فَقَالَ اجْعَلْ لَكُمْ أَنْ افْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ حَتَّى فَكَ نَفْسَهُ.

وَأَمَرَكُم بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، فَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلَ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُو سَرَاعًا فِي أَثَرِهِ فَأَتَى حَصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ بِهِ وَأَتَى الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (ت: ٢٨٦٣، ابن رعد في الطبقات ٤ / ٢ / ٧٦) (أبو يعلى ١٥٧١ - الطيالسي ٢ / ٥٣ - خ في التاريخ ٢ / ٢٦٠ - طب ٣٤٢٨ - ٣٤٣٠ - حب ٦٢٣٣ - أحمد ٤ / ١٥٣٠ حسن صحيح).

معشر السادة:

ومرت الأيام والسنون حتى ملك بدمشق ملك من الملوك أراد أن يتزوج بامرأة جميلة من بعض محارمه لا يحل له تزوجها واستفتى سيدنا يحيى فنهاه عن ذلك ومنعه منه، فإذا بالمرأة تجتمع بالملك وتغريه وتستوهب منه دم نبي الله سيدنا يحيى فوهبه لها فبعثت إليه من قتله فجيء برأسه ودمه في طست إليها فما أن وقعت عينها عليه حتى صرخت ووقعت ميتة من فورها وساعتها، وخسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه.

وأخذ رأس سيدنا يحيى فدفن في الجامع الأموي بدمشق كما دفن سيدنا زكريا في حلب، والله أعلم بصدق ذلك لكن المؤرخ الحافظ ابن عساكر يروي عن زيد بن واقد قال: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير. وكأنما قتل الساعة.

أيها السادة

ترك رب العزة لهذا النبي والرسول الكريم سلاماً يتلى أبد الدهر ﴿سلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ / مريم: ١٥.

هذان هما الرسولان الثاني والعشرين والثالث والعشرين فمن هو النبي الرابع والعشرين؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك الى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

(٣٢)

سيدنا عيسى بن مريم ولادته ونشأته

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين الذي أظهر الإنسان من سلالة من طين، ثم جعله نطفةً في قرار مكين. ثم خلق النطفة علقة سوداء للناظرين.

ثم خلق العلقة مضغة وهي قطعة لحم بقدر أكلة الماضعين، ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير أساساً يقوم عليه هذا البناء المبين، ثم كسا العظام لحماً هو لها كالثوب للابسين، ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وحجته على عباده أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين، فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة:

علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول حياة النبي الرابع والعشرين من سلسلة الأنبياء الذين ذكرهم رب العزة في كتابه، وها نحن اليوم نستعرض معاً حياة

نبي ورسول من الأنبياء الخمسة أولي العزم من الرسل . مع الحلقة الثانية والثلاثين من النفحات المنبرية من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية ، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله الا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من آيات الله أتلوها عليكم على الموجات الإيمانية العاملة من سورة آل عمران:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ آل عمران: ٤٣ .
أيها السادة:

كنا قد تركنا السيدة مريم رضي الله عنها وقد تسلمها زوج خالتها سيدنا زكريا من والدتها، فنشأها رضي الله عنها نشأة طهر وعفاف وبُعدٍ عن الآثام والمحرمات، مكلوءةً بعناية الله، محروسة بحراسته ورعايته، وكانت الملائكة تأتي إليها فتخبرها بمقامها السامي الرفيع عند الله، تبشرها باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عصرها، ولهذا اسمع إلى حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ق) (خ ٣٤١٨):
«كَمَلْ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ....».

فكل من هاتين السيدتين الصديقتين الكريمتين قد كفلت نبياً في حال صغره، فآسية كفلت سيدنا موسى الكليم، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله سيدنا عيسى، فلذلك كانتا خير نساء زمانهما بشهادة سيد الكائنات سيدنا محمد الذي قال لنا (ت وصححه) (وانظر: ق):

«خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم».

وهكذا نالت هذه السيدة المكانة العليا والوسام الأعظم لكثرة عبادتها وقنوتها وسجودها وركوعها ولتصبح أهلاً لهذه الكرامة، بل قيل: إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدميها وتشققت من كثرة العبادة رضي الله عنها، وها هي الآن قد بلغت مبلغ النساء وأصبحت في سن الثالثة عشرة من العمر.

أيها السادة الكرام:

اسمحوا لي أنتقل بكم إلى بيت المقدس إلى فلسطين الأسيرة فكأن الله أسرها لأنقل لكم هذا الحدث الإيماني فإن كرامة عظيمة ستحصل لهذه السيدة، كرامة لم تحصل من قبل لأحد من خلق الله، فتعالوا معاً نضع رحالنا بطرف المسجد الأقصى اليوم، أرى بعين الإيمان واليقين السيدة مريم تخرج من محرابها وتسير جهة شرقي بيت المقدس طلباً للراحة وترويحاً عن النفس، في وقت كان قد ذاع صيتها في بني إسرائيل بطهرها وعفافها، وقد نقل أهل الكتاب أن رجلاً يدعى يوسف النجار خطبها لنفسه لما عرف صلاحها وتقواها.

لكن يبدو أنها قد ابتعدت عن قومها وأهلها قليلاً، فإذا بشاب وضيء الوجه، بهي الطلعة، مستوي الخلق يعترضها فجأة وهي مستغرقة بالذكر والدعاء، ففرغت، واضطربت وخافت على نفسها منه، وارتابت في أمره لأنه ظهر لها فجأة، فجعلت تبتعد عنه وهي تخشى أن يهيم بها بسوء في مكان ليس فيه منقذ أو نصير. فاستجارت منه بالله تعالى، وإليك هذه الأنباء على الموجات العاملة من سورة السيدة مريم:

﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ / مريم: ٢١/.

وعلى موجات سورة آل عمران:

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين. قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسنني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإن يقول له كن فيكون. ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ /آل عمران: ٤٨/.

وقد ذكر المفسرون أن سيدنا جبريل نفخ في جيب درعها (صدرها) فنزلت النفخة إلى الرحم فحملت من فورها بقدرة الواحد الديان.
ولم لا ؟ أليس هو على كل شيء قدير؟ أليس هو الذي نجا موسى في التابوت، أليس هو الذي نجا يونس في بطن الحوت، أليس هو الذي نجا سيدنا محمداً بالعنكبوت؟ وحدوا مالك الملكوت.

أيها الإخوة

وحملت به تسعة أشهر كما تحمل أغلب النساء، إذ لو كان خلاف ذلك لذكره مولانا في كتابه، فهو الذي يقول لنا:

﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فناداها من تحتها (جبريل) ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً (نهرًا أو ساقية) وهزي إليك الجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ /مريم: ٢٦/.

أرأيتم - أيها الإخوة - ترتيب الآيات فحملته، فانتبذت به.. فأجاءها المخاض: فقد عطف مولانا بالفاء وهي تدل على التعقيب فإن الصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه، ألم تر إلى قوله تعالى: فخلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة،

فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

عطف بالفاء بين كل مرحلة ومرحلة، ومعلوم أن بين كل مرحلتين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه.
وعلى كل حال:

فقد ظهرت علامات الحمل على السيدة مريم، وأول من فطن لذلك خطيبها وكان من الصالحين (قلت لكم يدعى يوسف النجار وكان ابن خالها) جعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج، فعرضَ لها ذات يوم في الكلام، وسمعوا هذه المحاورة اللطيفة المؤدبة الرقيقة قال لها:

. يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟
قالت : نعم، فمن خلق الزرع الأول.
قال: فهل يكون شجر من غير ماء؟
قالت : نعم فمن خلق الشجر الأول
قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت : نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر وأنثى.

قال لها: فأخبريني خبرك. فقالت: إن الله بشّرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.

فعرف أنها بريئة وأن الحمل الذي بها إنما هو بمشيئة الله وإرادته الحكيمة.

أيها السادة الكرام:

وأتمت السيدة مريم أيام حملها في بيت المقدس في بيت لحم، وما هي إلا أن ولدت وطهرت حتى خرجت بولدها وهي تحمله.

إنني أنقل لكم هذه الأنباء الإيمانية من قرون عدة وكأنها أمامنا.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيحاً، يَا أخت هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيّاً. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ. قَالُوا: كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً، وَبِرّاً بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيّاً، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً. ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾
/مریم: ۲۷-۳۶/.

هذه هي الكلمات الأولى التي أنطق الله بها نبيه ورسوله، إنها الدليل الساطع على أنه عبد الله ورسوله، ولكن بني إسرائيل اختلفوا اختلافاً شديداً في شأنه وشأن أمه. بل إن بعضهم اتهم السيدة مريم بالزنا وحاولوا أن ينالوها وابنها بالأذى فتركت بيت المقدس وتوجهت إلى هنا، إلى دمشق الشام، دمشق الإيمان مهد الأنبياء والرسول الكرام، واسمع معي إلى قول مولانا ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ /المؤمنون: ۵۰/ قال جدي ابن عباس: هي في دمشق.

أيها السادة:

« وشب النبي الفتى ووضعته والدته في الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة، وبدأت تظهر على الفتى علامات النبوة، ونرى أمه تعود به إلى فلسطين بعد ثلاث عشرة سنة، وبدأت علامات النبوة تظهر على يديه بإبراء الأكمه والأبرص والعلم بالغيب مما يدخره الناس في بيوتهم، وصار يأتي بالعجائب.

وجدته أمه مرة يجادل علماء بني إسرائيل في بيت لحم ويحاججهم ويصحح أخطاءهم، فخافت عليه منهم، وعادت به إلى البيت.

وزار مرة مع والدته رجلاً يعتني بالفقراء والمساكين والعاجزين والعميان والمقعدين، وإذا به يسمع أن هذا الرجل قد افتقد مالا في داره فلم يدر من أخذه. فلما رأى

نبي الله عيسى ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد فقال للأعمى: احمل هذا المقعد وانفض به. فقال لا أستطيع ذلك. فقال بلى قد فعلت أنت والمقعد وأنتما اللذان أخذتما المال من تلك النافذة، فإذا بالرجلين يعترفان بذلك ويتوبان على يديه.

وعَظَّم سيدنا عيسى في أعين الناس وهو بعد ما زال فتى، وبدأ ينطقه رب العزة بالحكمة والبيان حتى بعثه الله نبياً ورسولاً ﷺ، وأنزل عليه الإنجيل في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

و إليكم أوائل هذه الكلمات التي أوحى الله بها إلى رسوله سيدنا عيسى ، قال له:

يا عيسى جدّ في أمري ولا تكن، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إنك من غير فعل، وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد، وعلي فتوكل، خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل السريانية، بلغ من بين يديك أني أنا الحق الحي القائم الذي لا أزول، صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج . العمامة . والمدرعة والنعلين والهراوة (القضيب) الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدين، الجعد الرأس، الكث اللحية، المقرون الحاجبين، الأقني الأنف، الملفّج الثنايا (مقدمة اسنانه)، البادي العنفقة، الذي كان عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، ولم ير قبله ولا بعده مثله. وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه. أرفعك إلي يا عيسى ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال.

قال: يا رب أنبئي عن هذه الأمة المرحومة.

قال رب العزة: أمة أحمد، هم علماء حكماء كأنهم أنبياء، يرضون مني بالقليل من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله.

﴿يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذا أيدتك بروح القدس (قويتك بجبريل) تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾، ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني...﴾ / المائدة: ١١٠ /.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من مراحل النبي الرسول، مرحلة تعامل مع قوم المكر والخديعة، كيف جابهوه، بماذا اتهموه؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

(٣٣)

بعثة سيدنا عيسى

الحمد لله الذي فضل بعض النبيين على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات وبعث سيدنا عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات. واتخذ سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات. وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنوره ظلم الجهالات وجعل الصلاة عليه تحية عقد الآمال والأعمال الصالحات.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم السيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم عندك في مقعد صدق يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعله رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد بدأت حياة الرسالة والنبوة للسيد المسيح منذ أن نزل عليه الوحي في سن الأربعين وقيل: قبل ذلك بسبع سنين. أرسله الله إلى أخبث أهل الأرض وأشدّهم شراً على خلق الله. أرسله إلى اليهود الذين انحرفوا وتمردوا وطغوا على شريعة سيدنا موسى، فتلاعبوا بالتوراة وحرفوها وبدلوها، فأرسل الله إليهم سيدنا عيسى ليدهم إلى الجادة ويصحح لهم الشريعة ويحل بعض ما حرم الله عليهم في شريعة موسى بسبب بغيتهم وعدوانهم، وقد بين مولانا المهمة التي أرسل من أجلها سيدنا عيسى فقال:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿ومصدقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم
وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله و أطيعون﴾ /آل عمران: ٥٠/.
كان هذا هو موجز الأنباء واليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الثالثة والثلاثين
من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم
شعار التوحيد.

لا إله الا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة:

وكما هي عادة الله في رسله فقد أيدهم بمعجزات كثيرة تدل على صدقهم لأن
كل معجزة جاء بها نبي مرسل مُنَزَّلَةٌ مُنَزَّلَةٌ قول الله تعالى: (صدق عبدي في كل ما
يبلغ عني).

وجاءهم بمعجزات كثيرة تحدث عن بعضها القرآن الكريم، جاءهم بمثل ما اشتبهوا
به وهو الطب وشفاء المرضى وإبراء الأعْمى والأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن
الله تعالى، ويصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى.
وقد جاءت الآيات تبين هذه المعجزات التي لا تدل على ألوهيته بل تدل على
صدق نبوته ودعوته، واسمحوا لي أن أنقلها لكم على الموجات الإيمانية من سورة
المائدة:

﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك، إذ أيدتك
بروح القدس (سيدنا جبريل) تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علمتك الكتاب
والحكمة والتوراة والإنجيل. وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها
فتكون طيراً بإذني، وتبرئ الأكمه، والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾
/المائدة: ١١٠/.

وعلى الموجات العاملة من سورة آل عمران يقول:

﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ / آل عمران: ٤٩.

هذه هي المعجزات التي أُتِّدَ فيها سيدنا عيسى تصديقاً له، فقد بعث في زمن الحكماء والأطباء وجاءهم بما يعجزون عنه، فأنى لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى، والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟ فكلها معجزات دالة على صدق من جاء بها وعلى قدرة من أرسله.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن أتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بعض الأحداث الإيمانية التي أجراها مولانا على يدي عبده ورسوله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام.

فقد روي عن وهب قال: خرج سيدنا عيسى يسبح في الأرض فصحبه يهودي، وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع سيدنا عيسى رغيف واحد، فقال له سيدنا عيسى: تشاركني في طعامك، فقال اليهودي نعم. فإذا باليهودي يرى أنه ليس مع سيدنا عيسى إلا رغيف واحد فندم على أن وافق على مشاركة سيدنا عيسى. فماذا فعل؟

قام سيدنا عيسى إلى الصلاة، فإذا باليهودي يأكل رغيفاً خلصة عن سيدنا عيسى، فلما قضى صلاته قدما طعامهما. فقال لصاحبه: أين الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفاً واحداً، فأكل كل واحد منهما رغيفه، ثم انطلقا فلقيا أعمى، فقال له: أرايت إن عاجلتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم، فمس عيسى بصره فَرَدَّهُ الله له، (فإذا بالأعمى يبصر بإذن الله تعالى). ثم التفت سيدنا عيسى إلى اليهودي وقال: بالذي أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من الخبز. فقال: والله ما كان إلا رغيف واحد. فسكت سيدنا عيسى.

ومرا على مقعد فقال سيدنا عيسى أرأيت إن عاجلتك فعافاك الله فهل تشكره؟ قال: نعم. قال: فدعا الله تعالى له فإذا هو قائم على رجليه بإذن الله تعالى. فقال اليهودي: ما رأيت مثل هذا قط. فقال له سيدنا عيسى: أسألك الذي أراك الأعمى مبصراً والمقعد صحيحاً كم رغباً كان معك؟ فقال اليهودي: ما هو إلا رغب واحد.

وانطلق الراكب فأتيا على نهر عجاج. فقال عيسى: خذ بزناري من ورائي وضع قدمك على موضع قدمي، ففعل فمشيا على الماء حتى الشط الثاني، فقال سيدنا عيسى أسألك بالذي أراك هذه الآية أن تخبرني أين الرغب الثالث؟ فقال: والله ما كان إلا رغب واحد. فسكت سيدنا عيسى عنه. ثم انطلق فإذا هما بظباء ترعى، فدعى سيدنا عيسى بظبي فقدم الظبي إلى نبي الله، فذبحه وشوى منه بعضه وأكله، ثم وضع سيدنا عيسى بقية الظبي وعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له: قم بإذن الله، فإذا بالحياة ترد إلى الظبي ويعدو بإذن الله تعالى. فقال لليهودي: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغب الآخر؟ فقال اليهودي: ما كان إلا رغب واحد.

ثم دخلا قرية نزل سيدنا عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها، فأخذ اليهودي عصا سيدنا عيسى وقال في نفسه: أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى. وكان رئيس القرية مريضاً، وقد خرج أعوانه يبتغون طبيباً، فرأوا اليهودي ينادي: من يريد طبيباً ماهراً؟ فقليل له إن رئيس القرية قد أعيا الأطباء فقال: أدخلوني عليه. فأخذوه، وما إن دخل اليهودي على رئيس القرية وهو في الفراش حتى رفع عصاه وضربه بها وقال: قم بإذن الله فمات بإذن الله.

وقامت قائمة أعوان رئيس القرية وأخذوه ليصلبوه على خشبات، وهم يقولون اقتلوه قتل رئيس القرية، فإذا بسيدنا عيسى يمر فيراه، فيناديه اليهودي: أنقذني يا عيسى. فقال لهم سيدنا عيسى: أرأيتم إن أحييته لكم هل تتركون لي صاحبي؟ قالوا:

نعم، فدعا سيدنا عيسى الله تعالى ثم ضرب رئيس القرية بعصاه فقام حياً بإذن الله تعالى.

وأنزلوا اليهودي من على الحشبة، فأقبل على سيدنا عيسى يُقَبِّلُ يديه ويقول له: والله لا أفارقك أبداً. فقال له سيدنا عيسى: أنشدك بالذي أحيا الرجل بعد ما مات، وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم رغيماً كان معك. فقال اليهودي: والله ما كان معي إلا رغيغ واحد.

فانطلقا حتى أتيا على منطقة بجوار الجبل فإذا السيل قد انشق عن ثلاث لبنات من ذهب. فقال اليهودي: لمن هذه اللبنات؟ فقال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة لمن أكل الرغيغ الثالث. فقال: أنا الذي أكل الرغيغ الثالث، وهنا تركه سيدنا عيسى وهو يقول لليهودي هي لك كلها.

وهكذا معشر السادة: تتوالى الآيات والمعجزات والبراهين والحجج الواضحات على بني إسرائيل، فمنهم من آمن وأكثرهم استمروا على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم، وفي ساعة من ساعات أنصاره وحواريه وأعوانه جرت محاورة ظهر نتيجتها على يدي نبي الله عيسى معجزة، من المعجزات العظيمة التي لم نسمع مثلها من قبل، أعرضها على حضراتكم على الموجات الإيمانية من سورة المائدة ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ. قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ

بعد منكم فَإِنِّي أَعَذِبُ عَذَاباً لَا أَعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة: ١١١ - ١١٥ . ونظر الحواريون إلى السماء فإذا بمائدة تنزل من السماء بين غمامتين وجعلت تدنو قليلاً قليلاً حتى استقرت بين يدي نبي الله عيسى، وهي مغطاة بمنديل فقام

عيسى يكشف عنها وهو يقول: بسم الله خير الرازقين. فإذا عليها سبعة من الأسماك وسبعة أرغفة ولها رائحة عظيمة جداً صنع الله الذي أتقن كل شيء، الذي يقول للشيء كن فيكون.

وأمرهم بالتقدم ليأكلوا، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل. قال: بل يأكل من سألها، فخافوا أن يتقدموا منها، وقالوا: أمن طعام الدنيا هي، أم من طعام الجنة فقال نبي الله عيسى: ليس شيء مما ترون طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء خلقه الله بقدرته العالية. ثم دعا الفقراء والمرضى والزمنى وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها، وكل واحد أكل منها برىء وشفي من كل مرض كان فيه. وبقيت تنزل يومياً وأمر الله سيدنا عيسى ألا يقرّبها إلا الفقراء، فشق ذلك على الأغنياء والمنافقين منهم وصاروا يشككون الناس فيها رغم أنهم أمروا ألا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا منها لغد، فخانوا وادخروا فمسخهم مولانا قردة وخنازير، صاروا ينطلقون إلى أهليهم وهم يطردونهم، وصار سيدنا عيسى يناديهم بأسمائهم فيهزون رؤوسهم وهم لا يقدرّون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم أهلكهم الله تعالى.

معشر السادة:

واستمر سيدنا عيسى بنى إسرائيل يدعوهم إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يزهدهم في الدنيا لأنهم يعبدون الذهب والفضة ويموتون في سبيلها، خرج عليهم يوماً فقال لهم:

السلام عليكم يا بني إسرائيل أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ولا عجب ولا فخر، أتدرون أين بيّتي قالوا أين بيتك يا روح الله؟ قال: بيّتي المساجد، وطبي الماء وإدامي الجوع، وسراجي القمر بالليل، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس، وربحاني بقول الأرض، ولباسي الصوف، وشعاري خوف رب العزة، وجلوسي في الزمنى والمساكين، أصبح وليس لي شيء، وأمسي وليس لي شيء، وأنا طيب النفس غير مكترث، فمن أغنى مني وأربح. قال له مرة سيدنا

يحيى: يا ابن الخالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت؟ فقال سيدنا عيسى: مالي أراك عابساً كأنك قد يئست. فأوحى الله إليهما: إن أحبكما إلى أبشكما بصاحبه. وتوجه إلى الحواريين فقال لهم: كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين، بحق ما أقول لكم إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين اعبروا الدنيا ولا تعمروها، حب الدنيا رأس كل خطيئة، والنظر يزرع في القلب الشهوة ورب شهوة أورثت أهلها حزناً طويلاً، طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله، اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم. من تعلم وعلم وعمل دعي عظيماً في ملكوت السموات، ولا خير في علم لا يعبر معك الوادي، لا تحدثوا بالحكم غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، والأمور ثلاثة:

أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيئه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عز وجل، ثم توجه بالسؤال إلى الحواريين قائلاً أتعلمون من أشد الناس فتنة، أشدهم زلة العالم، فإن العالم إذا زل يزل بزلته عالم كثير، يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم، والآخرة تحت أقدامكم، قولكم شفاء وعملكم داء، مثلكم مثل شجرة الدقلي (نباتها مر) تعجب من رآها وتقتل من أكلها، إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه.

أيها الأخوة:

كان هذا هو فحوى قوله تعالى لنبي الله عيسى : ﴿وَإِذْ عَلِمْتَكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ / المائدة: ١١٠ .

فماذا كان جواب قومه على هذه المعجزات وهذه الحكم وتلك المواعظ، كيف
أشرك أصحابه وأدَّعوا أنه ابن الإله، ولماذا؟ هل صلب سيدنا عيسى كما ادَّعوا؟ ما
هي العقيدة الصحيحة في ذلك ؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم
من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن
يوحد الله تعالى.

(٣٤)

العقيدة الصحيحة

فِي سَيِّدِنَا عِيسَى .٣.

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجماله جبروته، وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفاته عن كل تناءٍ وتصوير.

فسبحانه من عزيز لا حُدَّ يناله، ولا حد يحتاله، ولا أمدَّ يحصره، ولا أحد ينصره ولا ولد يشفعه، ولا عدو يجمعه، ولا مكان يمسكه، ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدره، ولا وهم يصوره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبي ورسوله المبعوث إلى كافة الورى، قال لنا: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا عبد الله ورسوله » (خ ٦٨٢٩ - م ١٦٩١) (ت ١٤٣٢ - د ٤٤١٨ - أحمد ١ / ٢٣ - ٢٤ - ٢٧ - ٥٥).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله مصاييح الدجى وأصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليماً.

أما بعد: فإلى أين أذهب بكم اليوم، فرحلتنا اليوم لها مذاق خاص، لأننا سنطرح القضية الكبرى في التوحيد وهي قضية الوجدانية رداً على من عدد الآلهة فجعلها آلهة ثلاثة ثم ادعى أنها إله واحد.

سوف أعرض على حضراتكم هذه القضية من خلال زيارتنا الأخيرة لسيدنا عيسى بن مريم، بعد أن بقينا نستعرض قضايا التوحيد الكلية من خلال استعراض حياة الأنبياء والرسل الكرام الأربع والعشرين نبياً، وقد صرحت الآيات الكريمة بهذه

القضايا في أكثر من سورة، بل قلما خلت سورة من كتاب مولانا من قضية توحيدية.

إننا باختصار مع الحلقة الرابعة والثلاثين من حياة السيد المسيح من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد.

لا إله الا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ما المسيح بن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأُمُّه صديقة، كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ المائدة: ٧٥./
أيها السادة الكرام:

رغم كل المعجزات التي أجراها الله على يدي عبده ورسوله سيدنا عيسى تأييداً لرسالته وتصديقاً لنبوته، فإن السيد المسيح لاقى من اليهود تعنتاً واستكباراً وأهوالاً وشدائد، وخاصة من كُتَّاب الشريعة اليهود، وكهنتهم الذين يخدمون المعبد والهيكل، لأنه جادلهم وأظهر كذبهم، وأثبت أنهم حرفوا شريعة موسى وتوراته، حتى ضاقوا به ذرعاً وأجمعوا على التخلص منه، بل سعوا به لدى الحاكم الروماني وأوغروا صدره وزينوا له أنه يسعى لتقويض الحكم الروماني، فأصدر أمره الظالم بقتله، فاختفى سيدنا عيسى عن أعين الرقباء وأوحى مولانا إليه:

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك (بالنوم على الصحيح المقطوع به) ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ آل عمران: ٥٥./

ودخل السيد المسيح إلى القدس على حمار فتلقيه أصحابه فحدّثهم بمحتنه (وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين)، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يُلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سنّاً، فقال: أنا، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم ذلك فقام الشاب فقال: أنا. فقال: أنت هو ذاك. فألقي عليه شبه سيدنا عيسى، وحضرت الشُّرط من اليهود فأخذوا الفتى ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبيه. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله سيدنا محمداً ﷺ .

وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى: إن المصلوب أنزل بعد سبعة أيام، وأن السيدة مريم ظنت أنه ابنها فطلبت من أم سيدنا يحيى أن تذهب معها لزيارة قبر المسيح، فذهبتا فلما دنتا من القبر، قالت السيدة مريم لأم يحيى: ألا تستترين. قالت: ممن أستتر؟ فقالت: من هذا الرجل الذي هو عند القبر، فقالت أم يحيى: إني لا أرى أحداً.

فرجت السيدة مريم أن يكون الواقف سيدنا جبريل، وكان قد بعد عهدها به فاستوقفت أم سيدنا يحيى وذهبت نحو القبر، فلما دنت من القبر قال لها سيدنا جبريل، وقد عرفته: يا مريم.. أين تريدين؟ فقالت أزور قبر المسيح فأُسِّلِمَ عليه وأُحْدِثَ به عهداً. فقال: يا مريم إن هذا ليس المسيح، إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا، ولكن هذا الفتى الذي ألقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه، وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فُعلَ به فهم يكون عليه، فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة (حديقة) كذا وكذا فإنك تلقين المسيح.

أيها السادة:

فرحت السيدة مريم فرحاً شديداً، فلما كان ذلك اليوم ذهبت إلى الغيضة، فرأت ولدها السيد المسيح فاسرع وأكبَّ عليها فقبَّلَ رأسها، وجعل يدعو لها كما كان يفعل، وقال: يا أمي.. إن القوم لم يقتلوني، ولكنَّ الله رفعني إليه وأذن لي في لقاءك، ثم قال لها: والموت يأتيك قريباً فاصبري واذكري الله كثيراً، ثم رفع سيدنا عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت بعد خمس سنين ولها ثلاث وخمسون سنة فقولوا رضي الله عنها وأرضاها.

ويكفيها فخراً أنها زوجة سيدنا محمد (ﷺ) في الآخرة.

أيها السادة الكرام:

أريدكم أن تنتبهوا إلى قضيتين إيمانيتين تتعلقان بحياة السيد المسيح ورفعته إلى السموات.

القضية الأولى: مسألة صلب السيد المسيح التي تزعمها النصارى.

القضية الثانية: ألوهيته المزعومة. فلماذا هاتان القضيتان؟

لأن النصارى يقولون: إن السيد المسيح صُلب ليخلص بني آدم من ذنوبهم وخطاياهم، فما قصة هذا الفداء الذي يزعمون، وهل هذا صحيح؟ وهل يتفق مع العدالة الإلهية والمنطق السليم؟ ما هو ذنب سيدنا عيسى حتى يصلب ليكون كفارة عن ذنوب الخلائق؟ وهل من العدل أن نؤاخذ الإنسان بجريرة غيره؟ إذا ارتكب إنسان ما جريمة قتل، فما ذنب أخيه حتى نؤاخذ به ونعاقبه على جريمة ارتكبها غيره؟ إن الحكم الرباني صريح كل الصراحة: ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ / النجم: ٣٨، ﴿كُلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً﴾ / المدثر: ٣٨. فإذا علمنا أن النصارى يقولون: «بأن من لم يؤمن بمسألة الصلب هذه لا ينفعه إيمانه ولا ينفعه عمل صالح»، إذا علمنا هذا أدركنا إلى أي مدى ذهبوا في ترك المنطق السليم.

بل إنهم وجدوا لعقيدتهم هذه أصلاً، فقالوا: إن آدم وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة التي نهاه مولانا عن الأكل منها، فصار خاطئاً، وصار جميع ذريته مخطئين مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي، وأبناء آدم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم. ثم يتابع النصارى أقوالهم البعيدة عن العقل السليم فيقولون: (ولما كان من صفات الإله: العدل والرحمة، فمن عدله ألا يترك الجريمة دون عقاب وإلا لم يكن عادلاً، ولهذا شاء الله أن يحل ابنه الذي هو بنفسه (الله) في رحم امرأة من ذرية آدم، ويتجسد جنيناً في رحمها ويولد منها، فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث أنه ابن لتلك المرأة، وإلهاً من حيث إنه ابن الله، ويكون معصوماً من جميع المعاصي، ثم وبعد أن يعيش كما يعيش الناس، ويأكل كما يأكلون ويشرب مما يشربون يأتي أعداء الله وأعداء شريعته فيقتلونه شر قتله، وهي أن يصلبوه ويسمّروا يديه ورجليه في الخشب، ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه، ويضفروا له إكليلاً من الشوك ويصقوا في وجهه، كل ذلك ليفدي البشر من جريمة لم يقرّفها هو ولا بنو البشر...

أيها السادة الكرام

اسمعوا الغريب واسمعوا العجيب

الغريب جداً أن قولهم هذا يخالف ما في كتابهم المقدس عندهم حين يقول: (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل).

هذا كتابهم ينطق عليهم بالحق ﴿ولكن الكافرين بآيات الله يحدون﴾ ولقد شك الحواريون كما شك اليهود في أمر السيد المسيح، واختلفوا فيه اختلافاً كبيراً، فمن هو المصلوب يا ترى؟

أهو عيسى المسيح أم ذلك الشاب؟ بل ذهبت فرقة أخرى أنه يهوذا الإسخريوطي، وهو الذي دهم على مكانه، فلما ألقى الله شبهه على الشاب ورفع سيدنا عيسى إلى السماء دخل اليهود فلم يجدوا غير إنسان واحد فقالوا: إذا كان

هذا عيسى فأين صاحبنا، وإذا كان هذا صاحبنا فأين عيسى، فأخذوه وصلبوه، وانتقم الله من الواشي واختنق وقتل نفسه.

وقد ردَّ القرآن الكريم على اليهود والنصارى، وذكر العقيدة الحقَّة التي يدين بها المسلمون، فعلى الموجات الإيمانية من سورة النساء:

﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ / النساء: ١٥٨.

والأغرب والأعجب في أمر النصارى أنهم مع اعتقادهم بصلب السيد المسيح فهم يعتقدون بألوهيته أو بأنه ابن إله.

بالله عليكم **معشر الاخوة** . إذا صلب الإله كيف يكون شأن الخلق؟ ولمن ياترى ترك تدبير العالم بعد أن صلب ؟

ثم إن اليهود أنفسهم اضطربوا فيه وادعوا أنه ابن زنى، قالوا: لا بد للولد أن يكون له أب، والمسيح ليس له أب، فلا بد أن يكون ابن زنى.

والنصارى ادعوا أنه ابن الله لأنه خلق من رُوح الله، وروح الله جزءٌ من الإله فلا بد أن يكون ابن الله.

والفريقان نسب إلى الله عملاً حيوانياً ينتمي إلى أحط وظائف الحيوان وهو الجنس، وهذا لا يمكن أن ننسبه إلى الله على نحو ما يردده النصارى.

تعالوا معي - **معشر السادة** - نتأمل في كتاب الله تعالى: القرآن الكريم، «وهو الحَكَم الفصل ليس بالهزل من قال به عدل، ومن عمل به هدي إلى صراط مستقيم».

إن مولانا ذكر عقائد النصارى مفصلة ، وردَّها بقوة وحكم على أصحابها بالكفر، فكيف ذلك؟ إن القرآن بيَّن أن فرقهم ثلاثة:

منهم: من يعتقد بأن المسيح هو ابن الله لأنه خلق من روحه.
ومنهم: من يعتقد بأن المسيح نفسه هو الله، تجسم وتجسد في صورة يسوع، نزل
إلى الأرض ليخلص الناس من آثامهم.
ومنهم: من يعتقد بعقيدة التثليث (الأقانيم الثلاثة): الأب والابن وروح القدس،
وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة.

ويتساءل المرء: كيف يكون عيسى إلهاً مع أنه خرج من رحم امرأة، وولد كبقية
الناس؟ كيف يكون إلهاً مع أنه كان يأكل ويشرب وينام ويتألم ويتعب ويحتاج إلى
بيت الخلاء.

ولذلك ردَّ القرآن الكريم عليهم الباطل والضلال، وبَيَّن الكفر والشرك فقال جل
ثناؤه:

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله
ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم إنما الله إلهٌ واحد، سبحانه أن يكون له ولد، له
ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾ /النساء: ١٧١/.

وعلى موجات سورة المائدة:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ /المائدة: ١٧/.

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ /المائدة:

٧٣/.

معشر السادة

إذا كان اليهود والنصارى يعجبون من أمر سيدنا عيسى لأنه ولد بدون أب
فأمر سيدنا آدم أعجب، لأنه بدون أب وبدون أم، فالذي خلق سيدنا آدم من
تراب وقال له: كن فيكون هو الذي خلق عيسى بدون أب وهو الله جل جلاله
القادر على كل شيء. ومن أجل ذلك ضرب القرآن المثل بسيدنا آدم فقال:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ / آل عمران: ٥٩.

تلك هي عقيدتنا نحن المسلمين في موضوع السيد المسيح عقيدة صحيحة خالية من الانحراف ومن الزيغ والباطل.

أيها الإخوة

لم تنته مهمة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بعد، وسينزل إلى الأرض لیتتم رسالته ويبلغ دعوته، اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (أحمد: متواتر):

«ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»

وسيحكم بشريعة القرآن، فلا يقبل إلا الإسلام. وهذا بالضبط هو المراد في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ / الزخرف: / أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

فهنيئاً لكم - معشر المسلمين - ويا أمة سيدنا محمد (ﷺ) بهذه العقيدة، هنيئاً لكم يا من جئتم لتجددوا العهد مع الله، وتقولوا لا إله إلا الله كلكم ما أتى وما دفعه أن يأتي إلا أن يوحد الله، ما الذي جاء بكم؟ أسمعوني بربكم، ارفعوا أصواتكم بالتوحيد، جددوا إيمانكم وقولوا لا إله إلا الله ، قال (ﷺ) يوماً لأصحابه: جددوا إيمانكم، فقالوا: كيف يا رسول الله نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله (ض).

ويقول (ﷺ):

«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق،

أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء)» (خ ٣٤٣٥ - والزيادة: م).

وعن علي بن شداد قال: حدثني أبي شداد بن أوس رضي الله عنه، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب. وقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب. وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق والنار حق، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد ثم قال:

أبشروا فإن الله قد غفر لكم» (الترغيب والترهيب بإسناد حسن).

وأنا أنقل لكم هذه البشرى قوموا فقد غفر الله لكم
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

(٣٥)

القرآن يتكلم عن اليهود

الحمد لله معز الاسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرفِ الأمور بأمره ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله وجعل العاقبة للمتقين بفضله.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد:

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله داحض الشرك ورافض الإفاك.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم لأكشف حقيقة هامة حقيقة يحاول قتلة، الأنبياء في هذه الأيام أن يخفوها عن العالم تحت شعار أنهم شعب الله المختار، إنهم اليهود الذين يحاولون اليوم بكل ما أوتوا من قوة وتحت هدير الجرافات التي تجرف تراب الأرض المقدسة لتقيم المستوطنات على أرضنا الحبيبة، تحت شعار تأسيس مملكة يهودية، فهل يستطيع اليهود ذلك؟ سأحاول اليوم بإذن الله تعالى أن أجيب عن هذا السؤال،

بعد أن بقينا طيلة حلقات متسلسلة بلغ عددها الكثير منذ الحديث عن أبي بني إسرائيل وهو سيدنا يعقوب وإلى خاتمهم سيدنا عيسى قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

أظهر لكم اليوم مدى الهاوية التي وصلت إليها هذه الشرذمة الوسخة حتى تحولت إلى ما هو أخط من الحيوانات، أرى لزماً عليّ أن اكشفهم وأعريهم على حقيقتهم لنحذرهم أشد الحذر، أقول هذا الكلام في وقت تدافع فيه أمريكا وأوروبا عن اليهود، ويتركونهم يعيشون في الأرض فساداً بل ويمدونهم بالعتاد والسلاح ليقبضوا دولتهم المزعومة تحت شعار السلام، وأي سلام؟! بالمؤتمرات التي تنعقد لتنفض، وتنفض لتنعقد، تمهل هؤلاء حتى ينتهوا من عملهم ولا يبق على الساحة من يدافع عن السلام إلا دولة السلام سورية الحبيبة.

أيها الإخوة:

منذ قرون طويلة واليهود يعدّون لخطّة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع، ليحكم ملكٌ من نسل داود يعيد الملك إلى بني إسرائيل ويخضع الشعوب كلها لليهود، ويكون مقر الحكومة اليهودية في القدس، التي يسمونها (أورشليم)، إنني اليوم أفتح لكم ملف اليهود مع الحلقة الخامسة والثلاثين من سلسلة أعلام الشخصيات الإسلامية من جامع الدرويشية وفي بداية حلقتنا هذه أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من سورة بني إسرائيل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم ردّنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال

وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴿٨﴾ / الإسراء: ٨.

أيها السادة الكرام: كل نعمة يُنعمها رب العزة على العبد فلا يتلقاها بالشكر والعرفان وتسخيرها بالطاعة وفعل الخير سوف تكون نقمة عليه واستدرجاً له، بل وسبباً في العذاب الأليم فكم نذكر من دول وحكام وملوك أصبحوا أسياداً وقواداً للعالم ثم تحولوا إلى سباع ضارية آكلة للحوم البشر وهاتكة لأعراض النساء وربما ادعت هذه الملوك والحكام مع طول الفترة أنهم آلهة يُعبدون مع الله، أو أنهم آلهة من دون الله كما فعل فرعون والنمرود من قبل، وقد أتى الله بني إسرائيل القوة والبنين والأموال، فاسمعوا معي إلى عنصرية اليهود اسمعوا إلى دعواهم الفاسدة:

إنهم يقولون إن الناس كلهم خلقوا - باستثناء اليهود - من نطفة حصان وخلقهم الله على هيئة انسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود، اليهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم لأنهم شعب الله المختار.

هذه هي هرطقتهم!! هذه دعواهم!! فماذا يقولون عن بني الانسان وكيف ينظرون إليهم؟

إن اليهود ينظرون إلى الناس نظرة احتقار وازدراء ويصفونهم بالكلاب، وأن بيوتهم زرائب حيوانات، إذن لا تستغربوا قتل إخواننا الفلسطينيين في الماضي واليوم والمستقبل، لأن اليهود نصُّوا في كتبهم أن الذي يقتل أجنبياً يكافؤ بالخلود في الفردوس - قولوا لعنهم الله.

على أن العالم كله يعرف حقيقة هؤلاء القتلة السفّاكين المتحللين من كل فضيلة، لأن كلمة الأخلاق غير موجودة في حياتهم، غير معروفة لديهم فالزنى بغير اليهود مثلاً سواء أكانوا ذكوراً يعني لواطاً أم إناثاً مباح عندهم، المرأة اليهودية المتزوجة لا

يحق لها أن تشكو زوجها إذا زنى على فراشها، واللواط عندهم مباح مع الزوجة، إنهم شياطين الأمم وخنازيها بل وكلاهما، المرأة عندهم كقطعة لحم اشتروها من الجزار ولليهودي الحق في أكلها مطبوخة أو مشوية أو مقطعة، لا أخلاق، لا فضيلة، بل وحشية وقسوة على غير بني اليهود، والدليل عندي وتحت يدي أنقله لكم بعد أن توحدوا الله تعالى.

أيها السادة: يُعز عليّ أن أنقلكم إلى أحد أعياد اليهود، فاسمحوا لي أن أسلط عليهم الأشعة الكاشفة من بعيد على هذا العيد، فليهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير، وأي فطير؟! إنه ليس فطيراً عادياً كما نأكله مع السبانخ أو الجبن، أنه فطير ممزوج من بشيء خاص مميز هذا الشيء هو الدماء البشرية؟!.

كان هذا هو الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل.

أيها السادة: سنّ لنا الإسلام في عيد الأضحى ذبح الحيوانات من الأنعام الإبل والبقر والغنم، وما دام بني الإنسان من غير اليهود هم حيوانات في نظر اليهود فإنهم في شهرين من كل سنة، وبالتحديد في مثل شهركم هذا أي في آذار ونيسان، يقوم اليهود بما يسمى بالعيد، في آذار عيد البوريم، وما أدراك ما عيد البوريم؟! تنتقى ذبائح هذا العيد من شبان غير اليهود يذبحون الشاب ويأخذون دمه ويجففونه على شكل ذرات تمزج بعجين الفطائر، أمّا في نيسان في (عيد الفصح) فتكون الذبائح عادة من الأولاد الصغار، الأولاد الذين لا تزيد أعمارهم على ٥ - ٨ سنوات هل أدركتم المأساة التي فيها إخواننا في فلسطين؟ هل رأيتم أعداء الإسلام والسلام إليكم الطامة الكبرى في تفصيل هذه المأساة:

يؤخذ الدم بإحدى طريقتين الأولى بواسطة البرميل الإبري، وهو عبارة عن برميل يتسع لجسم الضحية، يثبت على جميع جوانبه إبرٌ حادة، تغرز في جسم الضحية عند وضعها في البرميل، وعندما توضع الضحية في البرميل يسيل دمها ببطء من

كل جزء من أجزاء الجسم مقرونة بالعذاب الشديد الذي يعود باللذة على اليهود الذين ينتشون برؤية الدم ينفذ من ضحيتهم ويسيل من أسفل البرميل إلى إناء معد لجمعه!!؟ قولوا لعنهم الله.

وهل هناك أبشع من هذه الجريمة النكراء بحق البشرية؟! إنني لن أتحدث عن بيوت الدعارة التي يديرها هؤلاء اليهود، ولا عن سعيهم في الأرض فساداً، لكني أستغرب حين أرى إنساناً يخلقه الله ويرزقه ويجعل له قوة في الأرض ثم يتهم خالقه وربّه بالتقصير في حقه وعدم إرادة الخير له، نعم إن اليهود لم يكتفوا باتخاذ شريك لله ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ /التوبة: ٣٠/ بل راحوا يكذبون على مولانا، اسمعوا البيان الإلهي القطعي ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة - الله بخيل - غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ /المائدة: ٦٤/ ﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسحت - الربا-﴾ /المائدة: ٤٢/ ﴿ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ /البقرة: ٧٤/، فهل سينجح هؤلاء القساة البغاة في تأسيس مملكتهم اليهودية؟!.

أيها السادة:

لو كنا في القرن الأول الهجري وقمت فيكم خطيباً لأجبت وقتها وقلت لكم فوراً: لا، لن يستطيع اليهود إقامة مملكة لسبيين: الأول لان الله قضى منذ القديم عليهم بالذلة والمهانة في هذه الحياة فلا تقوم لهم دولة.

والثاني: قضى الله عليهم بالتمزق في الأرض، قال تعالى: ﴿وقطّعناهم في الأرض أمماً﴾ /الأعراف: ١٦٨/ «متفرقين» أما اليوم وبعد /١٤/ قرناً وقد تحققت أمارات الساعة الصغرى والوسطى، وربما أوشكت الأمارات الكبرى على الظهور، فإنني أقول لكم إنه سوف تؤسس دولة لليهود في فلسطين، وربما تقولون هذا موجود فعلاً اليوم. لكنني أقول لكم إن هذه الدولة حدّث عنها سيد الوجود سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم، أنقل لكم هذا الكلام عن الصادق المصدوق الذي نفذ به بأرواحنا ونصلي عليه بألستتنا، قال لنا:

«كيف أنتم إذا قاتلتم اليهود أنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيه» وسيقتل زعيمهم ورئيسهم الدجال عند باب اللد شرقي بيت المقدس، وقد صدرت لكم حديثي بآيات بني إسرائيل التي تشير إلى بناء هذه الدولة، فربُّ العزة يقول: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾ الإسراء: ٤ قدَّرنا وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب: أي في اللوح المحفوظ أو القرآن.

لَتُفْسِدُنَّ : واللام لام الاستقبال ، تعني أن الفساد سيحصل في المستقبل ، ﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ / الإسراء: ٤ / فمولانا تحدث عن الفساد مرتين وتحدث عن العلو مرة واحدة، أو كأنما أراد مرة واحدة، فماذا سيفعل الله بهم عندما يفسدون في الأرض المرة الأولى؟

﴿فإذا جاء وعد أولاهما (موعد الفساد الأول) بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد﴾ / الإسراء: ٥ / ولاحظوا الكلمة ﴿عباداً لنا﴾ انظروا هذا تشريف، ولكنني حينما رجعت إلى كتب التفسير وجدت أن المفسرين يقولون في ﴿عباداً لنا﴾ الرومان والكلدانيين لكن هذا بعيد، لأنهم كانوا من الوثنيين ومحال أن يضيف الله إليه هؤلاء، لأن المتتبع لآيات القرآن يجد أن كلمة العبودية إذا أضيفت إلى الله فهي في موضع التشريف:

﴿وعباد الرحمن﴾ / الفرقان: ٦٣ / تشريف أم لا؟ هذا تشريف ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ تشريف وأعظم وصف كان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ / الإسراء: ١ /، فقول مولانا ﴿عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ هم أصحاب سيدنا رسول الله اللهم صل عليه وآله وسلم، الذين جاسوا في بني قينقاع وبني النضير في المدينة، ثم في خيبر، وقضوا على نفوذ اليهود السياسي والاقتصادي، قال تعالى ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ / الإسراء: ٥ / وانتهى هذا

النفوذ والقرآن ما زال ينزل، انتهى سلطان اليهود في الجزيرة زمن من تحبون ان تصلوا عليه وزمن أصحابه الكرام.

قال تعالى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ /الإسراء: ٦/ رددنا الكرة على أحفاد الذين جاسوا خلال الديار، علينا نحن المسلمين، هذا القرآن يتلى لا شك فيه ولا ريب، مولانا يخاطب المسلمين أن اليهود سيكون لهم صولة وسلطة ودولة.(اعرف عدوك)

والسياسيون يعرفون ان الدولة تحتاج إلى ثلاثة أركان لأجل أن تكون دولة : ١ _ أرض ٢ _ شعب ٣ _ اقتصاد.

وقد استولى اليهود بوعد بلفور على الأرض المقدسة أول هذا القرن ونفذوه في منتصفه، فأين الشعب والمال؟ اسمعوا إلى رب العزة يقول: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ /الإسراء: ٦/ أكثر شعباً ومحاربة لعدوكم)، دولة اليهود اليوم تقوم على التبرعات أو الأموال، وتأتيهم من أمريكا وألمانيا وأذناهما، ولم يمدَّ اليهود بالتبرعات خلال القرون الماضية، لم يمد اليهود بالتبرعات خلال التاريخ القديم أبداً، الله يقول ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ من كل أنحاء العالم، اسمعوا الآيات على موجات سورة الإسراء نفسها ﴿وقلنا من بعده - من بعد موسى - لبني إسرائيل اسكنوا الأرض﴾ /الإسراء: ١٠٤/ ﴿وقطعناهم﴾ (١) في الأرض أمما /الأعراف: ١٦٨/، ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾ جئنا بكم ملتفين جماعات جماعات إلى فلسطين. (قولوا الله أكبر)

اليهود اليوم يأتون إلى فلسطين من كل دول الدنيا، العام الماضي /٢٠٠/ ألف يهودي من روسيا، ومن أرض الحبشة جاء، ومن أمريكا جاء والمستوطنات تبنى وتسكن، وما يدرون أن الله ينفذ حكمهم فيهم، هو الذي يأتي بهم إلى القدس ليقتلوا بيد المسلمين، فاستبشروا بالنصر الأكيد، كل من يأتي إلى فلسطين من اليهود سيذبح، ولو أصبحت له قوة مالية وعسكرية ، الله يقول لليهود ﴿وأمددناكم

بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا» أكثر قوة عسكرية، لان النفير هو نفير الحرب: طائرات حاملات طائرات صواريخ بواخر أساطيل، قوة أمريكا وألمانيا و ٢٨ دولة من وراءهما وهذا وصف دقيق موجود بالقرآن منذ /١٤/ قرناً، وصفٌ وصفه الذي يعلم السر وأخفى والسؤال هو: لم هذه القوة العسكرية؟ لم هذا المدد العظيم؟ لقد أتت الآيات متتابعة: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ «بِهذه القوة واتخذتموها في الخير» أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم «باتخاذها في الشر» فلها» واليهود لم يحسنوا: قتلوا الأطفال والنساء وقتلوا الرجال، وحرقوا الأقصى، والأقصى عند الله عظيم ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾، «ليدمر المسلمون دولة اليهود وعلوهم وقوتهم» ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ لتصبح وجوههم سيئة ذليلة (وليدخلوا) يعني المسلمين المسجد كما دخلوه أول مرة) فهل يدخل المسلمون المسجد الأقصى؟

هذا سؤال ادع جوابه اليوم لأيام قليلة قادمة لتصدقوا وليزداد الذين آمنوا إيماناً أن قوة أمريكا وآلاف مؤلفة من وراء أمريكا من المشرق والمغرب ليس فقط اسرائيل بل الآلاف من دول الإلحاد والكفر لن تصمد ولا لحظة واحدة أمام قوة الله رب العالمين، اسمعوا البشارة من رب العزة يقول: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ المعركة معركة مسجد وبن غوريون كان يقول: «لا معنى لدولة اسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل، والهيكل موجود تحت المسجد» لذلك اليهود اليوم يعملون لتقويض المسجد، وأشهد الله تعالى أنهم لن يفلحوا إذن أبداً، لان الله يقول (وليدخلوا المسجد) نفس المسجد سندخله نحن باذن الله و لن يفلح اليهود اليوم بتقويض المسجد الأقصى، لانه إذا هدم فلا مسجد والله يقول (سيدخلون المسجد) وهذه بشارة وإشارة والله عز وجل كفيل بتحقيقها، فقل من قلبك الله أكبر.

والآن المسلمون في حالة يأس من حكام الدنيا، يئسوا من الحكام ومن الملوك ومن مجلس الأمن، ومن كل قوة على وجه الأرض، ويئسوا منهم أن يردوا القدس

وفلسطين، أغلقت جميع الأبواب الآن، مادمنا كذلك فأبشركم أنها علامة الفرج، نعم علامة على الفرج، عجيب أمن اليأس يأتي الفرج؟ نعم، اسمعوا الى مولانا يقول: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا جاءهم نصرنا﴾ /يوسف: ١١٠/ وهو الذي قال: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ /الصافات: ١٧١ - ١٧٣/ والربانيون بدؤوا على الأرض الآن، الربانية تعني أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وإذا كنت قائداً ان تتقرب إلى الله أبداً، فلا بد للرباني أن يكون مع الله لأن الأمور كلها بيد الله، لم يبق لنا إلا الله أن نلجأ إليه، لن نلجأ إلى أمريكا ولا إلى روسيا ولا إلى الوسائل المادية ولا العسكرية بل إلى الله تعالى.

فاللهم إليك نشكو ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، نعوذ بنور وجهك الذي أنارت عليه الدنيا والآخرة من أن تنزل علينا غضبك، أو يحل علينا سخطك، لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.



(٣٦)

سيدنا ومولانا محمد ﷺ آبائُه - أجداده - ولادته

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردّها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدّها بالعناية الربانية فَقَصَرَ آمالها. أحمده حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سربالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت بها الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان ما لها. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله والجاهلية تشرع ضلالها، فلم يزل تراجع جدالها ويضيق مجالها، ويعرف خيلها ورجالها حتى عرفت مرامها، وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما خالفت الجنوب في الهبوب شمالها، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة: نحن اليوم ننزل ضيوفاً على من؟
على أي نبي كريم وسيد عظيم؟

إننا ننزل ضيوفاً على أول خلق الله نوراً، وإمام النبيين طُراً، الطاهر المطهّر الذي قال لنا: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشقّع» (م: ٢٢٧٨).

نبي قال لنا: “أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» (م: ٥٣٣).

نحن اليوم في حضرة نبي قال عنه أصحابه : ما شئنا عنبراً قط ولا مسكاً ولا

شيئاً أطيب من رسول الله ﷺ، إننا نقف اليوم اجلالاً واحتراماً وتوقيراً وتعظيماً لني
خصه الله بثلاثين اسماً من اسمائه:

فهو الأكرم والأمين والأول والآخر، والبشير والنذير والجبار والخبير والحق وذو
القوة، والرؤوف والرحيم، والشهيد والكريم، والشكور والمبين، والصادق والعظيم،
العفو والمولى والولي والعالم والعزيز والفتاح والهادي والمؤمن والمهيمن والمقدس والنور،
وطه ويسن.

إنه سيدنا ومولانا محمد ﷺ. الذي قال عنه ذاته إن لي أسماء: «أنا محمد، وأنا
أحمد، وأنا الحاشر (الذي يحشر الناس على قدميه) وأنا الماحي (الذي يمحو الله به
الكفر) وأنا العاقب لاني بعدي» (م: ٢٣٥٤)، «وهو نبي الرحمة ونبي التوبة»
(م: ٢٣٥٥).

لَمْ يَحْتَلَمْ قَطُّ وَلَا لَهُ ظِلَالٌ	خُصَّ نَبِينَا بِعَشْرَةِ خَصَالٍ
كَذَلِكَ الدُّبَابُ عَنْهُ مَمْتَنٌ	الْأَرْضُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ تَبَتَّلِعُ
يَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرَى أَمَامَ	تَنَامُ عَيْنَاهُ وَقَلْبُهُ لَا يَنَامُ
تَأْتِي إِلَيْهِ سُرْعَةً لَا تَهْرُبُ	تَعْرِفُهُ الدَّوَابُّ حِينَ يَرْكَبُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ صَبْحاً وَمَسَا	عَلَا جُلُوسُهُ جُلُوسُ الْجُلَسَا

أيها السادة:

إننا باختصار مع النبي الخامس والعشرين من سلسلة الأنبياء والنبوات، وبالضبط
مع الحلقة السادسة والثلاثون من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية،
ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد عالياً.

لا إله الا الله سيدنا ومولانا محمد رسول الله

أيها الإخوة: وقبل أن أفتح معكم ملف حياة نبينا الأعظم أقف معكم وقفة
المتأمل المتفحص عن الفترة الواقعة بين سيدنا عيسى وبين سيدنا محمد ﷺ، هذه

الفترة التي يصرح فيها نبينا أنه لم يكن فيها نبي. فهو القائل: (أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد عَالَت (ضرائر)، ليس بيني - وبينه نبي) (م: ٢٣٦٥) وسيكون هذا الحديث مقدّمة بين يدي الحديث عن آباءه ﷺ وحكمهم في الشريعة وأصول الدين.

أيها الإخوة:

هذه الفترة تقدر بـ /٥٧٠/ سنة تسمى فترة الرسل، وفيها يتطرق تغير وتحريف إلى الشرائع لتقادم العهد واختلاط الحق بالباطل، والصدق بالكذب، وأهل الفترة هم الأقوام الكائنون بين أزمنة الرسل. لم يُرسل اليهم رسولٌ ولا أدركوا حياة رسول، لكننا إذا تكلمنا في الفترة فإنما نعني بها بالتي بين رسولنا سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام. واسمع الى مولانا عز وجل يقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتندر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ /السجدة: ٣/.

فالمراد بالقوم هنا . قريش والعرب . وهوقول قتادة وابن عباس ومقاتل . ولا يعرف التاريخ رسولاً بين اسماعيل جدّ العرب الأول وبين سيدنا محمد ﷺ وكانوا بعد سيدنا إسماعيل ملزمين بملة إبراهيم، فَشَتَّ فيهم عبادة الأصنام، فبعث الله لهم نبينا محمداً ﷺ وقال لنا (صلوا عليه):

«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (م: ١٥٣) فاللهم اشهد بأننا نؤمن بنبيك سيدنا محمداً وبما أرسل الله ﷻ فهل أنتم مؤمنون؟. قولوا: نعم. فالحديث يدل على أن الذي يكون من أصحاب النار هو من يجتمع فيه ثلاثة أمور:

١ . أن يسمع بالرسول ﷺ وذلك بان تبلغه دعوته وما جاء معه من دلائل صدقه.

٢ . لا يؤمن بما أرسل به ﷺ.

٣ . ويموت على ذلك.

والذي نفهمه من الحديث أنه يكفي للنجاة: أن لا يسمع بالرسول بآلا تبلغه دعوته كمن عاش منقطعاً عن العالم في جزيرة أو جبل أو بركة منقطعة، أو أن يسمع ويؤمن ويموت على غير ذلك. ولذلك يقول عز وجل: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ /الإسراء: ١٥، ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ /القصص: ٥٩.

وأهل الفترة لم تقم عليهم حجة الله ﷻ بالرسول فلا يعذبهم ، فهم ناجون وإن بدلوا وغيروا أو عبدوا الأصنام في زمن الفترة، يقول مجدد القرن العاشر الهجري و شيخ علمائه مولانا الإمام السيوطي في فتاويه:

(لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم (أي أهل الفترة) غير معذبين).

لكن لنا وقفة هنا، وقفها بعض المالكية والإمام النووي والفخر الرازي فإنهم اشترطوا لنجاة أهل الفترة: ألا يكونوا مشركين كامرئ القيس وحاتم الطائي، بخلاف من لم يشرك منهم ومن لم يوحد ويبقى عمره في غفلة عن هذا كله، وبخلاف من اهتدى منهم بعقله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، فلا خلاف في نجاتهم، لأن قساً كان إذا سئل: هل لهذا العالم إله يقول: (البقرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، وسماء ذات أبرج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير).

وأما زيد فكان يسجد ويقول: «إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم» (ن: أبو نعيم والفاكهي). ويقول: إني لأنتظر نبياً من ولد اسماعيل من بني عبد المطلب ولا

أراني أدركه، وأنا أؤمن به وأصدقته، وأشهد أنه نبي، ومن طالت به مدة ورآه فليقرئه مني السلام».

وقد أكرمه الله تعالى أنه عاصر النبي واجتمع به، وآمن به قبل بعثته بخمس سنين ولم يدركها، حيث مات وقريش تبني الكعبة، تقول السيدة أسماء رضي الله عنها:

«لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: . يامعشر قريش، والذي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري (خ: ٣٨٢٨)، وكان يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلم » ثم يسجد وكان ينكر على قريش الذبح لغير الله تعالى، وصحَّ أنه لم يأكل من ذبائح المشركين التي أهلٌ بها لغير الله، وقد سأل ابنه سعيد بن زيد (وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) مرة نبينا ﷺ فقال: إن أبي كان كما رأيت وكما بلغكم أفأستغفر له؟ قال: نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده».

فأهل الفترة ثلاثة: الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته وهؤلاء منهم من لم يدخل في شريعة الإسلام كقس بن ساعده وزيد بن عمرو، ومنهم من دخل في شريعة حق كُتِبَ.

الثاني: من بدل وغير وأشرك وشرع لنفسه، فحلل وحرَّم ، وهم الأكثر كعمرو بن لحي، وهو أول من أحدث للعرب عبادة الأصنام، وزادت طائفة على ذلك فعبدوا الجن والملائكة، وهم الذين قيل بتعذيبهم.

الثالث: لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة ولا ابتكر شريعة فهؤلاء غير معذبين.

أيها السادة .. إذا علمنا أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمنا أن آباءه وأمهاته وأجداده ﷺ ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم عيب ولا شيء مما كان عليه أهل الجاهلية، اسمعوا إلى مولانا عز وجل يزكي آباء نبينا ﷺ فيقول:

﴿وتقلبك في الساجدين﴾ /الشعراء: ٢١٩ / واسمعوا إلى حبيبنا سيدنا رسول
ﷺ يقول: (» إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد
إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم،
 واصطفاني من بني هاشم) (م: ٢٢٧٦)» فهو ﷺ خيار من خيار (يا
سعد من صلى عليه).

ويقول المؤرخ الكلبي صاحب كتاب الأنساب: «كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أم فما
وجدت فيهم سفاحاً ولا شيئاً مما كانت عليه أمور الجاهلية».

حفظ الإله كرامة لمحمد آباءه الأجداد صوناً لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره من آدم وإلى أبيه وأمه

فالحق الذي تلقى الله عليه أن أبويه ﷺ ناجيان ، وللسيوطي في هذه المسألة
عشرة مؤلفات كلها تصب في وجوب الأدب مع رسول ﷺ ، وقد أورد
حديث إحياء والديه ﷺ حتى آمنّا به، وعلى ذلك جماعة من الحفاظ.

وقد سئل ابن العربي المالكي الفقيه المحدث عن رجل قال: إن آباء النبي في النار.
فقال عنه: إنه ملعون لأن الله تعالى يقول: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والآخرة﴾ /الأحزاب: ٥٧/ ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه ﷺ
إنه في النار، وما أحسن قول حافظ الشام ابن ناصر الدين:

حبا الله النبي مزيد فضل على فضلٍ وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً منيفا
فسلم فقديم بهذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

إننا معشر السادة الكرام

على أبواب الصفحة الثانية من حياة النبي الخامس والعشرين من الأنبياء والمرسلين فهو: سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ بن عبد المطلب شيبه الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وإلى هذا الجد انتهى النسب الشريف الذي انعقد عليه الإجماع، وليس فيما بعده إلى آدم طريق صحيح فلا تجب معرفة ما بعد هذا الجد بلا خلاف لأن نبينا ﷺ كان إذا انتهى في النسب إلى عدنان أمسك ثم يقول: كذب النسّابون (ض) .

أيها الإخوة:

هناك أمور يجب معرفتها عن سيدنا محمد ﷺ ويجب اعتقادها، من هذه الأمور أنه ولد بمكة المشرفة قبيل فجر الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول وهذه الليلة أفضل من ليلة القدر ويستجاب الدعاء في الساعة التي ولد فيها ﷺ في كل ليلة.

ومن أجل ما سُنَّ بل من أدلّ القربات والطاعات ما جرت به العادة من العناية بالمولد الشريف والفرح بسيد السادات وإطعام الطعام وقراءة قصة المولد الشريف.

قال ابن الجوزي: مما جرب أن من عمل المولد كان أماناً له في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل المرام، وقد صح أنه لما ولد ﷺ ذهبت ثوية فبشرت مولاهم أبا لهب بولادته فأعتقها وأمرها برضاعته، فجوزي بأن يخفف عنه في النار كل ليلة إثنين، فإذا كان هذا حال من صرح القرآن بدمه فما ظنك بالمسلم الذي يفرح بولادته ﷺ ويبدل ماتصل إليه قدرته في محبته، إن الله لا يضيع أجره.

ومن أجل ما سُنَّ أيضاً ما جرت به العادة من قيام الناس حين ذكر مولده ﷺ فيستحب ذلك لما فيه من تعظيمه وإظهار الفرح به والسرور، بل أفتى بعض الحنفية

بكفر من يتركه حين يقوم الناس، ولعمري إذا لم يُقم لقدمه ﷺ ولو عند ذكره مولده فلمن يقام.

وقد ذكر صاحب فتح العلام الشيخ عبد الله الجردي رحمه الله أن سيدنا رسول الله ﷺ لم يولد من الفرج، بل من محل فتح فوقه وتحت السرة والتأم من ساعته، ومثله في ذلك جميع الأنبياء والمرسلين، لكن مارأيت دليلاً عليه، إلا أن المالكية أفتوا بقتل من قال إن نبينا ﷺ ولد من مجرى البول.

تقول السيدة آمنة لما حملت به: ما شعرت أني حملت به ، ولا وجدت له ثقلًا كما تجد النساء إلا أنني أنكرت حيضتي وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأنني أقول: لا أدري.

فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبیها، قالت: فكأن ذلك مما أيقن عندي الحمل.

ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال:

. قولي إذا ولدتيه: أعيزه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سمّيه محمداً ﷺ.

وفي رواية الإمام أحمد (ض: وقواه بعضهم): سمعت وجبة عظيمة، وأمرًا عظيمًا هالني، وسمعت كلامًا لا يشبه كلام الآدميين، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبنًا، وكنت عطشى فتناولتها فأضاء مني نور عال.

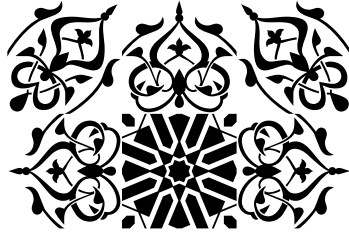
وحضرت قابلته وهي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ومسحت بيدها على بطني وقالت:

بسم الله أُخرج بإذن الله.

فأخذني المخاض فوضعت ولدي محمداً، فوقع على كفيه وركبته على الأرض شاخصاً ببصره إلى السماء وسمعته يقول : جلال ربي الرفيع ، الله أكبر كبيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وأهوى ساجداً لله تعالى(١):
فصلوا عليه وسلموا تسليماً.

صلى الإله على ابن آمنة الذي جاءت به سبط البنان كريما
قل لمن يرجو شفاعة أحمد صلوا عليه وسلموا تسليما

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها
عليه أن يوحد الله تعالى.





سيد الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد

صلى الله
عليه
وسلم

من الولادة إلى الهجرة

ومن الهجرة إلى الوفاة

(٣٧)

الولادة المباركة

الحمد لله الذي فضل أمة حبيبه المصطفى على سائر الأمم، وشرفهم باتباعهم
لأشرف العرب والعجم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. تجلّى على قلوب أحبائه بالأنس
والرضوان ، وأسبغ عليهم نعمه الوافرة الجزيلة بمحض الفضل والإحسان .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله ونبيه المجتبي وصفيه المرتضى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الكرام،
وسلم تسليماً.

أما بعد: فنقضي هذه اللحظات المباركة والساعات الطيبة في رحاب سيد الخلق
وحبيب الحق، ونحن نتنسم أنفاسها الطيبة وأنسامها العطرة، بدءاً من أول أمره ﷺ
إلى منتهاه.

روى الإمام أحمد وغيره عن أول أمر المصطفى ﷺ حيث يقول ﷺ :
« إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأحدثكم
بأول أمري: دعوة إبراهيم: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .
وبشارة عيسى: ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ﴾ .

ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام».

أيها الإخوة: تعالوا نعيش مع مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية:
وأسدت للبرية بنت وهب يداً بيضاء طوّقت الرقابا
لقد وضعته وهاجاً منيراً كما تلد السمواتُ السحابا

معشر السادة الكرام :

كل مولود منا يأخذه أبوه ليسجله في السجل المدني، أما سيدنا محمد فعندما ولد تلفت ذات اليمين وذات الشمال فلم يجد له أباً لأن أباه كان تحت أطباق التراب قد سبقه إلى العالم الآخر، وتلك حكمة ربانية إذ أراد ﷻ لنبيه أن يولد يتيماً حتى لا يقول: أبي أبي وإنما يقول: ربي ربي.

فمن الذي سجل اسم الحبيب محمد ﷺ ، إن الذي سجل اسمه هو ﷻ سبحانه سجله بالقلم البديع في اللوح المحفوظ: ﴿محمد رسول الله﴾ (الحشر).

وانظروا إلى الأسماء التي اختارها ﷻ لنبيه، سَمَاهُ محمداً : ولم يكن هذا الاسم معروفاً في الجاهلية إذ كان العرب يُسمُّون عبد العزى - حنظلة - جبلة. بينما سَمَاهُ ربه محمداً لأجل أن تصلوا عليه كلما ذكر. وحينما وجَّه هذا السؤال إلى جده شيبة الحمد عبد المطلب لم سمَّيته محمداً قال:

«رأيت في منامي كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري لها طرف في السماء وطرف في الأرض ، وطرف في الشرق وطرف في الغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها، فأولها المعبرون بمولود يكون من صليبي يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض» ولأجل ذلك سمَّيته محمداً.

أما أبوه فاسمه عبد ﷻ ، وهو من الأسماء الحيرة التي يسمى بها الولد إذ خير الأسماء "عبد ﷻ وعبد الرحمن". كان أحد شرفاء مكة، وهو صورة طبق الأصل من جده عبد المطلب، ولو أمهله الزمن لتولى مناصب الشرف التي كانت بيد عبد المطلب، وكان شعاره الذي ألزمه طيلة حياته ما عبر عنه بقوله:

أما الحرام فالممات دونه والحل ما حل فأستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه فكيف بالأمر الذي تبغينه

تقول له فاطمة الخثعمية وقد أعرض عنها لما دعتة إليها: فقال فيها هذين البيتين:

.إني لأعرف فيك نسك أهلك.

وأما والدة سيدنا النبي فهي السيدة آمنة بنت وهب، آمنة: من الأمن والطمأنينة، سيدة نساء عصرها تقوى وورعاً .

وكانت مرضعته ﷺ السيدة حليلة السعدية: حلم وسعد.

وقالته : الشَّفاء أمُّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهن وأرضاهن.

الله الله ما أحسن هذه الأسماء اللامعة المضيئة في سماء الإسلام ، وقد مر على الناس زمان كانوا يتفننون باختيار أسماء أعجمية فارسية أو أجنبية لأولادهم، وربما غربية نصرانية أو يهودية. وأما اليوم فإن المسلمين قد عادوا- والله الحمد- يفتخرون بتسمية أولادهم بأسماء الصحابة فاستبشروا بالمجد والنصر يا معشر المسلمين.

ولو نظرنا إلى نسبه الشريف من ناحية والده وأسلافه، ومن ناحية والدته وأخواله فإننا نجدهم من أشرف بيوت مكة وأكرمها وأسمها بشهادة المؤرخين، يقول الكلبي صاحب كتاب الأنساب:

- كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أم فما وجدت فيهم سفاحاً ولا شيئاً مما كانت عليه أمور الجاهلية.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال: نقلتك من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً .

ولذا يقول ﷺ : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم، إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم » . فهو ﷺ خيار من خيار من خيار، (فصلوا عليه).

وقد عدد الرسول ﷺ أسماءه فيما بعد فقال:

« إن لي أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر (الذي يحشر الناس على قدمي)، وأنا الماحي: الذي يمحي به الكفر، وأنا العاقب (لاني بعدي) » .
وهو نبي الرحمة ونبي التوبة. فصلوا عليه.

إخوة الإيمان :

هذه صحيفة التحقيق التي يسميها المعاصرون بالبطاقة الشخصية، نقاء وصفاء ونور واصطفاء .

تقول السيدة آمنة لما حملت به: ما شعرت أني حملتُ به، ولا وجدت له ثَقَلًا
كما تجد النساء إلا أني أنكرت حيضتي، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال:
. هل شعرت أنك حملتِ ؟ .
فكأنني أقول: لا أدري.

فقال: - إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونييها.

قالت: فكأن ذلك مما أيقن عندي الحمل. ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني
فقال:

- قولي إذا ولدته: أعينه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً .
وفي رواية الإمام أحمد: سمعت وجبة عظيمة، وأمرأً عظيماً هالتي، وسمعت كلاماً
لا يشبه كلام الآدميين، ثم التفتُ فإذا أنا بشربة بيضاء لبناً ، وكنت عطشى
فتناولتها فأضاء مني نورٌ عال.

وحضرت قابله ﷺ وهي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ومسحت بيدها على
بطني وقالت: بسم الله. اخرج بإذن الله.

فأخذني المخاض فوضعت ولدي محمداً، فوقع على كفيه وركبتيه على الأرض
شاخصاً ببصره إلى السماء، وسمعته وهو يقول:

جلال ربي الرفيع، الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وأهوى ساجداً
لله تعالى. فصلوا عليه وسلموا تسليماً :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملائكة حوله للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو والخطيرة تزدهي والمنتهى والسّدرة العصماء
بك بشر الله السماء فزينت وتضوعت مسكاً بك الغبراء
يوم يتيه على الزمان صباحه ومساؤه بمحمد وضّاء

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾.



(٣٨)

رضاءه ﷺ

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة سيدنا أبي القاسم ، سيدنا محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب بن هاشم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال: لأشرف أحبابه مقسماً بآية
من كتابه:

﴿والضحى، والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك
من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله وصفيه وخليته الذي قال لمولانا عز وجل عندما نزلت هذه السورة: يا رب
لا أرضى وواحد من أمتي في النار.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً.
أما بعد:

فلم يزل رسول الله ﷺ ينتقل من أصلاب الرجال الطاهرين إلى أرحام النساء
الطاهرات الزاكيات حتى بعثه الله ﷻ هادياً مهدياً فهو ﷺ :

سيد ولد آدم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
أشرف العالمين نسباً وأطهرهم حسباً إذ أن جده هو سيدنا إسماعيل بن خليل
الرحمن سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

رعاه الله وحماه، وأدبه وعلمه ووقاه، ولد يتيماً فكفله جده شيبه الحمد عبد
المطلب ابن هاشم، أرسلت إليه السيدة آمنة أم النبي الرؤوم تبشره بمولد حفيده زينة

الدنيا ونور الكون، فنهض ومعه بنوه حتى أتى آمنة بنت وهب: وأكرم من الولد ولد الولد، وأقرب من الوليد الابن الحفيد، نظر إليه ثم أخذه إلى صدره وحنا عليه وسمّاه محمداً: أي يتجدد حمده أنا بعد أن بشكل مستمر لما تكون منه فعال الخير المتجددة، وفعال الخير تقتضي الحمد والثناء.

وسمّاه ربه في الإنجيل أحمد: أي كثير الحمد والثناء على الله تعالى. وهكذا راح عبد المطلب بالنبي الوليد إلى الكعبة بيت الله وراح يهتف بالكلمات الطيبات المعبرة عن الفرح والحبور وعن الشكر والسرور:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد فاق في المهدي الصبيان أعينه بالبيت ذي الأركان
من كل ذي بغي وذو شنان وحافظ مضطرب العنان

كانت هذه- أيها الإخوة- أولى البشائر التي أجزاها الله على لسان عبده شيبة الحمد الذي ازداد على الأيام حباً لهذا الغلام، ورعاية وإحساناً.
معشر السادة الكرام:

ولد سيدنا النبي ﷺ مسروراً محتوناً، أي مقطوع السرة، طاهراً مطهراً، زكي الرائحة يتلأأ وجهه تالأؤ القمر ليلة التمام.
وظل أياماً لا يذوق من أمه قطرة لبن سوى ما يمضه من إبهامه، وكان أول من رضع منهن:

- أمه السيدة آمنة بنت وهب، ثم رضع من :
- ١- السيدة ثوية جارية أبي لهب وكان قد أعتقها.
 - ٢- ثم أم أيمن بركة الحبشية.
 - ٣- ثم خولة بنت المنذر.
 - ٤- ٦: ثم ثلاث نسوة من بني سليم كل واحدة منهن تدعى عاتكة، لذلك كان يقول ﷺ « أنا ابن العواتك من سليم » .
 - ٧- السيدة حليلة السعدية (بنت أبي ذؤيب).

إخوة الكرام :

اتفقت كلمة رواة السيرة، وقلما يتفقون أن بادية بني سعد (قوم حليلة التي سعدت برضاع السيد الأعظم) كانت تعاني جدياً وقحطاً فما هو إلا أن صار سيدنا محمد ﷺ في منزل السيدة حليلة وسكن إلى صدرها وحجرها حتى عادت منازل حليلة حول الحباء ممرعةً مخضرةً، فكانت أغنامها تروح (ترجع) ممتلئة حتى إن زوجها قال لها:

- والله يا حليلة لقد أخذت نسمةً مباركة.

وبدت في رضاعه معجزات	ليس فيها عن العيون خفاء
أذ أبته ليتمه مرضعات	قلن ما في اليتيم عنا غناء
فأتت من آل سعد فتاة	قد أبتها لفقرها الرضعاء
أخصب العيش عندها بعد محل	إذ غدا للنبي منها غذاء
وإذا سخر الإله أناساً	لسعيد فإنهم سعداء

أيها الأحبة والصحب:

إن الغذاء الأول للجنين هو الرضاعة، لأنه حينما يكون في بطن أمه ليس له باب للرزق إلا باب واحد هو عن طريق سترته يتغذى بواسطها دماً أحمر قانياً، أما حينما يخرج من بطن أمه وحين يسد عليه ذلك الرزق يتعالى صراخه وبكاؤه، يظن أن الله قد قطع عنه سبب رزقه، ولكن الله عندما يقطع عنه ذلك الطريق يعوضه بطريقين وببابين للرزق، ليعلمك الله - ابن آدم - أنه إذا انسد أمامك باب فيني أنا الله أفتح أمامك بابين أحسن من الباب الأول وأطهر، أعوضك مصدرين للرزق هما ثديا أمك: يخرج منهما غذاؤه «من بين فرث ودم» لبناً خالصاً سائغاً حاراً في الشتاء بارداً في الصيف .

وعند الفطام بعد الحولين ينقطع البابان، ولكن الله يعوضه عن ذينك الطريقين بأربعة طرق طعامان وشرابان، أما الطعامان فالنبات واللحوم، وأما الشرابان فالماء واللبن.

وإذا مات ابن آدم انقطعت أمامه السبل الأربعة، ولكن الله تعالى بمنه وفضله وكرمه يفتح للمؤمن أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، ففي الحديث من توضأ ثم قال: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين» .

فتح الله له أبواب الجنة الثمانية.

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾

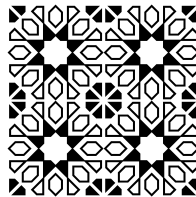
فالحمد لله على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم.

إخوتي في الله:

وكان عليه الصلاة والسلام وهو في المهد يناغي القمر، «فعن العباس بن عبد المطلب

قال: يا رسول الله! دعاني إلى الإيمان بنبوتك إشارة رأيته لك صدقتك من أجلها. قال: وما هي يا عمي يا عباس قال: رأيته في المهد تناغي القمر تشير إليه بإصبعك فأينما أشرت إليه مال.

قال ﷺ : « كنت أحدثه ويحدثني ، ويلهيني عن البكاء، وكنت أسمع وجبته حين يسجد تحت العرش » حديث يؤخذ به في فضائل الأعمال ومناقب الرجال. فصلوا عليه وسلموا تسليماً .



(٣٩)

فِي مَرَابِعِ بَنِي سَعْدِ وَوَفَاةِ أَمِهِ ﷺ

الحمد لله الذي أنشأ الغمام، ونور بسيدنا محمد الظلام، وخلق آدم من طين فسجد له الملائكة الكرام، ورفع إدريس مكاناً علياً وحباه بالمقام، واتخذ إبراهيم خليلاً وجعل النار عليه برداً مع سلام، وكلم موسى على جبل الطور فسمع الكلام، وألان الحديد لداود وأعطى سليمان الملك التام.

واصطفى سيدنا محمداً على جميع الأنبياء والرسل الكرام، وجعل الكل تحت لوائه وأعطاه الشفاعة يوم الزحام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قائلها في الجنة أعلى مقام. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله نبي رفعه الله على جميع الخلق والأنام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الكرام وسلم تسليماً.

أما بعد: فاتقوا الله معشر المسلمين، وأكثرُوا من الصلاة والتسليم على أشرف المرسلين، واحمدوا الله تعالى على ما تفضل عليكم فجعلكم من أمته وشرفكم بدينه.

ولتعلموا وفقني الله وإياكم لمرضاته أنه منذ ميلاد سيدنا النبي بدأت تنزل جميع أسس الضلال والانحراف وترمز إلى ذلك كتب السيرة رموزاً جميلة فتقول: إنه في ليلة مولده ﷺ :

١. غاضت بحيرة ساوة . ٢. وتصدّع إيوان كسرى.

٣. وخبث نار فارس.

و أما الأصنام التي كانت على ظهر الكعبة وحولها فإن مصيرها المحتوم

وتحطيمها المؤكد قد تحدد بالأيام والسنين، وأصبح النور والهداية والرشاد وشيك الظهور والانتشار.

وألقي الله محبة الطفل الرضيع على الأقوام من حول السيدة حليلة بنت ذؤيب (مرضعته)، فكانت إذا أصابت أحدهم آفة أو مرض يأتي السيدة حليلة رضي الله عنها لتخرج ولدها من الرضاعة ليضع يده الشريفة على مكان المرض فيبرأ سريعاً بإذن الله تعالى.

تقول السيدة حليلة رضي الله عنها:

ففقدت ابني محمداً مرة، فخرجت أطلبه فإذا هو عند أخته الشيماء (وهي أخته من الرضاع واسمها حذافة). وإخوة النبي ﷺ من الرضاع عددهم سبعة: أولهم عمه سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء.

ثانيهم: أبو سلمة ابن عمته: عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

ثالثهم: أبو سفيان ابن عمه الحارث.

٤-٥-٦: وعبد الله بن الحارث، وأنيسة، وحذافة ولقبها الشيماء أولاد السيدة حليلة. ٧- مسروح بن ثوية (جارية أبي هب) ^(١).

وقد علمتم أن أمهاته من الرضاعة هن ثمان.

تقول السيدة حليلة رضي الله عنها:

ففقده مرة فخرجت أطلبه فإذا هو عند أخته الشيماء، تدور به وهي تقول:

يا رب أبق لنا محمداً
حتى أراه يافعاً وأمرداً
ثم أراه سيذاً مسوداً
واكبت أعاديه معاً والحسداً
وأعطه عزاً يدوم أبداً

فقلت لها: يا ابنتي ما كان لك أن تخرجي أخاك في هذا الحر !.

فقالت الشيماء: (والتي آمنت به مع أمها فيما بعد): ما على أخي بأس يا أماء، ما أصاب أخي حر يا أماء، إن له غمامةً تظله حيث سار وحيث أقام.

^(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٧٣.

وعن السيدة حليلة قالت: لما بلغ رسول الله ﷺ شهرين أخذ يمشي على يديه ورجليه على الأرض، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم حيث يسمع كلامه، ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان، وكان يشبُّ شاباً لا يشبُّه الصبيان، فما أن بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً (أي قوياً).

تقول السيدة حليلة رضي الله عنها: ففقدته مرة أخرى فإذا أخوه يركض ويقول: يا أمه ويا أبتاه أدركا أخي محمداً فما تلحقانه إلا ميتاً. قلت: وما به؟ قال: بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاخطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إليه حتى شق صدره إلى عانته (تحت بطنه)، ولا أدري ما فعل به؟!.

فانطلقنا - تقول السيدة حليلة - أنا وأبوه نسعى سعياً، فإذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل، شاخصاً ببصره إلى السماء يتبسم ويضحك (اللهم صل وسلم وبارك عليه). فأكبت عليه وقبلته بين عينيه وقلت: فدتك نفسي ما الذي دهاك؟ قال: خيراً يا أمه. بينا أنا الساعة قائم أتاني رهط ثلاثة في يد أحدهم إبريق من فضة وفي الأخرى طست من زمردة خضراء فحملوني وانطلقوا بي إلى ذروة الجبل فأضجعني أحدهم ثم شق من صدري إلى عانتي وأنا أنظر إليه ولم أجد حساً ولا ألماً، فاستخرج مني علقه فقال:

- هذا حظ الشيطان منك.

ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه.

يقول صاحب فقه السيرة أيده الله تعالى بتوفيقه الدكتور محمد سعيد البوطي:

"إن الحكمة من هذه الحادثة ليست استئصال غدة الشر من جسد النبي ﷺ إذ لو كان الشر منبعا غدة في الجسم أو علقه في بعض أنحائه لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة من ذلك هي إعلان أمر الرسول الأعظم وتهييؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل حسية ليكون ذلك أقرب إلى

إيمان الناس به وتطبيقهم لرسالتهم، هي إذًا: عملية تطهير معنوي اتخذت هذا الشكل الحسي والله أعلم".

معشر الإخوة الكرام:

وبعد فترة الرضاع والحضانة التي دامت قرابة خمس سنين في مرابع بني سعد، نجد سيدنا محمد ﷺ في مكة أم القرى، عاد إلى الأرض التي نبتت فيها أصوله وتعمقت فيها جذوره، عاد ليعيش بين أهله وذويه وفصيلته التي تؤويه، عاد ليجد الأم الكريمة الصابرة التي حبست نفسها عليه بعد أن فقدت زوجها الشاب عاد إلى أمه التي لم تتجاوز سن العشرين من عمرها فأقبلت عليه تملأ قلبه عطفاً وحباً وحناناً.

وعاش سيدنا محمد ﷺ برهةً من الزمن لا يعرف غيرها، ولا تعرف غيره فهو أملها، وهو سعادتها.

ولما بلغ سن السادسة أخذته أمه لزيارة أخواله من بني عدي بن النجار في يثرب التي ستكون المدينة المنورة حينما ينورها المصطفى ﷺ بهجرته إليها، قطعاً مع أم أيمن بركة الحبشية (وهي أمه من الرضاعة) أكثر من أربعمئة كيلو متر، وهناك مكث شهراً عند أخواله، وزار قبر أبيه مع أمه للمرة الأولى، وهو يرى أمه تسيل دموعها بصمت كعقد منسبك منظوم، ولأول مرة أيها السادة: يذوق الطفل اليتيم أثر اليتيم، لأول مرة يمس قلبه الغض الطري البريء مرارة الألم، نظر إلى أمه والدموع ترقق من عينيها، فعلم أنه يتيم فقد الأب قبل أن يخرج إلى عالم الدنيا، فازداد حبه لأمه أكثر من ذي قبل وتعلق قلبه بها وتشبث بها.

وعند العودة إلى مكة كانت يد القدرة الإلهية تلاحق السيدة آمنة وأخذ المرض يضغط على جسمها فتوقف الركب وأضجعت آمنة على رمال الصحراء في منطقة الأبواء، ووقف الطفل ينظر إليها وهي توعك وعكاً شديداً، فحنقته العبرات، وجاءت سكرة الموت بالحق ﴿ ترى أفيقى نبينا يتيماً، كيف ذلك ؟ ألا يكفي أن الله له حافظ ونصير.﴾

وفتحت آمنة عينيها لآخر مرة لتودع حبة قلبها وشغاف فؤادها وسواد عينيها، ونظر إليها الحبيب المصطفى ونظرت إليه، وتلاقت النظرات ببعضهما، فمدت إليه يدها وقالت له بصوت خافت:

بارك الله فيك من غلام يا بَنَ الذي من حَوْمَةِ الحِمَامِ
نَجى بعونِ الملكِ العَلامِ إنَّ صَحَّ ما رأيتُ في المنامِ
فأنتَ مبعوثٌ إلى الأَنامِ تبعث في الحِلِّ وفي الحرامِ
ثم قالت: الحمد لله ، كلُّ حيٍّ ميت، وكلُّ جديدٍ بالٍ، وأنا ميتةٌ وذكرى باقٍ، وقد تركت خيراً وولدت طهراً.

ثم أغمضت عينيها، وراح الطفل اليتيم ينادي: يأماه، يأماه.
لكنها لم تسمعه هذه المرة فهي كانت في الرفيق الأعلى حيث أعلنت جنان
لفردوس طوارئها لاستقبال أم النبي الرؤوم.

وعرف الطفل عندها أنه أصبح يتيماً لا أب ولا أم، وزاد من لوعته أن هذا اليتيم
كان في الغربة وفي السفر، نظر إلى الصحراء فلم ير إلا رمالاً محرقة، وإلا طريقاً
مبعثرة، سار بعد أن حضنته أمه من الرضاعة بركة الحبشية، سار وهو يلتفت إلى
الوراء، وقد غيَّب أمه في رمال الصحراء، سار وهو يبكي، سار والقلب منه يلتفت،
سار والروح منه تتلفت، والحزن يمزق أحشاءه، تحضنه أمه من الرضاعة.

أُتدرون- أيها الإخوة- ما جزاء وثواب من يرحم اليتيم، أتعرفون ماذا يفعل الله
تعالى بالذي يعطف على الأيتام، إن رسول الله ﷺ حلف بـالله تعالى فقال:
(طب) «والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولأن له في
الكلام ورحم يتيمة وضعفه» . فارحموا ترحموا .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب
الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

(٤٠)

كفالة جدّه وعمّه ﷺ

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقى واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله .

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بظهور سيد السادات ، وجعل أمته وسطاً، وفضلها على سائر الأمم في العبادات .

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الكمالات .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذي أزاح الله بنور وجوده ظلم الجهالات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم في سائر الحالات وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فقد نشأ رسول الله ﷺ في حجر جدّه عبد المطلب، وكان إذا أتى بطعامه، أجلس الطفل اليتيم إلى جانبه وربما أقعده على فخذه ثم أثره بأطيب طعامه وألذّ شرابه، وكان رفيقاً به وبآدابه يقول لأعمامه: - دعوا ابني هذا فإنّ له لشأناً.

وحَدَّث سعيد القرشي فقال: حججت في الجاهلية فإذا بشيخ مربوع يطوف بالبيت وهو يناجي ربه ويقول:

ردّ عليّ ولدي محمداً واصطنعن بردّه عندي يدا

يقول سعيد القرشي فقلت: من هذا الشيخ؟.

فقلت: عبد المطلب بن هاشم سيد قريش.

قلت: وما شأنه؟.

فقالوا: أضل إبلًا له فخرج في طلبها بني ابنه محمد بن عبد الله، وقد أبطأ عليه فأخذه من التولّه ما ترى.

يقول سعيد القرشي: فما برحت حتى أتى رسول الله وهو غلام يافع عظيم في مروءته وإقدامه جاء بالإبل يسوقها، فسمعت عبد المطلب وقد ألّزّمه يقول له:

- يا بني قد جزعت عليك جزعاً لا تفارقني بعده حتى أموت.

كان ذلك- أيها الإخوة- معنى قول الله ﷻ للرسول الأعظم في معرض امتنانه: ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى﴾.

أقرأك باسمه ، وأوحى إليك بفضله، وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيماً.

معشر السادة الكرام :

وجد رسول الله ﷺ عوضاً عن فقد والديه في ظلّ جدّه شيبه الحمد، وخصّه بمقام ليس لأحد من أعمامه ولا لواحد من قريش، فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان أبنائه يجلسون حول فراشه حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، يقول ابن اسحق:

فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه فيقول لهم عبد المطلب: - دعوا ابني فوالله إنّ له لشأناً.

وكان عبد المطب ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية ولم يسجد لصنم قط، إذ كان على دين الحنيفية الأولى، وكان سياسياً محنكاً، ساس قريشاً مدة طويلة قدرت بأكثر من ستين سنة، فلما بلغ خمساً وتسعين سنة مريضاً شديداً، فبعث إلى أبي طالب ووصاه بأمرين:

الأول: أن يكون سيد قريش من بعده.

الثاني: أن يكون الطفل اليتيم في كنفه وتحت رعايته دون أعمامه الباقين.

وأعمام النبي ﷺ تسعة:

سيدنا العباس وسيدنا حمزة، وعبد مناف (أبو طالب)، والزبير، والحارث، وحجل، والمقوم، وضرار، وعبد العزى (أبو لهب).
وعماته ست:

السيدة صفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة.
هكذا تفرّس عبد المطلب في ولده أبي طالب فكانت فراسته صادقة، وكانت يد القدرة تلاحق الشيخ الجليل سيد قريش فإذا به يموت على فراش المرض، فيجلس رسول الله ﷺ يكي خلف سريره، بل لم يبق واحد بمكة وما حولها إلا بكى عبد المطلب، ونصبت الخيام في الأسواق أياماً، ولم يبع ولم يشتّر حزناً على سيد البطحاء، وخرجت قريش خلف نعش سيدها وخرج رسول الله ﷺ يتبع جنازته وهو يكي بكاءً مرّاً حتى دفن في الحجون.

إخوتي في الله :

كان وقع وفاة عبد المطلب على الطفل اليتيم شديداً، إذ جعلت رسول الله ﷺ يذوق مرارة اليتيم مرة ثانية، فإنه ﷺ لم ير أباه، ولم ينعم بعطفه وحنوّه، فكان الشعور بفقده شعوراً عقلياً تقليدياً، وكان الشعور بفقد عبد المطلب شعوراً حسيّاً تجريبياً، والفرق بينهما واضح.

إخوة الإيمان :

تعرفون أن أبا طالب ليس أكبر إخوته سناً إلا أنه كان خير خلف لخير سلف، ورغم فقره وكثرة أولاده إلا أنه كان أنبل إخوته وأكرمهم في قريش مكانة واحتراماً، ولا عجب أن عهد إليه عبد المطلب بكفالة الطفل اليتيم، إذ كان أبو طالب ممن حرم على نفسه الخمرة أيضاً، ولم يكن يئد البنات، ولم يكن يفعل ما يفعله غيره من ضلالات قريش، وصدقت فراسة عبد المطلب في ولده أبي طالب:

إذ كان أبو طالب لا يأكل ولا يدع أولاده يأكلون حتى يجلس على المائدة ابن أخيه سيدنا محمد ﷺ، وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا،

وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم:

لا تقربوا الطعام حتى يأتي ولدي محمد.

فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم شيء، وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم ثم يشربون جميعاً فيقول له أبو طالب: إنك لمبارك.

وكان الصبيان يصبحون شعثاً (شعورهم متفرقة) رمصاً (على أعينهم أثر النوم) ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحياً كأنه القمر (صلوا عليه).

وشبَّ محفوظاً من الله تعالى، بعيداً عن أقدار الجاهلية وعاداتها، - فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأشدَّهم حياءً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والبذاءة، وأعظمهم أمانة، حتى ما أسموه في قومه إلا الأمين، وكان واصلاً للرحم، مكرماً للضيوف، عوناً على البر والتقوى.

يروى الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وابن عساكر عن أبي بن كعب، أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: «يا رسول الله ﷺ، ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟»

فاستوى رسول الله ﷺ جالساً، وقال: - لقد سألت أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: - أهو هو؟. قال: نعم.

فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي، لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه. فأضجعاني بلا قسر ولا هصر (بلا إجبار ولا ثني ظهر)، وقال أحدهما لصاحبه:

. افلق صدره. ففلقه فيما أرى بدون دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغِلَّ والحسد.
فأخرج شيئاً كههيئة العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة. فإذا
مثل الذي يشبه الفضة، ثم هَزَّ إبهام رجلي اليمنى فقال: أغدُ وأسلم. فرجعت بها
أغدوا رقة على الصغير ورحمة للكبير » . (فصلوا عليه).
وكان ﷺ قد طهره الله من دنس الجاهلية وهو في الصغر، فلم يعظم صنماً لهم
في عمره قط، ولم يحضر مشهداً من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه لذلك فيمتنع
ويعصمه الله تعالى.

وفي الحديث عن سيدنا علي أن النبي ﷺ قال:
. ما عبدت صنماً قط، وما شربت خمرأً قط، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه
كفر.

فسيدنا محمد ﷺ هو كما قال حسان بن ثابت:

خلقت مبرأً من كل عيبٍ كأنك قد خلقت كما تشاء

وكانت قريش كلها تعرف هذا الفضل لسيدنا رسول الله ﷺ ، فقد أصابها قحط
وجذب، في بداية عهد أبي طالب، وذلك ما ذكرته كتب السيرة من أن الناس دعا
بعضهم بعضاً ليسألوا اللات والعزى أن تسقيهم فقال قائل آخر:
. بل اسألوا مناة الثالثة الأخرى.

فقال شيخ وسيم سديد الرأي: - أنى تؤفكون (أي كيف تصرفن عن الحق)،
وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل. قالوا: كأنك عنيت أبا طالب. قال: نعم.
فقاموا جميعهم وجاءوا إليه وطلبوا منه السقيا، فدعا أبو طالب الطفل اليتيم الذي
بلغ عشرأً أو أكثر بقليل، وخرج به مع الناس إلى الكعبة، وألصق ظهره بها، وإذا
بالطفل يشير بإصبعه نحو السماء، ورأى الناس السماء وما فيها قطعة سحاب،
فأقبل السحاب من ههنا ومن ههنا ونزل المطر واغدودق، وانفجر الوادي بالماء،

وأخصب النادي والبادي. فقال أبو طالب قصيدة يمدح بها سيدنا النبي في أكثر من ثمانين بيتاً:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمةً للأرامل
فمن أراد أن تقضى له حاجاته فليتوجه إلى الله بالدعاء و ليستشفع برسول الله ﷺ.

جاء رجل أعمى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يرد عليّ بصري. فقال إن شئت دعوت لك فصبرت، وإن شئت أعلمك ذلك، فقال: بل يرد الله عليّ بصري. فقال له ﷺ: قم فتوضأ وأحسن الوضوء ثم صل ركعتين ثم قل:

« اللَّهُمَّ إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا رسول الله أتوجه بك إلى الله في حاجتي هذه أن تقضي لي اللهم فشفعه فيّ » أو كما قال.
ففعل الأعمى ذلك فردّ الله عليه بصره لساعته .
فيا رب بجاه نبيك فرّج عن هذه الأمة ما أهمها وما أغمها وخذ بنواصينا لما تحبه وترضاه.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

(٤١)

فِي تِجَارَةِ قَرِيْشَ

الحمد لله الذي تجلّى على قلوب أحبّابه بالأنس والرضوان، وأسبغ عليهم نعمه الوافرة بمحض الفضل والإحسان، فسبحانه من إله متفضل محسن منان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الخلائق من الإنس والملك والجان.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين الكرام، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فما أن شبَّ سيدنا محمد ﷺ وقوي ساعده حتى اتجه إلى العمل فرعى الغنم، وفيه كسب شريف، وتربية نفسية، وترويض على العطف على الضعفاء، وسياسة للأوابد، واستنشاق للهواء الصافي النقي وتقوية للجسم، وفوق ذلك كله فهو اتباع لسنة الأنبياء، ففي الصحيح: « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم » .

وحين بلغ اثني عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغا بصرى، وهناك اجتمعا بالراهب بحيرا، وبشر أبا طالب بأن لابن أخيه شأناً أي شأن، وحذره من اليهود، فباع أبو طالب تجارته في بصرى وعاد إلى مكة أم القرى.

وفي سنّ الخامسة عشرة إلى سن الخامسة والثلاثين تروي لنا كتب السيرة كيف شارك الرجال قي حنكتهم التجارية والسياسية والعسكرية، فشارك في حرب الفجار (وسميت كذلك لأنها وقعت في الأشهر الحرم)، وشارك في حلف الفضول مع قبائل مكة حيث تحالفوا جميعاً ألا يجدوا في مكة مظلوماً إلا ونصروه.

بل حكم بين القبائل في أمر كاد أن يكون فتنة وتندلع الحرب بسببه، فكان من حكمه العادل وحنكته الفذة أن جعل هذه الفتنة تنطفئ أوارها قبل أن تشتعل

الحرب وتشتد، فوضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة في ثوبه وحمل كل زعيم قبيلة من طرف حتى رضعه بنفسه بين أحجار الكعبة المشرفة، والقصة مشهورة بين الورى تروى، وحين بلغ سن الخامسة والعشرين:

أُرْسِلَتْ إليه السيدة خديجة بنت خويلد سيدة نساء عصرها شرفاً ونسباً، ليعمل لديها بالتجارة، وهذه السيدة كانت تلقبها قريش: بالسيدة الطاهرة. وكان يلقبها الرومان بإمبراطورة الصحراء، لِمَا كان لها من القوافل التجارية التي تجوب الصحراء شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

كانت هذه السيدة القرشية قد نشأت في بيت مجد ورياسة، وتخلقت بأرفع الأخلاق وأكرمها فكانت معروفة بالحزم، وجودة الرأي، ورجاحة العقل، والعفة والطهارة، وبالعطف على فقراء مكة وما حولها، وبعد كل هذا هي ذات مال عظيم وثروة ضخمة، تعدّ قوافلها بعشرة آلاف من الجمال تتاجر بالعطور والديباج والحرير في الهند واليمن وبلاد الفرس.

هذه هي السيدة خديجة التي أرسلت إلى الأمين سيدنا محمد ﷺ ليعمل في تجارتها وقالت له:

- إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظيم أمانتك، وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك.

قَبِلَ سيدنا محمد ﷺ هذا العرض من السيدة الطاهرة، وسار مع خادمها الخاص ميسرة يقودان معاً هذه القافلة العريضة إلى بصرى الشام، وراح ميسرة يرقبه كيف يبيع ويشترى، لأن التاجر - أيها الاخوة - عليه أن يتصف أولاً بصفات منها:

حرف التاء: من كلمة تاجر وهي تقي.

وحرف الألف: من كلمة تاجر وهو أمين .

وحرف الجيم: من كلمة تاجر وهي جريء.

وحرف الراء: من كلمة تاجر وهي رحيم.

كان ميسرة ينظر إلى أمين مكة فيجده يتصف بهذه الصفات، وجده صادقاً في بيعه، أميناً في شرائه، وسيدنا النبي يقول: التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (ت-ص).

وجد ميسرة سيدنا محمداً لا يحلف في بيعه، ولا ينفق سلعته في الحلف الكاذب، لأن سيدنا النبي يقول: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزيهم ولهم عذاب أليم (كررها ثلاثاً) فقال الصحابة: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ فقال: المسبل (إزاره)، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.

وقال ﷺ التجار هم الفجار.

قالوا: يا رسول الله! أليس الله قد أحل البيع؟

قال: بلى. ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون.

و«إن التجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً إلا من اتقى وبرّ وصدق» .

كانت هذه الكلمات تسري في سلوك سيدنا محمد ﷺ فميسرة رآه وسمعه ينصح كل مشتر، ويبين له البضاعة التي بين يديه، لأن شعاره «من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار»، و«من باع بيعاً لم يبينه لم يزل في مقت الله»، ولم تزل الملائكة تلعنه».

ذهل ميسرة من هذا التصرف الراقى، فلم ير على ممر خدمته لتجارة السيدة خديجة، مثل هذه الأمانة والصدق في المعاملات التجارية.

فتعلم ميسرة أسلوب التجارة من سيدنا محمد ﷺ أربعة أمور وشعار، أما الأمور الأربعة: فالأول: ألا يثني على السلعة ولا يمدحها بما ليس فيها.

والثاني: ألا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً.

والثالث: ألا يكتم من وزنها ومقدارها شيئاً.

والرابع: ألا يكتم من سعرها ما لو عرفه المشتري لامتنع عن شرائها.

وأما شعاره في التجارة فهو: رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى (خ).

أيها الاخوة: لم يكن ميسرة وحده الذي كان يراقب سيدنا محمداً ﷺ في بيعه وشرائه، ولكنَّ راهباً من بعيد راح يتأمله، وما أن انتهى من بيعه البضاعة في سوق بصرى حتى أتى إليه وقال لسيدنا محمد ﷺ :

- عرفت فيك علامات كثيرة عن رجل نقرأ عنه في كتبنا خلا علامة واحدة، فأوضح لي عن كتفك، فكشف له رسول الله ﷺ كتفه فإذا هو بخاتم النبوة يتلألأ، فأقبل عليه الراهب يقبله وهو يقول:

- أشهد أنك رسول الله ﷺ النبي الأمي الذي بشر به عيسى بن مريم. شهد ميسرة هذا كله بأَم عينه، ودونه في ذاكرته، وجهاز القافلة لتعود أدراجها إلى أم القرى، ثم سبقها ليزفَّ إلى سيدته الطاهرة خبر أرباح التجارة أضعافاً مضاعفة، بل حدثها عن الغرائب التي شاهدها على ابن عبد الله ﷺ، وعن المستقبل المشرق الذي ينتظره، وقال لها:

لقد اشتد علينا وَهَج الشمس في الصحراء المحرقة، مما جعلنا نضيق بالحياة ذرعاً رغم أننا أبناء هذه الصحراء، وقد ألفنا هذا اللّحاح المحرق، فنظرت إلى الأمين محمد لأرى مدى تأثيره في موجة الحر فراعني الأمر، واستولى عليَّ الدهش، فقد رأيت سحابه تظله من الشمس حيث سار وحيث أقام. فصلوا عليه وسلموا تسليماً.

صلوا على الهادي البشير المنذر
صلوا على أهل الكمال المسفر
ينجح لكم أعمالكم ويغفر
يوضح لكم سبل الهدى والخير
هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية للسيد الأعظم، وتحيّتنا إليك يا رسول الله ﷺ هي الصلاة والسلام عليك.

وَسَلِّمْ
عَلَيْهِ
وَاٰلِهِ
وَسَلِّمْ

(٤٢)

شمائله وزواجه

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا ، فجعله نسباً وصهراً، وسلّط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرّاة جبراً، ثم عظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحثّ عليه استحباباً وأمرأ. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مدح أوليائه وأنبياءه فقال لأشرف رسله: ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ . وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد من أرسله الله بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا. أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام:

كان فرح ميسرة بنجاح تجارة السيدة خديجة كبيراً، حيث سبق القافلة قبل وصولها ليزفّ البشرى إلى سيدته ويحدثها عن هذه الرحلة الموفقة، ويثني على اختيارها للأمين سيدنا محمد ﷺ ليرأس قوافلها، فانقلب فرحها بريح تجارتها حباً وتقديراً وإعجاباً بهذا الفتى العربي الأمين.

فما هو إلا أن استأذن عليها سيدنا محمد ﷺ ليدخل عليها فيسلمها ما ربحته القافلة من هذه الرحلة المباركة:

ورأته خديجةً والتقى والزُّ هُدً فيه سجيةً والحياءُ
وأتاها أن الغمامة والسّر حَ أظلتَه منهما أفياءُ
وأحاديثُ أن وعد رسول الله بالبعث قد حان منه الوفاءُ
فدته إلى الزّواج وما أحسن ما يبلغُ المنى الأذكىاءُ

معشر السادة: جلس الصادق الأمين أمام السيدة خديجة يحدثها عن تجارتها وهو مطرق الرأس، مما مكن السيدة خديجة أن تتفرس في هذه الشخصية الفذة:

شاب يافع ممتلىء رجولةً وجمالاً، في سنّ الخامسة والعشرين، ليس بالطويل الممتد ولا بالقصير، وسطاً بين القوم، مسرّح الشعر، ليس بالعظيم الجسم ولا المستدير الوجه في صغر، أبيض البشرة والوجه، مشربّ بحمرة، أسود العينين، طويل أهدابها، جليل عظام رؤوس المفاصل، عريض ما بين الكتفين، دقيق شعر الصدر الممتد إلى السرة، غليظ الكفين والقدمين، إذا مشى لم يثبت قدميه، كأنما يمشي فيما انحدر من الأرض، إذا أراد أن يلتفت التفت بكلّ جسمه، أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدرأً، حسن العشرة، من رآه الأولى هابه، ومن خالطه أحبه، يتألأ وجهه تألأ القمر ليلة البدر، بين كتفيه خاتم النبوة :

رحمةٌ كلّهُ وحزْمٌ وعزمٌ ووقارٌ وعصمةٌ وحياءٌ
 كُرُمَتٌ نفسُهُ فما يخطر السوءُ على قلبه ولا الفحشاء
 وَسِعَ العالمينَ علماً وحلماً فهو بحرٌ لم تعيه الأعباء
 لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً فهو البحر والأنام إضاء
 كلّ فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء

راحت السيدة خديجة تتأمل وتتفرس في سيدنا محمد ﷺ وحديثه الفصيح البليغ، وهي تراه مطرق الرأس أشد حياءً من العذراء في خدرها، يحب الحلواء والعسل، ويعجبه اليقطين، يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن ويشرب ثلاثاً، يحب الطيب، ويكره الريح الكريهة، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يحب التيامن في شأنه كله، يتفقد أصحابه، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، (ياسعد من صلى عليه).

أيها الأحبة والصحب: كل تلك الصفاتِ الخيرة رأتها السيدة خديجة في سيدنا محمد ﷺ ، وما هو إلا أن ولّى حتى أرسلت إلى أعزّ صديقاتها؛ وهي السيدة نُفَيْسَة بنت منبه، وتحدّثت إليها عن رغبتها بالزواج من الأمين محمد ﷺ .

إخوتي في الله: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى حيث سيدنا رسول الله ﷺ، تخطبه سيدة قريش الطاهرة، إذ أن السيدة نفيسة ذهبت وسيطاً لتمهد لهذا العقد المبارك دون أن تريق ماء وجه السيدة خديجة، فدخلت على سيد الخلق وحبيب الحق وقالت له:- ما يمنعك أن تتزوج؟.

قال:- ما بيدي مما أتزوج به.

قالت:- فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟!.

قال:- فمن هي؟.

قالت نفيسة بكلمة واحدة: خديجة.

قال: كيف لي بذلك. قالت: عليّ ذلك.

وعادت نفيسة تحمل الخبر السار إلى صديقتها الحميمة، فلم تبطئ السيدة خديجة إذ حددت الساعة التي يحضر فيها سيدنا محمد ﷺ مع أعمامه لعقد الزواج، ثم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوّجها، فحضرت جميع أطراف العقد، وضمّ المجلس سادات قريش في هيبة وجلال، ثم جاء السيد الأعظم برجولته ونوره وهو في الخامسة والعشرين يشع وجهه كأنه القمر، ومعه عمه سيدنا حمزة وأبو طالب ورؤساء مضر.

ووقف أبو طالب خطيباً فقال:

« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا حضنة بيته وشوكة حرمه، وجعل لنا بيتاً محفوظاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس.

ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح، وإن كان في المال قل فالمال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد ممن عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق، وإني يا معشر قريش أشهدكم على ذلك.

ولما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل، فقال:

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عدت، فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يرُدُّ أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبتنا في الاتصال بجيلكم وشرفكم، فاشهدوا علي معاشر قريش بأني قد: زوّجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمئة دينار .

وهنا بدأت صفحة مشرقة جديدة من حياة الأمين سيدنا محمد ﷺ، حيث تَكشَفَ للسيدة خديجة رضي الله عنها أشرف الأزواج شعوراً، وأصدقهم قولاً، وأجملهم خلقاً، وأشدّهم لصوقاً بالفضيلة، مجلسه مجلس أنس وحلم وحياء وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تذكر فيه النساء، مجلس تواضع وتوقير للكبير، ورحمة للصغير، رأيته وهو يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم كريم كل قوم، يعفو ويصفح، لا يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط، لا يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً. يقول عنه أصحابه: ما مسسنا ديباجاً قط ولا حريراً ألين من كف سيدنا محمد ﷺ ولا شمماً رائحة قط أطيب من رائحة سيدنا محمد ﷺ.

لقد وجدت السيدة خديجة رضي الله عنها في هذا الرؤوف الرحيم أباً شفيقاً وصديقاً رفيقاً، وزوجاً مواسياً.

وتتوالى الأيام والأشهر والسنون على هذا الزواج الموفق، فإذا حصاده أطفال كاللؤلؤ المنشور وراح هذان الزوجان يتعهدان هذه الرياحين النضرة بالحب والعطف والرعاية، وهم ستة أولاد على الترتيب: القاسم (وبه كان يكنى ومات طفلاً)، ثم زينب ثم رقية وأم كلثوم وفاطمة، و عبد الله (و كان يلقب بالطيب والظاهر) رضي الله عنهم جميعاً.

ومن هذا النسل الطاهر الشريف خرج آل البيت المحمدي، كان منهم سادة وقادة وأئمة في العلم والدين والجهاد والزهادة.

وبارك الله تعالى بنسل السيدة فاطمة فنشأ من سيدينا (الحسن والحسين) سيدا شباب أهل الجنة جيل مبارك كان قبلة أهل المشرق والمغرب.

وكل أولاده ﷺ توفوا قبله إلا السيدة فاطمة فإنها تأخرت بعده ستة أشهر. وحب آل البيت فرض على كل فرد من هذه الأمة يقول تعالى آمراً رسوله الكريم أن يقول للصحابة ومن بعدهم:

﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ أي أن توادوا قرابتي.

وروى الطبراني في الأوسط عن سيدنا الحسن بن علي أن سيدنا النبي ﷺ قال: « إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفس محمد بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمودتنا » .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ :

« لا ييغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار » .

لذلك كانت عقيدة أهل السنة حب القرابة واحترام الصحابة ﷺ أمتنا عليها واحشرونا عليها، واجعلنا من خيار أهلها.

أيها الإخوة: أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحتينا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

(٤٣)

البعثة وإرهاصاتها

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البرية، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قمر الهداية، وكوكب العناية الربانية، مصباح الرحمة المرسله وشمس دين الإسلام، من تولاه مولاه بالحفظ والحماية والرعاية السرمدية، وأعلى مقامه فوق كل مقام.

وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين ذوى المراتب العلية، فكان للأولين مبدأً وللآخرين ختام.

وأشهد أن الله فرد يعبد، وأن خير خلقه محمد رسوله المتمم المجدد، وكل من صدقه مخلد بغير شك في جنان الخلد.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً وعلى آله وصحبه الهداة أنجم السماء، وتابعيهم وجميع العلماء وكل هاد في الورى ومهدي وسلم تسليماً.

أما بعد: فكانت العناية الإلهية تتابع في تربية سيد الأنبياء والرسل الكرام، ولد والعناية ترعاه، ورضع وعين الله تكلفه، وشبّ فأينعت ثماره، وبدت إشارات اصطفاؤه على الخلق أجمع، سميت عند العلماء بالإرهاصات أو بمقدمات النبوة، فكان لا يرى رؤيا منامية إلا وتحققت عند اليقظة وجاءت مثل فلق الصبح، وحُبب الله تعالى إليه العزلة والخلو، يخلو شهراً كاملاً في السنة وهو شهر رمضان، وكان لا يمر بحجر ولا بشجر إلا سلم عليه فقال: السلام عليك يا رسول الله.

طوعاً لأحكام القضا خطا	على الثرى خطو اليتيم المعدم
متجرّداً من كلّ جاه ظاهر	وبغير جاه الله لم يستعصم
حتى اصطفته خديجة وهي التي	عزّت على كم من ثري مغرم

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ نَوْراً هَادِياً متعبداً في غاره لم يسأم
حتى أتى الروح الأمين يضمه ضمّاً على رهوته المتبسّم
اقرأ نبي الله وابتهل وبذكر ربك يا نبي ترمّم
اقرأ وربك ملهم سبحانه قد علم الإنسان ما لم يعلم

ونزول الوحي - معشر السادة - كان عندما بلغ رسول الله أربعين من عمره، والدنيا واقفة على شفا حفرة من النار، والإنسانية تخطو بخطا سريعة نحو الانتحار، فجاءه جبريل وهو يتعبّد في غار حراء سنة ٦١٠ ميلادية في السابع عشر من رمضان على ما هو معروف ومشهور فعاد إلى البيت ترتعد فرائضه وهو يقول: زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي . فاستقبلته السيدة الطاهرة قائلة: لا تخشى لن يخربك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم، وتكرم الضيف، وتعين على نوائب الدهر (فصلوا عليه).

ويغطّي رسول الله من شدّة البرد، فيستغرق في نوم مطمئن هادئ، وتسرع السيدة خديجة رضي الله عنها إلى عالم مكة ورقة بن نوفل، وكان نصرانياً، وتذكر له ما سمعت من رسول الله فيبشرها بأنه نبي هذه الأمة، وأن الذي جاءه من الوحي هو سيدنا جبريل.

فتعود السيدة الطاهرة إلى بيتها لترى وجه زوجها وقد بلله العرق وثقل تنفسه، يقوم ليستمع إلى الملك يوحى إليه:

﴿يا أيها المدثر ، قم فأنذر، وربّك فكبر وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربّك فاصبر﴾ .

بهذه الكلمات التي تمتلئ نوراً وهداية أمر رسول الله أن يبدأ عهد الدعوة إلى الله، فكانت أولى المدعوات السيدة خديجة، وكان أول المسلمين السيدة خديجة رضي الله عنها. وهذا طبيعي فقد جربت عليه طول حياته الأمانة والصدق وعلو

النفس وحبّ البرّ والرحمة، ولكنها أحبت أن تتأكد أن هذا ليس شيطاناً يأتيه، فطلبت إليه متى جاءه الملك أن يخبرها، فلما رآه أخبرها فألقت خمارها فإذا هو لا يراه، فلم يبق عندها ريبٌ في أنه ملك كريم.

وعلمه سيدنا جبريل الوضوء وصلاة ركعتين عند الصباح وركعتين عند المساء. وآمن به ولده من التبني زيد بن حارثة، وبناته ﷺ، وأما سيدنا علي فقد دخل على سيدنا النبي والسيدة خديجة- وكان يعيش في كنفهما- فرآهما يصليان، فأنكر عليهما ذلك، ولما أتما صلاتهما سأل: - لمن تسجدان؟.

فأجابه رسول الله: إنما نسجد لله الذي بعثني نبياً وأمرني أن أدعو الناس إليه، وأنا أدعوك إلى الإسلام.

فقال سيدنا علي: هذا أمر لم أعهد، وعليّ أن أستشير أبا طالب. فلما كان اليوم التالي دخل عليّ فأعلن إسلامه أمام سيدنا النبي ﷺ، فقال له رسول الله: - هل استشرت أبا طالب؟.

فقال سيدنا علي- وكان عمره يومئذ عشر سنين- : لا لم أستشره.

فقال سيدنا النبي: ولم؟!

فأجابه: لأن الله عندما خلقني لم يستشر أبا طالب.

إخوة الإيمان :

كان إسلام هؤلاء شهادة أقرب الناس إليه، وأعرفهم به وبصدقه وإخلاصه وحسن سيرته، وأهل البيت . كما يقولون . أدري بما فيه.

أما أصدقاء سيدنا النبي فكان منهم رجلٌ له منزلته في قريش، معظّم فيها، وهو محطّ مشورتها لا يقضون أمراً من دونه، لعقله واعتداله ومروءته، رجلٌ محبّب لقريش، سهلٌ، عالمٌ بأنسابها وبأخبارها، ومعروفٌ بتعبير الرؤيا، كان ولد سنة ٥٧٣ م، بعد عام الفيل بثلاث سنين، إنه شيخ تجار مكة عبد الله بن عثمان الذي عرف فيما بعد باسم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان في تجارة له في اليمن حين بُعث

رسول الله ﷺ، فنزل على شيخ يقرأ الكتب، فقال له: أحسبك حرمياً؟ فقال أبو بكر: قلت: نعم.

قال: وأحسبك قرشياً؟ فقال أبو بكر: قلت: نعم.

قال: وأحسبك تيمياً؟ فقال أبو بكر: نعم.

قال: بقيت لي فيك واحدة. قال أبو بكر: وما هي.

قال: تكشف لي عن بطنك. قال أبو بكر: لا أفعل أو تخبرني عن ذلك؟! .

قال الشيخ: أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبياً يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل، أما الفتى فخواض غمرات ودقاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة، وعلى فخذيه اليسرى علامة، وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي عليّ.

يقول الصديق: فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال:

- أنت هو وربّ الكعبة.

فلما أراد أن يودّعه قال له الشيخ: أتحمل عني أبياتاً إلى ذلك النبي؟ قال أبو بكر: نعم. فذكر أبياتاً.

يقول الصديق: فقدمت مكة وقد بعث ﷺ، فجاءه صناديد قريش: فقال لهم:

- ظهر فيكم أمر؟. قالوا: أعظم الخطب ! يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا به، والكفاية فيك.

قال سيدنا أبو بكر: فصرفتهم على أحسن شيء، وذهبت إلى النبي ﷺ، فقرعت عليه الباب فخرج إلي فقلت: يا محمد فدَحَّتْ منازل أهلك، وتركت دين آبائك. فقال: إني رسول الله ﷺ إليك وإلى الناس كلهم فأمن بالله ﷻ. قلت: وما دليلك؟ قال: الشيخ الذي لقيت باليمن.

وفي رواية أصح من هذه الرواية أنه لما دعاه للإيمان قال له مباشرة: مُدَّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ﷻ وأنت رسول الله ﷺ.

وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه أول من جهر بالدعوة، فدعا كبار قريش ليسلموا، فأسلم على يديه سيدنا عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله وهم من المبشرين بالجنة. وتتابع إسلام كبار الصحابة أمثال سيدنا أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وكان السابع ممن أسلموا « ولعل واقف هذا المسجد (الجراح) من نسله فرحمه الله » ورضي عن أبي عبيدة بن الجراح .

ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى انتشر ذكر الإسلام في مكة. وظن قساة مكة أن حديثه لن يزيد على حديث الرهبان والحكماء، وأن الناس لا محالة عائدون إلى دين آبائهم وأجدادهم، وأن هبل واللات والعزى وإسافاً ونائلة ومناة وباقي الثلاثمائة والستين صنماً في مكة، وماحولها ستكون آخر الأمر صاحبة الغلبة، ناسين أن الإيمان الصادق إذا دخل القلب لا يغلبه غالب، وأن الحق قد كُتب له الفوز أبداً.

وبعد ثلاث سنوات من الدعوة سرّاً أمر الله رسوله أن يظهر ما خفي من أمره، وأن يصدع بما جاء منه، فنزل الوحي:

«فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»

«وأندر عشيرتك الأقربين»

«وقل إني أنا النذير المبين»

فخرج رسول الله ﷺ فصعد على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته صيحة معروفة مألوقة عند العرب إذا أحس إنسان بخطر عدو يغير على بلد أو قبيلة على غفلة منهما، نادى: يا صباحاه !؟، فلم تتأخر قريش في تلبية هذا النداء، وخاصة أن الذي ينادي:

هو الصادق الأمين محمد بن عبد الله، (ياسعد من صلى عليه).

واجتمعوا إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث إليه رسوله، فقال رسول الله: - يا بني عبد المطلب!، يا بني فهر!، يا بني كعب!، رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟! .

وكان العرب واقعيين عمليين، إنهم رأوا رجلاً جربوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة، قد وقف على جبل يرى ما أمامه، وينظر إلى ما وراءه، وهم لا يرون إلا ماهو أمامهم، فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا المخبر الأمين الصادق، فقالوا جميعاً: نعم.

ولما تمت هذه المرحلة الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين ، قال رسول الله ﷺ:

. فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فسكت القوم، ولكن أبا لهب (تبت يداه) قال: تباً لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟. فإذا بعض قريش ينفرون من دعوته حين تكلم أبو لهب بمثل ما تكلم، فأنزل الله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب و تبت . ما أغنى عنه ماله و ما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب﴾.

وهكذا أجمع نفرٌ من قريش خلاف سيدنا رسول الله ﷺ وعداوته، ولكن أبا طالب منعه وقام دونه، فحملت قريش لواء المعارضة فأكثر ذكر رسول الله ﷺ وظنت إن فعلت ذلك أن عمّه أبا طالب سيلين، وأن رسول الله ﷺ سيرضخ لو أنهم جمعوا كلمتهم وجابهوه، فإذا برسول الله ﷺ يقول قولته المشهورة:

«يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» . أو كما قال .

فهل تخلى عنه عمه أبو طالب؟، لقد كان جواب عمه قوياً عظيماً، موجزاً بليغاً لن ينسى الله له هذه الوقفة ﴿وما كان ربك نسياً﴾ حيث قال:

. اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.
هكذا على المسلم أن يكون قوياً في دينه، قوياً في إيمانه لا يتخلى عن دينه لأجل
امرأة، ولا لأجل رئاسة منصب، ولا لأجل شيء في الوجود.

اجعل برّك كلَّ عزّك يستقرُّ ويثبتُ
فإن اعتزّزت بمن يمو ت فإنَّ عزّك ميّتُ

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى السيد
الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



(٤٤)

طرق قريش في مكافحة الدعوة الإسلامية

الحمد لله الذي يؤيد من شاء بنصره، ويجعل الذل والصغار والغضب على أهل كفره، فسبحانه من إله يطلع على سر العبد وجهه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، إله قال في محكم كتابه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾

وأشهد أن سيدنا وحيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله القائم بأمر الله ونهيه، المنزل عليه قول ربه:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه حق قدره، وسلم تسليماً.

أما بعد : فيا أيها الإخوة الكرام :

كان إسلام الرعيل الأول من الصحابة أمثال الصديق وعثمان وابن عوف ابتداءً عهد جديد للدعوة، فقد ابتداءً كبير الأنزال أبو جهل وأعوأه يحسون بالضربات تقمع رؤوسهم وتدفع كثيرين منهم على زيادة اضطهاد المؤمنين لما يرون من نزول الكارثة على الشرك واستعلان الإسلام وازدياد المؤمنين به، ثم وقوف المسلمين صفوفاً مجتمعين بعد أن كانوا فرادى متفرقين، حتى بلغ العدد تسعة وثلاثين.

وتذكر كتب السيرة أن فتى قارب الثلاثين، طويل جسيم، أصلع الرأس، شديد

الحمرة، طويل اللحية، يسرع في مشيته متجهاً إلى بيت على الصفا ليلقى رسول الله ﷺ، ويطرق الباب فيخرج إليه رسول الله ﷺ وقد عرف أنه عمر بن الخطاب، وقبل أن يستمر بكلامه أمسك رسول الله ﷺ بمجامع ثوبه وحائل السيف، وقال له: ألسنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال، اللهم اهدِ عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب.

وبهذه الهزة تساقط من عمر كل جزء من الإشراك والكفر، فإذا به ينزع عنه لباس الكفر ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله (الله أكبر، الله أكبر)، هكذا كبر فكير المسلمون في الدار تكبيرة سمعت بطرق مكة المكرمة.

وعندها قال سيدنا عمر رضي الله عنه:

. يا رسول الله! ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟.

قال: بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم.

قال عمر: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن إلى البيت الحرام .

قال: فخرج رسول الله ﷺ بين صفين حمزة في أولهما (وكان قد أسلم قبله بثلاثة أيام)، وعمر في أول الصف الثاني، ودخلوا المسجد الحرام وهم ينادون: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فتحفرز قريش لكي تقوم فرأوا سيدنا حمزة وسيدنا عمر أول الصفين، ونادى سيدنا عمر: من تحرك منكم لا مكنن سيفي من عنقه، فطاف رسول الله ﷺ وصحبه حول الكعبة ونظرت إليهم قريش فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. فسماه رسول الله ﷺ "الفاروق" فرق الله به بين الحق والباطل.

وهكذا ظهر الإسلام، وسارت به الركبان، بل بشر به الإنس والجان والحيوان. فقد روى الترمذي بإسناد حسن، وصاحباً للإصابة وأسد الغابة في تراجم الصحابة أن ذئباً غار على نعاج فاختطف نعجة، فأسرع الراعي واستردها منه، فإذا بالذئب يقعى على ذيله ويقول:

. عجباً تأخذ مني رزقاً ساقه الله إلي .
فقال الراعي: ذئب يتكلم !، هذا أعجب ما رأيت اليوم؟!
فقال الذئب: أدلك على أعجب من ذلك؟.
قال الراعي: وما هو؟.
قال: رسول الله بين أظهركم ولا تؤمنون به ؟!.
فقال الراعي في نفسه: يا ليتني أجد من يحرس الغنم لأذهب إلى هذا النبي.
فأنطق الله الذئب وقال: اتركهم، فأنا أحرسهم لك.
فذهب الراعي إلى مكة وسأل عن رسول الله فدلوه عليه، فلما دخل على رسول الله قال له النبي:
- أين تركت غنمك؟ إنه راع أمين.
فقال الراعي: أشهد أنك رسول الله وما سمع هذا إلا أنا والغنم.
فلما عاد الراعي إلى الغنم وجد الذئب يجرسها فأعطاه نعجة مكافأة له. (فصلوا على رسول الله).
هذا لمن أراد الله له الهداية فإنه ينطق له الصخر ليهتدي، أما كفار قريش فكان الحال مختلفاً، إذ أنهم حاربوا الشريعة السمحة بطرق ثلاث مع اضطهادهم للمؤمنين:
الطريق الأولى: محاولة استمالة النبي المصطفى ليمنعوه من الجهر بدعوته.
الطريق الثانية: محاولة إعجازه أو إظهار أنه ضعيف فيما يدعو إليه.
الطريق الثالثة: الشكوى منه لعمه أبي طالب.
على الرغم من أنهم يعلمون حق العلم أن ما جاء به رسول الله هو حق وصدق من عند الله لا مربة فيه، فما هو النضر بن الحارث يقول:
. يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا

رَأَيْتُمْ فِي صَدْغِهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ سَاحِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ
بَسَاحِرٌ، لَقَدْ رَأَيْنَا السَّحْرَةَ وَنَفَثْتُمْ وَعُقِدْتُمْ.

وَقُلْتُمْ كَاهِنٌ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهْنَ وَتَخَالَجَهُمْ وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ.
ثُمَّ قُلْتُمْ شَاعِرٌ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الشَّعْرَ وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا.
ثُمَّ قُلْتُمْ مَجْنُونٌ، مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، فَمَا هُوَ بِخَلْطِهِ وَلَا وَسُوسَتِهِ، وَلَا تَخْلِيطِهِ، فَانْظُرُوا
فِي شَأْنِكُمْ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

معشر السادة : هذا الكلام كانت قريش تعرفه وتحسسه ، فهم لبُّ العرب
وكبارُهم وفصحائهم، لأجل هذا اجتمعوا وتداولوا وأرسلوا من ينوب عنهم ليلقى
النبي الكريم ليسمع منه ويعرض عليه ما تلين به قلوب أهل الدنيا ويرضاه أُنْذال
الكفر:

- ١ - عرضوا عليه الشرف، ليكون السيد المطاع فيهم.
 - ٢ - وعرضوا عليه الملك ليكون ملكهم والمتصرف في أمرهم.
 - ٣ - وعرضوا عليه الأموال والكنوز ليكون أكثرهم مالاً .
- وكما تعلمون يكفي أن يعرض أحد هذه الأمور الثلاثة على واحد في هذا العصر
ليترك كل شيء في سبيل هذا اللاشيء لأنه عرض زائل وأمر حائل .
ولكن سيدنا رسول الله ﷺ رفض كل ذلك، فظنوا أن في عقله خبل لأن هذا لا
يرفضه عاقل (بمنطقهم المادي)، فعرضوا عليه أن يأتوه بالأطباء ليعالجوه، فلما انتهوا
تلا عليهم رسول الله ﷺ الآيات التالية التي نزلت عليه ساعتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم
يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما
تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ﴾
﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه

واستغفروه وويل للمشركين..» حتى وصل إلى قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُودَ ۚ .

فإذا برجل من كفار قريش يضع يده على فم النبي ويقول: أسألك الرحم يا محمد لا تفعل، أسألك الرحم كفّ عن هذا.

أرايتم . أيها الاخوة . إنهم يعلمون مدى صدق رسول الله، فخافوا أن ينقذ ما يتهددهم به.

وهكذا كانت الآيات تنزل تترى متتالية كالحمم تقرر رؤوس الوثنية واحداً واحداً. وضائق قريش بهذا فاجتمعوا ثانية ، وبعثوا إليه ليقدم عليهم هذه المرة وليجادلوه جدالاً عقيماً ليظهروا عجزه أمام العرب. وأسرع رسول الله وهو يظن أن قد بدا لهم أمر ليؤمنوا وكان على رشدكم حريصاً، وقد أنزل عليه ربه:

﴿ فاعلمك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ۚ .

وجلسوا إليه مجلساً التفت من حولهم قريش، ثم قالوا له:

- يا محمد! إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفّهت العقول والأحلام، فإن كنت إنما جئت بهذا تطلب مالاً جمعنا لك لتكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً من الجن بذلنا لك أموالنا في الطب حتى نبرئك أو نعذر فيك.

قال ﷺ :- ما بي ما تقولون، ما جئتمكم بما جئت به أطلب أموالكم والشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم فإن قبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوا عليّ الأمر ف الله يحكم بيني وبينكم.

- قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل ما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق منا بلاداً، ولا أقل ماءً، ولا أشدَّ عيشاً، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، ولييسر لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق. وليبعث لنا من مضى من آبائنا، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل، فإن صدّقوك وصنعت ما سألناك صدّقناك وعرفنا منزلتك من الله.

فقال ﷺ: ما بهذا بعثت إليكم.

فسأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما، فقال رسول الله: اشهدوا.

فقال كفار قريش: سحرهم ابن أبي كبشة.

فقال رجل منهم: إن كان محمد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر، فأتوهم فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. فقالوا: سحر مستمر.

قالوا: فأسقط علينا كِسْفاً (قطعاً) من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ذلك.

فقال رسول الله: ذلك إلى الله إن شاء فعله بكم.

قالوا: يا محمد لقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً.

فقال عبد الله ابن عمته عاتكة (والذي أسلم قبل فتح مكة):

- لم يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم؟! ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بما منزلتك من الله فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول، وإيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك.

أترون- أيها الاخوة- جدل وخصام وتعجيز. بل قال جماعة من كفار قريش:
 - يا محمد هلم فلنعبد معاً (تعبد أنت آلهتنا يوماً، ونعبد نحن إلهك يوماً)، فإن
 كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما
 تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله تعالى فيهم:
 ﴿ قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. (أي
 الآن). ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد (فيما بعد) لكم دينكم
 ولي دين ﴾ .

ثم قام عنهم سيدنا النبي وهو يدعو عليهم: « اللَّهُم ابعث عليهم سنين سبعاً
 كما بعثتها على قوم يوسف » وأنزل الله تعالى عليه: ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾
 فكانوا في قحط وجدب سبع سنين.
 وبعد أن غادر رسول الله ﷺ مجلس كفار قريش قام كبير الأندال أبو جهل
 وقال:

- يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا،
 وتسفيه أحلامنا وآرائنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر لا أطيق حمله فإذا
 سجد في صلاته ضربت رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك
 بنو عبد مناف ما بدا لهم.

قالوا:- والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد.
 فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً ثم جلس ينتظر سيدنا رسول الله ﷺ، فلما جاء
 صلى إلى بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، ووقف يصلي، ووقفت
 قريش تنظر أبا جهل ما هو فاعل.

فما أن سجد رسول الله ﷺ حتى احتمل أبو جهل الحجر ورفع له ليلقيه فتيست
 يده وامتنع وجهه وقذف الحجر بعيداً وأسرع منهزماً مرعوباً، فتداركه رجال قريش
 قائلين:

- ما بالك وقد عزمت يا أبا الحكم؟
فقال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم فإذا بفحل (من الإبل) ما رأيت مثله
فتح فمه يريد أن يأكلني.
فقال العاص بن وائل: - دعوه يا رجال قريش فإنه أبتز (لا عقب له) وإذا مات
استرحتم منه.

فأنزل رب العزة جل وعلا: ﴿إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر . إنَّ
شأنك هو الأبتز﴾ .

فقال الصحابة: وما الكوثر الذي أعطاك الله يا رسول الله؟
قال: نهر ما بين صنعاء إلى بصرى عليه آنية بعدد نجوم السماء وَعَدَنِيهِ رَبِّي .
وفي رواية: «من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً» .
اللهم ارزقنا شربة منه لا نظماً بعدها أبداً، فمن هو الذي يرد حوض المصطفى؟
اسمعوا الحديث وصلوا على الحبيب :
« إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة» .
فصلّوا عليه وسلّموا تسليماً .



(٤٥)

الخطار وموت النصيرين والهجرة إلى الحبشة

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً. ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً. خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدتهم وحققها بالمكاره وأخرجهم إلى دار الامتحان ليلوهم أيهم أحسن عملاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجة على عباده أجمعين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، صلاة دائمة دوام الليل والنهار كما صلى الله عليه في الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن ملف البعثة النبوية يجعل النفوس تشرق والقلوب تبتهج، والصدور تنشرح، وما هذا إلا لأن ذكرى الرسول العربي تعيد للنفوس اليأس الأمل، وتطرد عنها اليأس، ونحن أمة العرب والإسلام على الخصوص - ولا سيما في هذه الظروف الحالكة السيئة التي تمر بها الأمم الإسلامية والعربية إننا بأمس الحاجة إلى أن نعيد النظر بدقة وتأمل في تاريخ منقذ العرب ورسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ لنأخذ من هذه السيرة المشرفة العظة والعبرة، ولنستلهم منها العزم

والصمود، ونطرح اليأس والاستسلام.

معشر الإخوة الكرام : إن قائدنا الأعظم لم يضعف ولم يستكن، بل لم ترهبه قريش كلُّها، بل لم ترهبه دول الأرض إذ ذاك، وقد وقفت من وراء قريش تناهض دعوته وتعاود رسالته، وتؤذي المؤمنين.

وفي مثل هذا الموقف الثابت الصامد تتميز الأمم والشعوب، ويظهر سرّ العظمة في الزعماء والقادة، وما أجدرنا، ونحن ندرس سيرة المصطفى ﷺ - أن نستمد العظمة والعزة والقوة من سيد الزعماء وبطل الأبطال وصانع القواد سيدنا محمد ﷺ.

إننا في القسم الثاني من ملف السيرة، وفي الصفحة الثانية من ملف البعثة، فقد:

**سعدت ببعثة أحمد الأزمان وتعطرت بعبيره الأكوان
والشرك أنذر بالنهاية عندما جاء البشير وأشرق الإيمان**

هَبَّ رسول الله ﷺ ليصدع بأمر ربه وينشر تعاليم دينه، ووقف وحده: أهله وعشيرته على خلاف ما جاء به، والفرس والروم وكل شعوب الأرض ترى ما لا يرى .
هذا هو موقف النبي الكريم، وموقف العالم تجاه دعوته.

أما رسول الله ﷺ فكان يوقن تماماً بأنه لا بد لهذه الدعوة من رجال مخلصين مؤمنين بها ويخلصون لها، ويكافحون في سبيل نشرها وتبليغها، لذلك بذل كل ما في وسعه من جهد في إقناع أهله الأقربين بصدق دعوته، وصحة رسالته، وهنا- وكما تفعل الكلمة الطيبة- بدأت القلوب الصافية الطاهرة، تشعر بهذا الحق الأبلج وشعرت العقول السليمة بصحة هذه التعاليم السامية. أليس هو يدعو إلى الإيمان بـالله ﷻ وحده، أليس هو يدعو إلى تحرير الإنسان من عبادة الإنسان، أليس هو يدعو إلى مكارم الأخلاق، إنها دعوة بريئة من كل مصلحة، إنه لا يريد أن يرشح نفسه لمنصب رئاسة أو وزارة، بل الهدف هو المؤاخاة بين الناس دون تفريق بين أبيض وأسود، وشامي وحجازي، وحليبي ودمشقي، من غير تمييز بين أمير ومأمور، وحاكم ومحكوم وغالب ومغلوب، والهدف هو الله ﷻ، والله ﷻ وحده.

وكانت عقب هذه العملية عملية التآخي بين كل المؤمنين بعضهم مع بعض حتى تنزل الفوارق بين أصحاب البيت المسلم.

يقول ابن عبد الله: « كانت المؤاخاة مرتين : مرة بين المهاجرين خاصة، وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار ».

وهنا تبدأ معاقل الكفر والوثنية مناهضتها، فمنعت الطعام والشراب عن النبي وصحابته بل وبني هاشم أجمع، ومنعت البيع والشراء معهم، وأعلنت عليهم قريش حرباً أهلية لا ترحم، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علّقت في جوف الكعبة، بل أبعدهم إلى أرض لأبي طالب كانت تسمى شُعب أبي طالب، ليتم الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

عانى المسلمون - ومعهم أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها - من الحر والقرّ والجوع والعري حتى مضغوا الجلود، لكنهم بقوا صامدين، لم يبالوا بمنع المواد التموينية عنهم ، ولا بظلم كفار مكة ومشركيها ، لأن الإسلام علّمهم : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ... ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ .

وبعد ثلاث سنوات فشل الحصار أمام ذلك الإيمان الراسخ، وانتصرت القلة المؤمنة العزلاء أمام جبروت الوثنية وجموع القرشيين ذوى العدد والعدة.

وجاء الإذن بالهجرة إلى الحبشة فهاجر من هاجر، وحاولت قريش إعادتهم إلى مكة من الحبشة لكنها فشلت كما فشل الحصار من قبل وخاب مسعاها في ذلك ﴿والله غالب على أمره﴾.

وغادر قسم إلى بيوتهم في مكة، ومن هؤلاء الذين غادروا السيدة الطاهرة التي تذوقت مع سيدنا النبي أهوال الحصار المنهك، وراحت تكافح الوهن الذي أخذ يدبّ إلى جسمها منذ أن جاوزت الستين، وهكذا وبعد الحصار عادت إلى بيتها، وقد نال منها الإعياء واستنفذ الاضطهاد والعذاب ما أبقي لها من قوة، وكانت قد بلغت الخامسة والستين، وجلس رسول الله إلى جانبها لا يفارقها حتى أسلمت

الروح بين يديه، وراحت دموع النبوة تسيل على خديه حزناً على هذه المرأة المخلصة التي كانت وزيرة صدق على الإيمان ثم أنجبت أولاده كلهم، ثم هي التي أرسل إليها رب العالمين السلام مع سيدنا جبريل فقال (ق): « اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » .

وهي أول من آمن به ﷺ وشهد لها رسول الله ﷺ فقال: (ق).
« كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد » و « خير نساء الأرض والسماء مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد » .

مرت هذه الفضائل كلها في ذهن السيد الأعظم وهو يشيع السيدة الأولى في الإسلام إلى مثواها الدنيوي، بينما أعلنت جنان الفردوس طوارثها لاستقبال زوجة سيد النبيين وإمام المرسلين، وفي مدفن الحجون في مكة نزل رسول الله ﷺ في حفرها ودفنها بيده الشريفة ﷺ .

وكان وفيّاً لذكرها حتى وبعد تزوجه من نسائه جميعاً، ولم ينقطع عن صلة صديقاتها بعد وفاتها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يرسلها إلى صديقاتها، وربما كان لا يخرج حتى يذكرها ويحسن الثناء عليها فتغضب السيدة عائشة، فيقول لها: إني رزقت حبها.

وربما أدركت السيدة عائشة الغيرة فتقول: هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله ﷻ خيراً منها، فيغضب رسول الله ﷺ ثم يقول:

- لا والله ما أبدلني الله ﷻ خيراً منها؟ آمنت لي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ﷻ منها أولاداً.

فكانت هذه الصفات العظيمة للسيدة خديجة مدعاةً لاسكات السيدة عائشة حتى قالت: فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً.

وكانت يد القدرة تلاحق عمه أبا طالب بعد انفكاك حصار الشعب، وجلس رسول الله ﷺ إلى فراشه وراح يعرض عليه الإسلام مرة تلو مرة، لكن زعماء الشرك لم

يتركوه يفعل، ورسول الله يقول له : قل الشهادتين أحاجج عنك بهما يوم القيامة، قلها ولو في أذني.

ولكن أجله لم يمهل فمات دون أن ينطق بالشهادتين.

وحزن رسول الله على موت النصيرين وحزن الصحابة عليهما حتى سمي هذا العام العاشر بعام الحزن، لاشتداد الأذى على المسلمين الذي ما كان زمن أبي طالب، فقد كانت الدعوة تسير في ظل حمايته، بل إنهم تناولوا على السيد الأعظم حيث اعترضه بعض سفهاء قريش فصبّ على رأسه تراباً حتى اختلط بشيابه وشعره، فدخل بيته وراح ينفذ عنه آثاره ورأته ابنته فراحت تساعدته وهي تبكي، والنبي يهدئ من روعها ويقول لها:

- لا تبكي يا بنية فإنّ الله مانع أباك.

لكن الدعوة- أيها السادة- لم تتوقف بموت النصيرين، ولعلها حكمة ربانية ليظهر حقيقة واحدة أن الحماية والتأييد والنصر لا يكون إلا من الله تعالى الذي أنزل على رسوله ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون ﴾.

وليس معنى النصر والدعم والتأييد ألا يتعرض رسول الله مع أصحابه أثناء سير الدعوة إلى محن وفتن واستهزاء من كفار قريش، لأنّ طريق الدعوة محفوف بالأشواك والمكاره وهذه سنة الله في الدعوة.

﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ .

وليكون عزاء أهل الدعوة أنهم يذوقون مما ذاقه رسول الله، وأنهم يسيرون في الطريق ذاتها التي أودى فيها رسول الله، ولكن في النهاية سيكون النصر حليفاً للمسلمين، مهما جرى، ومهما طال الزمن لأن ربّ العزة حكم وكتب ﴿ لأغلبن أنا ورسلي ﴾ . فهو الذي يقول:

﴿ ولقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ﴾ .

فليعلم العالم، ولتعلم الدنيا أن العاقبة للمؤمنين، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. **إخوتي في الله** : بعد انتهاء فترة الحداد على النصيرين، وبقاء أولاد سيدنا النبي ﷺ بدون أم ترعاهم تقدّمت الصحابية الجليلة خولة بنت حكيم السلمية وسعت إليه ذات مساء متلطفة مترفقة تقول: - يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك حلّة (حاجة) لفقد خديجة!؟

فأجاب رسول الله: أجل، كانت أمّ العيال وربة البيت. وهنا فاتحته في الزواج ليجد الرعاية والراحة، ولتجد طفلته اليتيمة السيدة فاطمة وأخواتها الرعاية والخدمة، فترى خولة تقترح عليه الزواج بأرملة عجزت كسيرة الفؤاد هي السيدة **سودة بنت زمعة** القرشية العامرية، أرملة السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو من بني عامر، وكان زوجها من أوائل الذين هاجروا إلى الحبشة بعد اشتداد العذاب على المسلمين، ثم عادوا إلى مكة بعد أن وُشي إليهم بإسلام أهل مكة، فإذا بهم يجدون أن قريشاً زادت من وطأة العذاب على المسلمين. ويموت زوجها السكران، وتبقى سودة مهیضة الجناح، معرّضة للنكال من قبل أبيها الذي كان على الشرك، فلا سند ولا معيل.

سودة بنت زمعة التي عانت من محنة الاغتراب إلى الحبشة، ومحنة الترميل ومحنة التعذيب من أهلها، فكان واجب المسلمين المستضعفين أن يضم رجل مسلم مثل هذه الأرملة المهددة في دينها، المطعونة في طمأنينتها، المستوحشة بفقدان عشيرتها، فكان أولى الناس بضم مثلها من لا زوجة له مثل سيدنا رسول الله ﷺ

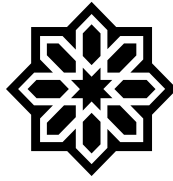
إخوة الإيمان : تذكروا هذا أن رسول الله ﷺ تزوجها لتكون مدبرة لبيته ومربية لأولاده، لا لتكون متعة حسّ ولذة مضجع، تزوجها لتكون في كنفه، وتنعم بظله وعطفه، ولتجد في هذا الزواج من سيدنا الرسول شرفاً وعزاً، وعاصماً من النكال والردة، ولتحل بين أبناء دينها الجديد أرفع مكانة تصبو إليها المرأة المسلمة «مكانة أم المؤمنين».

ونزل سيدنا جبريل على السيد الأعظم ومعه قطعة حريية وقال له : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة، ففتح رسول الله القماشة فإذا هي صورة السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وكانت صغيرة، فقال رسول الله ﷺ إن يك هذا من عند الله يمضه أي ينفذه بسرعة.

أيها السادة : في هذا الزواج يتبين لنا أن رسول الله بقي على زواج واحد من سن الخامسة والعشرين إلى سن الخمسين، وهو لم يتزوج على السيدة خديجة حتى توفيت، وها هو يتزوج ثانية من امرأة تناهز الخمسين لتربي أولاده.

وفي هذا ما يلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفندتهم على الإسلام وقوة سلطانه من المبشرين والمستشرقين وعبيدهم الذين يسيرون في درهم ينعمون بما لا يسمعون، ويحاولون أن يصوروه في صورة الرجل الشهوان الغارق في لذة الجسد، العازف في معيشتة المنزلية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح.

ولو كان كذلك لكان أخرى به أن يستجيب للوطر والرغبة النفسية في الوقت الطبيعي ما بين سن العشرين إلى الخمسين، ولكنه خلال هذه الفترة لم يتزوج إلا امرأة واحدة فهو الطاهر المطهر والطيب المطيب الذي وصفه ربه ﴿ **وإنك لعلی خلق عظیم** ﴾. فصلوا عليه وسلموا تسليماً.



(٤٦)

الإسراء والمهراج

الحمد لله الذي أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وشق له صدره، وعرج به إلى ما شاء الله وأراه من الآيات الكبرى ما لا يعد ولا يحصى.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال في محكم كتابه: ﴿ثم دنى فتدلى فكمان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى﴾.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين صدّقوه واتبعوه ففازوا بالبشرى وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام : بذل رسول الله ﷺ كل ما أوتيته من حكمة في الدعوة إلى دين الله، وفي إنقاذ قومه مما هم فيه من ظلام الوثنية وأوضاع الجهالة، وكان بقي لديه شعاع ضئيل من أمل في أهل الطائف، فذهب يدعوهم إلى الإسلام، وكان معه ولده من التبني سيدنا زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه. ولكنه مع الأسف لم يجد منهم إلا الغلظة والقسوة وإلا الصد والإعراض، بل إنهم أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويقذفونه مع أتباعه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، فأوى رسول الله ﷺ مع صاحبه إلى بستان ابني ربيعة وقد بدا عليه الحزن والتأثر.

فقد عزّ عليه أن يأتي قومه برسالة السماء، وبسيادة الأرض، وبمفاتيح العالم وكنوز الدنيا ثم لا يلقي منهم إلا الكره والشتم والإساءة، عزّ عليه ذلك، وأهمه أمر أمته

فالتجأ إلى الله يشكو إليه ويستنصره بكلماته البليغة المستغيثة ، فقال مخاطبه مخاطبة العبد العاجز الخاضع المتذلل بين يدي مولاه:

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحلّ سخطك، لك العتي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله ».

فنزلت نجدة السماء إذ بعث الله إليه ملك الجبال فاستأذنه في أن يطبق عليهم جبلي الطائف، فما كان من أمر رسول الله؟ هل رضي؟ هل انتقم لنفسه؟ لا، أيها الاخوة، بل قال قوله الرؤوف الرحيم: « بل أرجو أن يخرج من أصلاحهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ». (صلوا عليه).

وتحركت شفقة ابني ربيعة على هذا المشهد المؤثر فأمر غلاماً لهما نصرانياً يدعى عداس أن يقدم لهما قطفاً من العنب، فمدّ يده رسول الله وقال : بسم الله. ثم أكل صاحبه، فتعجب عداس لهذه الكلمة التي لا يقولها إلا أهل التوحيد، وأخذ يتجاذب أطراف الحديث مع رسول الله حتى عرف أنه من نينوى في الموصل. فقال رسول الله: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: ما يدريك من هو؟ فقال له: ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي. فأكبَّ عداس على رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه. وهنا تعانقت النصرانية الصحيحة مع الإسلام، لأنَّ الدين الصحيح من الدين الصحيح كالأخ من أخيه، إلا أن نسب الإخوة الدم، ونسب الدين العبودية لله تعالى.

فكانت المكافأة على هذا الصبر وتحمل الشدائد من جهتين:

الجهة الأولى : أنه أثناء عودته إلى مكة قبيل الفجر وقد قام يصلي مرَّ به نفر

من الجن استمعوا للقرآن فآمنوا به وولوا إلى قومهم منذرين، لأن الجن عباد مكلفون منهم الذكور ومنهم الإناث، ولا ينكرهم إلا كافر لأنه يكذب بصريح القرآن الكريم الذي كان من آياته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وكانت المكافأة الثانية: دعوة الله سبحانه لنبيه الكريم في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب وقبل الهجرة بسنة أي سنة ٦٢٢ م، هذه الدعوة المعزّة المنظمة من رب العزّة التي انفرد بها سيدنا محمد ﷺ من بين جميع الأنبياء ليظهر فضله ويعلي شأنه ويريه من آياته الكبرى وعجائب مخلوقاته العظمى، حيث أتاحه الأمين سيدنا جبريل كما في رواية الإمام أحمد ومسلم:

«ففرج صدره الشريف ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملوء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره ثم أطبقه. ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على البراق باحتفال مهيب قام به النبيون والمرسلون والملائكة المقربون كلهم قاموا على أرض المسجد الأقصى صفوفاً صفوفاً يستقبلون القادم العظيم، ويحيطون به إحاطة الشهب بالبدر أو كالجند بالعلم.

فكان الله سبحانه يقول لمصطفاه: تعال إلينا لنريك ما لم نره أحداً من العالمين، تعال إلينا لنمنحك ما لم يحصل عليه غيرك من المقربين، يا حبيبنا لا تحزن مما نالك من الجاهلين، فإذا كان هؤلاء لا يعرفون قدرك ويحسدون عظمتك ويتمارون في تصديقك فإن أهل السماء هم أعرف بك من أهل الأرض، لا تحزن فلا بد لدعوتك أن تتم، ولا بد لرسالتك أن تنتشر، ولا بد لديك أن يظهر ولو كرهت الدنيا كلها، وقد وعدنا رسلنا بالنصر، وأنت من أكرم هؤلاء الرسل، وسيتم الوعد ولن يخلف الله وعده رسله. فالإسراء والمعراج من أكبر معجزات سيدنا النبي ﷺ بعد القرآن الكريم فقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة على أن الإسراء

«وهو السير ليلاً» قد حصل لسيدنا النبي، وأُسرى به من مسجد مكة؛ وهو المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أي بيت المقدس كما قال تعالى في افتتاح سورة الإسراء: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ .

إخوتي في الله: الإسراء إذاً من المعجزات والخوارق للعادات لذلك افتتح الله سبحانه هذه السورة بكلمة "سبحان" التي هي للتنزيه والتعجب، لكي يؤمن المشركون ويُسَلِّمَ الشاكِّون، ويفرح المؤمنون بهذا المجد العالي، وبهذا الشرف السامي، فأراد الله تعالى أن يسري به إلى حضرته ويخصّه بجمال وجهه، وجلال رؤيته، فأرسل إليه رسوله الروح "وهو سيدنا جبريل الأمين" فوافى الحبيب المصطفى ﷺ في مكة وقد نامت عيون العالمين، فشق صدره الكريم، وملاه من الحكمة والإيمان ما ثبت به قواه البشرية وهيئة لمناجاة رب العالمين ورؤية ذاته العلية، ثم ركب البراق إلى بيت المقدس، وصلّى فيه بالرسول إماماً فكان لعقد نظامهم مسكاً وختاماً.

ثم رقي من بيت المقدس إلى العالم العلوي على المعراج، وآيات المعراج ذكرها الله تعالى في سورة النجم، النجم الإنساني العظيم الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في المعجزة، فجاب الآفاق بجسده وبروحه كما ثبت عند جمهور العلماء فرأى من الآيات الكبرى ما لا يعد ولا يحصى يقول تعالى:

﴿والنجم إذا هوى. ما ضلّ صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيّ يوحى، علّمه شديد القوى. ذو مِرّة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند

سدره المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾

وهناك حيث لا زمان ولا مكان مشى على بحر النور حيث سمع قائلاً يقول: أجلسوه وزجوه في بحري، فجلس جلسة التحيات وشعر بالتجلي الإلهي يحيط به من

كل جانب فقال: التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله، فخاطبه ربه مجيباً: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال ﷺ: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فسمعت الملائكة هذا الحوار النوراني فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

وهناك حيث لا زمان ولا مكان فرضت الصلاة، معراج المؤمن إلى الله تعالى ليشهد ما حصل لرسول الله في المعراج المبارك، وهناك كانت المناجاة بين الحبيب وحبيبه، وهناك نال رسول الله لقب الحبيب الأعظم، وجرت بينهما المكاملة المباركة. فقال له رسول الله ﷺ: اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً، وكلّمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً وسخرت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الجن والإنس والشياطين، وسخرت له الرياح وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل.

فأوحى إليه رب العزة: وقد اتخذتك خليلاً وحبيباً، وأرسلتك للناس كافة بشيراً ونذيراً وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقاً، وآخرهم بعثاً وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحاً وخاتماً.

وفي هذه الليلة المباركة فرض الله على المسلمين عبادة الصلاة، فرضها خمسين صلاة، فما زال رسول الله يسأل الله أن يخففها حتى أصبحت خمس صلوات في كل يوم وليلة من أداها إيماناً واحتساباً كان له أجر خمسين صلاة.

وهذا فضل الله على أمة سيدنا محمد ﷺ . وقد نزل سيدنا جبريل فعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها.

اخوة الإيمان : انتشر خبر الإسراء بين قريش فأنكره جبابرة قريش واستعظموه وكذبوه واستهزؤوا به . وقالوا مستبشرين؟ إنا نضرب أكباد الإبل شهراً مصعداً وشهراً منحدراً ثم تزعم أنك سریت إليه في ليلة واحدة ثم أصبحت بين ظهرانينا!!
وأما المؤمنون الصادقون فقد ازدادوا إيماناً مع إيمانهم . ومن هؤلاء سيدنا أبو بكر فقد أتى إليه بعض كفار قريش ليردوه عن الإسلام وأخبروه بخبر الإسراء ليروا موقع ذلك عنده . فقال: - والله لئن كان قاله فقد صدق . فسمي بالصدیق رضي الله عنه .

فكان مكافأة النبي لصاحبه الصديق عقده على ابنته السيدة عائشة عقداً فقط ليكون ملقباً بلقبين الصديق وعم النبي من زوجه السيدة عائشة رضي الله عنهما .
وهكذا- **معشر الاخوة**- يسمي رسول الله أصحابه بالألقاب الحميدة دلالة على مكانتهم عند الله تعالى، لقب سيدنا عمر بن الخطاب بالفاروق، و لقب سيدنا أبا عبيدة بن الجراح بأمين هذه الأمة، وها هو يلقب سيدنا أبا بكر بالصدیق رضي الله عنهم أجمعين من أبغضهم لا تصح الصلاة خلفه عند المالكية والحنابلة وتكره عند بقية المذاهب، ومن أحبهم فحبب الله ورسوله أحبهم .

اللهم ارزقنا حبك وحباً من يحبك وحب عمل صالح يقربنا إلى حبك.. هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله ﷺ الصلاة والسلام عليك .

(٤٧)

بيعتا العقبة الأولى والثانية ثم الهجرة

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الإيجاد. وجعلها دليلاً على وحدانيته لذوي البصائر إلى يوم المعاد، وشرع شرعاً اختاره لنفسه وأنزل به كتابه، وأرسل به سيد العباد، واختار له أتباعاً هم الخيار من العباد فبايعوه فشهد لهم رب العزة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِهِمْ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله شهادة ندخرها ليوم التناد.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه صلاة زكية بلا نفاذ، وسلم تسليماً.

أما بعد : فيا معشر السادة الكرام :

فقد لاقى رسول الله من كفر قريش جحوداً وتكبراً عن قبول دعوة الرسول للإسلام، فهدى الله له قبيلتين ترجعان في أصلهما إلى اليمن، نزع أجدادهما منها في الزمن القديم وسكنوا يثرب، ولا غربة فرسول الله مدح أهل اليمن فقال عنهم إنهم «أرق أفئدة وألين قلوباً». وهاتان القبيلتان: هما الأوس والخزرج .

كان رسول الله يعرض نفسه في موسم الحج كل عام على الحجاج، فقدم رجال من هاتين القبيلتين والتقوا بالسيد الأعظم في مكة، وكان اليهود في المدينة يفاخرون القبيلتين ويقولون: "إنه قد آن أوان نبي آخر الزمان « فلما سمعوا بالسيد الأعظم دخلوا في الإسلام ووعدوه أن يأتوا بإخوان لهم في العام المقبل، حيث لاقوه ثانية في

العقبة الأولى فبايعوه على التوحيد والتعفف من السرقة والزنا وقتل الأولاد، والطاعة في المعروف » وأرسل معهم سيدنا مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويصلي بهم ويعلمهم الإسلام، فكان يسمى بالمقرئ .

وانتشر ذكر رسول الله ﷺ في يثرب. ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات، وخاصة بعد أن أسلم سيدنا سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدان من الأوس، بل أسلم بنو عبد الأشهل جميعهم.

وفي العام المقبل قدم سيدنا مصعب بن عمير إلى مكة في موسم الحج ومعه جماعة من الأنصار، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فاجتمع بهم السيد الأعظم ومعه عمه العباس (وكان على دين قومه)، وتمت بيعة العقبة الثانية.

وهنا ترد الإجابة عن السؤال الذي يخطر في أذهان كثيرين؛ لماذا استقر رسول الله ﷺ في المدينة المنورة بعد فتح مكة، ولم يعد إلى سكنه في مكة، فهذا درس في الوفاء لا مثيل له، لأن الأنصار الذين بايعوه على أن: يمنعوه مما يمنعون به نساءهم وأبناءهم سألوه: «إذا نصره الله تعالى ألا يدعهم ويرجع إلى قومه » واستوثقوا منه حتى قال لهم:

- أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسلم من سلمتم.

كان هذا العهد منه ﷺ سبباً في سكناه المدينة واستقراره فيها، وتعليماً لنا لكي نفى بعهودنا ووعودنا، ونكون عند حسن ظن نبينا بنا.

وهنا تبدأ الهجرة في سبيل الله تعالى إلى يثرب، بعد أن بدأت إلى الحبشة من قبل، ولكن بنسبة أكبر، حيث أذن النبي الكريم لصحابته بالهجرة ليلحقوا بإخوانهم من الأنصار، وهرباً من أذى كفار قريش المناهضين للدعوة. فكان الواحد منهم لا يحبذ البقاء في مكة ولو اضطر أن يترك امرأته وابنه وماله كله في سبيل الله تعالى، كما فعل سيدنا صهيب لما أراد أن يهاجر قال له كفار قريش:

- أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثير مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك!!.

- فقال أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟
قالوا: نعم. قال: هو لكم.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيب، ربح صهيب.
وهاجر كثير من الصحابة، وخلفوا أموالهم ويوتهم في مكة، وكانوا يهاجرون خفية، أما سيدنا عمر رضي الله عنه فعندما أراد أن يهاجر وقف بجوار البيت الحرام وأعلن على الملأ: - إني مهاجر، فمن أراد أن تشكله أمه، ويستم أولاده فليلقني وراء هذا الوادي.

فلم يتخلف في مكة مع سيدنا رسول الله ﷺ إلا الحبوس والمفتون وسيدنا الصديق وسيدنا علي رضي الله عنه، فلما وصل الأمر إلى هذا الحد عقدت قريش مؤتمر الحرب في دار الندوة، فاجتمعوا ومكروا ومكر الله ﷻ والله خير الماكرين على أن يجمعوا من كل قبيلة رجلاً ليقضوا على الدعوة في شخص سيد الأنبياء، فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل.

وكان الله ﷻ لهم بالمرصاد إذ أمر نبيه بالهجرة وأن يصحب معه الصديق. وأمر ﷺ سيدنا علياً أن ينام في فراشه وأن يسجى ببردته، وطمأنه بأنهم لن يخلصوا إليه بشيء يكرهه، وأمره برد الودائع لأهلها التي كان مؤتمناً عليها من قبل القرشيين.

وخرج رسول الله ﷺ ، وهم على بابهم ينتظرون خروجه لصلاة الفجر، وتلا عليهم آيات من كتاب الله ﷻ فأعمى الله ﷻ أبصارهم عنه، وانطلق إلى غار ثور، والصديق يمشي تارة أمامه، وتارة خلفه خوفاً عليه، والتفت رسول الله ﷺ إلى مكة، فتدفقت عاطفته الإنسانية، وحبه الإيماني لها فقال يخاطبها:

- ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك.

وتابعا سيرهما حتى وصلا إلى غار ثور ودخلاه، فأرسل الله العنكبوت فنسجت بين الغار والشجرة التي كانت قرب الغار، فسترت رسول الله وصاحبه، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا حتى وقعتا بين الغار والشجرة.

روى أن الله تعالى قال لسيدنا جبريل وميكائيل:

« إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فمن يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة. فقال لهما:

- هلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد فآثره على الحياة وفداه بنفسه، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فهبطا إلى الأرض ووقف جبريل عند رأسه وميكائيل عند قدميه يحرسانه حتى الصباح، وهما يقولان:

- بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، فإن الله يباهي بك ملائكته » .

وحين أفاق القوم من غفلتهم التي ألقاها الله عليهم نظروا من شق الباب فرأوا سيدنا علياً مسجى يُبرّد رسول الله فظنوه رسول الله ﷺ فدخلوا عليه ورفعوا الغطاء فوجدوا سيدنا علياً نائماً فخرجوا وانقلبوا خائبين وركبوا سروجهم وانطلقوا في البحث عنه، حتى وصلوا إلى الغار فرأوا العنكبوت والحمامتين فأعمى الله أبصارهم عن الغار، وحبس الصديق أنفاسه خوفاً لا على نفسه ولكن على السيد الأعظم، ورأى رسول الله الخوف في عينيه فقال له:

- يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. فأنزلها الله آية في كتابه الكريم:

﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ .

ومكثا في الغار ثلاث ليال، وكانت السيدة أسماء بنت الصديق تأتيهما بالطعام

وأخوها عبد الله يأتيهما بأخبار كفار مكة.

وجعلت قريش حين يئست من العثور عليه ﷺ لمن يرده مئة بعير، فحمل سراقه بن مالك بن جعشم الطمع على أن يتبعه حتى وجده مع صاحبه، ومعهما عامر بن فهيرة ودليل من المشركين، فكان كلما اقترب منهم تغوص به فرسه في الأرض مرة بعد مرة حتى أيقن أن رسول الله ﷺ في حماية الله تعالى وأنه ظاهر لا محالة، فطلب الأمان من رسول الله ﷺ فكتب له عامر بن فهيرة أماناً في عظم أو رقعة.

وهنا تقع معجزة من معجزات سيدنا النبي ﷺ إذ نظر رسول الله ﷺ إلى اليوم البعيد الذي يطأ فيه أتباعه تاج كسرى وعرش قيصر، ويفتحون خزائن الأرض فتنبأ في هذا الظلام الحالك والقوم يطاردونه ويتبعون آثاره بهذا النور الباهر، فقال لسراقه: - كيف بك إذا لبست سوارى كسرى.

وصدق رسول الله ﷺ ففي عهد الفاروق جيء إليه بسوارى كسرى فلبسهما فقال له عمر: « قل الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقه بن جعشم). وراح يرددها وهو يطوف في المدينة والناس من حوله، وكان يوماً مشهوداً .

وهكذا - أيها الاخوة - ترى عين النبوة البعيد قريباً لأن ﴿ الله لا يخلف الميعاد ﴾ .

سار رسول الله ﷺ مع صاحبيه ودليل المشركين على أرض الصحراء ليبارك بخطاه هذه الأرض والتي طابت بقلها رسول رب العالمين، ولتحل البركة في ديار كل من يلقاه، فكان ممن لقيه أم معبد الخزاعية فاستسقاها فلم تجد ما تسقيه فقالت له: ما عندنا إلا هذه الشاة خلفها الهزال والجهد عن الغنم.

فمسح رسول الله ﷺ بيده الشريفة ضرعها وسمى الله ودعا فدرت الحليب بإذن الله تعالى فسقاها وسقى أصحابه حتى رووا ثم قال: ساقى القوم آخرهم شرباً.

فشرب، ثم حلب الشاة ثانية بيده المباركة، وتركها متجهاً إلى قباء أولى منازلها من
يثرب التي ستسمى المدينة المنورة حينما ينورها سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة
والسلام بإقامته فيها.

فلما رجع أبو معبد ورأى الإناء مليئاً بالحليب استغرب وتعجب، فسأها فقالت:
إنه مرّ بنا رجل مبارك كان من شأنه كذا وكذا، فقال: والله! إني لأراه صاحب
قريش الذي تطلبه.

معشر السادة : "إن الهجرة ليست هرباً من الشدائد، ولا من مواجهة الأخطار،
إنما هي فتح جديد في حياة النضال والكفاح واعداد مركز لدحر الظالمين، وقمع
المعتدين، ورحم الله القائل:

سأصرف وجهي عن بلاد أرى بها لساني معقولا وقلبي مقفلا
وإن صريح الحزم والرأي لا مرئ إذا بلغت الشمس أن يتحوّلا»^١

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب
الأعظم وتحيّتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.



(١) من كتاب مولانا الشيخ أحمد الحاميد من وحي المنبر ص ٧٦

(٤٨)

الأيام الأولى دروس من الهجرة في يثرب

الحمد لله على جزيل نعمائه، أحمده على جليل آلائه، وأشكره على جميل بلائه.
وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أعدّها يوم لقائه.
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله سيد رُسله وخاتم أنبيائه.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأصفياؤه، وسلم
تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

كانت الهجرة إلى يثرب فرجاً للمسلمين مما يلقونه في مكة من المشركين من ألوان
الهزء والسخرية، ولكنها كانت أيضاً امتحاناً صعباً اجتازه المسلمون بنجاح باهر
حيث تركوا وطنهم الأم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم في سبيل الهجرة إلى الله تعالى.
وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على وجوب الهجرة من دار الحرب إلى دار
الإسلام، من دار يعصى الله عز وجل فيها إلى دار يطاع فيها رب العزة، من دار
لا يستطيع المسلم فيها أن يقيم الشعائر الإسلامية إلى دار يقوم فيها بالطاعات
والعبادات بكل حرية ويقوم فيها حكم الله في الأرض.

إنّ الهجرة إلى يثرب تعني وجوب نصرّة المسلمين بعضهم بعضاً مهما تباعدت
ديارهم وبلادهم ما دام ذلك ممكناً ، لأن فقهاء الإسلام بينوا في الأحكام الفقهية
الجهادية أن على المسلمين إذا قدروا على استنقاذ المستضعفين من إخوانهم في
الأرض ثم لم يفعلوا ذلك فقد باؤوا بإثم كبير وذنب عظيم. يقول أبو بكر بن العربي
في كتابه أحكام القرآن:

«إذا كان في المسلمين أسرى أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة بالبدن بأن لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم من ذلك».

إخوتي في الله : إن من دروس الهجرة أنه لا قيمة للأرض والوطن والمال والجاه إذا كانت العقيدة وشعائر الدين مهددة بالحرب أو الزوال وأن الله عز وجل جعل قداسة الدين والعقيدة فوق كل شيء.

أما الأنصار رضي الله عنهم الذين نصروا وآووا المهاجرين في يثرب فإنهم لم يترموا بإخوانهم المهاجرين ، بل إنهم فرحوا بهم وبالهداية التي دخلت كل دار من دور الأنصار، وزاد من فرحهم ونشوتهم أنهم سمعوا أن سيدنا رسول الله قد توجه نحو ديارهم فكان لفرط حبهم لهذا النبي الكريم ينتظرون مجيئه كل يوم حتى تغلبهم الشمس فيدخلون بيوتهم من شدة الحر، فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته خرج على أثرها الأنصار من دورهم وهم لا يملكون أنفسهم من شدة فرحهم بلقيا السيد الأعظم قائد الأمة، فراحوا يلتفون حوله وحول الصديق لا يعرفون أيهما رسول الله، فانتبه سيدنا أبو بكر، فرفع رداءه يظله من حرّ الشمس، فأقبلت الناس تزدهم على سيدنا رسول الله ﷺ.

وخرجت العواتق من فوق البيوت يتراأينه يقول سيدنا أنس فما رأينا منظرًا أبهى منه. (أحمد). وزاد الدارمي عنه: «فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا».

وراح الناس من شدة فرحهم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد (خ).

يقول البراء بن عازب- وكان حديث السن: قدم النبي فما رأيت أهل المدينة فرحوا لشيء في حياتهما كفرحهم بقدوم رسول الله، وكانت بنات الأنصار ينشدن في سرور ونشوة:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع

وأقام رسول الله في قباء أربعة أيام أسس فيها مسجداً، وخرج يوم الجمعة فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف فكانت أول جمعة صلاها هناك.
ومر سيدنا رسول الله في سكك المدينة وكان المستقبلون يطلبون منه الإقامة لديهم، ويمسكون بزمام الناقة، فكان يقول لهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.
وحين مرّ في بني النجار سمع الجوّاري يضرّبن بالدفوف ويقولن:

نحن جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

حتى بركت الناقة بجوار بيت سيدنا أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد، فأقام عنده في الطابق الأرضي ثم العلوي، وهو لا يملك نفسه من شدة الفرح بما أنعم عليه من هذه النعمة الكبرى.

وتكشف لنا كتب الحديث والسيرة شدة محبة سيدنا أبي أيوب الأنصاري وزوجه لسيدنا رسول الله حيث كان يرسل له الطعام فيأكل منه سيدنا رسول الله ثم يرد فضله إليهما، فكانا يتيممان موضع أكله ﷺ وآثار أصابعه يتغيان البركة، وقد روى البخاري ومسلم صوراً كثيرة من تترك الصحابة بآثار رسول الله والتوسل بها للاستشفاء أو التوفيق من الله تعالى:

إذ كانت السيدة أم سلمة تحتفظ بشعرات لسيدنا رسول الله ﷺ في قارورة لها فكان إذا أصاب أحداً من الصحابة عين أو أذى أرسل إليها إناءً فيه ماء جعلت الشعرات في الماء، ثم أخذوا الماء يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك.

وعند الإمام مسلم: كان سيدنا رسول الله ﷺ حين ينام على فراش إحدى محارمه وهي أم سليم يعرق ويسقط عرقه على قطعة جلد على الفراش، فتأتي أم سليم لتتشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، فأفاق مرة رسول الله ﷺ ، فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟.

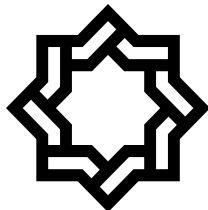
ف قالت: يا رسول الله ﷺ نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت.

بل كان الصحابة أنفسهم فيما يرويه الشيخان: يستبقون إلى فضل وضوئه للتبرك به.

فإذا كان هذا شأن التوسل بآثاره الحسية فكيف بالتوسل بمنزلته عند الله جل جلاله.

« اللهم إنا نتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا سيدي يا رسول الله ﷺ نتوجه بك إلى الله ﷻ في أن يفرج عن جميع المسلمين في أصقاع الأرض أجمعين » .
فما هي الأمور الهامة التي قام بها سيدنا رسول الله ﷺ القائد الأول لهذه الأمة عند مقدمه إلى يثرب التي أصبحت تسمى المدينة المنورة حينما نورها رسول الله ﷺ بوجوده؟.

هذا سؤال أتركه لوقفه أخرى على منبر سيدنا رسول الله ﷺ ، وأدعكم لتستغفروا رب العزة لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.



(٤٩)

اللجنة الأولى ببناء المسجد

الحمد لله الذي رفع منار الإسلام بما أقامه في الأرض من شعائر الإسلام، وجعل منها المساجد، بما يذكر الله وحده آناء الليل وأطراف النهار.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار .
وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأبرار ، وما حي الكفر والكفار ، قال لنا: « من بنى لله مسجداً كمفحص قطاه بنى الله له بيتاً في الجنة». .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام :

كانت هجرة السيد الأعظم إلى المدينة المنورة بدء عهد جديد لدولة الإسلام الأولى بقيادة القائد الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، وبعد أن استقرّ في بيت أبي أيوب الأنصاري سارع إلى أمور ثلاثة هي من الأمور الهامة لبناء الدولة:
أولها وأهمها: بناء المسجد.

وثانيها: دستور ينظم العملية الحياتية.

وثالثهما : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

فلم تكن الناقة بوقوفها أمام دار أبي أيوب لكي ينزل رسول الله ﷺ عنده فقط، بل كانت إشارة لبناء المسجد النبوي في تلك البقعة المباركة ، لذلك كان رسول الله ﷺ يقول للأنصار حين يمسون بزمامها: دعوها فإنها مأمورة.

بركت الناقة بجوار مرید للتمر اتخذهُ أسعد بن زرارَة مصلّى يصلي فيه مع أصحابه قبل الهجرة النبوية، فدعا رسول الله ﷺ صاحبي المرید وهما غلامان يتيمان أردا أن يهبها

المريد لله ورسوله ، فأبى الرسول الكريم إلا أن يشتريه منهما، فكان ثمنه عشرة دنانير. وقد اشتراه رسول الله ﷺ منهما وهما صغيران ليسا أهلاً للتصرف لأنه ولي المسلمين جميعاً وسيدهم والمتصرف بأمر الله تعالى فيهم.

وقد علم رسول الله ﷺ أن أواصر المحبة بين المسلمين لا تكون إلا بتلاقيهم مرات يومياً لتساقط فيما بينهم فوارق الجاه والمال، ولتشيع بينهم روح المساواة والعدل في أحوالهم وشؤونهم، ويقفوا مصطفىين في محراب العبودية راعين وساجدين، ولا يكون ذلك إلا في المسجد حيث تقام شريعة الله ﷻ، ويجتمع فيه المسلمون لتعلم أحكام الله ﷻ، ويتمسكون بنظام الإسلام وعقيدته وآدابه.

فكيف تمّ هذا البناء المقدّس؟ هذا السؤال الذي علّقته الجمعة الماضية لأجيب عنه اليوم.

إخوة الإيمان : كان في هذه البقعة المشتراة شجر غرقد ونخل وقبور قديمة لبعض المشركين، فأمر رسول الله ﷺ بالقبور فنبشت وبالنخيل والشجر فقطّعت ووضعت في قبلة المسجد التي خطها رسول الله ﷻ، وأخذ حجراً فوضعه ثم قال:

- يا أبا بكر خذ حجراً فضعه إلى حجري بالمحاذاة.

ثم قال: يا عمر خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر أبي بكر يا ذا العيّرية. والتفت إلى الناس فقال: ليضع كلّ رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط، وأجره على الله ﷻ.

فكان رسول الله ﷻ ينقل اللّين، واقتدى به المسلمون، وهم يتجزون:

اللهم إنّ الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فبنى رسول الله ﷻ المسجد من اللّين ، وجعل عمدته من الجذوع، وسقفه من جريد النخل، فقبل له: ألا نسقفه؟.

فقال: عريش كعريش موسى: خُشيبات وثمار، الشأن أعجل من ذلك.

أما أرضه فقد بقيت مفروشة بالرمال والحصباء.

هكذا كان مسجد سيدنا رسول الله ﷺ ، قام على مرمد للتمر وبعض القبور
للمشركين درست وانمحقت ومع ذلك بُشيت القبور وأزيل تراها، ولا يعنى ذلك
أنه يجوز بناء المسجد في المقبرة- كما يتوهم بعضهم- لأمر منها:
١ . أن الأرض كانت ملكاً لأحدهم، ويعود ملكه إليه بعد أن تدرس القبور
ويمحى أثرها.

٢- أن الأرض لم تكن موقوفة على الدفن، بل لم يكن الوقف معروفاً في وقتها،
لأنه شرع (الوقف) بعد ذلك.

أما اليوم فلا يجوز بناء مسجد على مقبرة قد وقفت للدفن كما حدث في بعض
المناطق بدمشق، وإذا بني هذا المسجد وجب هدمه، فإن لم يهدم حرمت الصلاة
فيه، وكل من صلى فيه فهو آثم، وتجب إعادة الصلاة عند الحنفية، ولا تصح الصلاة
عند الحنابلة.

إخوتي في الله :

إذا قمنا بمقارنة المسجد النبوي بمساجدنا اليوم وجدنا الفرق واضحاً، فلا زخرفة
ولا نقوش ولا تخطيط آيات قرآنية على الجدران، ولا شيء من مظاهر الدنيا.
ذلك لأن حكم الزخرفة والنقش في المساجد بين الكراهة والتحريم فإن مما لا
شك فيه أن المال الموقوف لعمارة المساجد يحرم إنفاقه على شيء من الزخرفة
والنقش، أما إذا كان المال المصروف على ذلك من الباني نفسه فهو مكروه فقط.
والحكمة من ذلك أن الزخرفة والنقوش تصرف قلوب المصلين عن الخشوع
والتدبر إلى الانشغال بمظاهر الدنيا، على حين أن القصد من المساجد تفرغ
القلوب من زينة الدنيا ومتاعها. وفي البخاري عن سيدنا عمر أنه أمر ببناء مسجد
فقال: «أكره الناس من المطر، وإياك أن تحمّر أو تصفر فتفتن الناس» .
وما يفعله الناس اليوم حيث ينصرفون إلى تزيين المساجد ونقشها وإضفاء

مظاهر الدنيا عليها، حتى لا يكاد يشعر الداخل بأي معنى من معاني ذلّ العبودية لله تعالى.

لقد كان الفقير في زمن الصحابة يدخل المساجد فيعزّي نفسه بما يراه في بيت الله من البساطة وتذكّر أمور الآخرة.

أما اليوم فإنّ الفقير ينظر في المساجد فتزداد تعاسته لهذه الأموال التي تبذل على الزخرفة والنقش وزيادة المآذن والقباب التي لا تجدي نفعاً ولا تقدم عطاءً.

معشر السادة : راح الصحابة يستحثّ بعضهم بعضاً على سرعة الحركة والنشاط في

بناء المسجد النبوي وهم ينشدون:

لئن قعدنا والنبيّ يعملُ فذاك منا العملُ المضلُّ

وكان السيد الأعظم يحثّ الصحابة رضي الله عنهم على بناء المسجد، فكان يقول: «من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة». وها هو يقول: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاه (كعش طائر) بنى الله له بيتاً في الجنة».

وراح الصحابة يبذلون الجهد كلّ حسب وسعه لأنهم علموا أنّ الله جلّت قدرته يبيّن لكلّ من ساهم وعاون وعاضد وسعى في بناء المسجد بيتاً في الجنة، ولو كان يسيراً على قدر طاقته، فلا تشح ولا تبخل أيها المسلم، يقول ابن العماد: «إنّ الله تعالى يبيّن لكلّ واحد من الشركاء في بناء المسجد بيتاً في الجنة، كما إذا اشتركوا في عتق رقبة، فإنهم يعتقون من النار».

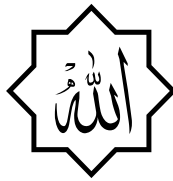
وقد شهد الله بالإيمان لكلّ من يشارك في إعمار المساجد وكفى بالله شهيداً: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ ۚ ﴾.

فطوبى لمن وفقه الله للسعي والعمل والمساهمة في بناء وتشيد بيت من بيوت الله، لأن كل من يصلي في هذا المسجد يكتب له في صحيفته، وكل علم يتعلمه فيه في صحيفته، وكل ذكر فيه وكل صدقة وكل اعتكاف وكل دعاء وكل عمل صالح هو في صحيفته يوم القيامة، فيا سعادة من هيأه الله تعالى لإعمار المساجد كم يقضي الله حاجته وينجح مقصده ويرد عنه البلاء ويحسن ختامه عند مجيء أجله. وحين تم هذا البناء الطاهر على أيدي السيد الأعظم وأصحابه خلال فترة ثمانية أشهر مكثها رسول الله عند أبي أيوب الأنصاري.

وأصبح هذا المسجد متعبداً لهم ومكان عظمتهم ومدرستهم ودار تعليمهم يقيمون فيه الشعائر الدينية كما صار مبعث جيوشهم، وندوة مؤقراهم، يرشدون الناس فيه إلى دين الله، أي أن المسجد بعرف عصرنا كان مقر القيادة العامة الإسلامية، في الله كم تغيرت أحوال الأمة اليوم.

أيها الإخوة:

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، من المسجد تخرجت سادات الأمة أمثال الصديق والفاروق وذو النورين وحيدر ونالوا جميعاً البشارة بجنة عرضها السموات والأرض. الجالس في هذه المدرسة عليه أن يؤدي التحية إلى السيد الأعظم، وتحيتنا إليك ياسيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



(٥٠)

اللجنة الثانية والثالثة الدستور والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف رحمته دوماً وامتنانا، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً، ونزع من صدورهم الغِلَّ والحسد فبقوا في الدنيا أصدقاء وخالاناً، وفي الآخرة رفقاء ندعان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً رسول الله المنزل عليه : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبهم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام

قلت لكم في الأسبوع الماضي إنني سوف أتحدث عن أهم الأمور التي قام بها السيد الأعظم حينما قدم يثرب، وكان أهم الأعمال بناء المسجد النبوي الشريف.

ويليها في الأهمية لبنتان هامتان:

الأولى : الدستور الذي وضعه السيد الأعظم لينظم العملية الحياتية الاجتماعية بين المسلمين بعضهم مع بعض ، وبين المسلمين وغيرهم من الأمم.

الثانية: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

إذ أن كتب السيرة تروي أنه لم تمض سوى فترة وجيزة في يثرب حتى أسلم أغلب أهلها، من الأنصار إلا اليهود، فكتب رسول الله بينه وبينهم العهود والمواثيق لينظم

العملية الحياتية للمجتمع الجديد إذ أن الإسلام دين يشمل جميع شؤون الحياة، لا وجود فيه للفصل بين الدين والدولة، بل هما معاً الإسلام، الإسلام الذي راح ينمو سريعاً وبشكل متكامل.

أيها السادة : كانت هذه الوثيقة أو الدستور يشتمل على بنود أربعة أساسية هي أهم بنوده، تحدد الطبيعة التي بين المسلمين و بين اليهود بشكل عادل:

١ و ٢ جعل فيه المسلمين أمةً واحدة مهما كانت أجناسهم وبلادهم، متكافلون ومتضامنون بعضهم مع بعض، لا يحل لأحد أن يخفر ذمة واحد من المسلمين، جوارهم محفوظ ومنزلتهم مكرمة لا يمسه أذى ، بل لا يحل لأحد أن ينتهك جزءاً منها رجالاً أو نساءً .

البند ٣ . لليهود دينهم وللمسلمين دينهم إلا من ظلم فإنه لا يهلك إلا نفسه.

البند ٤ . فإن جرى خلاف بين الأمتين الإسلام واليهود ترجع فيه إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فهما الحكم العدل، لا يحل لأحد أن يتركهما بحثاً عن حلٍّ آخر، فإن فعل حلٍّ عليه عذاب الله .

روى أنه اختصم يهودي ومنافق إلى سيدنا رسول الله ﷺ فحكم لليهودي. فقال المنافق: تعال نحتكم إلى عمر بن الخطاب- وكان يعرف أنه يكره اليهود- فقدا على سيدنا عمر، فتكلم اليهودي فقال: احتكمنا إلى محمد بن عبد الله ﷺ فحكم لي، فقال سيدنا عمر: أحق ما قال؟ قال المنافق: نعم. فقال سيدنا عمر. انتظرا لأحضر لكما الحكم الفصل. فدخل سيدنا عمر وأخرج سيفه وضرب رأس المنافق وقال: هذا حكم من لم يرض بحكم رسول الله ﷺ.

هذه هي أهم بنود الوثيقة السياسية التي وضعها السيد الأعظم منذ ألف وأربعمئة وأربع عشرة سنة، قررت في مجملها: حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المدينة المنورة، وحرمة الحياة، وحرمة المال، وتحريم الجريمة.

هذا هو الدستور الذي اتبعه الصحابة من المهاجرين والأنصار فأنزل الله تعالى
فيهم مدحاً : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

أما اللبنة الثالثة التي رسخها رسول الله ﷺ في قلوب المسلمين فهو التآخي بين
المهاجرين والأنصار، التآخي على :

١ - الإيثار .

٢ - وعلى أن يرث الواحد منهم أخاه بعد وفاته حتى نزلت الآية الكريمة :
﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ . فنسخت هذه الآية التوارث
إلا لذوي الرحم .

ففي البخاري: « كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري
دون ذوي رحمة للأخوة التي آخى النبي بينهم » .

وكانت هذه الأخوة بين المسلمين ترسخ دعامة وحدة الأمة الإسلامية، وما هي
إلا نتيجة الإيمان القوي الذي نما وترعرع في قلوب الأنصار حتى أصبح لا ينفك عن
العقيدة .

وطبق الأنصار هذه الأخوة تطبيقاً عملياً ، وراحوا يتسابقون في تدعيمها،
فشاركوا المهاجرين في بيوتهم وأثاثهم وأموالهم وأرضهم وكرومهم ويؤثروهم على
أنفسهم، وقد يقول الأنصاري: - انظر شطر مالي فخذة، وتحتي امرأتان فانظر
أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها .

ويقول المهاجري :

- بارك الله في أهلك ومالك، ودلني على السُّوق .

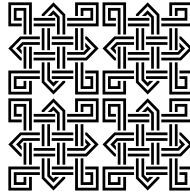
فكان من الأنصاري الإيثار، ومن المهاجري التعفف وعزة النفس .

فالأخوة إذاً ليست شعاراً فارغاً لا طائل تحته، بل كان حقيقياً لإخوانهم المهاجرين، لمواساتهم لأنهم تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم، ونزلوا ضيوفاً على الأنصار، فأرسل الله إليهم مدحاً يتلى في كتابه إلى يوم القيامة:

﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .

وهكذا غدا المسلمون كالبنيان الواحد يشدُّ بعضه بعضاً، وأصبحوا جسماً واحداً سرت فيه روح واحدة- هي روح الإيمان- فكان كل فرد يشعر بشعور الآخر. فما أحوجنا في هذه الظروف التي فقدنا فيها معنى الأخوة والإخاء والتآخي، ما أحوجنا أن نحیی في نفوسنا هذه المعاني التي توحیها هجرة السيد الأعظم، وأن نطبق هذا المنهج الذي سار عليه المسلمون الأولون، إننا إذا فعلنا ذلك فسنبقى المعجزة تتجدد، والأمل والنصر يتحققان بإذن الله تعالى.

هنا مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى السيد الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



(٥١)

الأذان

السنة الأولى من الهجرة

الحمد لله بما هو أهله وكما ينبغي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فیا معشر الإخوة الكرام : هذا النداء الخالد .

- الله أكبر الله أكبر: أي الله أعظم ثم الله أعظم وأجلّ ، ومعناه:

الله أعظم وعمله أوجب فاشتغلوا بعمله واتركوا الاشتغال بالدنيا .

- أشهد أن لا إله إلا الله: أشهد أنه واحد لا شريك له . ومعناه:

إن الله أمركم بأمر فاتبعوا أمره فإنه لا ينفعكم أحد إلا الله، ولا ينجيكم من

عذابه أحد إن لم تؤدوا إليه أمره .

- أشهد أن محمداً رسول الله أرسله إليكم لتؤمنوا به وتصدقوه، ومعناه:

أنه أمركم بإقامة الجماعة فاتبعوا ما أمركم به .

- حي على الصلاة: أي أسرعوا إلى أداء الصلاة، ومعناه:

حان وقت الصلاة فأقيموها ولا تؤخروها عن وقتها، وصلوها مع الجماعة .

- حي على الفلاح: أي أسرعوا إلى النجاة والسعادة: ومعناه:

أن الله قد جعل الصلاة سبباً لنجاتكم وسعادتكم فأقيموها تنجوا من عذابه .

- **اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ**: أي وحده لا شريك له ، ومعناه:

أخلصوا صلاتكم لوجهه سبحانه وتعالى.

بهذه الكلمات الخالدات نودي للصلاة في السنة الأولى للهجرة في يثرب دار الهجرة النبوية، وكان الصحابة قد عَسَرُ عليهم معرفة أوقات الصلاة، وحصل لهم مشقة بسبب عدم ضبط الوقت، وقد اهتمَّ الرسول الأعظم ﷺ بكيفية جمع الناس للصلاة، فقليل له:

- انصُب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذَنَ - أي أعلم - بعضهم بعضاً،

فلم يعجبه ذلك.

- فذُكر له البوق، فلم يعجبه ذلك وقال: هو من أمر اليهود.

- فذكر له الناقوس فقال: - هو من أمر النصارى.

فانصرف عبد الله بن زيد رضي الله عنه وهو مهتم لهم سيدنا النبي ﷺ فأري

الأذان في منامه، قال:

طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت: - يا عبد الله أتبيع هذا

الناقوس؟.

قال: وما تصنع به؟.

فقلت: ندعو به إلى الصلاة.

فقال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟.

فقلت: بلى.

قال: تقول: **اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ** إلى آخر الأذان المعروف.

ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: إذا أقمت الصلاة تقول: **اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ**

بزيادة قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة بعد حي على الفلاح.

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن بما رأيت فإنه أندى صوتاً منك.

فلما رفع صوته بالأذان سمع بذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه، فقال: - يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما أرى.

فقال رسول الله ﷺ: فله الحمد. رواه أبو داود والترمذي

إخوة الإيمان: الأذان كلام جامع لعقيدة الإيمان، وهو بألفاظه الجزلة، ومعانيه القوية المعبرة، ليحتل في القلوب المؤمنة المكانة المرموقة:
إنه: إشعار بالوقت، ودعوة إلى الله ﷻ والصلاة، وفيه إثبات الذات الإلهية وما يستحقه من الكمال والتنزيه، وفيه إثبات للوحدانية ونفي ضدها، وفيه إثبات للنبوة والشهادة بالرسالة، وفيه دعاء إلى الصلاة والفوز والفلاح.

لذلك وردت فيه أحاديث كثيرة - في فضل الأذان والمؤذن - منها:

حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه فيما يرويه البخاري ومسلم قوله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» .

وحديث ابن عمر يرويه الإمام أحمد بإسناد صحيح. قال رسول الله ﷺ:

« يغفر للمؤذن منتهى أذانه، ويستغفر له كل رطب ويابس سمعه » .

وحديث أبي سعيد الخدري فيما يرويه ابن خزيمة في صحيحه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له » .

وفي صحيح مسلم: « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » .

وفي السنن مرفوعاً: «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين».

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سعد بن وقاص رضي الله عنه أنه قال: «سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين، وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط في سبيل الله تعالى في دمه». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد».

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كنت مؤذناً لكمل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار». سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اغفر للمؤذنين ثلاثاً». فقلت: يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد بالسيوف (أي على الأذان). قال ﷺ: كلا يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار: لحوم المؤذنين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاثة يعصمهم الله تعالى من عذاب القبر: المؤذن والشهيد والمتوفى يوم الجمعة أو في ليلة الجمعة».

وهكذا- أيها السادة- صار أهل يثرب جميعاً يسمعون منذ الفجر كل يوم دعوة إلى الإسلام والصلاة مرتلة ترتيلاً حسناً بصوت رطب جميل يوجهها سيدنا بلال مع كل ريح إلى كل النواحي، ويلقي في أذن الحياة نداءه الخالد: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.



(٥٢)

المنافقون وندر الیهود ومؤتمر الطوائف

الحمد لله الذي يجب أن تُشكر نعمته، ويتعين أن تُحذر نعمته، ويتحتم أن يُخاف عذابه وسطوته، من قابل إحسانه بالإساءة نادى عليه شقوته. أحمده حمداً تقتضيه قدرته، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا لعل أن تعمنا رحمته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكيف يشاركه شيء وكل الأشياء خليفته.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ختم الله النبوة والرسالة بنبوته ورسالته. بشر بطاعته المتقين وأندر بمعصيته المجرمين حتى قامت على الخلائق حجته، ولم يزل ﷺ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحرض على ذلك لتمثيل أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأدم ذلك يامولاي بمدد لا تنقضي مدته، وسلم تسليماً.

أما بعد: فقد استقرّ الرسول الكريم وأصحابه في يثرب، وبدأ الإسلام يعلو في سماء الجزيرة وينتشر، وجعل المسلمون يقيمون فرائض الإسلام مجتمعين، وقيمونها فرادى، وإذ ذاك بنى سيدنا محمد ﷺ بالسيدة عائشة بنت الصديق، وكانت في العاشرة أو الحادية عشرة، وكانت نامية نمواً حسناً، وسكنت إلى جوار المسجد النبوي في غرفة إلى جوار مسكن السيدة سودة الزوجة الوفية للسيد الأعظم، وكان السيد الأعظم لا يمنع السيدة عائشة أن تلهو وتلعب بلعب أباها الإسلام. وفي السنة الثانية للهجرة أيها الاخوة فرضت الزكاة وفرض الصيام وأقيمت الحدود وتمكنت يثرب شوكة الإسلام.

وظهرت لأول مرة بادرة النفاق التي يتظاهر أصحابها بأنهم أسلموا وحقيقة أمرهم غير ذلك ليظعنوا الإسلام من خلف وقد وصفهم القرآن الكريم في آيات كثيرة، بل سُميت سورة في كتاب الله تعالى هي سورة "المنافقون".

وكان على رأس هؤلاء المنافقين الذين كانوا خليطاً من الأوس و الخزرج واليهود عبد الله بن أبي بن سلول، وسبب ظهور هذه الطائفة أنهم اتفقوا بعد حرب بُعثت على أن يتوجوا هذا المنافق ويولوه الرئاسة، وحين جاء الإسلام وانصرف عنه معظم الذين كادوا أن يبايعوه، ودخلوا في دين الله، فكرهته هذه الطائفة ورأى عبد الله بن أبي بن سلول أن سيدنا رسول الله قد استلبه ملكاً كان وشيك الظهور، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام أسلم كارهاً مصرّاً على النفاق، وكان هو وأعوانه مغتاضين من الأوس والخزرج كيف يقدمون محبة الإسلام على الآباء والأبناء والأزواج، فصاروا يكيدون له ويتربصون به الدوائر.

وساعد المنافقين على ذلك أن اليهود بعد أن كانوا على الحياد بدأوا يميلون إلى الجبهة المعادية، واليهود بشكل عام قوم غدر وخديعة وحسد، والقرآن الكريم كشف ذلك في آيات كثيرة ذكر فيها تاريخ اليهود المليء بمحاربة الأنبياء والاجترار على قتلهم وافتراءهم على الله وحبهم للمال وأخذهم الربا وقد نھوا عنه، وتحريفهم التوراة وحبهم الزائد للحياة، وغير ذلك مما ذكر به القرآن^(١)، فكانت هذه الفضائح اليهودية سبباً في أنهم ناصبوا الإسلام العداء الخفي والسافر.

بل إن اليهود ازدادوا سخطاً وغيظاً بإسلام بعض أحبار اليهود وعلمائهم كعبد الله ابن سلام وأهله، الذي ما إن علم بوجود رسول الله في المدينة المنورة حتى أسلم وأمر أهل بيته جميعاً فأسلموا معه، وخشي عبد الله أن يقول اليهود فيه إذا علموا بإسلامه أنه لا قيمة له عندهم، فطلب إلى النبي أن يسألهم عنه: ما شأنه فيكم قبل أن يعرف أحد منهم بإسلامه.

(١) انظر كتابنا قضايا إيمانية (ج ٢) القضية الرابعة والخمسين .

فسألهم فقالوا عنه: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا، فخرج عليهم عبد الله وأعلن إسلامه ودعاهم إليه، فإذا بهم ينقلبون عليه ويذيعون عنه قالة السوء على عادتهم الخبيثة .

وبدأت الحرب بين أمة الإسلام من المهاجرين والأنصار، وبين اليهود والمنافقين بأسلحة المكر والخداع وحاولوا الإيقاع بينهم أكثر من مرة فلم يفلحوا، وقد قدم إلى سيدنا الصديق يهودي يدعى فنحاص، فأخذ الصديق يدعوه إلى الإسلام، لكن فنحاص أراد بمجيئه أن يفتن الصديق رضي الله عنه فأجابه بصفق ووقاحة بقوله:

- والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه أغنياء وما هو عنا بغني، ولو كان غنياً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾، وهو ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا.

وهنا غضب الصديق وضرب وجه فنحاص اليهودي ضرباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا لضربت رأسك يا عدو الله، وأنزل الله على نبيه: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾.

وكانت فتن اليهود لا تتوقف حتى إنهم حاولوا أن يفتنوا السيد الأعظم ﷺ فقد أتى إليه أحبارهم وزعماءهم وقالوا له:

« إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا، وإنا إن اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحتكم إليك فتقضي لنا فنتبعك ونؤمن بك».

فنزل فيهم قول ربنا عز وجل: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ .

ومما كَبُرَ على اليهود أكثر استقبال الكعبة المشرفة بدل بيت المقدس الذي بقي المسلمون يصلون إليه مدة (١٦) ستة عشر شهراً.

وقد كان السيد الأعظم وصحابته يحبون أن تكون قبلتهم قبله إبراهيم وإسماعيل فنزلت الآية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ .

فجاءه اليهود ليفتنوه ثانيةً بقولهم:

- إنهم يتبعونه إذا هو رجع إلى قبلتهم الأولى.

فنزل قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .. إلى أن قال:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ .

معشر السادة الكرام :

لكن الأمر لم يقف على هذا الحد بل حاول النصارى أن يعيقوا تقدم الإسلام أيضاً إذ : شهدت يثرب في هذه الآونة أول وأعظم مؤتمر روحي عقد بين الإسلام والنصرانية واليهودية، لم يكن هدفه الاقتصاد والمال ولا المطامع السياسية والسيطرة على العالم كما تفعل هيئات كثيرة في العالم اليوم للسيطرة على دول العالم الثالث، بل كان هدفه إنساني روحي بحت، فقد قدم وفد نصارى نجران إلى يثرب وعدّتهم ستون ركباً طمعاً في أن يُزِيدُوا الخلاف بين الإسلام واليهودية ليقضوا على دعوة الإسلام الفتية، فقامت بين الإسلام والنصارى واليهودية ملحمة كلامية عنيفة: فأما اليهود فكانوا ينكرون رسالة سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ويزعمون بأن عزيزاً ابنُ اللَّهِ، وأما النصارى فكانوا يقولون بالتثليث والوهية عيسى.

فما الذي دعاهم إليه السيد الأعظم ﷺ ؟

إن السيد الأعظم لم يفعل كما فعل بعض من يتصدى اليوم ليؤلف بين الطوائف الثلاثة فقال لهم:

- لا يوجد فرق بين النصارى والمسلمين أبداً، فنحن نقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، وهم يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس، ثم قال لهم: نحن نقول مجدره، وهم يقولون: برغل وعدس ورز".

أسمعتم كفوفاً أعظم من هذا، وللأسف هذا الشخص يدعي اليوم مشيخة الإسلام في العالم العربي، فليسمع هؤلاء الذين يدعون تأليف القلوب حول المعاني الإنسانية ماذا فعل السيد الأعظم. لقد قال لأعضاء المؤتمر الأول: أما نحن فنقول:

﴿آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

وأنكر السيد الأعظم عليهم أحوالهم المخالفة للتوحيد ودعاهم جميعاً فقال لهم: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

هل ترون . أيها الاخوة . هذه الدعوة الخالصة لوجه الله تعالى، ليس وراءها مطمع في جمع الأموال وشراء الأراضي وجمع المريدين. إنها دعوة تتلخص في أمرين: ١ - ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً.

٢ - ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

ولهذا الكلام وجّه بعض أعضاء الوفد - إلى رفيق له باقتناعه بما يقول الصادق ﷺ فلما سأله رفيقه: - فما بمنعك منه وأنت تعلم هذا؟.

فكان جوابه: يمنعني ما صنع بنا هؤلاء القوم (يعني ملوك النصارى) جعلونا شرفاء وموالي وأكرمونا، هذا وهم لا يريدون إلا خلاف هذا الرجل فلو فعلت واتبعت هذا الرجل نزعوا منا كل ما ترى؟! .

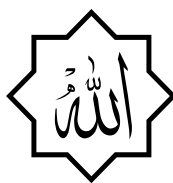
ولكن اليهود والنصارى لما أبوا الإذعان لهذه الدعوة دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، فقد أنزل عليه الله تعالى:

﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ .

وهنا تشاور أعضاء المؤتمر اليهودي النصراني بعضهم مع بعض ثم أعلنوا أنهم رأوا ألا يباهلوه وأن يتركوه على دينه وبيقوا على دينهم.

وهكذا جاء الحق وزهق الباطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال !!؟ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى السيد الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله ﷺ هي الصلاة والسلام عليك.



(٥٣)

غزوة بدر الكبرى

الحمد لله الذي يؤيد من يشاء بنصره ، ويجعل الذل والصغار على أهل عصيانه وكفره. فسبحانه من إله يطلع على سرّ العبد وجهه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أمره.
وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بتأييده وقهره.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وحزبه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فبعد أشهر من إقامة المسلمين في يثرب، بدأوا يحنون إلى بلدهم الأول مكة المكرمة، وبدأت ذاكرتهم تعيدهم إلى الزمن الذي كانوا في مكة، ولم يستطيعوا أن ينسوا الموطن الأول الذي ترعرعوا فيه وتغذوا من ثمراته، وذاقوا من ألوان الاضطهاد فيه.

وبدأت المحاولات الأولى لبسط نفوذ المسلمين حول يثرب، إذ أرسل رسول الله ﷺ ثلاثاً من السرايا عدد أفرادها قليل هدفها الأول إفهام قريش أن من مصلحتهم التفاهم مع المسلمين لسلامة تجارتهم على طريق الشام.
هذه التجارة التي كانت حمولتها تزيد على ألفي بعير، دعت قريشاً أن تجهز عَدَدَهَا وعَدَدَهَا حين علمت أن رسول الله ﷺ وأصحابه علموا بقافلة أبي سفيان التي تتجه إلى مكة على طريق الشام مكة ، وأنه ينوي الاستيلاء عليها مع أصحابه ليستردوا بعض ما استولت عليه قريش من أموالهم وديارهم.

لكن الله تعالى أبقى لعباده إلا أن تكون غنيمة أكبر ونصراً أعظم وعملاً

أشرف، فأبدلهم بالغير نفيراً ونصراً وتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وهذه التربية الإلهية لنفوس المسلمين تتجلى في قوله تعالى لنبيه:

﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ .

معشر الإخوة الكرام : كانت هذه الغزوة في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وسميت بغزوة بدر الكبرى، بدر التي تقع على بعد ١٤٥ كم من الجنوب الغربي للمدينة المنورة، والتي سماها الله في كتابه : «يوم الفرقان» لأنها كانت فتحاً مبيناً، وانتصاراً مصيرياً، يقول تعالى: ﴿إن كنتم آمنتُمْ بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾

والجمعان هو جمع قريش التي نادى فيها الصريخ أهل مكة، أن أدركوا تجارتكم قبل أن يستولي عليها محمدٌ وأصحابه، فنهضوا مسرعين لم يتخلف أحد من أشرافها، وحشدوا القبائل من حولها وجأؤا على حمية وغضب وحق.

والجمع الثاني هو جمع المسلمين من المهاجرين والأنصار، الذين استشارهم رسول الله بالحرب والقتال بعد أن نجت غير أبي سفيان وسلكت طريق الساحل وابتعدت عن مرمى الحرب، فقام المهاجرون فتكلموا فأحسنوا الكلام، ثم دعاهم مرة ثانية وثالثة للاستشارة ففهمتم الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال:

- "يا رسول الله! كأنك تعرّض بنا، لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها ألا تنصرك إلا في ديارهم، إني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم، فاطعن حيث شئت، وصِلْ حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعط ما شئت، وما أخذت منا كان أحبَّ إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فو الله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك ."

وقال المقداد بن الأسود: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ .

فلما سمع رسول الله ﷺ مقاتلتهم أشرق وجهه، وسرّ بما سمع أصحابه وقال: سيروا وأبشروا.

فكان عدد المسلمين ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، وبلغ عدد الكفار ألفاً أو يزيد منهم صناديد قريش وسادتها وأبطالها حتى قال رسول الله ﷺ: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها.

وقدم رجل يعرف الناس منه جرأة ونجدة ليقاتل مع المسلمين ، ففرح أصحاب النبي حين رآه ، قال الرجل : جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله ﷺ : « تؤمن بآل الله ﷺ ورسوله ؟ » . قال : لا . قال : فراجع ، فلن أستعين بمشرك . ومضى الرجل ثم عاد والنبي يردّه لأنه ليس من المسلمين ويقول له : ارجع فلن أستعين بمشرك . فعاد الرجل الثالثة وأعلن إسلامه أمام النبي فضمّه الله ﷺ لكتيبة الجيش (م) .

ونزل رسول الله ﷺ بجانب بدر، فجاءه الحُباب بن المنذر وقال له: هذه أرض لا تصلح للحرب، وأشار عليه بأرض أخرى، وأن يبني حوض ماء، ويعوّز بقية الآبار بالتراب حتى تحفّ فيشرب المسلمون ولا يشرب الكفار، وهنا أعلن الرسول الكريم موافقته لهذا الرأي وأنه بشر مثلهم وأن الرأي شورى بينهم وأنه لا يقطع برأيٍ دونهم، وأنه في حاجة إلى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم.

وأنزل الله ﷻ تعالى في تلك الليلة ليلة الجمعة مطراً كان على المشركين وإبلاً شديداً ومنعهم من التقدم، وكان على المسلمين رحمة، حيث صلب الرمل وثبتت الأقدام وربط الله ﷻ على قلوبهم، وهو قوله تعالى:

﴿ وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ﴾ .

وأقبل سيدنا سعد بن أبي وقاص يشير على النبي الكريم أن يني له عريشاً يدير المعركة منه خوفاً عليه وحباً به، فوافق الرسول الكريم صلوات الله وسلاماته عليه. وفي هذه الأثناء اندفع الأسود بن عبد الأسد المخزومي من بين صفوف قريش إلى صفوف المسلمين يريد أن يهدم الحوض الذي بنوا، فعاجله سيدنا حمزة بضربتين أجهزت الثانية عليه دون الحوض.

وبرز ثلاثة من صناديد قريش للقتال إنهم عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ، وطلبوا المبارزة من أكفائهم المهاجرين فخرج سيدنا حمزة وسيدنا علي وسيدنا عبيدة بن الحارث، فما هي إلا برهة حتى قُتل شيبة والوليد بيد سيدنا حمزة وعلي ثم أعانا عبيدة الذي أصيب. وهنا تزاحف الجمعان صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان المكرم.

ونظر رسول الله إلى قلة المسلمين وكثرة الكفار، فاستغاث بالله العظيم الذي لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ وراح يشفع للكتيبة المؤمنة القليلة العدد، الفقيرة في العدد، فقال. «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة (الجماعة) لا تعبد بعدها في الأرض».

وراح يهتف بربه عز وجل ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه، وجعل سيدنا أبو بكر يشفق عليه من كثرة الابتهال ويقول: يا نبي الله كفى مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك.

وبقي السيد الأعظم يتوجه إلى الله ويتضرع له ويستعين به حتى أنزل عليه ربه: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ ومن هذه الآية المباركة رأى رسول الله نصر الله وراح يقول للصديق في فرح غامر: « أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على النقع».

وراح ينادي الصحابة: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» .

سرت هذه الكلمات النورانية بين صفوف المسلمين فقوت من عزيمتهم حباً بالموت وضاعفت من قوتهم فعدل الواحد منهم عشرة فرسان. وراح رسول الله يشد من أزرهم ويناديهم: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فسمع هذه الكلمات عمير بن الحمام الأنصاري وكان يتقوى بتمرات فرمى بها وقال: لئن حييت حتى أكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة، ثم قاتل حتى كان أول قتيل.

وأخذ رسول الله حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها وقال: شدوا عليهم.

وقام رسول الله ﷺ، يقاتل مع أصحابه قتالاً شديداً حتى صار أقرب الناس من العدو، واشتد وطيس الحرب، وثار النقع وامتأل الجو بالغبار، وجعلت هامات قريش تطير عن أجسادها، والمسلمون يصيحون: أحدٌ أحدٌ.

وأُنزل رب العزة على نبيه: ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

وكان المسلم يرفع سيفه ليقطع رأس الكافر فإذا هو يهوي عن جسده تسبقه إليه الملائكة .

يقول تعالى: ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ .

إخوتي في الله: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى إذاعة خارجية منقولة من موقعة بدر الكبرى: المعركة على أشدها، ها هو سيدنا عبد الرحمن بن عوف وإلى جواره فتيان حديثا السن يقول له كل واحد منهما في أذنه:

- يا عم أربي أبا جهل فلقد عاهدت الله تعالى إن رأيته أن أقتله أو أموت
دونه.

فما هو إلا أن أشار إلى أبي جهل وسط المعركة، حتى شدا عليه مثل الصقيرين
فضرباه حتى سقط صريعاً، فانهزم الجمع وولّوا الدبر.

ونادى المسلمون: الله أكبر، الله أكبر، سقط فرعون هذه الأمة، الله أكبر
الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.
وأنزل الله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون﴾.

معشر السادة :

قتل يوم بدر سبعون من رؤوس الكفر، وأسر سبعون، واستشهد من المسلمين
١٤ شهيداً ستة من قريش وثمانية من الأنصار وعاد الأبطال إلى ديارهم ، كما
ستعودون إلى بيوتكم من هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ
الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى قائد الأمة وسيد الخلق وحبيب الحق، وتحيتنا
إليك يا رسول الله .

(٥٤)

أسرته بدر الكبرى

الحمد لله الملك القهار العظيم الجليل، الذي أنفذ قضاءه في مخلوقاته، فحسبنا الله ونعم الوكيل، جعل الدنيا دار زوال ورحيل، وجعل الآخرة دار نعيم أو عذاب وبيل، وكلّ ميسر لما خلق له ، وعلى الله قصد السبيل، أحمده على إحسانه الشامل الجزيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا عديل.
وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزات التنزيل، والمصون دينه عن التحريف والتبديل.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً
يبلغان قائلهما نهاية التأميل، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فقد كان نصر الله لنبيه نصراً مبيناً لم تتوقعه قريش ولا أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين، الذين دخل الرعب قلوبهم حيث تغلبت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة الكافرة، وسطر الله هذا النصر في كتابه الخالد فقال جل وعلا:

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾.

وألقيت جثث القتلى في بئر بدر ودفنت فيه بأمر من النبي ﷺ وهذا موقف إنساني لا يفعله إلا أصحاب الرسالة ، فطالما أهانوه وسبوه ، ولكنها إنسانية الإسلام تعلو ولا يعلو عليها . وقام رسول الله ﷺ على ضفة البئر، وراح ينادي القتلى: « أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله.

هل وجدتم ما وعدم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.

فقال سيدنا عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله:

- والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

وهذا يدل على أن الموتى تبقى أرواحها تحوم حول الأجساد، ولأن الراجح أن نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معاً ، و هذا العالم يسمى عالم البرزخ ، والله أعلم بكيفيته

وما أن وصل النذير إلى مكة وأخبر أهلها بالهزيمة ونزل عليهم كالصاعقة من السماء وكان أشدهم غيظاً وكمداً أبو لهب الذي لم يمكث إلا ليال حتى رماه الله بمرض قضى عليه وكان هذا المرض تتقيه قريش لأنه من الأمراض المعدية ، فتركه أبناه بعد موته ثلاثاً حتى أنتن ثم غسلوه قذفاً بالماء من بعيد واحتملوه إلى أعلا مكة فأسندوه إلى جدار ثم ردموا عليه الحجارة ليموت مؤتة شنيعة جزاء ما فعل لرسول الله .

وجمعت الغنائم من أرض المعركة، وراح المسلمون يتساءلون عنها، وماذا يفعلون بها، فأنزل رب العزة: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ .

وقسمها رسول الله بينهم كلٍّ بحسب بلائه في المعركة ، كما قسم لأسر الشهداء الأربعة عشر ، وهذا غاية في الإنصاف والعدل وبذلك سبق إلى رعاية أسر الشهداء وذويهم قبل أن يعرف ذلك أحد من العصور المتأخرة وجاء سيدنا جبريل فقال: يا محمد! إن ربي بعثني إليك وأمرني ألا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت؟ فقال النبي ﷺ نعم (هق)

وأسرع البشيران إلى المدينة زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ليزفا البشرى إلى أهل المدينة، فما هي إلا ساعات حتى أطل السيد الأعظم وخلفه الأسرى من صناديد قريش يسوقهم شقران مولى رسول الله والنبي يقول: «استوصوا بالأسرى

(١) انظر كتابنا نفحات منبرية في القضايا الإيمانية ج ٤ : القضية ١٦٦ . ١٦٧ .

خيراً» ، ودخل الجيش المنصور بين تحليل المهللين وتكبير المكبرين وضرب الولائد بالدفوف وترديد أهازيج النصر .

وكان من بين الأسرى العباس عم سيدنا النبي وابن عمه عقيل بن أبي طالب، وأبو العاص زوج بنت سيدنا النبي ﷺ ولما أمسى رسول الله ﷺ والأسارى موثقون بالوثائق بات النبي ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه الكرام : مالك لاتنام يا رسول الله ﷺ فقال : سمعت أنين عمي العباس في وثاقه ، فأطلقوه فسكت ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يفعلوا بالأسرى كذلك ، فنام رسول الله ﷺ ، فما الذي حدث؟ .

إخوة الإيمان : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة لأنقل لكم نموذجاً عن حيرة الصحابة في شأن الأسرى متمثلاً في شخصيتين عظيمتين من عظماء الإسلام هما سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنهما .

المكان: في المدينة المنورة .

والزمان: بعد دخول المسلمين المنتصرين عقيب غزوة بدر .

وهاهو سيد الخلق يستشير المسلمين في الأسرى ويترك لهم الخيار . واسمعوا إلى الصديق وهو يتحدث إلى قائد الأمة (صلوا عليه)، يقول له:

- يا رسول الله! بأبي أنت وأمي ، قومك، فيهم الآباء والأبناء والعمومة وبنو العم والأخوان، وأبعدهم منك قريب، فامن عليهم من الله عليك، أو فادهم يستنقذهم الله بك من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين، فلعل الله أن يقبل بقلوبهم .

وسكت القائد الأعظم ﷺ فلم يجبه .

فقام الصديق، وجاء الفاروق فجلس مجلسه وقال:

- يا رسول الله، هم أعداء الله، كذبوك، وقتلوك، وأخرجوك، اضرب

رقابهم، هم رؤوس الكفر وأئمة الضلالة، يوطئ الله بهم الإسلام ويذل بهم أهل الشرك.

وكان ﷺ قد قتل أسيرين منهم أثناء عودته مع الجيش إلى المدينة لأخما كانا أكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وإيذاء للنبي والمسلمين وهجاء له ﷺ ولم يأمر النبي بقتل أحد من الأسرى غيرهما .

وسكت القائد الأعظم صلوات الله وسلاماته عليه، ثم دخل قبة فمكث ملياً ثم خرج فشاهد الناس على رأي الصديق ورأي عمر مختلفين، فضرب لهم في الصديق وفي الفاروق مثلاً فقال:

إن مثل أبي بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برضا الله وعفوه عن عباده، ومثله في الأنبياء كمثل إبراهيم كان ألين على قومه من العسل ، قدمه قومه إلى النار وطرحوه فيها فما زاد على أن قال: ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ وأن قال : ﴿ فمن تبني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ . ومثله في الأنبياء كمثل عيسى إذ يقول: ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

ثم قال: « ومثل عمر في الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسُّخط من الله والنقمة على أعداء الله، ومثله في الأنبياء كمثل نوح إذ يقول: ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾، وكمثل موسى إذ يقول: ﴿ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ » .

ثم اختار السيد الأعظم رأي الصديق لما فيه من الرأفة والرحمة اللتين جبل عليهما رسول الله ﷺ ، فكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ألف للرجل الواحد ، أو تعليم عشرة من صبيان الأنصار الكتابة والقراءة.

وراح الأسرى يفتدون أنفسهم بالأموال ، فافتدي العباس وعقبه ابن عمه،

وبعثت زينب ابنة النبي تفتدي زوجها بقلادة أهدتها لها والدتها السيدة خديجة رضي الله عنها ، فلما رآها السيد الأعظم رقى لذلك وقال: إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا، واتفق مع أبي العاص على أن يفارق السيدة زينب رضي الله عنهما لأنه بقي على الكفر.

وجيء بالسيدة زينب إلى المدينة، غير أنّ أبا العاص تاجر بمال قريش مما دعاه أن يعود إلى مكة فردّه لهم ثم ما لبث أن أعلن إسلامه ثم قال لهم: والله ما منعني من الإسلام عن رسول الله إلا مخافة أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم. وعاد إلى المدينة ورد عليه النبي السيدة زينب رضي الله عنهما.

إخوتي في الله :

وأما أهل مكة فقد دخل الحزن كلّ بيت فيها وهم لا يصدّقون ما حلّ بهم وأصابت بعضهم الحمى، ومن أصابته أبو لهب الذي ما لبث أن مات بعد سبعة أيام، وناحت نساء قريش على قتلاها شهراً كاملاً، فجززن شعر رؤوسهن إلا هند بنت عتبة التي قتل أبوها وأخوها وعمها فأبت إلا الثأر.

غير أنّ ربّ العزة جلّ وعلا أنزل عتاباً لرسول الله في فعله من افتداء الأسرى ومؤيداً رأي سيدنا عمر^(١)، إذ أن الفاروق فيما - يرويه الإمام مسلم - دخل على سيد الخلق وحبيب الحق وكان معه الصديق فرآهما يبكيان، فقال:

. يا رسول الله من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما؟! فقال رسول الله: أبكى للذي عرّض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرّض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة فقال تعالى:

(١) انظر كتابنا نفحات منبرية في القضايا الإيمانية ج ٢ / القضية ٦١ في بيان قضية الأسرى وما يجب اعتقاده فيها .

﴿ ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمستكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم ﴾ .

أيها الأحبة :

لقد رضي الله عن أهل بدر وقال فيهم السيد الأعظم (ق) : « لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .
ونبه على فضل الشهداء أمثال سيدنا حارثة وكان غلاماً يوم بدر فجاءت أمه تسأل رسول الله عن منزلته وهل هو في الجنة أم لا ؟ (خ) فقال لها حبيب الله تعالى : «أوهبلت (ثكلت) أَوْجَنَّةً واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس ... إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى .. » .

أيها الإخوة:

كانت بدر فتحاً عظيماً للمسلمين، وهذا الفتح سوف يحققه الله تعالى لهذه الأمة اليوم إن هي عادت إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه، ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ .
هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم ﷺ وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.

وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا
صَلَّى اللّٰهُ

(٥٥)

غزوة أحد في السنة الثالثة

الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار، فجعلهم أعراضاً لسهام الأقدار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من عذاب النار، مبنية من شهد بها دار القرار.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بآمين شعار وأنور منار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه آناء الليل وأطراف النهار، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

كان قتل بعض صناديد قريش وسادتها في ذاكرة قريش حَدَثًا لا يمكن نسيانه، بل ما تزال نساء مكة عندما تذكر قتلاها تتوجع عليهم وتبكي وتولول، فاتفقت كلمة قريش على أن تباع غير قافلة أبي سفيان التي كانت سبب موقعة بدر، ويردّ أرباحها على جيش يجهز بها لقتال المسلمين، كما اتفقت كلمتهم على استنفار القبائل ليشاركوا في أخذهم بالثأر، وأصرت النسوة من قريش على أن يسرن مع الغزاة لتحريضهم على القتال.

ولكن سيدنا العباس عمّ رسول الله - والذي حضر مؤتمر الثأر - بعثته حميته لابن أخيه أن كتب كتاباً لرسول الله أخبره بما تنوي قريش فعله.

ووصل كتاب العباس، وبلغ الخبر المسلمين في المدينة فبات أهلها شاكي السلاح بالمسجد خوفاً على النبي وخرست المدينة كلها طيلة الليل، وخاصة حينما اقتربت طلائع ألوية قريش.

وجمع رسول الله الناس واستشارهم فكانوا على رأيين:

الأول: أن يمكثوا في المدينة ويتحصنوا بها ويدافعوا عنها، وهو رأي رسول الله وأكابر الصحابة، ورأي المنافقين وعلى رأسهم ابن أبي بن سلول.

الرأي الثاني: أن يخرجوا إليهم فإذا أظفرهم الله بعدوهم فذلك الذي أرادوا، وإن هم انهزموا واستشهدوا كانت لهم الجنة، وقام خيثمة، فقال: عسى الله أن يظفرنا بهم أو تكون الأخرى فهي الشهادة، ولقد قدمت ولدي في وقعة بدر وكنت عليها حريضاً، وقد رأيته البارحة في النوم وهو يقول: إلحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، لقد كبرت سني ودق عظمي وأحببت لقاء ربي.

فاهتز الناس لهذا الحديث ونزل رسول الله عند رأيهم فصلّى بالناس الجمعة وأمرهم بأن يتجهزوا للمعركة، ودخل بيته ولبس درعه وتقلّد سيفه.

وهنا لام القوم أنفسهم على مخالفتهم رأي رسول الله بالبقاء في المدينة، فلما خرج إليهم بعد العصر طلبوا منه أن ينزلوا على رأيهم، فقال رسول الله: «ما كان لنبي إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه».

وتجهّز الناس وكانوا قد بلغوا ألفاً كلهم يقولون لا إله إلا الله، سار بهم رسول الله إلى ظاهر المدينة بعد أن عقد لهم ثلاثة ألوية فوجد حلفاء ابن أبي بن سلول من اليهود يريدون أن ينضموا إلى جيش المسلمين، فقال ﷺ: إنا لا نستعين بالمشرّكين على المشركين ما لم يسلموا. فانصرف اليهود وعادوا إلى المدينة فلما رأي المنافق ابن أبي بن سلول ما فعل النبي الكريم انخزل مع كتيبته من أصحابه قبل المعركة، فعاد المسلمون سبعة فقط، ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشي كلهم موتور من يوم

بدر ، وكلهم على ثأره حريص. لقد ثبتَ اللهُ قلوب المؤمنين وعصمهم من أن تثبط همهم عن الجهاد ، كما قال عز وجل ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾ (خ) فلما بلغوا أحداً (وهو على بعد ٣ كم شمال المدينة) وكان الوقت منتصف شوال من السنة الثالثة للهجرة راح رسول الله صلى الله عليه وآله يصفُ المقاتلين، فوضع خمسين مقاتلاً من الرماة على شعب في الجبل وقال لهم: احموا ظهورنا فإننا نخاف أن يجيئونا من ورائنا، والزمو مكانكم، لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تُقدِّم على النبل.

تلك هي . أيها الإخوة . البراعة العسكرية النادرة التي جهزه بها رب العزة جلّ وعلا، إنها نظرة النبوة أو الوحي ، لكأنما تكشف له ما سيحدث فيما بعد ، فراح يؤكّد ويوصي ويأمر: لا تغادروا الجبل نُصرنا أم هُزمنّا.

إخوة الإيمان :

اسمحوا لي بالانتقال معكم إلى هناك، حيث ساحة المعركة لنرى بقلوبنا صورة حية عما فعل أسلافنا في سبيل الله، لنرى القلّة المؤمنة ماذا فعل الله بها مع الكثرة الكافرة.

وقعت غزوة أحد في الخامس عشر من شوال عام ثلاث للهجرة:

الزمان ١٥ شوال، والمكان جبل أحد.

جبل أحد الذي وقف عليه النبي الكريم وكان معه الصديق والفاروق وذو النورين، فإذا بالجبل يهتزّ فقال له الحبيب المصطفى: « اثبت أحد فإن فوقك نبياً وصديقاً وشهيداً ».

إنّ غزوة أحد أنزل الله فيها ستين آية من سورة آل عمران في أول قوله تعالى، ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ .

ها هو جيش الكفرة ومعهم النساء يضربن بالدفوف، ها هو قائد الميمنة خالد بن الوليد، وقائد الميسرة عكرمة بن أبي جهل.

ها هو القائد الأعظم من الأزل إلى الأبد يخطب بالمقاتلين المسلمين، وقد رفع يده بالسيف ، اسمعوه وهو يقول: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام رجل اسمه أبو دجانة وقال: وما حقه يا رسول الله، فقال النبي الكريم: حقه أن تضرب به في الله حتى ينحني. فقال أبو دجانة: أنا لها يا رسول الله.

وأخرج أبو دجانة عصا به حراء، وكان إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل حتى الموت، فاعتصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين فنظر إليه رسول الله وهو يقول:

إنها لمشية يبغيها الله إلا في هذا الوطن.

إنها افتخار بعزة الإسلام على أعدائه، إنها معنى من معاني الحرب النفسية التي ينبغي أن لا تفوت المسلمين أهميتها.

وقدم حنظلة بعد أن سمع نداء الجهاد ، وكانت ليلة زفافه ، فجاهد حتى استشهد فقال النبي : إن حنظلة تغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ، فسألوا زوجته فقالت خرج وهو جنب حين سمع الصيحة للجهاد ، فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسلته الملائكة « فكان يسمى مغسّل الملائكة (هب . حا) .

يا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

كانت صيحة القتال الأولى قد صدرت على لسان أسد الله وسيفه حمزة بن عبد المطلب: يا منصور، أمّيت أمّيت. واندفع إلى قلب جيش قريش يطير الهامات من على الأجساد، وبادر سيدنا علي إلى حامل اللواء فضربه ضربة فلقت رأسه ، فكبر المسلمون وصاحوا: أمّيت أمّيت ، وراح سيدنا علي يطيح برؤوس المشركين حتى بلغ عدد الذين قتلهم تسعة قوّاد.

واشتد أوار المعركة وثارت نيران الثأر لقتلى بدر، وبادر كل عبد من عبيد قريش ليأخذ بثأر مولاه على أن يعتق، ومنهم وحشي الحبشي غلام مطعم وكان ثأره حمزة أسد الله وسيفه البتار. رآه وهو يطيح برؤوس المشركين يمينة ويسرة. وقاتل الصديق والفاروق وحيدر المشركين وقل من عزائمهم ، وقاتل سيدنا عبد الله بن جحش المشركين حتى انكسر سيفه فأعطاه النبي عسيباً من نخل فرجع في يده سيفاً قاتل به (هق) .

واستبسل المسلمون على أرض المعركة، ورأوا الجنة خلف ظلال سيوفهم التي راحت تلمع بالدماء، وتراجع أمامهم أبطال قريش وانكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء حتى إنه أحيط بنسائهم.

ودوى الإيمان الصادق وارتفعت كلمة الحق على أرض المعركة لم ترهبها قوة مادية مهما عظمت ولم تضعع من عزمتها كل قوات الباطل وإن اجتمعت، وفخرت القيادة المحمدية إلى جانب الرماة وقوة الفكر العسكري وقوة العقيدة، فتمزقت قوة المشركين وأوشكت المعركة على الانتهاء، وراح المسلمون يلاحقون فلول الجيش المنهزم.

وكانت هذه المرحلة هي المرحلة الأولى التي نصر الله بها المسلمين نصراً مؤزراً، وفيها يقول مولانا عز وجل:

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ﴾ تستأصلوهم عن آخرهم استئصالاً ثم ماذا؟.

تراءى للرماة انتهاء المعركة وشاهدوا الغنائم وما أكثرها فصرفهم ذلك عن ملاحقة عدوهم ابتغاء عرض الحياة الدنيا، فتركوا أماكنهم وناشدتهم أميرهم أن يطيعوا أمر رسول الله فعصاه أكثرهم.

وهنا اهتبلها فرصة خالد بن الوليد قائد فرسان المشركين، فدار برجاله وراء جيش المسلمين، وأثخن الجراح منهم وهو يصيح صيحة القتال ليردّ المنهزمين، فعادوا إلى

المعركة، ورأى المسلمون ذلك فألقوا ما بأيديهم وقبضوا على سيوفهم وراحوا يقاتلون بقوة مبعثرة، وصاح صائح بالناس: إنَّ محمداً قد قتل.

فوهنت العزائم وازدادت الفوضى وعظمت البلبله، وتدافعت قريش إلى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ كلٌّ منهم يريد قتله أو التمثيل به ليفاخروا به الأجيال.

وهنا -أيها الاخوة- بدأت المرحلة الثانية إذ أحاط المسلمون بنبیهم ﷺ ، وحبَّب الله إليهم الموت، وهون عليهم الحياة الدنيا، وزادهم إيماناً واستماتة أن رأوا الحجارة تقذفها قريش فتصيب السيد الأعظم فتقع عليه فتصيب رباعيته ويشج في وجهه وتجرح شفته، وتدخل حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته، وتمالك رسول الله ﷺ وسار مع أصحابه من حوله فإذا به يقع في حفرة حفرها حافر يقع فيها المسلمون.

واستبسل المسلمون، واخرجوا نبیهم من الحفرة، واستلَّت أمُّ عمارة سيفاً وتركت سقاء الجرحى وقامت تباشر القتال وترمي عن القوس، وترس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله ﷺ، وراح سعد بن أبي وقاص يرمي بالنبل دونه، ورسول الله ﷺ يناوله النبل ويقول له: ارم فداك أبي وأمي.

وصار الناس يصعدون الجبل بعيداً عن ساحة المعركة فرآهم أنس بن النضر فأخبروه خبر مقتل رسول الله ﷺ فقال لهم: وما تصنعون بالحياة بعده، قوموا موتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل قتالاً منقطع النظير حتى ضرب سبعين ضربة، واستشهد ولم يعرفه أحد إلا أخته عرفته من بنانه، وانتهت الجولة الثانية ولم يسمها القرآن هزيمة إنما قال فيها:

﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون (أي النصر) منكم من يريد الدنيا (أي الغنائم) ومنكم من يريد الآخرة (وهم الذين أطاعوا رسول الله ﷺ وثبتوا على أرض المعركة) ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ .

انتهت الجولة الثانية بالثبات الأكيد، ولم يفرّ أحد، وظلوا صابرين صامدين.
وبدأت **الجولة الثالثة**، بالبلاء العظيم يوم أحد، وانتشرت القتلى على أرض
المعركة، واشتدت وطأة الكفار على المسلمين، وتفرقت الصفوف وتمزقت الوحدة.
وراحت امرأة تبحث بين القتلى عن سيدنا النبي فترى في طريقها زوجها مقتولاً،
وأباه مقتولاً وأخاه مقتولاً وولدها مقتولاً ، وهي تسير لا تلوي على أحد حتى
دخلت إلى مؤخرة الجيش فوجدت رسول الله ﷺ حياً، فقالت له: بأبي أنت وأمي يا
رسول الله أنت حي، لا أبالي إذا سلمت بمن قتل.

ونادى كعب بن مالك بين المسلمين: إنّ رسول الله ﷺ حي. فاندفع المسلمون نحوه
يصعدون جبل أحد فأدركهم أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا.
وكان أبي يلقي رسول الله ﷺ في مكة فيقول له: إن لي فرساً أعلقه كل يوم فرقاً من
ذره أقتلك عليه ، فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله . وحانت
ساعة أبي ، فاندفع رسول الله ﷺ نحوه بحربة صماء طعنه بها جعلته ينقلب من على
فرسه ويعود أدرجه ليموت في الطريق وهو يقول: قتلي محمد والله لو بصق عليّ
لقتلني حتى مات في الطريق.

ولم يقتل رسول الله ﷺ غيره طول حياته، ولذلك ورد عنه ﷺ: «شر الناس من
قتل نبياً أو قتله نبي» .

وراح بعض الصحابة يضمّدون جراح رسول الله ﷺ ، ونزع أبو عبيدة حلقتي المغفر
بأسنانه من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيتاه، ونظر رسول الله ﷺ فلم ير سعد بن
الريبع فطلبه بعض الأنصار فوجده جريحاً في القتلى فقال له رسول الله ﷺ يسأل
عنك. فقال له: فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له إنّ سعد بن الريبع يقول لك:
جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام قل لهم: إنّ
سعد بن الريبع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله ﷻ إن خلص إلى نبيكم وفيكم
عينٌ تطرف.

اللَّهُ أكبر متى يبلغ حب المسلمين اليوم لنبيهم هذا الحب إن فعلوا سينتزعون انتصارهم من بين شذقي الموت ، وسيتغلبون على أعدائهم مهما كانت العقبات والسدود!!.

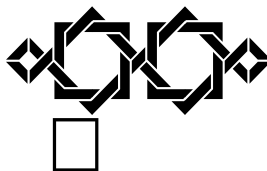
إخوتي في الله: وقف أبو سفيان عند انصرافه أسفل الجبل وصرخ بأعلى صوته: إن الحرب سجل يوم بيوم اعلّ هبل.

فقال سيدنا النبي ﷺ: قل له يا عمر: الله أعلى وأجل، لا سواء ، فقتلانا في الجنة وقتلاككم في النار.

قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم . قال سيدنا النبي : أجيئوه : الله مولانا ولا مولى لكم.

الله مولانا ولا مولى للكافرين مهما ضعفت الأمة، ومهما استكانت الأنفس، ومهما جرى وحدث في فلسطين وفي أفغانستان وفي البوسنة والهرسك وفي كل مكان. الله مولانا ولا مولى للكافرين.

أيها الاخوة: تذكروا هذا وارفعوا رؤسكم عالياً بالإسلام، فالله مولانا، الله ناصرنا هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى السيد الأعظم وتحيّتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



(٥٦)

دروس وعبر من غزوة أحد

الحمد لله الذي تفرّد بالبقاء وكتب على غيره الزوال، وجعل الدنيا منتقلة لا تدوم على حال، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال، فكم ممن يؤمل الآمال فتحرمه دونها الآجال، وكم ممن يفجؤه النوال ولم يكن يخطر له ببال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على خيرتك من خلقك خاتم الأنبياء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الأصفياء ، نعم الصحب وحبذا الآل.
أما بعد : فيا أيها الاخوة:

قبل أن أقوم بالتعليق على غزوة أحد أريد أن أبين حقيقة هامة، هي أن غزوة أحد لم تكن هزيمة بل كانت نصراً. إن يوم أحد لا يسمى هزيمة لأن الهزيمة أركانها أحد ثلاث:

١- إما اغتصاب الأرض والاستيلاء عليها، والمدينة لم تمس بأيّ سوء ، ولم تؤخذ الأرض.

٢- وإما أن تغير عقيدة الجيش ، والمسلمون قد بقوا على مبدئهم وعقيدتهم وما زالوا يقولون لا إله إلا الله.

٣- وإما أن يقضى على الجيش.

علينا أن نعرف هذه الحقيقة ، إنّ الهزائم لا تنزل على المؤمنين الصادقين ، لأنّ ربّ العزة يقول: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ و ﴿إنا لننصر رسلنا والذين

آمنوا... ﴿﴾ بل تنزل الهزائم على المعاندين المكابرين، تنزل على المنافقين على الذين يحاربون الله تعالى.

يقول جدي سيدنا ابن عباس رضي الله عنه (ح . وأقره) : « مانصر النبي ﷺ في موطن كما نُصر يوم أحد قال : فأنكر الناس ذلك . فقال : بيني وبينكم كتاب الله ﻋَﻠَﻴْﻜَﻢ يقول عن يوم أحد ﴿﴾ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسُّوهم بإذنه ﴿﴾ (آل عمران ١٥٦) والحس: القتل .

إخوة الإيمان :

هدأت الحرب حول جبل أحد، وانحسر المشركون منصرفين، وقد زهوا بالنصر الذي أحرزوه، وهرع الناس إلى قتلاهم، واستشهد من المسلمين يوم أحد سبعون أكثرهم من الأنصار، وكان فيهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب واليمان وأنس بن النضر ومصعب بن عمير، وعمرو بن الجموح.

عمرو بن الجموح الذي جاء إلى النبي الكريم يستأذنه بالقتال يوم أحد وكان عمرو أعرج، فقال له سيدنا النبي: إن الله قد وضع عنك الجهاد، فقال عمرو: ولكني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فلا تمنعني، وينزل عمرو الميدان يوم أحد، فيقتل من المشركين ما يقتل ثم يحرّ شهيداً، ويعلم الحبيب بموته فيقول: إن صاحبكم قد وقع اليوم شهيداً، وإنني أراه الآن يرتع في رياض الجنة بعرجته.

ورأت هند زوجة أبي سفيان سيدنا حمزة وكانت مع نسوة يمثلن بالقتلى ، فبقرت بطنه وأخرجت كبده فمضغتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.
وأقبل الناس على قتلاهم، ورأى رسول الله ما فعل بشهداء المسلمين وخاصة بعمه حمزة سيد الشهداء.

فقال : « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا ، والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لأمثلن بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب ».

فماذا كان ردُّ ربك على ناشر الهدى وواسع الندى، لقد أرسل الأمين جبريل
سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء ، أرسله ربك ببرقية عزاء عطرة في حمزة ،
اسمعوا نصها كما نزلت : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ
خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا
يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

ونزلت هذه البرقية على قلب سيدنا النبي برداً وسلاماً وقال: بل أرضى وأصبر
يارب.

فعفا رسول الله ﷺ وصبر، ونهى عن المثلة.

وأمر النبي الكريم بدفن الشهداء بدمائهم، ولم يصلِّ عليهم، ولم يغسلوا، وأخذ
يجمع بين الرجلين من القتلى في قبر واحد ، ثم يقول: قدموا في اللحد أيهما أكثر
أخذاً للقرآن.

وجاء سيدنا جابر ليجد والده قد استشهد وغطي ، فصار كلما كشفه بكى
وبكت عمته معه ، ويقدم رسول الله ﷺ فيرى هذا المشهد فقال : تبكيه أو لاتبكيه،
لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه «(ق) .

ثم التفت إلى سيدنا جابر وقال (هب) : ألا أخبرك ، ما كلم الله ﷻ أحداً إلا من
وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً (بدون حجاب) وقال له : يا عبدي سلني
أعطك ، فقال : أسألك أن تردني إلى الدنيا لأقتل فيك ثانية ، فقال تعالى : إن
سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون ، فقال سيدنا عبد الله ﷺ : فأخبر من ورائي ،
فأنزل تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ... ﴾ .

وجاء سيدنا قتادة بن النعمان وقد أصيبت عينه ووقعت على وجنته، فردها
رسول الله ﷺ بيده. يقول قتادة: فكانت أحسن عيني وأحدهما.

أيها السادة:

ما أن وصلت أخبار الغزوة إلى المدينة حتى بدأ المرجفون من أهل النفاق واليهود يظهرون سرورهم بما أصاب المسلمين، وراحوا يفتخرون بالخذالهم عن المعركة قبل بدئها، ويقولون: لو أطاعونا ما قتلوا.. وكاد سلطان المسلمين يتضعضع بيثرب لولا ضربة جريئة قام بها السيد الأعظم خففت من وقع الهزيمة، وردت إلى المسلمين قوتهم المعنوية، وأدخلت إلى روع اليهود والمنافقين الرهبة، فقد بلغ السيد الأعظم أن بعض المشركين قالوا لبعضهم:

- إنكم لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكة القوم ثم تركتموهم ولم تبتروهم.

فأمر القائد الأعظم في اليوم التالي للمعركة أن يخرج الناس في طلب العدو، وأمر ألا يخرج أحد إلا من حضر المعركة، وما من المسلمين إلا جريح وثقيل، فخرجوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد، حتى انتهوا إلى مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة تدعى حمراء الأسد، فلما بلغ ذلك كفار مكة ظنوا أن المسلمين قد جاءهم مدد جديد، فخافوا لقاءهم، بل أن يهزموا بعد هذا النصر الذي حققوه، فبعث أبو سفيان رجلاً يبلغ السيد الأعظم أنه سوف يلتقي به ويجدد القتال معه، ثم ارتد عائداً إلى مكة، وبقي المسلمون يوقدون النار ليلاً طيلة ثلاث ليال متتابة وينتظرون القتال.

وهنا رجع السيد الأعظم إلى المدينة، وقد استرد كثيراً من مكانة تزعزعت على إثر المعركة، وأثنى الله على ذلك وخلد ذكره، فقال:

﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾.

إخوتي في الله : كانت هذه المحنة التي وقع فيها المسلمون تمحيصاً لهم وتربية، فلا ثقة بجماعة عاشت على سرور انتصار ونشوة الفتح وحلاوة الظفر، دون أن تذوق مرارة المصائب والخسائر، فإنها إذا أصيبت بذلك في يوم من الأيام، غرّها ذلك واضطرب إيمانها، وفي ذلك يقول عز وجل:

﴿ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لَّكِي لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ولقد كان نبأ وفاة السيد الأعظم وشهادته تهيئة من الله تعالى لنفوس المسلمين وليثبتوا على العقيدة، والدعوة إلى الجهاد في سبيلها، والوفاء لها في حياته، وبعد حياته فلا يجبنون ولا يتخاذلون ولا يهنون ولا يستكينون.

فقال تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

أيها الإخوة :

وهكذا قضيت مع حضراتكم دروساً عدّة في الجهاد وهناك فاسمحو لي أن أعود بكم من هناك من المدينة المنورة إلى هنا، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية للسيد الأعظم ﷺ ، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك

صلى الله
عليه
وسلم

(٥٧)

يوم الرجيع

الحمد لله على كل حال ربي كل حال، والحمد لله حمداً يستدعي مزيد الإفضال،
حمداً يليق بماله من العظمة والجلال، حمداً يصعد مع الكلم الطيب، ويرفع في عليين
صالح الأعمال، حمداً تزين به من الأيام البكور والآصال.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال.
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله خاتم سلسلة الإرسال.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم في كل
حال ومآل ، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

كانت موقعة أحد دلالة واضحة على ما تفيض به أفئدة المشركين من غل وحقد
على الإسلام، وتطورت عندهم إلى مرحلة أخرى، مرحلة الغدر والخيانة ابتغاء إطفاء
غليل أحقادهم.

وقد سطرّت السيرة النبوية مواقف كثيرة من هذه المرحلة، إذ قامت بعض القبائل
تحرّض على مهاجمة المدينة، منها قبيلة بني أسد، معتقدين أن غزوة أحد قد
ضعفت من قوة المسلمين، فوصل الخبر لحضرة سيدنا النبي ﷺ ، فعقد سرية تبلغ
عدّتها مئة وخمسين وجعل عليهم أميراً أخاه من الرضاعة، أبو سلمة بن عبد الأسد،
وكان قد أصيب في أحد بجرح كاد أن يندمل، وأمرهم بالسير ليلاً والاستخفاء نهاراً
حتى يتمكنوا من عدوهم. فنقذ أبو سلمة ما أمر به ، وأخذ بالقوم على حين غرة،
وعادوا ظافرين إلى المدينة ليقتسموا الغنائم وينالوا رضى ربنا عز وجل.

على أنّ أبا سلمة لم يعيش طويلاً بعد السرية، فقد أصيب جرحه من جديد في هذه السرية ففُضِيَ نَحْبُهُ، وأمر رسول الله ﷺ زوجته أم سلمة أن تصبر وتحتسب وتردد: اللهم أوْجِرْني في مصيبي وعوضني خيراً منها، فكانت تقول: ومن هو خير من أبي سلمة. ثم حاولت قبيلة بني لحيان أن تعدّ لقتاله، فجهّز رسول الله ﷺ سرية عليها عبد الله بن أنيس فعدا على زعيم القبيلة بنخله، فاحتال عليه حتى خلا به فقتله بالسيف، فهذأت بنو لحيان وأضمرُوا الثأر لزعيمهم.

فقدّمت قبيلة مجاورة لهم من عضل والقارة على رسول الله ﷺ يذكرون الإسلام وأنهم بحاجة لمن يعلمهم شؤون هذا الدين، فبعث رسول الله ﷺ نفراً من أصحابه على رأسهم عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة.

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة -خ- تبعهم مئة رام من بني لحيان ليأخذوا بثأر زعيمهم فلحقوا بهم فلجؤوا إلى مكان يدعى فدغد، فأحاطوا بهم وقالوا لهم: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم أحداً. فقال أميرهم عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، لأنه رأى أنه إذا سلم نفسه فسيقع أسيراً في أيديهم، وإنه ليترفع عن أن يجري عليه حكم الكفار. فقاتلوهم وقتلوهم. وبقي خبيب وزيد وثالث معهم قتلوه لأنه أبى أن يسلم نفسه. أما أميرهم عاصم فأرادوا قطع شيء منه ليُعرف أنه قتل فبعث الله ﷺ عليه الدبابير مثل المظلة فحمته فلم يقدروا منه على شيء.

أما خبيب وزيد فانطلقوا بهما إلى مكة وباعوهما لمن يريد الثأر منهما.

فمكث خبيب عند بني الحارث، وكان قد قتل أباهم، فحبس حتى أجمعوا على قتله، تقول بعض بنات بني الحارث: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه ومعه موسى، فأخذه فوضعه على فخذه، ففرغت فرعة عرف ذاك مني فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى.

لقد كانت هذه فرصة غالية للمساومة على حياته، أو ليغدر بالطفل كما غدروا به، لكن الأم رأته يلعبه كأنه أب شفوق، هكذا ربي الإسلام أتباعه.

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من حبيب، لقد رأيت يأكّل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق بالحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله.

إخوة الإيمان : إليكم الدرس الثاني، ليس درساً في الجهاد أو في الطهارة والصلاة، إنه درس في الصبر والمصابرة، في عزة وكبرياء المسلم، إن الدرس الثاني هو درس قلّ نظيره إذ أن بعض بني الحارث خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه، فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين، فلما انصرف إليهم قال: لولا أن تروا أني جزعت من الموت لأطلتكما، فكان أول من سن الركعتين قبل القتل، ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزق

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. فماذا كانت المكافأة؟.

لقد أراد القوم بعد قتله وصلبه أخذ جزء منه علامة على قتله لأهل مكة، فبعث رسول الله رجلاً ليأتيه بخبره، فجاءه فوجده شهيداً، فحلّ وثاقه من على خشبة القتل فوق على الأرض، فلما أتى القوم، تركه واختبأ غير بعيد، وهنا حدثت الحماية الإلهية، إذ أن الأرض ابتلعت جسد خبيب ولم يستطع أحد أن يعرف مكانه، فكانت هذه الكرامة لهذا العبد الصالح تمثيلاً مع القاعدة التوحيدية: ما كان معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي.

أيها الاخوة:

أما زيد فهو درس آخر من نوع آخر، إنه درس في الحب، فكلنا يحب الله ورسوله، ولكن عندما يمتحن ترى أنّ دعوى الحب تتلاشى وتذوب أمام الاذى الذي يلحقه من جراء حبه لله ورسوله، وربما يتخلى عن هذا الحب لأجل حبيبته أو لأجل النفاق أو الجاه أو رئاسة منصب.

أما حبّ الصحابة لله ورسوله فهو حبّ صادق؟ إذ خرجت رجالات قريش وفيهم أبو سفيان بزيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، وهنا بدا لأبي سفيان أن يختبر أصحاب السيد الأعظم ﷺ .

فقال: أنشدك بالله يا زيد أتحبّ أنّ محمداً الآن في مكانك وأنك في أهلِكَ معافى؟!

فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي.

أستمعون أيها السادة- إنه حبّ فريد عملي لا نظري، إنه تطبيق لقوله ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (م) .
فأين هذا التطبيق اليوم؟!

من أجل ذلك صرّح أبو سفيان بإعجابه بتربية سيدنا محمد ﷺ لأصحابه فقال:
- "ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمد محمداً".
هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية للسيد الأعظم ﷺ. وتحيّتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



(٥٨)

بئر معونة السنة الرابعة للهجرة

الحمد لله مدبر الملك والملكوت، المنفرد بالعزة والجبروت، بيده مقاليد الأرض
والسموات ومصاير جميع المخلوقات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صفوته من
السادات، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام :

فقد حزن المسلمون حزناً شديداً لما أصاب أصحاب الستة الذين استشهدوا في
سبيل الله بغدر هذيل بهم، وأرسل حسان بن ثابت أشعاره يرثي فيها خبيباً وزيداً
أحر الرثاء:

سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ القلق	ما بال عينك لا ترقى مدامعها
لا فُشِل حين تلقاه ولا نَزَق	على خبيب فتى الفتيان قد علموا
وجنة الخلد عند الحور في الرفق	فاذهب خبيبُ جزاك الله طيبة

وقال فيهم:

يوم الرجيع فأكرموا وأُثيبوا	صلّى الإله على الذين تتابعوا
وابن البكير إمامهم وخبيب	رأس السرية مرثدٌ وأميرهم
وافاه ثم حمامه المكتوب	وابنٌ لطارق وابنٌ دثنة منهم
كسب المعالي إنّه لكسوب	والعاصم المقتول عند رجيعهم

وأخذ المسلمون يحذرون أن تتكرر مثل هذه الأمور فتستخف بهم العرب، ولا شيء أقتل لهيبتك من استخفاف غيرك بشأنك.

إخوة الإيمان: لم تكد نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه تهدأ قليلاً من ألم هذا الحادث حتى أصابهم حادث أشد وأنكى في صورة من صور الغدر، إذ قدم على سيدنا النبي أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فعرض سيدنا النبي عليه الإسلام فلم يقبل ولم يظهر للإسلام عداوة، بل قال:

- يا محمد: لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

وهنا تفكر السيد الأعظم وخشي عاقبة الغدر - كما غدر بأصحابه من قريب - ولم يقتنع ولم يجب طلب أبي براء حتى قال: أنا لهم جار، فابعثهم يدعون لأمرك. وكان أبو براء رجلاً مسموع الكلمة في قومه، لا يخاف من أجاره عادية أحد عليه. فبعث سيدنا رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو من بني ساعدة في سبعين رجلاً من أصحابه على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد في السنة الرابعة من الهجرة، فساروا حتى نزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، ومن هناك بعثوا حرام بن ملحان إلى عامر ابن الطفيل بكتاب السيد الأعظم يدعو وقومه إلى الإسلام، فلم ينظر عامر الكتاب، بل عدا على الصحابي فقتله برمح في صدره، فلما طعن وانتضح الدم في وجهه صاح:

- فزت وربّ الكعبة.

واستصرخ ابن الطفيل بني عامر كي يقتلوا المسلمين فأبوا أن يخفروا ذمة أبي براء وجواره، فاستصرخ قبائل بني سليم عصبية ورعل وذكوان فأجابوه، وأحاطوا بالصحابة وأعملوا فيهم السيوف عن آخرهم إلا رجلين ترك الأول وبه رمق، وفر الآخر فلقي رجلين من بني عامر فأخذهما على حين غفلة فقتلتهما ثأراً لأصحابه، وتابع سيره إلى

المدينة وأخبر الرسول الكريم بما صنع، فإذا معهما عقد جوار من رسول اقتضاه أن يؤدّي ديتهما.

وتأثر سيدنا النبي لقتلى بئر معونة أشدّ التأثر وحزن أعمق الحزن وقال:

- هذا عمل أبي براء، لقد كنت كارهاً متخوفاً .

وشق على أبي براء اخفار عامر بن الطفيل إياه، ودفع ابنه ربيعة فطعن عامراً بالرمح انتقاماً منه لأبيه.

وكان تأثر المسلمين بليغاً لهذه الكارثة التي أصابت إخوانهم، وإن آمنوا جميعاً بأنهم استشهدوا وأن لهم جنة الخلد.

أيها الأحبة والصحب :

كانت هذه الموقعة توضّح بجلاء المعنى الإيماني في الاستسلام لقضاء الله وقدره، حيث صبر الصحابة واحتسبوا وعلموا أن طريق الدعوة شائكة، وأن الله عز وجل يمتحن صبرهم وعزيمتهم، فازدادوا دفاعاً عن الإسلام، وأكدوا المبايعة الإيمانية التي بايعهم بها رب العزة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ .

أيها السادة: إن المستعرض للسيرة النبوية يجد أنه منذ غزوة أحد بدأت تظهر العداوة للمسلمين بأسلوب الغدر بهم والثورة عليهم من اليهود والمنافقين والمشركين، ومن أعراب البادية يتحينون الفرص ويتربصون بهم الدوائر، والمسلمون بين هؤلاء وهؤلاء في حذر وخوف.

أما رسول الله: فكان دائم اليقظة والترقب لا يكاد يحسّ بطائفة تجمع له وتؤلب عليه إلا بادرها بوقية قبل أن يجتمع أمرها، ويتفاقم خطرها، فكان كربان السفينة الماهر - إن صح التشبيه - أحاطت به الأمواج واضطرب به البحر فهو يحاول بكل

ما أوتي من مهارة وحذق أن يجنب سفينته الهلاك وأن يصل بها وبمن فيها إلى البرّ سالمة.

إخوتي في الله: مكث السيد الأعظم نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه في بئر معونة وفي الرجيع، كلما صلى دعا عليهم، بما يسمي في الفقه بقنوت النازلة، ويقول في دعائه:

"اللهم اشدد وطأتك على مُضَرِّ، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم إلعن الحِيَّانَ ورِعْلاً وذكوَان وعصية عصت الله ورسوله، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين".

حتى أنزل الله عليه قوله تعالى:

﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾.

فسكنت نفسه وانقشع عنه حزنه.

ولكن نفوسنا لم تسكن، وحزننا لم ينقشع، والسيف في رقاب إخوة لنا في أذربيجان وأفغانستان والبوسنة والهرسك والقفقااص وفلسطين من قبل الملحدين والأرمن والجورجيين واليهود عصوا الله ورسوله فاللهم:

اشدد وطأتك على اليهود، واشدد وطأتك على الملحدين، واشدد وطأتك على الأرمن والجورجيين عصوا الله ورسوله، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين في فلسطين وأفغانستان والقفقااص والبوسنة والهرسك، وأيدهم بتأييدك وبسلطانك وقدرتك وخذ بأيديهم وانصرهم على أعدائك ، ووحد كلمتهم وشد على عزيمتهم وامددهم بملائكتك وجنودك يا قوي يا متين، يا رب العالمين.

أستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

أستغفر الله العظيم

(٥٩)

إجلاء بني النضير

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين. وقدوة للعاملين، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وجعله هادياً ورسولاً وبشيراً ونذيراً وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتبع هديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا واميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه ورحمة للعالمين أرسله.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وأحسن الله ختامي وختامكم وختام المسلمين أجمعين.

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام:

حدثنا اليوم عن صورة من صور الغدر والخيانة المتأصلة في نفوس شعب اشتبهوا بهاتين الصفتين ، وقد فضح الله تعالى هذا الشعب ، وسجل لعنته عليهم في كتابه الكريم فقال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

هذا الشعب هو شعب اليهود وقتلة الأنبياء، فهم الذين قتلوا سيدنا يحيى، وهموا بما لم ينالوا بقتل سيدنا عيسى فرفعه الله إليه، ولأبدأ معكم منذ البداية.

الزمن: شهر ربيع الأول سنة أربع للهجرة.

المكان: خارج المدينة عند يهود بني النضير.

الحدث والشخصيات: خروج حضرة النبي ﷺ في عشرة من كبار المسلمين ؟

بينهم الصديق والفاروق لدفع دية القتيلين من بني عامر، اللذين قتلها عمرو بن أمية خطأ.

إخوة الإيمان : تذكرون المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ مع اليهود عندما قدم المدينة أن لهم دينهم ولنا ديننا، وأنهم ينزلون بجوار المدينة لهم الجوار والعهد، من هؤلاء يهود بني النضير، حلفاء بني عامر قبيلة المقتولين. وقد سار إليهم رسول الله ﷺ ليساعدوا في ديتهم، فكلّمهم فوافقوا وقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت.

وخلا بعضهم ببعض وهموا بالغدر، وقال أحدهم : فاقعد حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به .

وجلس رسول الله ﷺ مع صحبه الكرام إلى جنب جدار من بيوتهم .

- أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة.

وكان رسول الله ﷺ واقفاً إلى جنب جدار البيت.

فقال سلام بن مشكم اليهودي: لا تفعلوا، والله ليخيرن بما همتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

وبينما هم يأترون بالغدر به، نرى السيد الأعظم يقوم فجأة مسرعاً كأنه يريد حاجة، ويتوخه إلى المدينة فيدخل مسجده ﷺ وخرج اليهود في طلبه فلم يجدوه ، فقال رجل منهم :

. هل تدرون لم قام محمد .

. قالوا : والله ما ندري وما تدري أنت .

. قال : والله أخبر بما همتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم وإنه لرسول الله ﷺ.

واستبطأ أصحابه، فقاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة عرفوا منه أنه قد دخل المدينة وقصد توأ إلى المسجد.

فعاد الصحابة إلى المدينة ودخلوا المسجد، فرأوا الحبيب الأعظم فقالوا: قمت ولم نشعر بك يا رسول الله ﷺ. فقال:

- "همت يهود بالغدر فأخبرني الله ﷻ بذلك فقامت)،.

وأمر صحابياً بالتوجه إليهم وإخبارهم بما هموا، وأنهم قد نقضوا العهد، وأنه يتوجب عليهم الجلاء عن ديارهم، وأمهاتهم عشراً، وإلا ضرب أعناقهم بعد ذلك. وأخذ اليهود يتجهزون للرحيل، وإذا برأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول يرسل إليها:

- لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم فإن معي ألفين يقاتلون عنكم. فتحصن الغادرون في حصونهم، وأبوا الجلاء، ووثقوا بأمانى المنافقين، وعظمت عزتهم ومناهم الشيطان الظهور، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله .

إنا لانخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك . فأمر الرسول بالإعداد للحرب، وسار إليهم وإذا بابن أبي يخذلهم فلم ينفذ وعده معهم، وبقي رسول الله محاصراً لهم عشرين ليلة، أمر خلالها بقطع بعض أشجار النخيل وحرقتها أمام أعينهم، فراحوا ينادونه من وراء جدر: - قد كنت تنهى عن الفساد، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ . فأنزل رب العزة:

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين﴾

فلما ملأ اليأس قلوبهم رعباً سألوه أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم وذرائعهم حتى يخرجوا، فصالحهم على أن يخرج كل ثلاثة منهم على بغير يحملون عليه ما شاؤوا إلا السلاح، وأسلم منهم رجالان فقط فأحرزا أموالهما.

وكان الرجل منهم يخلع عتبة داره ليضعها مع متاعه، وهذا معنى قول ربنا:

﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾.

إخوتي في الله :

لم تعتبر هذه الأرض أسلاب حرب، ولذلك لم تقسم بين المسلمين بل كانت لله ورسوله خاصة يضعها حيث شاء، وقد قسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار

بعد أن استبقى قسماً خصصت غلته للفقراء والمساكين، وأعطى من الأنصار رجلين فقط لفقريهما.

وأنزل الله تعالى سورة بكاملها حول هذه الغزوة هي سورة الحشر، وانقمع المنافقون في جحورهم، وانسدَّ باب من أبواب الفتن التي كان يشجعها يهود بني النضير، وفي ذلك يقول عز من قائل :

﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، وَالْهَ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ، لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

أيها السادة :

كان كاتب سر النبي إلى حين جلاء بني النضير عن المدينة من اليهود، ليتسنى له أن يبعث من الرسائل العبرية والسريانية ما يريده، فلما جلا اليهود خاف سيدنا النبي أن يستعمل في أسرار غير مسلم، فأمر فتعلم زيد بن ثابت من شبان المدينة المسلمين اللغتين المذكورتين وأصبح كاتب سر النبي في كل شؤونه.

وهكذا- أيها الإخوة- قويت نفوس المسلمين واستردوا هيبته أمام المجتمعات

من حول المدينة، وزالت أول شرذمة من شراذم الغدر والخديعة.

وأما نحن اليوم، فنسأل الله أن تزول شراذم اليهود من فلسطين الحبيبة، وأن يقوّي الله إخواننا الفلسطينيين على أعداء الأمة والدين ، لتعود هيبة الأمة من جديد، وما ذلك على الله بعزيز.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.



(٦٠)

غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة هجرية

الحمد لله الذي قصّ لنا من آياته عجباً، وأفادنا بتوفيقه إرشاداً وأدباً، وجعل القرآن دافعاً عنا مقتاً وغضباً، أنزله هدى ورحمة وعيداً ورهباً، وأرسل فينا رسولاً كريماً نجياً، أطلعه على الحقائق ففاق أخاً وأباً، وعرضت عليه الجبال ذهباً فأعرض عنها ونأى وأبى، وخصنا بشريعته القويمه وحباً، فآمنا وصدقنا، وله الفضل علينا وجباً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للنجاة سبباً.
وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المجتبی، أشرف البرية حسباً وأطهرهم نسباً.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته السادة النجباء ، الذين سادوا الخليقة عجباً وعرباً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

اطمأنت المدينة بعد إجلاء بني النضير، فلم يعد المسلمون يخشون من المنافقين فيها، واغتنب المهاجرون الأولون بما وزع عليهم رسول الله من غنائم اليهود وأراضيهم، وكانت فترة هدوء استراح فيها المهاجرون والأنصار جميعاً.
حتى إذا مر شهر ونصف تقريباً غزا رسول الله مع أصحابه غزوة سميت غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة للهجرة.

إذ أن سيدنا النبي الكريم رأى كثرة الغدر بأصحابه من قبائل نجد ، كان آخرها مقتل أصحابه السبعين، فخرج السيد الأعظم إلى نجد وجعل على المدينة سيدنا أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.

وما أن سمعت القبائل بمسير السيد الأعظم حتى ألقى الرعب في قلوبهم ، فتفرقوا شذر مذر بعيداً عن عسكره، لذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول: "نصرت بالرعب مسيرة شهر".

ولكن الصحابة رضي الله عنهم أثناء الطريق إلى نجد أصيبت أقدامهم وسقطت أطرافها، فكان الصحابة الستة أو السبعة يتعاقبون على البعير الواحد، كل واحد يركب جزءاً من الطريق حتى تلفت أقدامهم لكثرة ما اصطدمت بالحجارة والصخور، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فقر الصحابة وقلة ذات يدهم، ورغم ذلك لم يمنعهم هذا من المشاركة في الغزوة، وتحملوا كل ألوان المحن ووعناء الطريق، لأنهم باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا واستهانوا بكل شيء لإرضاء الله ورسوله متمثلين قول ربنا جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

هذه الآية نفذها الصحابة في كل حركة وسكنة من حركاتهم وسكناتهم، وإليكم الدليل:

روى الإمام أحمد رضي الله عنه عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال: (هق - ابن هشام، « خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع فأصيبت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ » قافلاً وجاء زوجها وكان غائباً، حلف أن لا ينتهي حتى يريق دماً في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر سيدنا النبي، فلما نزل منزلاً لينام قال:

- من رجل يحرسنا في هذه الليلة؟

قال: فقام رجل من المهاجرين وآخر من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله.

قال: أمكننا بفم الشعب.

فلما خرج الصحابييان إلى فم الشعب اتفقا أن يبدأ الأنصاري بالحراسة واسمه عباد ابن بشر فقام يصلي من الليل.

وجاء زوج المرأة يريد الثأر لزوجته وشاهد الصحابي عباداً بن بشر قائماً يصلي فرماه بسهم أصابه في جسمه، ولكنَّ عباداً لم يقطع صلاته ولا قراءته للقرآن، فنزع السهم وثبت قائماً يصلي وقرأ القرآن، فلما رأى الرجل أنه بقي ثابتاً قائماً رماه بسهم آخر أصابه، فنزعه ثانية وراح يتابع صلاته وجرحه يسيل منه الدم، فرماه الرجل بسهم ثالث نزعه الأنصاري ثم ركع وسجد وأيقظ صاحبه بجانبه وقد سالت منه الدماء وقال له : - استيقظ فقد أصبت (أُثِّت).

فوثب الصحابي إلى صاحبه، فلما رآهما الرجل عرف أنه قد أصبح في خطر ففر هارباً، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال:
- سبحان الله! أفلا أيقظني أول ما رماك.

قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحبَّ أن أقطعها، فلما ثابر على الرمي ركعت فأذنتك ، وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطع صلاتي .

هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يجاهدون في الله حق جهاده، وهم في جهادهم الصادق يقيمون عبادتهم ولا يتركون صلاة الليل لأنَّ نبينا عليه الصلاة والسلام علمهم أن قيام الليل شرف المؤمن، لذلك وقف الصحابي عباد ينادي ربه ويعبده بوضع ركعات أثناء قيامه بحراسة الشعب يتوجه بها إلى الله تعالى ويناجيه بتلاوة كتابه الكريم لذلك لم يبال بما أصابه، لأنه كان مع الله فنسي نفسه وهو يتلو القرآن الكريم، ولما انتهى من تلاوته أحس بالألم يعتريه وبالدماء تسيل على جسده ، ولولا أنه خاف أن يموت قبل أن يخبر رفيقه بهذا الخطر الداهم لما أيقظه ولبقي يتابع صلاته.

هؤلاء- أيها الاخوة- هم الذين فتحوا الدنيا لأنهم كانوا صادقين مع الله تعالى فهو الذى يقول: ﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.

إن هذا الدرس الذي أعطاه لنا هذا الصحابي الجليل عباد بن بشر في غزوة ذات الرقاع درس هام جداً إنه جهاد يرتبط بالصلاة، فلن نتصر إلا إذا عدنا إلى الله وتمسكنا بحبله المتين "أعني بالصلاة" وهذا كان ديدن حضرة النبي ﷺ ، "كان إذا حزه أمر فرع إلى الصلاة".

وإذا أردنا اليوم أن نتصر على أعدائنا علينا أن نربط أنفسنا مع الله بالصلاة، أن نرجع إلى الله ونحافظ على الصلاة، يجب علينا أن يكون في كل مدرسة من مدارسنا مسجد، وفي كل مؤسسة من مؤسساتنا مسجد ، هذا المسجد الذي يربط الأرض بالسماء ، ويربط المخلوق بالخالق ، ويربط العبد برافع السماء بلا عمد .

أيها السادة:

إن رسول الله ﷺ وهو في أشد حالات الحرب مع القبائل لم يترك الصلاة، بل إنه في هذه الغزوة قَسَم أصحابه عند الصلاة قسمين:

قسم يرابطون تجاه العدو، وقسم صلى بهم ركعة واحدة، حتى إذا وقف رسول الله ﷺ في بداية الركعة الثانية، أسرعوا وأتموا الركعة الثانية ثم سلموا وذهبوا إلى مكان إخوانهم والرسول الكريم واقف، فأتى القسم الثاني واقتدوا بالنبي صلى بهم الركعة الثانية وجلسوا للتشهد، ثم قاموا يأتون بالركعة الثانية حتى أدركوا النبي الكريم في التشهد فسلم وسلموا معه.

فرسول الله ﷺ كان يمكن أن يأمرهم فيصلي كل واحد منهم بمفرده، وكأنه وجد أنه بحاجة إلى توحيد الصف، وفضيلة الجماعة عظيمة جداً، لذلك جمعهم، ولم يترك الصلاة وهو في أشد حالات الخوف من العدو، لذلك سميت هذه الصلاة بصلاة الخوف.

وصدف في إحدى المعارك أن المعركة استمرت وقتين الظهر والعصر ولم يصل الصحابة هذين الوقتين لالتحامهم مع العدو، فلما وقفت المعركة دعا عليهم وقال:
- ملأ الله قبورهم ناراً لقد شغلونا عن الصلاة.

إن المجتمع الإسلامي اليوم يريد أن ينتصر بدون المحافظة على الصلاة، لذلك هم اليوم مخذولون لا شوكة ولا هيبة لهم، رغم أن سيدنا النبي ﷺ حذرنا مغبة ترك الصلاة فقال: "العهد الذي بيننا وبينهم (أي الكفار) الصلاة من تركها فقد كفر".

إخوة الإيمان :

اسمحو لي أن أتقل بكم إلى هناك إلى حيث الحبيب الأعظم! لأنقل لكم هذا المشهد الفريد من الغزوة، إذ كان النبي الكريم عائداً إلى المدينة المنورة وفي الطريق نهاراً أدركهم حرّ الظهيرة، فأراد رسول الله ﷺ أن يقلل، أي أن يرتاح بالاضطجاع بين الضحى والظهر، وتسمى عندنا بالقلولة إذ أنه كان يأمر أصحابه بها ويقول لهم: "قلوا فإن الشياطين لا تقلل".

ونزل الصحابة رضي الله عنهم يستظلون بالشجر في وادٍ كثير الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه.

يقول الإمام البخاري فيما يرويه عن سيدنا جابر رضي الله عنهما:
فمننا نومه، فإذا رجل يقف فوق سيدنا النبي وقد استولى على سيفه. فاستيقظ السيد الأعظم فشاهد الرجل شاهراً السيف يريد أن يضرب به السيد الأعظم وهنا قال الرجل: - من يمنعك مني يا محمد؟ .

فقال سيدنا رسول الله ﷺ كلمة واحدة: الله.
فإذا بالسيف يهترّ من يد الأعرابي ويسقط على الأرض، وهنا يأخذ رسول الله ﷺ السيف ويشهره في وجه الرجل ويقول له: من يمنعك مني.

ولكن رسول الله ﷺ، ما كان لينتقم لنفسه، لأنه الذي قال فيه ربنا عز وجل:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، وقدم الصحابة فشاهدوا هذا الموقف وعرفوا
مكان، وشاهدوا السيد الأعظم وهو يقول للأعرابي: اذهب أنت حر لوجه الله.
اخوتي في الله :

كانت هذه الحادثة هي معنى قول ربنا جل جلاله لنبيه الأعظم:
﴿والله يعصمك من الناس﴾.

يعصمك ويحفظك هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ
الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله
هي الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

(٦١)

غزوة بني قينقاع

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أنّ لا إله إلا هو ولي الصالحين.
وأشهد أنّ سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله سيد الأولين والآخرين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً.
أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :
الوقوف أمام الحبيب الأعظم ومخاطبته تبعث الأنوار في القلوب، وقفت أمام
جدي سيدي رسول الله ﷺ ورحمت أتدل وأتدل.

يا حبيب القلوب أنت الحبيب أنت أنسى وأنت مني قريب
يا طيباً بذكره يتداوى كل ذي سقم فنعم الطيب
وراحت عيناى تجيل النظر حول أطهر بقعة على وجه الأرض، والتي ضمت بين
جوانبها سيد الخلق وحبيب الحق، وقرأت على باب الحجرة:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيهن القاع والألم
روحي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وراحت الكلمات مع الدموع تجري على اللسان بعفوية:

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، الصلاة والسلام عليك يا سيدي
يا رسول الله ﷺ جئناك زائرين، وبك مستشفعين، جئناك تائبين من جميع ذنوبنا
فاستغفر لنا يا حبيب الله.

فيا سيدي إن تكلمت فعنك أتكلم، وإن خاطبت ففبك أخاطب الناس، أتنفل
من تشريعك إلى سيرتك، فمنك وعنك أصدر، وإليك أعود، سيدي أبا القاسم

يا رسول الله.

والله ما طلعت شمس ولا غربت
ولا جلست إلى قوم أحدثهم
إلا وذكرك مقرون بأنفاسي
إلا وكنت حديثي بين جلاسي
وحين ودّعنا الحبيب الأعظم ، خاطبته ألسنتنا: يا رسول الله:
إن قيل زرم بم رجعتم

فسمعنا الجواب يصل إلى قلوبنا وعقولنا:

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول

اخوة الإيمان : ما زلنا في حضرة الحبيب الأعظم وفي رحابه، فقد نزل عليه في
السنة الخامسة آية عظيمة كانت خيراً كثيراً على المسلمين والمسلمات، هذه الآية
هي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

هذه الآية تسمى عند العلماء (بآية الحجاب) للمرأة الشريفة العفيفة، وليس
حديثي عن الحجاب ولا عن دليله، لأنّ الحجاب لا ينكره إلا أعمى القلب وأعمى
البصيرة ومن طمس الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليماً^(١) .
ولكنني أريد أن أسطرّ لكم اليوم تنمة السيرة العطرة وهي غزوة بني قينقاع وكان
سببها نزع حجاب امرأة عربية.

وبنو قينقاع قوم يهود ، قوم مكر وخديعة وشر، لا يعبأون بالقيم الأخلاقية ولا
الدينية.

أيها السادة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى حول المدينة المنورة حيث
تقطن هذه الشرذمة من الشر ، ها هي قرينتهم محاطة بالأسوار من كلّ جانب، وها
هو سوق بني قينقاع داخل القرية، وها هي امرأة من العرب تقدّم بجلب لها لتبيعه

(١) انظر أدلة الحجاب وصفاته في كتابنا قضايا تربوية .

بالسوق، فجلست إلى صائغ يهودي، فجعل الصائغ مع صحبه اليهود يراودونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى عمل مشين قدر؟ إذ عقد طرف ثوبها من ظهرها وهي لا تشعر، فلما قامت انكشف عن جسمها فضحكوا منها فصاحت المرأة مستغيثة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله لساعته، فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين فاجتمعوا ، ووقع شر عظيم بينهم ، ووصل الخبر إلى سيدنا رسول الله فأمر بالجيش فأعد ، وسار إلى بني قينقاع التي تحصنت بحصونها بعد نقضها العهد فحاصروهم رسول الله خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم الله ورسوله، واستشار النبي الكريم صحابته فأشاروا عليه بقتلهم، وهنا تدخل مولاهم عبد الله بن أبي المنافق فقال:

- يا محمد إنهم من موالي وأنا رجل أخاف الدوائر، فأحسن في موالي .
وما زال يكرر مقالته حتى وهبهم له دون أموالهم، ونفاهم رسول الله إلى أطراف الشام إلى أذرعات.

ونزل قوله تعالى في أمثال عبد الله بن أبي:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم ﴾ إن الله لا يهدي القوم الظالمين .
إخوتي في الله :

في هذه الغزوة درس عظيم لنساء عصرنا، لكل مسلمة تحشى الله ورسوله، وتحب أن تكون مسلمة حقاً ، وهو درس للفساقات اللواتي كشفن عن رؤوسهن وأجسامهن يتحدين الله ورسوله. وكما سمعتم كاد رسول الله أن يأمر بقتل اليهود الذين انتهكوا حجاب المرأة العربية. علينا اليوم أن نصغي بأسماع أفهامنا وننقل هذا الكلام إلى بيوتنا.

إن رسول الله ﷺ أنشأ غزوة بكاملها إلى بني قينقاع لأجل هتك حجاب امرأة،
وقي هذا

ردّ على من يقول: إن الحجاب من العصر العباسي، أو من عصر الانحطاط، أو
من غير هذه الترهات، إن رب العزة أصدر قراره الذي لا رجعة عنه ورسول الله ﷺ
حي والقرآن ينزل عليه:

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلابيبهن ﴾.

لذلك كان الحجاب فرض على جميع المؤمنات الحرائر البالغات، وهو كفرض
الصلاة والصوم، هو من أركان الدين للمرأة.

لذلك اسمع إلى أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها وهي تصف نساء
الأنصار عندما نزلت هذه الآية، فقد قالت:

"إنهن خرجن وكأن على رؤوسهنّ الغربان من أكسية سود يلبسنها".

هذا الكلام كان مطبقاً سلباً وحرباً ، اسمع معي إلى مدى تقوى وصلاح
الصحابيات:

هذه امرأة مؤمنة طاهرة من نساء الصحابة استشهد ولدها في إحدى الغزوات
مع سيدنا رسول الله ﷺ "فجاءت المرأة تبحث عن ولدها بين القتلى وهي منتقبة،
ف قيل لها:

- تبحثين عن ولدك وأنت منتقبة؟ .

فأجابت: لأن ارزاً ولدي فلن ارزأ حيائي.

أسمعت: لأن تصيني مصيبة بفقدي ولدي خير لي من أن أصاب في ديني .

أيها الأعبة والصحب :

إنّ الدعوة إلى هتك الحجاب ونزعه لم تتوقف عند هذا اليهودي الخبيث، فإن
أعداء الإسلام كانوا في كل يوم يحاولون مثل محاولة هذا اليهودي، بل إن بعض

الملوك قاموا بإصدار قوانين لمنع الحجاب يا ويلهم من الله تعالى ، على رأسهم:
أتاتورك لعنه الله تعالى وكان يشنق كل من يضع الحجاب بتركيا.
ورضا بهلوى في إيران، ومحمد أمان لا أممه الله من عذابه في أفغانستان، وكذلك
في اسبانيا وروسيا وتركستان، وتيتو في يوغسلافيا.

وهؤلاء قتلة ومردة من الدين ، حاربوا الإسلام ، فماذا فعل الله بهم، لقد ماتوا
وبقي الإسلام خالداً أبداً الدهر ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ .

لكن الأمر العجيب أن يكون رجل من أبناء جلدتنا ويحمل هوية مسلم وترى
على أيدي علماء الأزهر يقوم هو بالدعوة إلى هتك الحجاب تحت شعار تحرير المرأة
المسلمة، ومما يذكر أن هذا الرجل كانت امرأته تخرج بحجابها الكامل.

والأعجب منه أن يقوم أحد القواد العرب من المسلمين الذين حاربوا الاستعمار
وهو عربي ومسلم يقوم بيده بهتك حجاب المرأة في أحد البلدان العربية، إذ نفته
بريطانيا إلى جزيرة سيشل فترة، وغسلت دماغه وأعادته إلى بلده لتوليهِ رئاسة مجلس
الوزراء وتوقع معه معاهدة ليكون احتلال بريطانيا لبلده بشكل خفي ، وإليك
المأساة:

هيء الجو لاستقبال هذا القائد المنحوس وأقيم لاستقباله سراقان أحدهما
للرجال والآخر للنساء المحجبات، ونزل المنحوس من الباخرة وأمام الهماتفات توجه إلى
سراق النساء فدخل عليهن بعد اتفاق استعماري مع امرأة لعينة خبيثة مشهورة في
تاريخ ذلك البلد في الدعوة إلى نزع حجاب المرأة، بدعوى تحررها من الأسر
الإسلامي، فماذا حدث: اسمعوا المأساة:

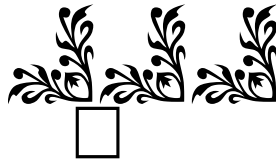
لقد مدَّ هذا المأفون الخبيث يده إلى حجاب هذه المرأة ونزعه عن رأسها، فقامت
هذه الخبيثة بالضحك والتصفيق لما فعله هذا القائد، وإذا بالنساء في ذلك السراق
ينزعن حجابهن ويصفقن لهذا التعس.

ومن ذلك اليوم أسفرت " نساء ذلك البلد العربي المسلم، استجابة لهذا المنحوس وأصبح الحجاب نشازاً في حياة المرأة المسلمة في ذلك البلد.

لقد فعل هذا المنحوس ما فعله اليهودي بيده، أما اليهودي فقد كلفه ذلك دمه وحياته، وأما هذا القائد المنحوس وأمثاله ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فقد قال عنه رب العزة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾

والله سميع عليم هناك . و هنا في عصر النبوة أو عصرنا وما أدراك ما هناك، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أدن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



(٦٢)

غزوة بني المصطلق

وتعدد زوجاته ﷺ

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهرأً، وسلّط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبراً، وعظّم أمر الأنساب فجعل لها قدراً، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرأً، فقال جل وعلا:

﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته صلاة وسلاماً لا يستطيع لها الحساب عدأً ولا حصراً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيقول الله تعالى لنبيه الأعظم ﷺ :

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك، وبنات عمك، وبنات عماتك، وبنات خالك، وبنات خالاتك، اللاتي هاجرن معك، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ .

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم، وما ملكت أيماهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

صدق الله العظيم.

أيها السادة : بلغ السيد الأعظم ﷺ في شعبان من السنة الخامسة أن بني المصطلق وهم الذين ساعدوا قريشاً في حرب المسلمين في أحد، بلغه أنهم يجمعون جموعهم مع رئيسهم الحارث بن أبي ضرار، فخرج إليهم في سبعمئة من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.

وكانت راية المهاجرين لأبي بكر رضي الله عنه، وراية الأنصار لسعد بن عباد، فدهمهم عند ماء لهم يسمى المريسيع وهم غافلون يسقون أنعامهم.

فنادى سيدنا عمر بن الخطاب فيهم: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأبوا، فتراموا بالنبل، ثم أمر النبي الكريم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد شعارهم يومئذ: يا منصور أمت أمت.

فأكرمهم الله تعالى بالنصر، وقتل من بني المصطلق عشرة، وأسرت باقي القبيلة وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة.

إخوتي في الله :

كان بنو المصطلق من أعزّ العرب داراً، وأشرفهم نسباً، وهم بطن من خزاعة. وكان من السبايا ابنة الحارث السيدة جويرية وقعت عند توزيع الغنائم لسيدنا ثابت بن قيس فكاتبتها على نفسها، فأتت النبي الكريم وقالت له: - يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس فكاتبتة على نفسي وجئت أستعينك على كتابتي.

وهنا نظر النبي الكريم بعين الوحي أو النبوة، ورأى هذه المرأة العربية الكريمة تلوي في الذل والمهانة وهي المرأة الشريفة ، سيدة نساء قومها ، رآها تلوذ به من مهانة السبي وعار الرق فقال لها:

- أدلك على خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟! قال: أفضي عنك كتابتك وأتزوجك. فقالت بفرحة غامرة: نعم.

وهنا أسلمت السيدة جويرية وتزوجها النبي الكريم ﷺ .
وخرج الخبر إلى المسلمين وفشا بينهم، وكان المسلمون عند حسن ظن نبيهم
وُتُعد نظره ، فانظروا ماذا فعلوا؟.

جويرية من بني المصطلق، وبنو المصطلق بعد زواج النبي الكريم منهم أصبحوا
أصهار رسول الله ﷺ ، لذلك الصحابة عرفوا ماذا يريد رسول الله ﷺ منهم بهذه
الإشارة، فقالوا جميعاً: - أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا أرقاء.
والله لا يكون ذلك أبداً.

اسمعوا حب الصحابة لسيدنا رسول الله ﷺ، انظروا الذين اختارهم الله ﷻ ليكونوا
أصحاب النبي الأعظم !.

إنّ الصحابة جميعاً أطلقوا كل ما بأيديهم من بني المصطلق أحراراً لوجه الله
تعالى، فماذا كان جزاء هذا العمل من بني المصطلق .

إنّ العربي الأبّي لا يحتمل أن يرى الكرم واللفظ والأخلاق من أحد إلا ويرد
عليه بأحسن، إن بني المصطلق - أيها الإخوة - أعلنوا دخولهم في الإسلام جميعاً.
وكانوا زهاء مئة عائلة، لذلك كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول:

- ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية، لقد اعتق بتزوجها من
رسول الله ﷺ مئة (أهل) بيت.

إخوة الإيمان :

كانت السيدة جويرية الزوجة الثامنة التي دخلت بيت النبوة، وكما ترون هذه
الحكمة العظيمة التي نتج عنها تزوج سيدنا النبي منها، لقد فعل هذا الزواج ما لم
يفعله السيف في سلسلة المعارك، وكان باستطاعة سيدنا النبي أن يجعلها ملك يمينه
بشرائها، ولكن الأهم من ذلك انتشار الإسلام بالألفة والمحبة.

إن وراء كل امرأة تزوجها النبي الكريم حكمة وتربية وهدفاً، وكلهن تزوجهن بعد
أن تجاوز عمره الشريف الخمسين سنة.

أيها الأعبة والصحب :

إن المستعرض لسيرة هذا النبي الكريم يجد أنه قضى شطر عمره في العزوبة مدة خمسة وعشرين عاماً، كان فيها مثلاً للفتوة الإنسانية العربية السليمة، ومتحلياً بأفضل صفات الفروسية والرجولة التي تفاخر بها العرب، ثم تزوج السيدة خديجة وبينه وبينها في السن خمس عشرة سنة لم يتزوج عليها أحداً مدى ثمان وعشرين سنة، بقى معها سعيداً لم يفكر بسواها، وحينما بلغ سن الخمسين انتقل إلى مرحلة ثالثة تزوج فيها السيدة سودة بنت زمعة وهي تكبره بالسن كثيراً. وكانت أرملة رجل من السابقين للإسلام الذين احتملوا في سبيله الأذى والذين هاجروا إلى الحبشة هرباً وفراراً بدينهم، وكانت سودة قد هاجرت مع زوجها ولقيت مع زوجها ما لقيت، فلما مات زوجها، ضمها رسول الله ﷺ إلى بيته لتربي أولاده الذين تيتموا بوفاء والدتهم السيدة خديجة رضي الله عنها.

وفي هذه الأثناء وفي مكة المكرمة نزل ملك من السماء ومعه قماشة حريرية عليها صورة فتاة وقال للنبي الكريم: هذه صورة إحدى زوجاتك في الدنيا والآخرة، فإذا هي صورة السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها (خ) .

أيها السادة :

ماهي أعظم مكافأة يقدمها صديق لصديقه ووزيره ومن فداه بنفسه وبماله؟ إن أعظم مكافأة له أن يصاهره على عادة العرب، لذلك وامثالاً لأمر الله تعالى خطب السيدة عائشة من أييها الصديق، وكافاً سيدنا عمر صاحبه ووزيره الثاني بزواجه من ابنته حفصه لما توفي زوجها، وكافاً سيدنا عثمان صاحبه الثالث بأن زوجه ابنته السيدة رقية، وصاهر سيدنا علياً مكافأة له أيضاً، فزوجه من السيدة فاطمة رضي الله عنها ، هؤلاء هم أخص أصحابه ﷺ .

وحين مات زوج السيدة حفصة بنت الفاروق عمر. جاء سيدنا عمر إلى أبي بكر طالباً منه أن يتزوج حفصة، فأبى الصديق، فعرضها سيدنا عمر على سيدنا عثمان فأبى هو الآخر، فذهب شاكياً إلى سيدنا النبي صاحبيه، فلما رأى النبي الكريم اهتمام سيدنا عمر بتزويج ابنته قال له:

- يتزوج عثمان من هو خير من حفصة، ويتزوج حفصة من هو خير من أبي بكر.

قال: من يا رسول الله؟. قال: أنا.

الله أكبر روعي فداك يا رسول الله، هكذا نطق قلب سيدنا عمر رضي الله عنه وقفز من فوره حينما علم بهذه البشارة.

يا أمة الحبيب الأعظم :

ألا ترون؟! لقد تزوجها من أجل خاطر سيدنا عمر ومكافأة له، ولقد اعترف الفاروق بهذا يوماً لابنته قائلاً: والله لولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ

فهو إذاً لثمتين أواصر الألفة والمحبة بين هذين الصاحبين الكريمين تزوج من سودة ليعلم المجاهدين المسلمين أنهم إذا استشهدوا في سبيل الله، فلن يتركوا وراءهم نسوة وذرية ضعافاً يخافون عليهم الفقر أو العيلة، ولقد شاهدنا ذلك في زواجه أيضاً من السيدة زينب بنت خزيمة التي كانت زوجة سيدنا عبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر فترملت زوجته، ولم تكن ذات جمال وإنما عرفت بطيبتها وإحسانها إلى الفقراء حتى لقبت بأُم المساكين، وكانت قد تحطت سن الشباب فلم يك إلا سنة أو سنتين بعد زواجهما حتى قبضها الله تعالى إليه.

ثم كانت السادسة التي دخلت بيت النبوة السيدة أم سلمة هند بنت حذيفة زوجة أبي سلمة المجاهد وهو أخو النبي الكريم من الرضاعة وابن عمته، الذي توفي على فراش موته متأثراً بجرح بليغ في أحد، ثم برأ ثم كان أميراً على سرية التي عقدها له رسول الله ﷺ وعاد منها ظافراً ثم مات على إثرها، وتذكرون أن النبي الكريم علم

السيدة أم سلمة كلمات نورانية لترددتها: اللهم أوجرني في مصيبي وعوضني خيراً منها.

فلما انتهت عدتها تقدم إليها النبي الكريم خاطباً لجبر خاطرها وإعالة أولادها فاعتذرت بكثرة العيال وأنها تخطت الشباب وأنها امرأة غيور، لكن السيد الأعظم قال لها:

- أما العيال فعلى الله، وأما الغيرة فأدعو الله تعالى أن يذهبها عنك.
هل ترون - أيها الاخوة - مدى عظمة هذا النبي الكريم، هكذا كان رسول الله نبياً ورسولاً وأباً لجميع المسلمين، لكل مسكين ومحروم وضعيف ويائس وعاجز، وأباً لكل من فقد أباه شهيداً في سبيل الله تعان.
أما السيدة زينب بنت جحش فإن زواجه منها يعدُّ من مفاخر السيد الأعظم، محاً الله به تقاليد الجاهلية وعاداتها، وأقر به تشريعاً جديداً أنزله الله تعالى هدى ورحمة للعالمين.

إذ أن السيدة زينب هي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، كانت صغيرة ربها رسول الله على عينه وبعنايته، وكانت بمقام البنت والأخت الصغرى له، شهدها تحبو من الطفولة إلى الصبا وإلى الشباب، وهو الذي أراد مكافأة زيد بن حارثة - ولده بالتبني - فزوجه إياها، رغم معارضة أخيها عبد الله لأنه ليس من عادة العرب أن يتزوج عبد من قرشية هاشمية شريفة، بل هو عار عند العرب.

أيها الاخوة:

إن نبينا الأعظم مشرّع حدثنا عن تشريعه ربّ العزة فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَىٰ﴾

إنه يضع تشريعاً جديداً اسمعوا التشريع وأنتم تصلّون عليه، إنه:

"لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".

"إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

لذلك أراد ربّ العزة بزواج النبي من السيدة زينب أن يلغي عادات جاهلية كانت عند العرب، كما شرّع تشريعات أخرى.

فأولاً : ألغى رب العزة التبني ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (ادعوهم لآبائهم).

ثانياً: ألغى منع الزوج من زوجة الابن المتبنى بعد طلاقها: (وما جل أدياكم أبناءكم) .

فلما تزوجها سيدنا زيد راحت السيدة زينب تتفاخر على زيد بنسبها وبأنها حرة شريفة لم يجر عليها رق، فاشتكى زيد لحضرة النبي على السيدة زينب وما تفعل به، والنبي يصبره عليها.

وأنزل ربّ العزة على نبيه وحياً بأن زيداً سوف يطلق زينب وتزوجها أنت. وخشي النبي الكريم أن تقول العرب: إنّ محمداً تزوج من زوجة ابنه بالتبني. ويأتي زيد ثانية وثالثة يشتكي من السيدة زينب والنبي الكريم يصبره عليها ويقول له:

– أمسك عليك زوجك واتق الله.

ولكن زيداً لم يحتمل فطلق زوجته السيدة زينب.

وهنا نزلت الآيات من قبل الحق عز وجل تعاتب النبي الكريم على فعله ذلك: ﴿ واذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه (من أنك ستزوج من زينب بعد تطليق زوجها لها) وتخشى الناس (أن تقول تزوج زوجة ابنه بالتبني) والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطراً (أي و طلقها) زوجها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾.

وبهذه الآية نتبين أن الذي زوج السيدة زينب من رسول الله ﷺ هو رب العزة (زوجناكها). وأنا أسأل من هو هذا الدّعي الكافر الذي يعترض على أوامر رب العالمين؟ لتسمع الدنيا إن مولانا يقول: (زوجناكها) صلوا على الحبيب الأعظم.

معشر السادة :

كل الزوجات اللواتي تزوجهن رسول الله ﷺ بعد السيدة خديجة وعددهن عشر نسوة، تزوجهن في عشر سنين، ما بين سن الخمسين إلى الستين، وكل واحدة تزوجها رسول الله ﷺ من قبيلة، لأنه أراد بهذا الزواج على عادة العرب أن يربط بالألفة والمصاهرة القبائل لكي تدخل في الإسلام أولاً، ولتدافع عنه ثانياً .

وإنني في هذا المقام أريد أن أصحح دعوى باطلة يروج لها المستشرقون، وهي أن النبي ﷺ تزوج أكثر من أربع بينما لم يسمح لغيره من المسلمين أن يتزوج أكثر من هذا العدد.

إننا إذا نظرنا في تاريخ التشريع الإسلامي وجدنا أن القرآن الذي أنزل على النبي الكريم وفيه قوله:

﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ .

إنّ هذه الآية قد نزلت في أواخر السنة الثامنة للهجرة بعد أن كان النبي الكريم قد بنى بأزواجه جميعاً وعددهن إحدى عشرة امرأة، نزلت هذه الآية لتحديد عدد الزوجات بأربع، وقد كان إلى حين نزولها لا حدّ له، وفي هذا رد على من يقول بأن النبي الكريم أباح لنفسه ما حرم على الناس.

ليسمع الأفّاكون الذين يروجون الأكاذيب لقد كان بوسع أي مسلم أن يتزوج أكثر من أربع خلال السنوات التي تزوج فيها رسول الله ﷺ نساءه، ثم نزل بعد ذلك التحديد بأربع، والنبي الكريم وحرصاً على أن يكون أسوة وقدوة فقد توقف عن التزوج بعد نزول هذه الآية، ولم يتزوج النبي الكريم أي امرأة بعد

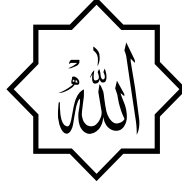
نزول هذه الآية.

﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ﴾.

أيها الاخوة:

أردت من ذكر تاريخ بعض زوجات سيدنا النبي أن أستعرض طرفاً من حياته الخاصة في بيته، فكيف كان سيدنا النبي في بيته؟ كيف كانت أخلاقه مع زوجاته، هل كان عظيماً داخل بيوتات أمهات المؤمنين كما هو عظيم خارج هذه البيوتات وكما هو مع صحابته الكرام؟.

أعلق الإجابة عن هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة بإذن الله، لأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله هي الصلاة والسلام عليك.



(٦٣)

الحكمة من تعدد زوجات سيدنا النبي ﷺ وذكر أخلاقه مههن ﷺ

الحمد لله الذي فضل نبينا ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين، وفضل أمته على جميع الأمم السابقين واللاحقين، ورفع نساء النبي على نساء العالمين، وأنزل فيهن مدحاً يتلى إلى يوم الدين: ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولمط الصايغ.
وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد العالمين القائل:

"أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم (امرأة فرعون)".

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته البررة المتقين، وسلم تسليمًا.
أما بعد: فيا أيها الاخوة:

خاض العابثون الحاقدون على هذا الدين بتمويه الحقائق لتشويه الإسلام، وبالطعن على رسول الله ﷺ بسبب تعدد زوجاته. وهذه عادة اليهود والنصارى، الذين يفترون الكذب والبهتان بقولهم: (إن هذا التعدد ليس إلا لقوته الجنسية وحبّه للشهوة واللذة والمتعة النفسية".

وهذا أسلوب يقلب الحقائق إلى أباطيل مع أنبائها وخاصة الذين يدعون بالثقافة الأوروبية يصدّقون هذه الآراء، حتى إن أحدهم وهو من المسلمين يقول بحق تعدد الزوجات: (بديهي أن تعدد الزوجات احتقار شديد للمرأة) .

ولو علم هذا الأفاك أن كلامه يعارض نص القرآن الكريم، وفيه اتهام لرب العزة أنه لا يعلم ما فيه مصلحة العباد والبلاد، ولو أنه قصد هذا لكفر، والعياذ بالله تعالى.

أيها الاخوة: ما أنصف هذا المتجرىء على حدود الله وأحكامه:
لأن تعدد الزوجات نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على الإسلام، لأن بيوتات أمهات المؤمنين تحولت إلى مدارس للمؤمنين والمؤمنات بعد وفاة سيدنا النبي ، بل وفي أثناء حياته وإليكم الدليل:

يروى الإمامان البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها: "أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمرها أن تغتسل، ثم قال: خذي فرصة (قطعة قطن أو خرقة) من مسك فتطهري بها.

قالت الأنصارية: وكيف أتطهر بها؟ قال رسول الله ﷺ : تطهري بها !! .
قالت: كيف؟. قال: سبحان الله تطهري ! . قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: فاجتذبتها إلي وقلت: تتبعي بها أثر الدم ."

فاستحى رسول الله ﷺ أن يصرح لها بموضع القطنة المطيبة وهو المكان الذي كان يخرج منه دم الحيض فأفهمتها السيدة عائشة ذلك.

أيها السادة : هل يكفي النساء الصحابيات أن تعلمهن امرأة واحدة، أو أربعاً أو خمساً أو عشرأ.

إن أمهات المؤمنين كن يعلمن الأحكام الشرعية للصحابيات كأحكام الزواج والحيض والنفاس وقضايا الجناية والطهارة.

وقد تجرأ أحد من المنافقين أن يقول كلاماً ما أنزل الله به من سلطان على حضرة النبي فقال:

كيف يحرم رسول الله ﷺ على أصحابه أن يتزوجوا أكثر من أربع زوجات، ثم يتزوج هو أكثر من أربع؟

هذا هو نص السؤال، أما الإجابة عنه فنقول: إن هذا الكلام لا يجوز أن يقال، والذي يقول هذا الكلام غبي أو معاند. لأننا يجب أن ندرس التشريع الإسلامي قبل أن نسأل هذا السؤال، يجب أن ندرس تاريخ الأحكام الشرعية، لأن هذا الدين ديننا، نزل علينا لأجلنا.

إخوة الإيمان :

وتاريخ التشريع الإسلامي يقول لنا:

إن تحريم التزوج بأكثر من أربع جاء في أواخر السنة الثامنة للهجرة، يعني أنه كان باستطاعة أي مسلم أن يتزوج ما شاء من الزوجات قبل السنة الثامنة للهجرة أي فترة / ٢١ / سنة منذ بعثة نبينا ﷺ ، وكل الزوجات اللواتي تزوجهن رسول الله ﷺ وعددهن إحدى عشرة زوجة وأربع جوار تزوجهن قبل نزول عدد الزوجات، وبعدها نزلت الآية القرآنية لتحديد عدد الزوجات لجميع المسلمين: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ .

وهذا العدد خاص بالمسلمين لا بالنبي ﷺ ومع ذلك لم يتزوج رسول الله ﷺ بعد هذه الآية أية امرأة. وكان قد بلغ الستين من عمره.

أيها الأحبة والصحب :

إن المبغضين للإسلام ولنبي الإسلام ينسون أو يتناسون أن تعدد الزوجات ليس تشريعاً جديداً انفرد به الإسلام، بل هو قديم، وقدم التاريخ، إنه من زمن سيدنا سليمان وأبيه سيدنا داود، حيث أن سيدنا داود كان له مئة زوجة، وكان لنبي الله ﷺ سليمان كما جاء في التوراة سبعمئة زوجة من الحرائر وثلاثمئة من الجواري، وبقي الأمر هكذا لا تحديد في عدد الزوجات إلى زمن نزول هذه الآية الكريمة، وكان المسلمون يتزوجون عشرة نسوة أو أكثر أو أقل، فهذا غيلان الصحابي حين أسلم كان تحته عشر نسوة.

فهو إذاً نظام قائم وموجود منذ العصور القديمة، ولكنه كان فوضى فظمه الإسلام، وكان تابعاً للهوى وللاستمتاع بالذائد فجعله سبيلاً للحياة الفاضلة الكريمة.

إخوتي في الله : إن إباحة تعدد الزوجات مفخرة من مفاخر الإسلام لأنه استطاع أن يحل مشكلة عويصة من أعقد المشاكل وهي عدم التوازن بين الرجال والنساء، وإن نبينا الأعظم ﷺ حدث أنّ من أمارات الساعة كثرة النساء وقلة الرجال، فإذا كان كذلك فماذا نصنع حين يختلّ التوازن ويصبح عدد النساء أضعاف أعداد الرجال؟!

أتحرم المرأة من نعمة الزوجية ونعمة الأمومة ونتركها تسلك طريق الفاحشة والرذيلة كما حصل في أوروبا؟!، أم نحل المشكلة بطرق شريفة فاضلة نصون فيها كرامة المرأة وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع؟ أيهما أكرم وأفضل لدى العاقل أن ترتبط المرأة برباط مقدس تنضم فيه مع المرأة امرأة أخرى تحت حماية رجل بطريق شرعي شريف ، أم نجعلها خدينة وعشيقة لذلك الرجل وتكون العلاقة بينهما علاقة إثم وإجرام؟.

أيها السادة :

إن أماننا حلاً من حلول ثلاثة:

الحل الأول: أن يتزوج كل رجل امرأة، وتبقى اثنتان لا تعرفان في حياتهما رجلاً، ولا بيتاً ولا طفلاً ولا أسرة.

والحل الثاني : أن يتزوج كل رجل امرأة، فيعاشرها معاشرة زوجية، وأن يتخذ عشيقات لتعرف كل واحدة منهن رجلاً دون أن تعرف البيت أو الطفل، فإذا عرفت الطفل عرفته عن طريق الجريمة، وحملته ذلك العار والضياع.

والحل الثالث: أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة، فيرفعها إلى شرف الزوجية وأمان البيت، وضمانة الأسرة، ويرفع ضميره عن لوثة الجريمة، وقلق الاثم، وعذاب الضمير، ويرفع المجتمع عن لوثة الفوضى واختلاط الأنساب وفاحشة الزنا والعياذ بالله.

معشر السادة :

أنشدكم الله تعالى أي الحلول أليق بالإنسانية، وأحق بالرجولة، وأكرم للمرأة ذاتها وأنفع؟

أليس هو الحل الثالث؟ وهذا هو الذي قرره رب العزة ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ .

أيها الاخوة: إن ربنا جل جلاله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه، والذي هو أعلم بمن خلق قد قرر هذا القرار الأزلي الأبدي بشروطه التي ذكرها عند التعدد على لسان نبيه ﷺ وهي: النفقة والبيتوتة.

فإن لم يمكن للرجل أن يساوي بين زوجاته بالنفقة عليهن بالتساوي وأن يبيت عند كل واحدة بدورها، فهو آثم مرتكب للكبائر، إن لم يسامحه على عدم العدل بينهن لذلك ورد في الحديث الشريف:

"من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه مائل " (أي مشلول) أو كما قال والعياذ بالله تعالى.

ولهذا يقول رب العزة: ﴿ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾

أي لوجود حب القلب وميله لإحدى نسائه، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يدعو ربه تعالى: " اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك ".

يا أحباب رسول الله ﷺ : كانت حياة السيد الأعظم مع زوجاته حياة تقشف وإيثار وقناعة لا يطيقها كبار الزهاد في القديم والحديث، حتى إنه كان يمضي الشهر والشهران لا يوقد نار في بيت رسول الله ﷺ ، وما كان غذاؤه مع نسائه إلا الأسودان التمر والماء، حتى إن بعض زوجاته اجتمعن معه في مجلس واحد وراحت كل واحدة منهن تتذمر من هذه الحياة، وتسأله التوسع في المعيشة والنفقة ، فإذا بالآيات القرآنية تنزل تترى لتدافع عن الحبيب الأعظم : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً، وإن

كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً .

فاخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله عنهن .
إذا التذمر لم يكن من أخلاق سيدنا النبي ﷺ ، فلم يكن كما يفعل الناس اليوم -
يدخل عابساً ويخرج غاضباً، بل كان عادلاً في النفقة والبيتوتة، وكان إذا بات عند
واحدة في غير ليلتها يدور على نسائه جميعاً .

وكان في منزله بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، تقول عنه
السيدة عائشة أم المؤمنين: كان ألين الناس وأكرم الناس وكان ضحاكاً بساماً. يقول
عنه سيدنا أنس: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله، ويقول عنه أصحابه:
"ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه. وما ضرب بيده خادمًا قط
ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما خير بين أمرين إلا
اختر أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه،).

إنه قال عنه البوصيري:

محمد سيد الكونين والثقلين	خير الفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم وفي كرم
فهو الذي تم معناه وصورته	ثم اجتباه حبيباً بارئ النسم
لا طيب يعدل ترباً ضمَّ أعظمه	طوبى لمن تشق منه وملثم



(٦٤)

حديث الإفك

الحمد لله الذي يدافع عن أوليائه المتقين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين.
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته الغر الميامين، وسلم تسليماً.
أما بعد: فيا معشر السادة الكرام :

إن هذه الدار دار امتحان وبلاء يبتلى فيها المؤمن حسب دينه ، وقد شاء المولى عز وجل أن تمتحن أم المؤمنين السيدة عائشة في السنة الخامسة للهجرة بحديث أهل الإفك بالزور والبهتان ، أثناء عودة سيدنا النبي من غزوة بنى المصطلق.

وقد وردت الأحاديث الثابتة الصحيحة في تبيان هذه القصة، منها ما رواه الإمام أحمد رضي الله عنه، ذكر أن السيدة عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أفرع بين نسائه فأيتهاً خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.
تقول السيدة عائشة:

فأفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، وخرجت معه، فلما قفل، أي انتهى من الغزوة ونصره الله، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش (لقضاء الحاجة) فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه،

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعير لي الذي كنت أركب، وهم يحسبون أنني فيه.

تقول السيدة عائشة: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشّيهن اللحم، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن.

فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمرّ الجيش فجئت منازلهم ليس بها داع ولا مجيب، فيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فنمت. وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأدبج، (وكان سبب تأخره أنه كان إذا رحل الناس في الغزوات قام يصلي ثم تبعهم، فما سقط منهم شيء إلا حمله حتى يأتي به أصحابه)، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأي، وكان قد رأي قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجهي بجلباي، تقول السيدة عائشة:

- والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدها نزل موغرين في نحر الظهرية. وراح الناس ومنهم زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول يثيرون الفتنة بين المسلمين وأن بين أم المؤمنين السيدة عائشة وصفوان بن معطل علاقة محرّمة والعياذ بالله تعالى. ومرضت السيدة عائشة شهراً، ومكثت في بيتها والناس يتكلمون بحديث الإفك وهي لاتشعر بشيء من ذلك.

وكان النبي الكريم يدخل عليها فيسلم عليها فقط ثم يخرج. وما إن شفيت السيدة عائشة وخرجت إلى قضاء الحاجة، (وكانوا يخرجون في الليل لقضاء حاجاتهم) فانطلقت مع أم مسطح فتعثرت في طريقها فقالت أم

مسطح: تعس مسطح. فقالت لها السيدة عائشة: بئسما قلت، تسبين رجلاً شهد بداراً.

فقالت مجيبة:- ألم تسمعي بخبر أهل الإفك، وأخبرتها وأن ابنها مسطح ممن يقول قَوْلهم.

فاشتدت وطأة المرض أكثر على السيدة عائشة ، واستأذنت السيد الأعظم في الذهاب إلى أبويها فأذن لها، واستفسرت من أبويها فعرفت أنهما على علم فراحت تبكي ليلة كاملة لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم.

تقول السيدة عائشة: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، فقال سيدنا أسامة : يا رسول الله ﷺ أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله ﷺ لم يضيق الله ﷻ عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريدة فسألها فقالت:- والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمطه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. وتمضي الأيام والامتحان يشتد على أم المؤمنين.

وأما عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وحسان بن ثابت فراحوا يروجون لهذه الإشاعة.

وأما أم المؤمنين فيظن أبواها أن البكاء سوف يقضي عليها، حتى دخل عليهم رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت:

- فشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ﷻ، وإن كنت بآثمة فاستغفري وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله ﷻ عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلصَ دمعِي حتى ما أحسن منه قطرة، فقلت لأبي وأمي:

- أجيبا عني رسول الله .
فقال سيدنا الصديق: والله ما أدري ما أقول لرسول الله . وقالت أمها السيدة
أم رومان: مثل مقالة الصديق.

وهنا- أيها الاخوة- قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

- والله لقد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم
به، فلئن قلت: إني بريئة، والله يعلم أي منه بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت
بأمر- والله يعلم أي منه بريئة - لتصدقني ، فو الله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما
قال أبو يوسف : ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ . قالت: ثم
تحولت فاضطجعت على فراشي.

تقول السيدة عائشة:- والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى،
ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر. قالت:

- فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل
الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي. قالت:

- فسري عن رسول الله وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال:

- أبشري يا عائشة! أما الله فقد برأك.

فقال لها أمها: قومي إليه.

فقال السيدة عائشة: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، هو الذي
أنزل براءتي، وأنزل الله عز وجل:

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل
أمرئ منهم ما اكتسب من الإثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ .

﴿لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم

الكاذبون﴾ .

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمستم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ (النور ١١ . ١٤)

معشر السادة : هذه هي آيات براءة السيدة عائشة مما نسب إليها، والذي برأها ودافع عنها هو الله جلّ في علاه. ولهذا أجمع العلماء رحمهم الله تعالى قاطبة على أن من سبّ السيدة عائشة ورمأها والعياذ بالله بعد هذا الذي ذكره رب العزة فإنه كافر لأنه معاند للقرآن مكذب لكلام الله ، وفي ولأنّ قذف أمهات المؤمنين طعن في رسول الله وجرح لمكانته وجاهه، ومن استباح الطعن في عرض رسول الله فهو كافر مرتد عن الإسلام. أما من لم يستبح الطعن في عرض رسول الله كحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمّة بنت جحش فإن الظاهر أنهم لم يكونوا مستحلين ولا قاصدين الطعن بسيد المرسلين، وإنما قالوا ما قالوا تقليداً، ومع ذلك جيء بهم جميعاً فجلدوا ثمانين جلدة حد القذف لقوله تعالى: ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ (النور ٤ . ٥) .

وأما الذي يقصد الطعن على أم المؤمنين لينال من سيدنا محمد ﷺ فهو كافر بلا تردد: يقول تعالى: ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً ﴾ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك ياسيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه وسلم

(٦٥)

غزوة الأحزاب أو الخندق

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ليظهره على الدّين كله ولو كره الكافرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليفه صاحب المعجزات التي بطول الزمان ذكرها ينشر.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم المحشر. وسلم تسليماً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

رغم أن سيدنا النبي قد أجلي عن الجزيرة بني قينقاع وبني النضير وكانت هذه العملية ضربة قاصمة لليهود، رغم ذلك لم تهدأ ثائرة بقية اليهود في المدينة، بل إنهم جمعوا أنفسهم وقدموا على قريش وغطفان وراحوا يحرضونهم على قتال السيد الأعظم ويزينون لقريش بأن الوثنية وعبادة الأصنام خير من دين سيدنا محمد ﷺ إلى أن أخذوا منهم وعداً بمحاربة المسلمين.

وبلغ رسول الله ما فعل هؤلاء الأحزاب، فجمع أصحابه واستشارهم فأشار عليه سيدنا سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة، فأعجب رسول الله الرأي، وخاصة بعد أن علم أن عدد الأحزاب بلغ أربعة وعشرين ألف مقاتل، وأنّ عدد المسلمين لا يتجاوز الثلاثة آلاف.

وراح المسلمون وعلى رأسهم السيد الأعظم يحفرون الخندق.

أيها السادة : إن الحبيب الأعظم ﷺ شارك في حفر الخندق مشاركة فعلية حتى أصبح ثوبه وقد اكتسى بالتراب والغبار، ليسمع ذلك العالم أجمع إنَّ رسول الله ﷺ لم يدشن حفر الخندق بضربة معول، ثم أدار ظهره للصحابة ليتابعوا هم الحفر، بل راح معهم يداً بيد يهيئون للحرب، لم ، لأن الإسلام دين العدالة والمساواة والألفة والمحبة والتعاون .

إخوتي في الله :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى شمال غرب المدينة المنورة، والصحابة رضي الله عنهم يحفرون الخندق كل عشرة منهم يحفرون أربعين ذراعاً، وها هو الخندق قد بلغ طوله خمسة آلاف ذراع وعمقه سبعة إلى عشرة أذرع، والعرض من تسعة إلى ما فوقها. يقول البراء رضي الله عنه:

. لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر.

ورغم شدة البرد وقلة الطعام نرى الأنصار والمهاجرين ينقلون التراب ويحفرون الخندق بحمة وعزيمة وهم يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً.

فكان السيد الأعظم ﷺ يجيهم:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة.

يقول أبو طلحة عن يوم الخندق:

شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين.

ورأى سيدنا جابر هذا المشهد، فأسرع إلى بيته وأخبر زوجته وطلب منها طحن الشعير وذبح عنزة صغيرة كانت عنده لطبخها ثم جاء سيدنا جابر إلى حضرة النبي

الكريم ليدعوه إلى هذا الطعام القليل، فإذا بالنبي الكريم ينادي المهاجرين والأنصار ويدعوهم إلى مائدة سيدنا جابر.

وأسرع سيدنا جابر إلى امرأته فقال لها: ويحك جاء النبي بالمهاجرين والأنصار ومن معهم.

فدخل رسول الله ﷺ وغطى اللحم والتنور، ونادى أصحابه وراحوا يدخلون وهو يأخذ من اللحم والتنور ويقدم لهم ، وبعد أن أكل أهل الخندق جميعا بقي من الطعام بقية، فقال سيدنا النبي لجابر وزوجته: كلوا من هذا واهدوا منه فإن الناس أصابتهم مجاعة. وراح المسلمون يتابعون الحفر في هذا البرد القارس .

وفي خضم هذا الحدث الرهيب ظهرت بوادر عزّ المسلمين ونصرهم " إذ أنه عرض للمسلمين في الخندق صخرة عظيمة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوا ذلك إلى القائد الأعظم ﷺ فأخذ المعول وقال: بسم الله ﷻ وضرب ضربة فكسر ثلثها، وكبر رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، ثم ضرب ثانية فكسر ثلثها الثاني وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله ﷻ إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ثالثة فقطع بقيتها وكبر وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله ﷻ إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة.

أيها الأحبة والصحب: وقدمت قريش وأحزابها، أربعة وعشرون ألف مقاتل يقودهم زعيم مكة أبو سيفان بن حرب ، وكان السيد الأعظم وصحبه على أتم الاستعداد لملاقاتهم، فرأوا الخندق ولم يستطيعوا تجاوزه لما رأوا عرضه حوالي عشرة أذرع، فقرروا محاصرة المدينة المنورة، وزاد من بلاء المسلمين أن يهود بني قريظة نقضت عهدها مع النبي وانضمت لقريش، وراح بعض المنافقين يتركون مواقعهم عائدين إلى بيوتهم بأعذار واهية **﴿يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾**

وبعد طول حصار حاول بعض الكفار أن يقتحموا الخندق، ولكن المسلمين تصدوا لهم وقضوا على شوكتهم ، واشتدَّ البلاء والامتحان على المسلمين حتى قال أحد الصحابة لنبينا عليه الصلاة والسلام:

- يا رسول الله قد بلغت القلوب الحناجر فماذا نقول؟.

فقال له عليه الصلاة والسلام:- "قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا".

وأُنزل الله تعالى وصفاً لحال الصحابة رضي الله عنهم:

﴿ إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ .

ومن شدة ما ألمَّ بالصحابة من البلاء فاتت النبي وصحبه صلاة العصر في هذه الموقعة لانشغالهم بأمور المعركة، فصلاها رسول الله ﷺ قضاءً بعد المغرب ثم قال: "ملاً الله قبورهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطى".

وهذا دليل على أنه يجب قضاء الصلاة إذا تركت عمداً أو سهواً، نوماً أو إهمالاً، وأنه لا يجوز تركها، وقد فضل الفقهاء حالات القضاء وهي بمجمل المذاهب ثلاثة أقوال:

١- أنه يقضي مع كل صلاة صلاتين.

٢- أو أن يقضي مع كل صلاة خمس صلوات.

٣- أن يقضي في كل يوم مدة ساعتين من الصلوات التي تركها.

أما رسول الله ﷺ فإنه في هذه الموقعة راح يدعو ربنا عز وجل في هذا الحصار الذي رافقه برد وجوع شديدين. بل إن الصحابة من شدة البرد والخوف كانوا لا يستطيعون أن يغادروا أماكنهم لقضاء الحاجة، فإذا بحضرة النبي ﷺ يجمع أصحابه فيقول لهم:

- ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟.

فسكت القوم ولم يجبه أحد، فكررها رسول الله ﷺ ثلاثاً، فلم يقم أحد.

وكان من الصحابة رجل جليل يدعى حذيفة بن اليمان، وترتجف قدماه من البرد الشديد، فناده رسول الله ﷺ .

يقول حذيفة:- ما إن دعاني رسول الله ﷺ حتى شعرت كأني في حمام (أي ذهب عنه البرد)، فأمره رسول الله ﷺ أن يأتي الأحزاب فيعرف ماذا يكيدون. فذهب سيدنا حذيفة فشاهد القوم وهم يصطلون من شدة البرد، فعاد وأخبر السيد الأعظم.

وجاء نعيم بن مسعود الغطفاني مسلماً، وعرض على النبي الكريم تنفيذ أي أمر يريده. فقال له ﷺ :

- إنما أنت رجل واحد فينا، ولكن خذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

وقام رسول الله ﷺ مع صحابته يدعون الله على الأحزاب:

اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم.

وجاء نعيم بن مسعود يجرى القبائل على بعضها لأخذ رهائن قبل بدء المعركة، ويخوفهم من انتقام سيدنا محمد ﷺ إن هم ولوا الأدبار فخرج إلى قريش وأخبرهم بأن اليهود قد ندموا على نقضهم العهد وأنهم سوف يطلبون منهم رهائن من أشrafهم يسلمونهم إلى سيدنا محمد ﷺ ليضرب أعناقهم، وذهب إلى قبائل اليهود فقال مثل مقالته عن قريش .

وأرسل الله ﷻ رجلاً هوجاء مخيفة على الأحزاب جعلت تطرح القدور والخيـم، وقام أبو سفيان يأمر الأحزاب ببدء الحرب، فرفضت اليهود حتى يسلمهم رجالاً من أشrafهم أماناً للعهد، وهنا أدرك أبو سفيان صدق ما قاله نعيم بن مسعود، فطلب هو منهم رهائن، وقامت الوقعة بينهم، وأرسل الله ﷻ رجلاً صرصراً عاتية اقتلعت الخيام والقدور، فلما رأى ذلك أبو سفيان أمر قريشاً بالرحيل، وعادت كل قبيلة من القبائل إلى وطنها:

﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ الأحزاب .

وعاد نعيم بن مسعود ليخبر النبي الأعظم، وفي أثناء عودته لقي فوارس يرتدون العمام البيضاء، فإذا بقائدهم يتقدم إلى نعيم ويقول له:

- قل لصاحبك إن الله تعالى قد كفاه الأحزاب.

وقدم نعيم بالبخارة على رسول الله وأخبره الخبر، فقال ﷺ :

- ذلك جبريل، نزل بجنود من الملائكة، لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم ، وصدق الله العظيم.

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾.

فاللهم كما نصرت نبيك على الأحزاب فانصرونا على أعداء الدين ، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم يا قوي يا متين.

وإلى أن يأذن الله بميلاد فجر جديد لهذه الأمة أعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم وتحييتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليكم .

صلوات
عليه
وسلم



(٦٦)

غزوة بني قريظة

الحمد لله مُسَهِّل ما صَعُب من الأمور الكائنات، فاتح فاتحة الفتوح الميسّرات ،
المتقدّس عن الحدث والنقصان والآفات، المستحقّ لكمال النعوت والصفات،
المُسَبِّح بصنوف اللغات، المحمود على جميع الأفعال والحالات.

أحمدته على ترادف نعمه السابغات، حمداً دائماً على ممر الأوقات والساعات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة عن الشبهات.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً
عبده ورسوله استخرجه من أشرف الآباء والأمّهات، وابتعثه بالمعجزات البالغات،
والآيات والحجج الواضحات، وختم به النبوة والرسالات.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبات الطاهرات. وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد كانت غزوة الأحزاب نصراً لدين الله ونبيه، كانت معركة أعصاب لا معركة
سيوف ورماح، كانت امتحاناً لعزائم الصحابة واختباراً لقلوبهم، وحينما أظهر
المسلمون الصديق مع الله ورسوله رأوا الفرج ينبثق من وراء هذه الشدّة.

لكن الذي أقلق مضاجعهم غدُرُ بني قريظة أثناء الحصار التي ضربته الأحزاب
حول المدينة، لأنهم يعرفون مداخل ومخارج المدينة، فكأن العدو قد باغتهم من خارج
المدينة وداخلها، فكاد هذا أن يحدث في صفوف المسلمين خلخلة واضطراباً، لولا
حكمة النبي ﷺ إذ أنه بعث رجلاً يستفسر إن كانت يهود بني قريظة قد غدروا أم
لا؟ وأمره أن يحدثه بالإشارة لا بالعبارة. فلما عاد الصحابي قال له:

. عضل والقارة. أي أنهم غدروا كما غدر بأصحابنا عضل والقارة.

وهنا قال النبي مشجعاً صحابته ومتفائلاً: أبشروا بالنصر من الله تعالى .
وأصيب قي هذه الغزوة سيدنا سعد بن معاذ سيد الأوس، وسأل الله تعالى أن
يحياه حتى يرى انتقام الله في بني قريظة.
وما أن انتهت الغزوة بالمعجزة الربانية التي أرسلها على الأحزاب، حتى جاء
سيدنا جبريل إلى حضرة النبي ﷺ فقال له:
. أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟.
قال: نعم.

قال سيدنا جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، إن الله عز وجل يأمرك
بالمسير إلى بني قريظة فأني عامد إليهم فمزلزل بهم.
فبعث رسول الله سيدنا بلالاً ينادي في الناس:
. من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة.

وبادر المسلمون إلى تلبية النداء، فلم تأت صلاة العشاء حتى كان المسلمون
جميعاً قد اجتمعوا عند حصون بني قريظة بكامل عدّتهم وعددهم: ثلاثة آلاف راجل
وستة وثلاثون فارساً، ورفضت بنو قريظة أن تنزل تحت حكم رسول الله ﷺ ،
فتحصّنوا بحصونهم خمسة وعشرين ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب فطلبوا من
النبي الكريم أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم وما حملت الإبل كما فعل بني النضير، فأبى
عليهم ذلك، ثم طلبوا أن يخرجوا بلا مال ولا سلاح، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن
ينزلوا على حكمه. فأمرهم زعيمهم أن يدخلوا في الإسلام، ودكّرهم بما عندهم من
العلم بنبوة سيدنا محمد ﷺ فلم يقبلوا.

فلما اشتدّ عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وهنا قدمت الأوس
وقالوا: إنهم مواليّنا.

فقال رسول الله ﷺ: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجال منكم. قالوا: - بلى. قال رسول الله ﷺ: فذاك إلى سعد بن معاذ. فأرسل إليه. فلما قدم قال سيدنا رسول الله ﷺ للأوس: - قوموا إلى سيدكم.

هل ترون . أيها الاخوة . عظمة نبينا ﷺ إنه يعلمنا أن نحترم علماءنا والصالحين بالقيام إليهم، رغم أن النبي ﷺ نهاهم مرة أن يقوموا له عندما دخل، ولكن سيدنا حسان بن ثابت بعد أن خرج رسول الله ﷺ من مجلسهم رفع سيفه عليهم وقال للصحابة: إن دخل النبي ولم تقوموا له علوتكم بسيوفي هذا.

فقالوا: - ألم تسمع ما أمرنا به رسول الله ﷺ. فقال لهم: دعوه لي. فإذا بالنبي الكريم يدخل فيقوموا له، فقال لهم: - ألم أحكم عن القيام؟. فالتفت الصحابة إلى سيدنا حسان وقالوا له: أجب عنا رسول الله ﷺ. فقال سيدنا حسان للنبي ﷺ:

قيامي للحبيب عليّ فرض وترك الفرض أنى يستقيم
عجبت لمن له عقل ولب يرى هذا الجمال ولا يقوم

فتبسّم رسول الله ﷺ وأقره على فعله.
إخوة الإيمان :

واسمعوا إلى قول سيدنا النبي للأوس: قوموا إلى سيدكم (سيدكم). الغريب أن بعض الناس عندما يذكرون الملوك والرؤساء والأمراء يقولون السيد فلان، سيادة فلان ، جلالة فلان، وعندما يذكرون اسم السيد الأعظم ﷺ تراهم يقولون محمد هكذا بتجريده عن السيادة، النبي يعلمنا الأدب ويقول عن سيدنا سعد إنه سيد، فمن هو أعظم سيدنا محمد ﷺ أم سيدنا سعد، من هو أعظم الملوك والأمراء والرؤساء أم سيدنا محمد؟ لذلك إذا ذكرت سيدنا محمداً ، عليك أدباً

وتوقيراً وتعظيماً واحتراماً أن تقول: سيدنا، وهذا التوقير والاحترام في كتاب الله عز وجل أيضاً في موضعين اسمع إلى الموضوع الأول :

﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾ أي تنصروه وتعظموه، ويقول في آية أخرى: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواراً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

أي أنك إذا كنت تنادي صديقك أو أخاك يا أبا فلان، فلا تنادي رسول الله أبا القاسم بل تناديه وتقول: يا سيدي يا أبا القاسم، يا سيدي يا رسول الله، وإذا كنت تنادي صديقك يا فلان، فلا تنادي السيد الأعظم إلا بسيدنا محمد، هذا هو الأدب، وكل شخص يتخلّى عن هذا الأدب عمداً نواياً إهانة النبي الكريم بمناداته باسمه المفرد المجرد عن السيادة قال عنه رب العزة: إنه محبط لثواب الأعمال ﴿ أن تحبط أعمالكم ﴾ .

الموضوع الثاني : في قوله تعالى عن سيدنا يحيى ﴿ سيداً وحسوراً نبياً من الصالحين ﴾ وكلنا درسنا في العقيدة : وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فملاً عن الشقاق. فإذا قال رب العزة عن سيدنا يحيى إنه سيد ، ونبينا أفضل منه فهو من باب أولى أن يلقب بالسيد.

وهذا ليس خاصاً بالنبي الكريم بل وبورثته أعني العلماء، لا نناديهم بأسمائهم المجردة ولا بألقابهم (أبو فلان) لأنهم ورثة النبي ﷺ لذلك قال للأوس يعلمهم احترام سيدهم: قوموا إلى سيدكم.

فلما قام الأوس إليه ذكروه العهد والولاء الذي بينهم وبين اليهود، فلما جلس وأمره رسول الله ﷺ بالتحكيم، قال سيدنا سعد: أحكم فيهم:

« أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال، وتسبي الذراري والنساء » ،

وهذا - أيها الاخوة- جزاء الغدر والخيانة، وكلّ شخص مهما كان مسلماً أو كافراً .

- يخون الله ورسوله ويغدر بالإسلام جزاؤه القتل ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ .
وهنا قال رسول الله: لقد حكمت فيهم بحكم الله.

وجيء برجال بني قريظة فحفر لهم الخندق ثم ضربت أعناقهم ودفنوا في الخندق، وسييت الذرية والنساء وقسمت أموالهم بين المقاتلين، وأرسلت طائفة من السبايا إلى نجد فاشتري بها خيلاً وسلاحاً لتقوية المسلمين، ووقع في سهم رسول الله سبية تدعى ربحانة، عرّض عليها رسول الله الإسلام وأسلمت، وأصرّت أن تبقى ملك يمين فلم يعتقها رسول الله حتى ماتت.

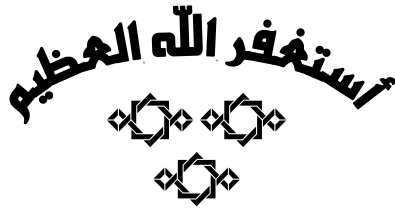
إخوتي في الله :

كانت هذه العقوبة الصارمة درساً للعابثين بالعهود والمخالفين ونكالاً بها، وكان هذا آخر حصن من حصون اليهود في المدينة، وحفّت بعد ذلك صوت المنافقين، فلم يعد يسمع لهم أعمال أو أقوال تناقض إرادة النبي وأصحابه الكرام .

وما هو إلا أن نقذ حكم سيدنا سعد بن معاذ في اليهود حتى رفع يديه داعياً الله تعالى وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي من أن أجاهدكم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهم فإن بقي في حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدكم فيك، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدكم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجر الدم حتى سال من خيمة سعد ومات على أثره رضي الله عنه.

معشر الإخوة : كان دعاء سيدنا سعد صادقاً مخلصاً من قلبه لذلك استجاب الله له مباشرة، فيا ترى هل نحن ندعوه صادقين مخلصين، من أجل أن يسقي البلاد والعباد، ومن أجل أن ينصرنا الله في أماكن يقتل فيه المسلمون ويُذبحون على ملاء من العالم في البوسنة والهرسك وجورجيا والقوقاز؟! .

الحقيقة- أيها الأحبة - أنه يجب علينا أن نخلص بالدعاء إلى الله تعالى، وأن نصدق معه في توبتنا إليه لعله أن يفرج عن المسلمين ويغيثهم بالمطر والغيث والنصر، فلتتوجه إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة من قلب مخلص، واستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.



(٦٧)

صلح الحديبية وبيعة الرضوان

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي ذلّ كل شيء لعزته،
والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا راد لحكمه وإرادته.
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده
ورسوله سيد السادات الذي أكرمنا الله تعالى باتباعه ومحبه.
اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته، وسلم تسليماً.
أما بعد : فيا أيها الإخوة :

انقضت ست سنوات منذ هجرة سيدنا النبي ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة
المنورة، والإسلام يزداد انتشاراً وقوة ومنعة، رغم الجهاد المستمر للنبي الكريم مع أعداء
الإسلام كفار قريش وما حولهم.

وكان المسلمون قد بدّلوا قبلتهم من بيت المقدس إلى المسجد الحرام الذي كانت
العرب معتادة على حجه كلّ عام في الأشهر الحرم ، فمن دخله كان آمناً، وأما
قريش فكانت تمنع المسلمين عن دخول مكة، ويصدّونهم عن المسجد الحرام وقد بلغ
بهم الشوق مبلغه للطواف في البيت العتيق، وخاصة المهاجرين الذين اعتادوا كلّ
حين الطواف حوله، وقد صور مولانا عز وجل ذلك في كتابه الكريم فقال:

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ،
إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وكان سبب منع قريش المسلمين من الطواف بالبيت خوفهم الشديد إن جاء المؤمنون بالله وهم من صميم أهل مكة أن يتعلّق بهم أهل مكة فتثور حرب بين أهالي المسلمين وبين كفّار قريش.

وفي غمرة هذا الانقطاع عن الطواف بالبيت يبرق الأمل من جديد، إذ بوجه الحبيب الأعظم يطلّ على أصحابه ذات صباح فينبئهم بأنّه رأى في المنام- ورؤيا الأنبياء حق وصدق- أنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون.

وهنا تعالت أصوات الصحابة بالحمد له تعالى، وانتقلت رؤياه سريعاً بين المسلمين. حتى إذا جاء شهر ذي القعدة أذنّ رسول الله ﷺ بالناس بالعمرة واجتمع من المسلمين عدد كبير، كلّ منهم يريد أن يأتّم برسول الله ﷺ في فريضة العمرة، لاسلاح معهم إلا سيوفهم في أغمادها.

وخرجت معه من أزواجه السيدة أمّ سلمة رضي الله عنها.

وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب غير المسلمين، وبلغت عدّتهم ألفاً وأربعمئة وساق معه الهدي سبعين بدنة.

ولما بلغ ذا الحليفة أحرم بالعمرة وأحرم الناس معه، فأعلن بهذا أنه لا يريد قتالاً ولا حرباً، بل الطواف في بيت الله تعالى، ورغم ذلك امتلأت قلوب قريش بالمخاوف يحسبون أن ما فعله حيلة ليدخل مكة، فعقد لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل على جيش يبلغ فرسانه وخدمهم مئتين، وما أن وصل خبر فعلهم هذا إلى رسول الله ﷺ حتى قال: «يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب».

وهنا نادى رسول الله ﷺ في الناس: «مَنْ رجل يخرج بنا إلى طريق أخرى؟!». فخرج رجل يسلك بهم طريقاً وعرّاً في الشعاب والأودية حتى وصلوا إلى الحديبية من أسفل مكة، فبركت ناقة النبي الكريم القصواء، ولم تتحرك من مكانها، وظنّ

المسلمون أنها جهدت، فقال رسول الله ﷺ :

- إنما حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها.

وأمر أصحابه بالنزول فقالوا له :- يا رسول الله ﷺ ما بالوادي ماءً تنزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً نزل به إلى بئر هناك فغرز فيه ففار الماء وارتفع في البئر، وهنا اطمأن الناس ونزلوا.

وراحت قريش تتفكر بالحرب، لكنها تفكرت لو انتصر المسلمون عليهم فإنها القاضية عليهم، ووقف المعسكران كل يفكر في خطة، فرأت قريش أن توفد إليه من رجالها من يتعرف قوته من ناحية، ويصدّه عن الدخول إلى مكة من ناحية أخرى.

إخوة الإيمان : اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى الحديبية حيث السيد الأعظم ﷺ ها هي رسل قريش تتعاقب وتحاول إقناع السيد الأعظم بالجدل العقيم، لكن رسل قريش رأّت عجباً، لتسمع الدنيا كيف كان أصحاب النبي الأعظم يعظمون نبينا ﷺ : اسمعوا ماذا قالت رسل قريش، قالوا:

- والله ما تنحّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له. ويقول أحد رسل قريش:

- أي قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً، وإنه قد عرض عليكم خطة رشدي فاقبلوها.

إخوتي في الله : هذه صورة حقيقية لمدى محبة أصحاب رسول الله له، وإن دلت على شيء فإنها تدل على أنه لا إيمان برسول الله بدون محبة له، فالإيمان برسول الله واجب ومحبة واجبة عليه وهو ثمرة من ثمرات الحب، الحب الذي ينسكب في المشاعر والقلب والعقل معاً، وهذا معنى ما وصفه رسل قریش.

لأن التبرك معناه طلب الخير والتوسل بقرب رسول الله إلى الله، وبرحمته الكبرى للخلق وبهذا المعنى توسل الأعرابي الأعمى فيما أخرجه الترمذي بسند صحيح والنسائي والبيهقي أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي ﷺ ومعه أصحابه فشكا إليه ذهاب بصره فأمره بالصبر. فقال: ليس لي قائد وقد شق عليّ فقد بصري. فقال: إئت الميضاة فتوضأ ثم صلّ ركعتين ثم قل:

« اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني توجّهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفعه فيّ » .

وفي بعض الروايات: فإن كان لك حاجة فمثل ذلك. قال راوي الحديث سيدنا عثمان بن حنيف: "فوالله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا فكان بصيراً" ﷺ. وكيف لا يتبرك بأثار رسول الله ﷺ ورائحته أطيب من المسك، بل كان جلّ ماله ينفقه في الطيب، لم يكن يأكل ثوماً أو بصلاً أو أي طعام يتأذى الناس من رائحته، وكان يسرح شعره ويتعهد فمه وأسنانه، وربما أبصر صفرة في أسنان بعض جلسائه فيتوجه إلى أصحابه بنصيحة عامة ونقد رقيق قائلاً: «ما لكم تأتونني قُلْحاً لا تتسوكون».

هذا هو سيدنا محمد ﷺ سمو أخلاق ، ورقة شعور ، وشفافية ذوق ، وإحساس نبيل (فيا سعد من صلى عليه) .

فالويل كل الويل لمن لا يحب رسول الله، وليهنأ أصحاب رسول الله على هذا الحب لنبيهم، على هذا الشرف والفخر الذي استبدّ بقلوبهم لرسول الله فراحوا

يترجمونه بالتبرك والتمسح بعرقه وبصاقه وما يتساقط من شعره وما يتقاطر من ماء وضوئه، فإنما هذا هو لغة الحب.

وإني لأعلم أن أناساً اليوم لو رأوا الحبيب الأعظم يمشي على الأرض لهاجت قلوبهم حباً ولخروا على الأرض يلحقون التراب الذي مشى عليه الحبيب الأعظم ﷺ أنا والله منهم. وفي لغة الحب يقول الصادق المصدوق ﷺ (م) : « من أشدّ أمتي حباً لي ناس يكونون من بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله » .

سئل الإمام مالك رضي الله عنه: لماذا لا تركب على دابة في المدينة المنورة فلإني أراك تمشي مشياً ؟ فأجابهم: إني لأستحيي أن تدوس دابتي على تراب مسته قدم رسول الله ﷺ.

أترون هذا الاحترام الشديد والحب القوي للسيد الأعظم، أتعرفون ماذا كانت نتيجته عند الإمام مالك؟ لقد قال الإمام مالك رضي الله عنه: ما نمت ليلة إلا ورأيت النبي ﷺ .

أيها الأحبة :

كلّ هذا التعظيم لنبينا ﷺ واحترامه وتوقيره لم تره قريش أثناء مفاوضاتها على أنه دليل الإيمان ، فحسمت موقفها وقالت: والله لا يدخل محمد علينا عنوة أبداً ولا تتحدّث بذلك عنا العرب.

فأرسل رسول الله ﷺ سيدنا عثمان إلى رؤساء قريش ليبين لهم موقف سيدنا النبي وصحابته، لكنهم أصروا أن يعود رسول الله ﷺ في هذا العام، ولما كان لسيدنا عثمان مكانة في قريش قال لهم سادتها:

- يا عثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ، فأجابت قريش الثالثة ورابعة: بأنها أقسمت لن يدخل محمد مكة هذا العام عنوة.

يا أحابيب النبي ﷺ : ما زلنا هناك في الحديبية، وقد طال احتباس سيدنا عثمان عن المسلمين وتناهى إلى سمعهم أنّ قريشاً قتلت غيلة وغدراً في الشهر الحرام، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فقال: لا نبرح حتى نناجز القوم.

ودعا أصحابه إليه وقد وقف تحت شجرة في بطن الوادي، وراح يبايعهم ويباعونه على ألا يفروا من المعركة حتى الموت، وثميت هذه البيعة ببيعة الرضوان، ورضي الله تعالى عن هذه البيعة وأنزل ذلك في كتابه الكريم:

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾

فلما أتم المسلمون البيعة ضرب رسول الله ﷺ بإحدى يديه على الأخرى بيعة لسيدنا عثمان وكأنه حاضر البيعة رضي الله عنه.

واهتزّت السيوف في أعمادها، وتبدى للمسلمين أن الحرب آتية لا محالة، وما هي إلا ساعات إذ بسيدنا عثمان يطل بنفسه عليهم، فأبلغ النبي الكريم ما عزمت عليه قريش.

وأرسلت قريش سهيل بن عمرو فصالح رسول الله ﷺ صلح الحديبية على:

- ١- أن يرجع هذا العام ويأتي في العام المقبل يقيم في مكة ثلاثة أيام.
- ٢- وأنّ من أحبّ من العرب الانضمام إلى النبي أو إلى قريش فلا جناح عليه.
- ٣- وأنّ من أتى النبي الكريم من قريش مسلماً ردّه إليهم، وأنّ من أتى قريشاً من المسلمين مرتداً لا يسلمونه إليه.

٤- وأنّ مدّة الصلح عشر سنوات.

وهنا استبد الضيق بسيدنا عمر وبيعض الصحابة رضي الله عنهم، فأتى سيدنا عمر سيدنا النبي ﷺ ، فقال: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى.
فقال عمر: ألسنا على حق وعدونا على باطل. قال: بلى.

فقال عمر: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار. قال: بلى.

فقال عمر: فلماذا نعطي الدنية في ديننا إذن. فقال رسول الله ﷺ :

- إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري.

فقال عمر: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به. قال: بلى،

فأخبرت أنك تأتيه عامك هذا، فقال عمر: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على سيدنا النبي ﷺ فأرسل إلى عمر فأقرأه

إياها. فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو؟. قال: نعم. فطابت نفس عمر رضي

الله عنه (ق). وهنا تجلّى للصحابه أنّ احتمالهم لتلك الشروط كان عين النصر لهم،

وأنّ المشركين ذلّوا من حيث تأملوا العز ، وقهروا من حيث أظهروا القدرة والغلبة،

﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ .

أيها السادة :

إنّ صلح الحديبيه يعني أن المسلمين لن يستطيعوا أن يؤدّوا العمرة، وهذا معناه في

الفقه : الإحصار، إذ أن الإحصار أن يحبس المسلم عن أداء عبادة العمرة أو الحج

بأي حابس من مرض أو خوف عدو، أو ضياعه والعياذ بالله تعالى، بحيث لا

يتمكن من أداء العبادة بكل وجه.

ولذلك عندما ينوي العبد الحج أو العمرة يقول في نيته مثلاً:

" اللهم إني نويت العمرة وأحرمت بها فتقبلها مني ومحلّي (تحللي) حيث حبستني

وإذا مرضت تحللت لبيك اللهم بعمرة لبيك".

فإذا قالها وأحصّر، تحلل من الحج ولا ذبح عليه عند الشافعية بل عليه فقط

الحلق.

ولهذا أمر النبي أصحابه بالتحلل بنحر الإبل وحلق الشعر، لكنهم في غمرة اندهاشهم وقلقهم من أنهم لن يدخلوا مكة لم ينقذوا أمر النبي الكريم، وكادوا يقعون في شرّ عظيم وإثم مبین من مخالفتهم أمر النبي الأعظم، حتى أنقذت السيدة أم سلمة رضي الله عنها الموقف فقالت:

- يا رسول الله انحر واحلق رأسك إيداناً بالتحلل من العمرة فإذا رأوك تحللوا. ففعل رسول الله ما أشارت به فرأى الناس صنيع النبي الكريم فتواثبوا ينحرون الإبل ويحلقون أو يقصّرون فدعا لهم النبي الكريم: اللهم ارحم المحلقين ثلاثاً، ثم قال في الرابعة والمقصّرين.

معشر الإخوة الكرام : كانت هذه المعاهدة أو الصلح فتحاً مبيناً للمسلمين فقد اعترفت قريش لأول مرة بالدولة الإسلامية وبحقها بزيارة البيت الحرام، واطمأنّ المسلمون في بلادهم، وبدأ الإسلام ينتشر بقوة أكبر وأنزل ربّ العزة على نبيه:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَيُنصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾.



(٦٨)

رسائل سيدنا رسول الله إلى ملوك وأمراء العرب

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، وجعله هادياً مهدياً ، وأرسله بشيراً ونذيراً ، وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتباع هديه إلى يوم الدين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أوحى الكتاب إلى نبيه وأمرنا بقوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

نبي أتانا بعد يأس وفترةٍ من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فحذرنا ناراً وبشر جنّةً وعلمنا الإسلام فالله نحمد
وشق له من اسمه ليجلّه فذوا العرش محمود وهذا محمد

فنوره أنور ، وبرهانه أظهر ، وصورته أجمل ، ودينه أكمل ، ولسانه أفصح ،
ودعاؤه أنجح ، وعلمه أرفع ، ونداؤه أسمع ، ونصره مؤيد ، واسمه محمد

وانسب إلى ذاته ماشئت من شرف وأنسب إلى قدره ماشئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له حدّ فيعرب عنه ناطق بفهم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه
وعترته وأنصاره وسلم تسليمًا كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

بقيت الدعوة الإسلامية في مرحلة دفاعية عن الإسلام مدّة تسعة عشر عاماً، حتى قام صلح الحديبية واطمأنت أفئدة المسلمين واستراحوا من متاعب قريش ومناوشاتهم، ودخلت في مرحلة جديدة لا بدّ منها في عمر الدعوة إلى الله تعالى، وهذه المرحلة تجلّت في محورين:

المحور الأول: دعوة الأمم والدول في الجزيرة العربية وما حولها بالحكمة والموعظة الحسنة، وإرسال الكتب إلى ملوك العالم وأمراء العرب.

والمحور الثاني: قتال أولئك الذين بلغتهم الدعوة فوعوها وفهموها، ولكنهم استكبروا عن الدخول في الإسلام والإذعان له حقداً وعدواناً. وحديثنا اليوم إن شاء الله تعالى سيكون عن المحور الأول لهذه المرحلة الجديدة.

معشر الإخوة:

كان صلح الحديبية فتحاً وأي فتح لقلوب العباد قبل فتح البلاد، ولهذا سمّاه ربّ العزة ﴿فَتْحاً مَبِيناً﴾ أي عظيماً كبيراً وجليلاً، فإنّ الناس آمن بعضهم بعضاً واختلط المسلمون بالكفار، ونادوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وأظهر دينه من كان يخفي الإسلام، ولقد دخل في سنتين مثل من كان قد دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، وكان على رأسهم سيدنا خالد بن الوليد القائد العربي وبطل المعارك العظيمة، بل دخل في الإسلام أحد دهاة العرب وكبار القادة والأمراء وهو سيدنا عمرو ابن العاص رضي الله عنه.

ولكن رسول الله ﷺ بدأ يرنو بناظره إلى أبعد من ذلك، إلى صحراء العرب ليدعو ملوك الدنيا إلى الإسلام، وفعلاً نفذ هذه الدعوة فأرسل في أوائل العام السابع للهجرة الموافق سنة ٦٢٧ م إلى كلّ ملك أو أمير رسولا يعرف لغته ولغة قومه ، لكنّ الصحابة طلبوا من سيدنا النبي ﷺ أن يتخذ خاتماً يختم فيه رسائله على عادة ملوك الدنيا الذين كانوا لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم، فصاغ خاتماً له ﷺ فصّه

حلقة فضة ونقش فيه محمد رسول الله، وكان يضعه رسول الله في خنصر يده اليمنى .

فأرسل إلى أمراء العرب ومنهم المنذر بن ساوى من بني تميم صاحب البحرين (الاحساء اليوم) وإلى جيفر بن الجلندا وأخيه عبد الأزديين صاحبي عمان، وإلى هوزة بن علي صاحب اليمامة وكان نصرانياً، فأسلم المنذر بن ساوى وجيفر وعبد ابنا الجلندا، وأما هوزة بن علي فطلب من رسول الله أن يجعل له بعض الأمر فأبى ومات على إثر ذلك.

وأرسل كتاباً إلى نجاشي الحبشة (أي ملك أثيوبيا) وكانت الحبشة مقرّاً لملكة سبأ وسكنها اليهود بعد خراب هيكل سليمان، - ثم استولى عليها النصارى سنة ٥٢٥ م وأصبحت دولة مستقلة، وملك الحبشة يلقب دائماً بالنجاشي أرسل إليه رسالة يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى،
أما بعد:

"فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس المؤمن المهيمن.
وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة
الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك:

١ - إلى الله وحده لا شريك له.

٢ - والموالة على طاعته.

٣ - وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله.

وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل.

وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى". (طبقات

ابن سعد ١٥/٣).

فما أن أتم رسول الله ﷺ الكتاب حتى قام النجاشي فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه احتراماً وتوقيراً بل نزل عن سرير الملك وجلس على الأرض تواضعاً لله تعالى ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، ثم قال: لو كنت أستطع أن آتية لأتيته.

وأرسل رسول الله ﷺ كتاباً إلى المقوقس عظيم القبط وهو حاكم الإسكندرية والنائب العام للدولة البيزنطية في مصر، كتب له كتاباً قال له فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله ﷺ ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط:

"يا أهل الكتاب! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

١ - أن لا نعبد إلا الله ﷻ ولا نشرك به شيئاً،

٢ - ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﷻ.

فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون (المواهب ٣ / ٢٤٧) .

وما أن انتهى الرسول من قراءة كتابه إلا أعلن المقوقس أدبه مع رسول الله ﷺ وأكرمه بهدايا منها جارتان كانت إحداها السيدة مارية أم سيدنا إبراهيم ابن سيدنا رسول الله ﷺ.

وكتب سيدنا رسول الله ﷺ كتاباً إلى كسرى فارس:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ﷻ ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله ﷻ.

وأني رسول الله ﷻ إلى الناس كافة لينذر من كان حياً.

أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس (طبري ٣ / ٩٠).
لكن هذا الكافر أمر بتمزيق رسالة النبي ﷺ ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ما فعل
فقال: "مزق الله ملكه".

وأمر كسرى حاكمه على اليمن (بازان) بأن يبعث إلى المدينة المنورة من يأتيه
بسيدنا النبي ﷺ ، فلما قدم رسول حاكم اليمن المدينة وأخبر النبي الكريم برغبة
كسرى أجابه رسول الله ﷺ: ارجع إلى ربك فقل له إن رب محمد سلط على كسرى
ابنه شيرويه فقتله، فرجعا إلي بازان بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن.

وهكذا بدأ تمزيق ملك كسرى بقتل الأكاسرة واحداً بعد واحد ، حتى لقد
تعاقبت خلال أربع سنوات عشرة ملوك على فارس، واضطرب أمر الدولة الفارسية
الكسروية حتى انقرضت تماماً على أيدي أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب في
ظرف ثماني سنوات. وصدق رسول الله ﷺ : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده (م.
الشافعي) ومَلَكَ الله المسلمين إيران، وهدى أهلها إلى الإسلام، فكان منهم أئمة
العلم والدين ببركة دعاء سيدنا النبي ﷺ : "لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من
أبناء فارس" (أحمد).

وبعث رسول الله ﷺ رسولاً إلى عظيم بصرى من قبل الروم فإذا به يقتله، وهو
الوحيد الذي قتل من الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ .

أما هرقل قيصر الروم الذي كان ينافس الدولة الكسروية وانتصر عليها واستولى
على القدس ثانية، فقد ورد إليه كتاب رسول الله ﷺ يقول له فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى "هرقل" عظيم الروم:

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (الأتباع).

"ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم:

١ - ألا نعبد إلا الله،

٢ - ولا نشرك به شيئاً،

٣ - ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ". (خ).

إخوة الإيمان : كان هرقل خبيراً بتاريخ الديانات وخصائص الأنبياء وسيرهم، فأراد أن يتثبت من أمر سيدنا النبي ﷺ وصدف أن أبا سفيان كان في تجارة له في غزة

فاستدعاه إليه.

إخوتي في الله : اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى الوطن السليب ، إلى المسجد الذي بارك مولانا حوله ، إلى القدس حيث أبو سفيان واقف في حضرة هرقل ، ولنستمع معاً إلى هذه المحاورة بينهما، يقول هرقل لأبي سفيان:

هرقل: كيف نسبه فيكم؟. أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

هرقل: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل كان من آبائه من ملك؟ أبو سفيان: لا.

هرقل: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

هرقل: أيزيدون أم ينقصون؟. أبو سفيان: بل يزدون.

هرقل: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟. أبو سفيان: لا.

هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟. أبو سفيان: لا.

هرقل: فهل يغدر؟. أبو سفيان: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

هرقل: فهل قاتلتموه؟. أبو سفيان: نعم.

هرقل: فكيف كان قتالكم إياه؟. أبو سفيان: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

هرقل: ماذا يأمركم؟ أبو سفيان: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة.

قال أبو سفيان: والله ما يمنعني من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه، إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها علي ولا يصدقني، حتى ذكرت قوله ليلة أسري به، قلت: - أيها الملك ألا أخبرك عنه خيراً تعرف أنه قد كذب.
قال: وما هو؟. قلت:

- إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا الحرم في ليلة فجاء مسجداً هذا مسجد إيلياء، ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح.

قال: وبطريق إيلياء عند رأس قيصر، فقال: قد علمت تلك الليلة.

قال: فنظر قيصر وقال: وما علمك بهذا!!؟

قال: إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق باب المسجد، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبي، فاستعنت عليه عُمالي ومن يحضرنني كلهم فعاالجته فلم نستطع أن نحركه، فكأنما نزاول به جبلاً، فدعوت النجاجة (ج نجار) فنظروا إليه، فقالوا: هذا باب قد سقط عليه النجاف أو البنيان، فلا نستطع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى عليه. فرجعت وتركت مفتوحاً، فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب، وإذا فيه أثر مربوط الدابة. فقلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي، وقد صلى الليلة في مسجدنا.

فقال قيصر: - يا معشر الروم أليس تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً
يبيشركم به عيسى، وهذا هو النبي الذي بشر به عيسى فأجيبوه إلى ما دعا إليه.
فإذا بأعوان قيصر ينفرون ويبادرون إلى الأبواب وهم ساخطون، فلما رأى هرقل
منهم ذلك وأيس منهم قال:

- إني قلت مقالتي أختبركم كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيت، فسجدوا له
ورضوا عنه.

وهكذا - أيها الاخوة - أثر هرقل الملك على الهداية، فكان ذلك سبب خراب
ملكه فيما بعد .

وهكذا كل إنسان يؤثر الدنيا على الآخرة يشتم الله شمله، ويجعل الفقر بين
عينيه وصدق مولانا عز وجل ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ ، قال : ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال:
كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب
الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم



(٦٩)

غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة

الحمد لله معزّ الإسلام بنصره، ومذلّ الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره،
ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل
العاقبة للمتقين بفضله.

أحمده على إظهاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً
عبده ورسوله نصره الله بالرعب مسيرة شهر وبعثه إلى الإيمان منادياً وإلى الجنة
داعياً.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتقيائه
وأصفيائه، وسلم تسليماً.
أما بعد:

فقد قلت لكم في وقفتي معكم في الجمعة الماضية إنّ مرحلة جديدة دخلتها
الدعوة إلى الله تعالى وأنها كانت على محورين:

١ - المحور الأول: دعوة الملوك والأمراء العرب إلى الإسلام.

٢ - والمحور الثاني: قتال أولئك الذين بلغتهم الدعوة وفهموها ولم يؤمنوا بها
حقداً وعدواناً، ولتنفيذ هذا المحور توجه رسول الله إلى شمال المدينة، إلى خيبر
وفدك، ووادي القرى وتيماء وجُلّها من اليهود.

وكان في مقدّمة هذه القرى حصون خيبر التي تبعد عن المدينة سبعين ميلاً،
يسكنها اليهود يتربّصن بالمسلمين الدوائر، وكادوا يزمعون على قتال السيد الأعظم

باتحاد هذه القرى الأربع، ولم يعتبروا بإخوانهم اليهود الذين طردوا من الجزيرة العربية وزال حكمهم عنها، لكنهم كانوا يعتمدون على قوة حصونهم ﴿ووظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب.

إخوة الإيمان :

اسمحوا لي بالانتقال بكم إلى هناك إلى شمال المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأتم التسليم، وما هو القائد الأوحده لهذه الأمة يخرج بجيش عدته ألف وأربعمئة مقاتل أو يزيدون.

اسمعوا - أيها الاخوة . كيف كانت الجيوش والغزوات التي كان قائدها سيدنا محمد ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا غزا لم يذكر وجهته التي هو متوجه إليها، وإذا أراد أن يغزو قوماً جمع الضعفاء والفقراء وقال لهم : إنا قادمون على قتال فادعوا الله لنا أن ينصرنا، وكان يقول وقوله الحق: إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم، وكان إذا غزا قوماً لم يغزهم ليلاً حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك عن غزوهم.

فلما وصل ليلاً بات حتى إذا أصبح ولم يسمع أذاناً من الحصون ركب وركب الصحابة فاستقبلوا عمال خيبر ومعهم المجارف والقفف فلما رأوهم قالوا: محمد والخميس؟! (الجيش) فأدبروا هرباً، وهنا كبر الحبيب الأعظم ﷺ و قال : «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» .

يا أحباب النبي الأعظم : تعالوا بنا لنر مجرى العمليات العسكرية، صدرت الإشارة ببدء القتال من القائد العام للقوات المسلحة سيدنا رسول الله ﷺ ، وبدأت المعارك مع اليهود، وبدأ حصار هذه الحصون واحداً بعد واحد، وراح النصر يتلو النصر للمسلمين، وثبت الله أقدام المسلمين وأنزل على قلوبهم السكينة، واستماتت اليهود في الدفاع عن حصونهم إيماناً منهم بأن هزيمتهم أمام السيد الأعظم هي القضاء الأخير على بني إسرائيل في جزيرة العرب.

أيها السادة :

ما زلنا هناك، تعالوا بنا لنر ونفهم القواعد العسكرية في قتال الكافرين، على يد سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، نحن الآن في ميدان القتال أرى الآن أصحاب النبي يحيطون بحصن من حصون خيبر وقد اهتم الصحابة لفتح هذا الحصن، وها هو الصديق يقود المسلمين لفتح هذا الحصن، فلم يفتح له، ثم تعطى الراية لسيدنا عمر فلم يفتح له، وإذا بناشر الهدى وواسع الندى ، إذا بالحبيب الأعظم يقول:

. لأعطين الراية غداً لرجل يحبهُ اللهُ ورسوله ، يفتح اللهُ على يديه.

وهاجت قلوب الصحابة وماجوا ليلتهم ، كلٌ منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذه الراية، وما أن أصبح الصباح حتى سأل السيد الأعظم عن سيدنا علي. فقالوا: إنه يشتكي عينيه يا رسول الله.

فأتى به ووقف بين يدي طبيب القلوب (صلوا عليه) وبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرىء بإذن الله حتى كأن لم يكن به وجع. (اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضياؤها وعلى آله وصحبه وسلم).

وهنا نشط سيدنا علي وقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

فقال رسول الله ﷺ : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .

إخوتي في الله : ما زلنا هنا ، واسمعوا معي كيف حدثت المعجزة، حصن من أكبر الحصون، رجاله من أقوى الطوائف الإسرائيلية بأساً وأوفرها مالاً وأكثرها سلاحاً، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم وضربه رجل من اليهود فطرح ترس سيدنا علي من يده، فإذا بسيدنا علي يتناول باباً عند الحصن ، فتترس به فلم

يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن ، ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها إلى داخل أبنية هذا الحصن ، ونصر الله المسلمين، لكن حصنين من حصون اليهود الباقية استعصيا على المسلمين مدة طويلة، وقلّت المؤونة عند المسلمين ، وأذن لهم رسول الله في أكل لحوم الخيل، وطال الأمر على اليهود خاصة ، حتى استولى الناس عليهم وخاصة بعد أن منع عنهم المسلمون المؤونة فطلبوا الصلح، وحاز النبي الكريم أموالهم وحقن دماءهم، وطلبوا منه أن لا يجلبهم عن الجزيرة وأن يبقوا في الأرض يزرعونها على أن لهم الشطر من كل زرع وثمر، وهذا معروف في الفقه بالمساقاة ، وهي أن يعامل مالك الأرض غيره على ما فيها من شجر ليتعهدها بالسقي والتربة على أن تكون الثمار بينهما ، وهذا مذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم.

ووافق النبي الكريم على هذه الطريقة، ولكنه شرط عليهم أنه إذا أراد بعد ذلك أن يخرجهم من الجزيرة أخرجهم، ولذلك لما اعتدت اليهود على أنصاري فقتلوه واعتدوا على عبد الله بن عمر حكم فيهم الفاروق بإخراجهم من الجزيرة، وكفى الله كيد اليهود.

وما أن انتهت الغزوة حتى قدم بعض المهاجرين من الحبشة وعلى رأسهم سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا النبي ففرح به رسول الله فرحاً عظيماً وتلقاه بالتقبيل والبشر وقال: والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خير أم بقدوم جعفر.

وقدمت لسيدنا النبي شاة مشوية ليأكل، وكان يحب الذراع، فما أن أراد وضع لقمة منها في فمه حتى لفظها وقال: إن هذه الذراع تخبرني بأنها مسمومة، وجيء بالمرأة اليهودية التي أهدتها له، فسألها فقالت:

- قلت إن كنت كاذباً استرحنا منك، وإن كنت صادقاً لم يضرك، وكان يأكل معه بشر بن البراء فمات على أثر السم، فلما مات جيء بالمرأة اليهودية فقتلت به قصاصاً.

أيها الأحبة :

هذه معجزة ثانية من المعجزات التي ظهرت للسيد الأعظم في هذه الغزوة، وكون الشاة المشوية أن تكلم الحبيب الأعظم ليس بأمر غريب أو عجيب، فلا يوجد ذرة في الوجود إلا وتحب سيدنا محمداً ﷺ، كل الجماد والحيوان والحجر والشجر وبني الإنسان وكل من يسمع بسيدنا محمد ﷺ تراه يحبه بمجرد السماع، فما بالك بالشاة وقد أمسك بها الحبيب الأعظم بين يديه وشعرت بحنان يدي سيدنا النبي ﷺ.

وليس يبعد عنا جذع الشجرة التي كان يقف عليها الحبيب الأعظم يخطب، فلما اتخذ منبراً وترك الجذع سمع الصحابة من داخل الجذع أنيناً وكأن صبيّاً يبكي حتى نزل الحبيب الأعظم فضمه إلى صدره وراح يكلمه حتى سكت، فلما سئل بماذا حدثته قال: وعدته أن يكون معي في الجنة.

بل صرح رسول الله ﷺ مرة وهو يقف على جبل أحد فقال: أحد جبل يحبنا ونحبه.

وجاء جمل يشكو إلى الحبيب الأعظم الضرب والأذية من أصحابه، فطلب رسول الله ﷺ منهم أن يطلقوه، ففعلوا وإذا بالجمل يمرغ خديّه على قدمي المصطفى شكراً للجميل وحباً للرسول ﷺ .

أمّا الجمال في الأعياد فكانت تسرع إليه وتسلم نفسها له ليدبحها فتشرف بتلك اليد الشريفة.

وأما ناقته العضباء فكانت تبث حبها للسيد الأعظم، وكانت الوحوش تتباعد عنها كرامة للحبيب الأعظم، وكانت الثمار والأوراق تتدلى من الأشجار عليها لتأكل منها كرمي عين الحبيب الأعظم ، رأى ذلك الصحابة رؤى العيان، فلما توفي الحبيب الأعظم لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت حزناً على خير البرية.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله ﷺ.

روحي بحبك في الضياء تقيم والشوق مني في هواك عظيم
والقلب مسرورٌ بذكر محمد في ذكره نور وفيه نعيم

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك
الحمائم.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي إلى الحبيب الأعظم
عطر اللهم روضه الكريم بأزكى صلاة وسلام وتحية ورضوان. اللهم صل وسلم وبارك
عليه. فصلوا عليه فإن صلاتكم لكم نور ونجاة ودليل وبرهان على الإيمان وحب
سيد ولد عدنان. فيا رب صلّ عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأزواجه وعترته
الطاهرة الهاشمية وسلم وبارك وعظم على مشرف العوالم والأكوان، وعطر اللهم
روضته الشريفة النبوية بأزكى صلاة وسلام وتحيات ورضوان .

(٧٠)

عمرة القضاء في السنة السابعة

الحمد لله ثم الحمد لله .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وما توفيقي واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة سيدنا أبي القاسم ، سيدنا محمد بن عبد الله

بن عبد المطلب بن هاشم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي اصطفاه من أشرف

السادات وأعرق البيوتات .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً

عبده ورسوله، عمّ الكون نوره ، وانتشر ضياؤه ، وزينت البلاد والأرض والسموات.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد أكرم مولود وأشرف مخلوق

عند الملك المعبود ، ونعمة الله على كل موجود وعلى آله وصحبه وأتقيائه

وأصفيائه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فكانت غزوة خيبر ذات أثر بليغ على القرى الثلاثة من حول حصون خيبر، إذ

أنها استسلمت لشروط الإسلام وصالحوا كما فعلت يهود خيبر.

وغنم المسلمون أموالاً كثيرة ، وتحققت بذلك بشارة رب العزة لأصحاب بيعة

الرضوان ؛ حين وعدهم بالفتح القريب والمغانم الكثيرة، فقال مولانا يخاطب نبيه

الكريم: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في

قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً. ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله

عزيزاً حكيماً﴾.

ومضى بعد ذلك عام كامل والمسلمون ينتظرون عمرة القضاء، حتى نادى النبي يوماً في الناس كي يتجهزوا لأداء العمرة قضاءً عن العام الماضي، وكان هذا النداء الذي أرسله المصطفى برداً وسلاماً، ملأ قلوب الصحابة وخاصة المهاجرين سروراً وغبطة، فقد تركوا مواطنهم منذ سبع سنوات، ولأجله زاد عدد الصحابة المعتمرين إلى ألفين، بعد أن كانوا ألفاً وأربعمئة، ليس معهم إلا سلاح الراكب في غمده تنفيذاً لعهد الحديبية، ولكن السيد الأعظم خشي غدر كفار قريش بأصحابه، فجهز مئة فارس جعل على رأسهم القائد محمد بن مسلمة، أحاط هو ورجاله حول حرم مكة بانتظار إشارة من النبي الكريم.

وساق المسلمون أمامهم ستين بدنة، وساروا يتقدمهم الحبيب المصطفى على ناقته القصواء، فأحرم من ذي الحليفة بالعمرة، لأن الإحرام ركن والإتيان به من الميقات واجب وكل من جاوز الميقات بدون إحرام وجب عليه ذبح دم .

فعلمهم النبي الكريم كيف يحرمون بالعمرة أن يقولوا: نويت العمرة وأحرمت بها لله تعالى لبيك اللهم بعمرة لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك.

وأذناك لو تسمع هذا النشيد السماوي، يملأ صحراء الجزيرة بالتوحيد، والشوق يملأ الصحابة لدخول أم القرى، والطواف ببيت الله الحرام وزيارة البقعة التي ولدوا فيها والبيت الذي شبَّ فيه، والأصحاب الذين تركهم، ويشم من جديد هواء الوطن المقدس.

وأما الأنصار فكانوا مشتاقين لأداء هذا الفرض الشريف وليروا بإجلال وإعزاز الأرض التي أنجبت الرسول الأعظم، والأماكن التي نزل فيها القرآن الكريم أول ما نزل. إنني وأنا أتحدث عن وصف هذا المشهد لأعرف تماماً الفرح العظيم الذي يملأ قلوب المعتمرين تحت راية سيد الخلق وحبيب الحق. تعالوا لنشارك الصحابة هذا الفرح الغامر، فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، نشاهد هذه التظاهرة الفذة من

نوعها إنما ليست مظاهرة ضد الحكم، ولا مظاهرة ضد الظلم، ولا مظاهرة لأجل ترشيح لمجلس الشعب، ولكنها مظاهرة إيمانية بحتة، جذب إليها بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، بيت الله الذي جذب الناس إليه أذان سيدنا إبراهيم الخليل حين أمره رب العزة: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .

عندها قال الخليل لخليله: أي رب وما يبلغ صوتي، فقال رب العزة: عليك الأذان وعليّ البلاغ.

ووقف الخليل ينادي: يا أيها الناس إنّ الله قد كتب عليكم الحج فحجوا. هذا النداء الخالد سرى في كل المؤمنين عبر التاريخ منذ سيدنا إبراهيم، فراحوا يهوون بأفئدتهم نحو بيت الله وهم يرفعون أصواتهم: «ليبك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» .

انظروا إلى هذا الطرب الذي أصاب صحابة النبي وهم يسرون فرحين آمنين ينفذون مشيئة مولانا عز وجل:

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إنّ شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ .

وتسامعت قريش هذا النداء حين بلغ الصحابة الحرم المكي، فخرجت من الحرم وصعدت إلى التلال ورؤوس الجبال المجاورة للحرم وفوق جبل أبي قبيس وحراء، وراحوا ينظرون بأم أعينهم إلى المؤمنين الصادقين وهم يسرون خلف سيد المرسلين يحيط به كبار الصحابة الكرام، يتجهون نحو الكعبة لا يصدهم أحد عنها، وهم ينشدون نشيد التلبية الخالد مع من بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴿وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله﴾ .

إنك لتقدّر يا أخي المسلم هذا المشهد العظيم وأرجاء الحرم المكي المباركة تحتز بهذا النداء. وارفع رأسك عالياً لترى على التلال أشدّ الكافرين صلابة وعناداً وعبدّة الأصنام، انظروا إليهم - أيها الاخوة - كيف انجذبوا إلى الإسلام، إلى نداء التوحيد وهم يشاهدون ويسمعون الصوت المنبعث من القلوب يدوي:

لييك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك..

كان هذا النداء يخترق آذانهم ويصل إلى شغاف قلوبهم فيهزّها هزّاً، وراح بعضهم يقول لبعض: سترون الآن أناساً أصابتهم حمى المدينة وأمراضها. وإذا بالحييب الأعظم ينبئه العليم الخبير بما قالوا، فيقول وقد بلغ الكعبة وأراد الطواف، إذا به يضطبع بردائه ويخرج كتفه الأيمن ثم يقول: - رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة.

وأمرهم رسول الله بالطهارة للطواف كالصلاة فقال لهم: «الطواف كالصلاة إلا أن الله أذن لنا فيه بالكلام» .

واستلم الحجر الأسود وقال: بسم الله والله أكبر..

وراح يهرول ويهرول أصحابه خلفه ثلاثة أشواط، فلما رأى كفار مكة المعاندين ذلك وبّح بعضهم بعضاً وقالوا: أهؤلاء الذين أصابتهم حمى المدينة. ثم مشى النبي الكريم الأشواط الأربعة الباقية، وهو كلما وصل إلى الركن اليماني متوجّهاً إلى الحجر الأسود يقول:

- ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وعلم النبي الكريم أصحابه أن يقولوا: لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

وكانت هذه الأدعية والأذكار يصل صداها إلى أعالي التلال، وكأنها تدعو الكافرين إلى التوحيد بطريق غير مباشر، لذلك كان الصحابة يرفعون أصواتهم بها، وتجاوبت أصداء وجنات وادي أم القرى وسمعتها القريب والبعيد.

ولما أتم النبي الكريم الطواف سبعة أشواط حول الكعبة، صلى وصلى أصحابه أيضاً ركعتي سنة الطواف خلف مقام إبراهيم، تنفيذاً لقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ إِبْرَاهِيمَ وَقِيلَ لَهُ إِنَّكَ وَلَدُكَ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَنَبِيُّهُمَا قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ جَاهِلًا بِمَا أُفْعَلُ بِهِمْ لَلْأُولَىٰ خَيْرٌ وَأَتَقَرَّرُ بَيْنَهُمْ خَلْفَ أَرْسِئِهِمْ وَأَمْرُهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَمْرِي وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَالَمُ الْغُيُوبِ فَتَوَسَّلَ إِبْرَاهِيمُ بَيْنَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً .

وراحت عيون قريش ترقب ولأول مرة هذه العبادة التي فيها الخضوع والسجود لله تعالى، وقلوبهم يزداد نقاؤها من الشرك شيئاً فشيئاً.

ثم انتقل المسلمون خلف نبينا ﷺ إلى الصفا والمروة للسعي بينهما، فرقي على الصفا وهو طرف جبل أبي قبيس، واستقبل البيت ودعا وكبر ثلاثاً وقال:

« اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَانَا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ».

ونزل المسعى، فلما وصل إلى الميادين الأخضرين سعى سعياً شديداً وقال داعياً:
- رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم.
اللهم اجعلها عمرة مبرورة وذنباً مغفوراً وسعيّاً مشكوراً وتجارة لن تبور، ياعزيز
ياغفور، وفعل مثل ذلك على المروة، وأتم سعيه سبعة أشواط.
ثم أمر رسول الله ﷺ بالإبل فنحرت عند المروة وحلق شعر رأسه الشريف وتسابق
الصحابة على شعرات سيدنا النبي كلّ يريد أن يحظى بشرف الاحتفاظ بشعراته
الطاهرة والترك بها.

وفعل الصحابة مثل فعله ﷺ فنحروا الإبل وحلقوا.
وهكذا تمت العمرة، وأدى بذلك فرائض العمرة وهي:
الإحرام والطواف والسعي والحلق.

وصلى النبي الكريم الأوقات الخمسة كلها في المسجد الحرام ، وأعلن على الصحابة رضي الله عنهم أن صلاة في المسجد الحرام تعدل مئة ألف صلاة .
وراح المسلمون يستقبلون الكعبة مؤتمنين بالإمام الأوحـد لهذه الأمة والمشرع لدينها، وفي الصباح التالي وبعد صلاة الفجر دخل السيد الأعظم الكعبة المشرفة وبقي فيها حتى صلاة الظهر .

وكان الصحابة يصلّون في الحرم ويطوفون رغم الأصنام التي كانت حول الكعبة وكان قد بلغ عددها ٣٦٠ صنماً، وكان سيدنا بلال الحبشي يقف على ظهر الكعبة ويرفع صوته بالأذان لكل صلاة: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فترج لأذانه جنـبات الحرم المكـي، وترتعش قلوب وأفئدة المؤمنين، وتبكي أعينهم فرحاً وسروراً بهذا الفتح المبين .

وأقام المسلمون في مكة ثلاثة أيام لا يصيبهم فيها أذى ولا يعترضهم أحد بسوء، زاروا فيها بيوتهم مرابع صباحهم وتفقدوا البلد الأمين، وزاروا فيه البقعة الطاهرة التي ولد فيها الحبيب الأعظم ﷺ والنبي ينتقل بينهم أباً محباً ورسولاً هادياً يصبرهم ويعدهم بأن العاقبة للمتقين .

إخوة الإيمان :

كان المشهد لا يصدّق، وأحسّت قريش كم هي على باطل في عبادة الحجارة التي لا تضر ولا تنفع ، ونظرت إلى أخلاق الإسلام، نظرت إلى الصحابة فرأهم لا يأتون منكراً ولا يشربون خمرأ ولا يغريهم طعام ولا شراب، رأهم متحابين، أسودهم وأبيضهم، سادتهم وعبيدهم، يوقر الصغير الكبير، ويرحم الكبير الصغير، وكلهم يعظمون نبينا وسيدنا محمد ﷺ .

هذا المنظر أسر قريشاً والعرب وجعل قلوبهم تلين، وكان لهذه المشاهد الإيمانـية المتتابعة أبلغ الأثر في فتح مكة بدون قتال، بعد ذلك بشهور يسيرة .

وفي هذه الفترة تزوج رسول الله ﷺ السيدة ميمونة التي أسرها هذا المنظر فأحببت الإسلام، وتكلمت مع زوج أختها سيدنا العباس لكي تطلب الزواج من حضرة النبي ﷺ فكلمه سيدنا العباس فقبل وأصدقها أربعمئة درهم، وبني بها في سرف خارج الحرم المكي وكان عمرها ٢٦ سنة، وعمرت بعده خمسين سنة، ودفنت في سرف حيث تزوجها رسول الله ﷺ .

إخوتي في الله :

ما زلنا هناك ولكن في مشهد آخر، إنني أدعوكم لأسجل للإسلام هذا الحدث العظيم، تعالوا معي لتروا ماذا فعل الإسلام بالقلوب القاسية، ماذا فعل بالعرب الذين كان بعضهم يئد البنات، أريد اليوم أن يشهد العالم كله الذين قال فيهم رب العزة:

﴿ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

تعالوا لنشهد ماذا فعل الإسلام. المكان خارج الحرم المكي، الزمان السنة السابعة للهجرة، الأشخاص: سيدنا علي وسيدنا زيد وسيدنا جعفر، الحدث: خروج ابنة سيدنا حمزة من مكة وهي تنادي: يا عم يا عم فيتناولها سيدنا علي ويأخذ بيدها إلى سيدة نساء أهل الجنة سيدتنا فاطمة ويقول لها: دونك ابنة عمك.

وهنا حدثت حبكة الحدث: إن الصحابة الثلاثة آل بيت رسول الله ﷺ اختصموا أيهم يأخذ البنت، فقال سيدنا علي: - أنا آخذها وهي بنت عمي .

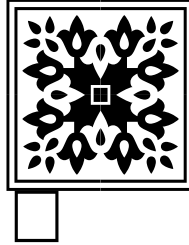
وقال سيدنا جعفر: - ابنة عمي وخالتها تحتي .

وقال سيدنا زيد: - ابنة أخي .

هذا هو ما فعله الإسلام كل منهم يريد أن يحرز شرف تربية ابنة سيد الشهداء وبدأت حبكة الحدث تنحل حينما رفع الخلاف إلى واسع الندى وناشر الهدى، إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود ، ففضى بها لسيدنا جعفر وقال:

الحالة بمنزلة الأم، ولكي يبعث الرضى في قلوب الثلاثة علّق على صدر كل منهم
وسام الاستحقاق الإسلامي في تكريم البنات:
فقال لسيدنا علي: أنت مني وأنا منك.
وقال لسيدنا جعفر: أشبهت خلقي وخلقي. فقام يرقص فرحاً وطرباً ويحجل
على رجله.

وقال لسيدنا زيد: أنت أخونا ومولانا.
أيها الاخوة الكرام: علينا أن تعتزّ بالإسلام هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا
مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب، وتحيتنا إليك
يارسول الله : الصلاة والسلام عليك.



(٧١)

غزوة مؤتة

الحمد لله الملك القهار، الجليل الذي أنفذ قضاءه في مخلوقاته، فحسبنا الله ونعم الوكيل. جعل الدنيا دار زوال ورحيل، وجعل الآخرة دار نعيم أو عذاب وبيل. فكل ميسر لما خلق له، وعلى الله قصد السبيل. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير له ولا عديل. وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزات التنزيل، المصون دينه عن التحريف والتبديل. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يبلغان قائلهما نهاية التأميل. وسلم تسليماً.

أما بعد:

فكان صلح الحديبية معاهدة حكيمة من سيدنا النبي ﷺ ، فقد كانت أمناً لجنوب المدينة المنورة من أن يأتيهم عدو مفاجئ من قبلها ، لذلك بدأ رسول الله ﷺ يتجه بنظره إلى شمال المدينة، إلى البلاد الشامية ، ويحب أن ينتشر فيها الإسلام ويأمن بذلك الشمال والجنوب، لذلك لما أرسل رسوله الحارث بن عمير الأسدي إلى عامل هرقل على بصرى الشام ودعاه فيها إلى الإسلام، فقام ذلك العامل بقتل رسول سيدنا النبي، وافته الفرصة لإعداد جيش لقتاله، وخاصة أنه ليس من عادة الملوك والأمراء أن يقتلوا الرسل، وكان الحارث بن عمير الوحيد الذي قتل من الرسل. فأمر النبي الكريم في جمادى الأولى في السنة الثامنة للهجرة سنة ٦٢٩ م بتجهيز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل للذهاب إلى بصرى الشام لتأديب هذا القاتل النصراني، وانتصاراً للحارث بن عمير الشهيد.

وكان أمير هذا الجيش سيدنا زيد بن حارثة، وقال سيدنا النبي يوصي الجيش:
"إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة".
وخرج في هذا الجيش لأول مرة سيدنا خالد بن الوليد - وكان قد أسلم
حديثاً- ليدل على حسن إسلامه.

وخرج الصحابة مع سيدنا النبي حتى أطراف المدينة وهو يوصيهم:
« اغزوا باسم الله، قاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في
الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً، ولا شيخاً فانياً ولا
تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناءً.. » .
وأوصاهم أن يدعوا مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم
ب الله وقاتلوهم.

حتى وصلوا إلى أطراف المدينة ، وراح الصحابة يودعونهم. صحبكم الله ودفع
عنكم وردكم إلينا سالمين.
فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات قرع تقذف الزبد
أو طعنة بيدي حرّان مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبد
حتى يقال إذا مروا على جدثي أرشده الله من غازٍ وقد رشدا

ومضى الصحابة رضي الله عنهم، وهم يفكرون في الخطة التي تجعلهم ينتصرون
على عدوهم، فإذا بالأخبار تأتيهم بأن جيش هرقل قد نزل أرض مآب في مئة ألف
من الروم وانضم إليه مئة ألف أخرى من منتصرة العرب.

فمكثوا ليلتين في منطقة معان وهم يتشاورون فيما بينهم:
إن عدو المشركين والروم قد بلغوا مالا يقل عن خمسين ضعفاً من عدد
المسلمين، وإن معهم من العدة والسلاح مالا يحصى، بينما هم سرية صغيرة تعد

ساقية أمام هذا البحر الهائج الخضم، فلو أنهم التفوا حولهم لما خرج منهم مخبر. فقال قائل منهم:

- نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فيما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره .

فقام سيدنا عبد الله بن رواحة شاعر الرسول ﷺ فقال:

- يا قوم! والله إن التي تكهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إما نصر وإما شهادة.

فسرت هذه الكلمات الإيمانية في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فبعثت الحماسة في نفوسهم وبدت الجنة بين ظلال السيوف ليس بينهم وبينها إلا الشهادة في سبيل الله تعالى.

فسار المسلمون جميعاً والإيمان يدفعهم حتى بلغوا مؤتة (الكرك اليوم) فتحصنوا بها ورأوا أنها خير بلد للقتال.

معشر الاخوة الكرام

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى مشارف المعركة ، إنها هنا بقربنا على أطراف الأردن، هاهو جيش المؤمنين ككوكبة من الفرسان يرى أولها وآخرها، وها هو جيش الكفار يرى أوله ولا يرى آخره، جيشان يقول الناظر إليهما: أنها لمحة من النظر ويتنصر جيش العدو.

أيها الاخوة:

أنتقل بكم إلى موجة الحق، إلى الناطق الرسمي الصادق المصدق (صلوا عليه)، فإن الحبيب الأعظم، زوى له مولانا عز وجل الأرض، وكشف الغطاء فيما بينه وبين المعركة، فرأى القلة المؤمنة والكثرة الكافرة، وها هو رسول الله ﷺ يقف على المنبر في المدينة يصف المعركة لأصحابه.

وقد بدأت المعركة حامية الوطيس، ولا تصدّق أبداً ما تنظر إليه، فقد اندفع الصحابة نحو العدو، وكأن خلف كل واحد منهم كتيبة من الفرسان قوامها ألف مقاتل، لقد أذهل الروم قوة الإيمان كيف تندفع وتطيح بالهجمات، إنها كتيبة الموت، ولماذا لا يكون ذلك، فالرومي يقاتل بدون هدف وهو يعلم عندما سيموت سيكون جيفة قدرة، أما المسلم فإن روحه سوف تتلقاها الملائكة لترفعها إلى جنة الخلد.

ومما زاد اندفاع الصحابة التكبيرات التي كانت في المعركة، وبسالة القوّاد الثلاثة فقد كان حامل اللواء والراية سيدنا زيد بن حارثة يطيح بسيفه بمنة ويسره وكلما طاح به أطار رأس كافر منهم، وكان يندفع إليهم يهزم بسيفه هزاً، مقبلاً غير مدبر بين عينيه الشهادة في سبيل الله تعالى حتى لقي ضربات من الروم جعلته في عداد الشهداء.

فتناول الراية سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا النبي ﷺ وهو يومئذ شاب في الثالثة والثلاثين وراحت صيحات التكبير تجلجل أرض المعركة، وقتل من الروم ما لا يحصى فأحاطت مجموعة فرسان بسيدنا جعفر فنزل عن فرسه فعقرها واندفع وسط الروم منطلقاً كالسهم وهو يردد:

يا حـبـذا الجـنـة واقتـرأها طـيـبـة وبارداً شـراها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إن لاقيتها ضاربها

ولكن الكثرة تغلب الشجاعة، فقد تجمع عليه فرسان العدو فقطع أحدهم يده اليمنى فأخذ اللواء بشماله فأهوى آخر على يده اليسرى فقطعت، فاحتضن اللواء بعضديه، والدماء تنزف منهما ولسان حاله يقول: لا يسقط لواء رسول الله ﷺ على الأرض أبداً ما دمت حياً. ولكن فارساً رومياً ضربه ضربة قطعته نصفين، وهنا بكى رسول الله ﷺ وهو على المنبر يرثي أصحابه، ودمعت عيناه ثم قال: تناول الراية عبد الله بن رواحة. وقد تردد بعض التردد فصار يخاطب نفسه:

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتزلين أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة

ويقول:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذا حِمَام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هُديت

وراح يقاتل ويشد على أعداء الله حتى لقي الشهادة كصاحبه، وهنا ورسول الله على المنبر ينعي سيدنا عبد الله بن رواحة قال: ثم أخذ الراية سيوف من سيوف الله حتى فتح الله تعالى عليه. ثم قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقل له على من سلمت يا رسول الله ؟ .

فقال: رفعت إلي أرواح الثلاثة على سرر من ذهب في الجنة فسلموا علي فرددت عليهم السلام ثم قال: وقد أبدل الله جعفر بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء. لذلك - أيها الإخوة - سميت هذه السرية بغزوة مؤتة، فإن علماء السيرة اصطَلَحوا على أن كل مجموعة من الجيش لا يخرج معها رسول الله تسمى سرية، إلا هذه، لأن رسول الله وصفها على المنبر وكأنه كان معهم ﷺ .

إخوتي في الله :

كان سيدنا خالد بن الوليد كما قال عنه رسول الله ﷺ تماماً سيف الله المسلول، كان قائداً حكيماً ماهراً ومحركاً للجيوش قل نظيره، إذ أصدر أوامره للمسلمين حتى ضم صفوفهم وكان الليل قد بدأ يرخي سدوله فوضع الجيشان السلاح حتى الصباح، وفي هذا الوقت أحكم سيدنا خالد خطته فبدل مواقع الجند، وأمر مجموعة منهم أن تحدث جلبية وضجة وقعقة سلاح مما أدخل في روع الأعداء أن مدداً جاء المسلمين، فقال الروم لبعضهم إذا كان ثلاثة آلاف مقاتل قد فعلوا بنا

الأفاعيل، وقتلوا منا خلقاً كثيراً (حتى قال سيدنا خالد: إنه قد انكسر في يده يومها تسعة أسياف) فما بالك بهذا المدد. وهكذا تقاعس العدو عن مهاجمة سيدنا خالد إن هو لم يهاجمهم. وكانت خطته الانسحاب بالجيش راجعاً إلى المدينة لينقذ الجيش من هزيمة محققة، فظن الروم أنهم يُستدرجون إلى الصحراء فتوقفوا عن القتال، وكانت هذه الخطوة نصراً حريماً للمسلمين، لذلك قال رسول الله ﷺ في رواية البخاري: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم».

إخوة الإيمان :

سار سيدنا خالد بالجيش حتى قدم المدينة ، وما أن عرف المسلمون خبر الغزوة حتى راح الناس يقولون: يا فرار فرتم في سبيل الله، فوصل الخبر إلى سيدنا النبي ﷺ فراح يستقبلهم ويقول: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى . وهنا بدأ رسول الله ﷺ يواسي أهل الشهداء، فذهب إلى بيت سيدنا جعفر والأسي يعتصر نفسه، فدخل على زوجته أسماء بنت عميس وقال لها. ائني ببني جعفر، فلما أتنه بهم راح يشتمهم وعيناه تذرفان بالدموع، حتى قالت أسماء زوجة جعفر: يا رسول الله ﷺ بأي أنت وأمي ما يكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟.

فقال: نعم أصيبوا هذا اليوم وازدادت عيناه بالدمع تهناتنا، وهنا صاحت زوجته صيحة جعلت رسول الله ﷺ يكي، ودموع النبوة تسيل على خديه. ثم أخذ يمين عبد الله بن جعفر وراح يدعو ثلاثاً : « اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفقه يمينه » .

فذكرت السيدة أسماء يتمهم وضعفهم فقال لها: العيلة تخافين عليهن وأنا وليهم في الدنيا والآخرة - أحمد-.

ثم قال لأصحابه: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد شغلوا بأمر صاحبهم.

أيها الأحبة :

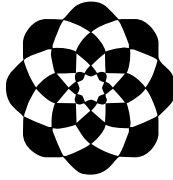
إن بكاء رسول الله ﷺ لا يتنافى مع الرضى بقضاء الله وقدره، فإن الدمعة رحمة، ورقة طبيعية فطر الله الإنسان عليهما، على ألا يصل إلى درجة النواح. لذلك لما ازداد البكاء على سيدنا جعفر أمر رسول الله ﷺ: أن يحثوا في أفواه الباكيات التراب، فما بالك بشق الجيوب وضرب الحدود بعد ألف عام أو يزيد، فهذا حرام حرّمه الشرع الحكيم.

يا أهل الإيمان : كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل، وإليكم موجزها:

إننا لا نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتل بقوة الإيمان والدين، إننا أقوىء بالقدر الذي نتمسك فيه بديننا، ليست القوة بالبندقية ولا بالمدفع، بل نحن أقوىء بالوضوء والصلاة والصوم وتطبيق الدين والالتزام بشرع الله تعالى. إننا لا نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتل بقوة الإيمان والدين.

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ .

الله ﷻ ناصرنا هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله ﷺ الصلاة والسلام عليك.



فتح الفتوح مكة المكرمة

الحمد لله الذي تعاضم ملكه فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر، الذي أعز من شاء ونصر، ورفع أقواماً بحكمته وخفض أقواماً آخر، نحمده على نعمه التي تريبو على ذرات الرمل وقطرات المطر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم بما بطن وما ظهر.
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ومجتباه من البشر نبي شق عن صدره وشق له القمر، رسول ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر، حبيب أيده الله بمعجزات الآيات والصور.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه قادة الخير والبشر. وسلم تسليماً .

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

نظرت القبائل العربية المتاخمة للشام إلى فعال المسلمين يوم مؤتة بإعجاب شديد، مما زاد انتشار الإسلام بين القبائل العربية، ومهد لهذا اضطراب أحوال الدولة البيزنطية وإفلاسها، حتى دخل في هذه الفترة ألوف من العرب وحلفاء بني يهود، فكانت الغزوة فتحاً للمسلمين.

وظنت قريش أن انسحاب المسلمين من معركة مؤتة هزيمة قضت عليهم فأغرت بعض حلفائها للإغارة على قبيلة حليفة لرسول الله ﷺ ، فقتلوا منهم ونقضوا بذلك عهد الحديبية.

فما كان من حكماء قريش إلا أن سارعوا بإيفاد أبي سفيان يعتذر من رسول الله ﷺ ويسأله تأكيد العهد وعدم نقضه ومده إلى أجله.

ودخل أبو سفيان المدينة المنورة وسارع إلى ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ واستأذن عليها فدخل إلى بيت رسول الله ﷺ .

إخوة الإيمان : اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم ماذا يفعل الإيمان الصادق بقلوب المؤمنين:

إننا في حجرة رسول الله ﷺ وأرى أبا سفيان يريد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ فتسارع ابنته أم حبيبة فتطويه. قال لها: - يا بنية أرغبت بي عن الفراش أم رغبت به عني. فقالت السيدة أم حبيبة حبيبة الإيمان:

- هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس عليه.

وكانت صدمة ولطمة أعمت عقله، لم يفق منها حتى قال:

- يا بنية! والله لقد أصابك بعدي شر. وخرج مغضباً.

وراح يستجير بأصحابه القدامى ، جاء إلى الصديق والفاروق وسيدنا علي والسيدة فاطمة بحضور علي وكلهم رفضوا إجارته حتى قالت له السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

- إنه لا يجير أحد على النبي ﷺ .

فعاد أبو سفيان بأشد خيبة.

وهنا أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، وخرج مع أصحابه لعشر خلون من رمضان من السنة الثامنة للهجرة (على مارجحه الإمام البيهقي) ، وقد أخفى أمره وقال:

- اللهم خذ علي أبصار قريش فلا يروني إلا بغتة.

فحاول رجل يسمى حاطب بن أبي بلتعة أن يرسل خبراً برسالة إلى قريش مع امرأة لكن الله ﷻ كشف أمره وأطلع عليه نبيه فجيء بالرسالة وبالرجل فقال سيدنا عمر:

- يا رسول الله ﷺ دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال ﷺ : - إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعلَّ الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: "اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ". فأنزل ربّ العزة في شأن حاطب: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ .

وأرسل رسول الله إلى بعض القبائل أن يلاقوه في منطقة الظهران بين مكة والمدينة.

وسار رسول الله في عشرة آلاف مقاتل من جنود الله وهم صيام ، ثم أذن لهم بالفطر رحمة بهم ، وعقد لهم الألوية والرايات . حتى إذا بلغ الجحفة جاءه بعض أقاربه منهم العباس وأهله مسلمين، فسُرَّ رسول الله سروراً عظيماً، حتى إذا وصلوا إلى مَرَّ الظهران اجتمعت القبائل به وأمرهم رسول الله أن يشعل كل واحد منهم ناراً، فاشتعل الجبل ناراً، نيران عشرة آلاف مقاتل .

وأمر رسول الله أصحابه أن يفتروا تقوية لهم على دخول مكة المكرمة. وخرج أبو سفيان بن حرب ومعه بُديل من ورقاء وحكيم بن حزام ليستطلعوا خبر الصحابة ، فلما وصلوا الظهران رأوا النيران المشتعلة بين ثنايا الجيش فقال أبو سفيان:

- ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً .
فسمعه سيدنا العباس فقال: أبا حنظلة ! ويحك هذا رسول الله في الجيش، فارتاع أبو سفيان وقال: فما الحيلة فداك أبي وأمي.
فقال سيدنا العباس: أن تركب معي بغلة رسول الله حتى آتي بك فأستأمنه لك.

فسار به، فرآهما سيدنا عمر فصار يركض يريد أن يقتل أبا سفيان، فقال العباس وقد وصل إلى النبي: أنا أجرته يا رسول الله.
فقال له: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به.

وهنا أعلن بُدِيل بن ورقاء وحكيم بن حزام إسلامهما.

إخوتي في الله :

أريد اليوم أن أسطر عظمة الإسلام كيف كان قبل الهجرة وكيف صار بعد الهجرة، أريد أن أؤرخ للإسلام وهو لم يزل بعد في سنّ العشرين ربيعاً، أنتقل بكم إلى جوار مكة البيت الحرام، وقد بلغ القلق من أبي سفيان بن حرب سيد قريش مبلغه، ورأى في ليلته ما ملأ نفسه إعجاباً ؛ رأى المسلمين لما سمعوا الأذان انتشروا فتوضّؤا، ثم اقتدوا بالرسول الأعظم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، فقال:

- يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟.

قال : نعم، والله ولو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه.

ورأى أعجب من ذلك: أنه لما توضأ رسول الله ﷺ جعلوا يتسابقون على وضوئه يتبركون بمائه. فقال: يا عباس ما رأيت كالليلة ولا مَلِك كسرى وقيصر.

وفي الصباح: غدا به سيدنا العباس إلى رسول الله ﷺ فقال له:

- ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله.

فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد

ظننت

أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

فقال رسول الله ﷺ : - ويحك! ألم يأن لك أن تعلم أي رسول الله.

فقال: أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيء.

فقال له العباس: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك.

فقال أبو سفيان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقال سيدنا العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له

شيئاً.

فرأى رسول الله ﷺ بنور قلبه وواسع عقله أن يحفظ دماء الناس ويؤمنهم فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن. ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. وذلك لأن رسول الله ﷺ يكره سفك الدماء فكيف بالبلد الحرام؟! وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يوقف أبا سفيان حين تمر كتائب الجيش ليرى قوة الإسلام، وليكون نذيراً لقريش بالجنوح إلى السلام. فحبسه حيث أمره، ومرت القبائل على راياتها، فكانت كلما مرت كتيبة سأل العباس: من هذه؟ فيقول العباس: هذه قبيلة كذا. حتى مرت كتيبة لم ير مثلها فقال: من هذه؟ فقال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عباد مع الراية.

فقال سيدنا سعد: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فبلغت هذه الكلمة رسول الله ﷺ فقال: بل اليوم يوم الرحمة، اليوم يعظم الله فيه الكعبة.

وأمر بنزع الراية منه وإعطائها لولده قيس تأدياً له. ثم مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء يحيط به المهاجرون، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، رأى وشاهد المنتصر العظيم وقد أحنى رأسه حتى كادت لحيته تمس ظهر الناقة يشكر الله تعالى معظماً ومكبراً، رآه وقد اعتمَّ بعمامة سوداء قد أرخى عذبتها بين كتفيه يتلو سورة الفتح (خ) يرجع في تلاوته لها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.. كان رسول الله ﷺ مستغرقاً في حالة شهود مع الله تعالى شاكراً له أن أعاده إلى البلدة التي أخرجته، أعاده عزيزاً منصوراً مكرماً، وهو يتذكر قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وقد صدق الله وعده، وردّه إلى مكة. رأى أبو سفيان هذه الكتيبة وهي تسير خلف القائد الأعظم (صلوا عليه) فقال:

- يا عباس من هؤلاء؟.

قال: هذا رسول الله في المهاجرين.

فقال أبو سفيان: ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً!!.

فقال العباس كلمة واحدة: يا أبا سفيان إنها النبوة.

أي ملك هذا؟! لقد ألقى الملك والمال والجاه تحت قدميه يوم عرضتموها عليه. "إنها النبوة" هذه الكلمة التي أنطق الله بها العباس، أصبحت الردّ الباقي المستمر إلى يوم القيامة على كلّ من يتوهم أنّ دعوة الرسول الأعظم كانت للملك أو الزعامة أو لأجل قومية أو عصبية، فعلى القادة اليوم والملوك أن تكون دعوتهم لله، وسوف يرون كيف يوحد الله الأمة من جديد، عليهم أن يكونوا تحت راية البيت الحرام لا تحت راية البيت الأبيض ولا البيت الأحمر، إنها النبوة. هذه الكلمة: "إنها النبوة"، أيقظت أبا سفيان من غفلته الجاهلية، فأسرع إلى مسكنه نذيراً ينادي بأعلى صوته:

- يا معشر قريش! هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار

أبي سفيان فهو آمن.

أيها الأحبة :

سار القائد الأعظم على رأس جيش قسمه إلى أربع فرق، دخلت كل فرقة من جهة من جهات مكة، وذلك بغية تفويت فرصة القتال على أهل مكة في وقت يحبّ رسول الله ألا تراق نقطة دم على أرض الحرم، وقد شدّد ذلك على أصحابه، حتى حين علم أن سيدنا خالداً بن الوليد قد قاتل بعض المقاومين وقتل منهم بضعة

وعشرين اشتد غضبه، فلما علم أنهم هم البادئون سكن غضبه عليه الصلاة والسلام.

يا أحباب رسول الله: وفي أعلى مكة أمر رسول الله أن تضرب له قبة في منطقة الحجون فنزل بها، واغتسل وصلى ثماني ركعات، ودخلت عليه أثناءها أم هانئ ابنة عمه أبي طالب وقد أجارت رجلاً أراد سيدنا علي قتله، فقال ﷺ:

- قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، فكان ذلك سبب إسلام الرجل.

ثم قصد رسول الله الكعبة - معشر السادة - أدعوكم لتشهدوا هذه اللحظات لتلمحوا النور المشرق من سيد الكائنات شمس في الأرض تلوها شمس في السموات.

هذا رسول الله قادم من أعلى مكة في غير محيلة ولا استكبار مردفاً خلقه على راحلته سيدنا أسامة بن زيد، وتكاد لحيته تمسّ واسطة الرحل تخشعاً وتواضعاً وشكراً لله الذي أكرمه بالفتح الأكبر، والناس حوله في تهليل وتكبير، نجوم حول كوكبها المنير والملائكة بعد ذلك ظهر. ولما اطمأنّ الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته.

وأمر أن تزال الأصنام من حولها ومن داخلها، وكان وهو يطوف حول الكعبة يطعن الأصنام بعود في يده وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾.

فكانت الأصنام تتهاوى وكأنها على شفا حفرة إلى الأرض من غير رجعة، ورأت قريش بعينها الآلهة المزعومة الزائفة التي كانوا يعبدونها لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، تسقط وتهوي إلى الأرض، رغم أن علماء السيرة يذكرون أنها كانت مثبتة بالأرض بالرصاص والأحجار، ولماذا لا تنقلب لإشارته ﷺ ولا تتكسر، وقد قلب الله له جبروت قريش خضوعاً وذلاً، وجيء بمفتاح الكعبة ففتحت فدخلها وطمس

الصور التي على جدرانها، ثم صلى ركعتين مع سيدنا بلال، وأمر سيدنا بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة، فقام سيدنا بلال على ظهرها ونادى نداء الحق:

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وارتجت مكة بصوته وهي تسمع نداء الحق لأول مرة ، تردده الشعاب والجبال بل الشعوب والأجيال، وعندئذ هتف التاريخ ولا يزال : لاعزى ولاهبل بعد اليوم ، وإنما العزة لله .

ومن الذي رفع الأذان ؟ إن سيدنا بلال ، بلال الذي طالما عذب في رمضاء مكة على أيدي المشركين وكان يهمس : أحد ... أحد ... تحت أسواط العذاب، أراد الله أن يقف على ظهر الكعبة ليجلجل بصوته : الله أكبر .

واجتمع الناس مؤمنهم وكافرهم وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينتظرون ماذا يُصنع بهم، فأخذ مكاناً بجانب باب الكعبة وهم تحته، ووقف فيهم خطيباً، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة كانت في الجاهلية، أو دم، أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين .

يا معشر قريش؟: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاهم إن الله عليم خبير ﴾ .

ثم التفت إلى الصحابة وقال: وكنت قد أذنت لكم بالاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن أحد فليسرهنّ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً .

وهنا نظر رسول الله إلى قريش، إلى الذين ائتمروا به ليقتلوه، وعذبوه في المواقع الكثيرة في بدر وأحد والخندق وفي المواطن الكثيرة، ولو استطاعوا أن يمزقوه إرباً إرباً لفعلوا. نظر رسول الله إلى قريش وقد رأهم في قبضته وتحت يده، أمره نافذ في رقابهم، وحياتهم معلقة بين شفتيه، وحوله ألوف مدججة بالسلاح لو أمرها أن تبيد

مكة وأهلها في رجع البصر لفعلت، ولكنه سيدنا محمد، لكنه النبي، لكنه رسول الله ليس بجبار ولا متكبر ولا حاقد ومن أولى بالعفو من سيدنا محمد ، يقدر فعفا، وهو فوق الحقد وفوق الانتقام وفوق كل إنسان، قال:

- يا معشر قريش ما ترون أي فاعل بكم.

قالوا: خيراً ! أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

حبيبي رسول الله، يا أبا القاسم:

أتمثل الذكرى فيلمح خاطري	فيها بشير النصر للأحرار
يوم تحرر فيه بيت الله من	نصب ومن كفر ومن كفار
وهوت به الأصنام حائرة القوى	وعنت لتوحيد العلي الباري
سجدت ملائكة السماء لآدم	ليسجد الإنسان للأحجار
إني تحدّيت السموات العلى	بجميع ماضت من الأقمار
إن كان فيها مثل نور محمد	أو شبهه في رفعة المقدار
لو تحسد الفردوس يوماً بقعة	حسدت مكاناً فاز بالمختار

أعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

* * *

(٧٣)

على هامش فتح الفتوح

الحمد لله الذي عمت رحمته كل شيء ووسعت، وتمت نعمته على العباد وعظمت، ملك ذلت لعزته الرقاب وخضعت، وهابت لسطوته الملوك وخشعت. كريم تعلقت برحمته قلوب الراجين فطمعت، بصير بعباده يعلم ما أكنّت الصدور وأودعت.

نحمده على نعم توالى علينا واتسعت.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من النار يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما ابتهلت وفود الرحمن في المشاعر ودعت. وسلم تسليماً.

أما بعد: فالظلم مهما طال وامتدّ أمدّه فنهايته إلى زوال، والغلبة دائماً للحق ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾. وقد قيل:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدرا	فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تمام عيناك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقد ضرب الله لنا مثلاً في ذلك كفار قريش الذين حاربوا الإسلام ظلماً وعدوان، وجحدوا الحق واستيقنته نفوسهم، وصدّت عن سبيل الله، وهنا قال ربّ العزة كلمته ونمّد للظالمين مدّاً ومدّ الله لهم عشرين سنة، وهاهي صفحة الجاهلية تطوى، ويطوي معها عاداتها وتقاليدها لتدفن في غياهب الماضي الذي أدبر، ولم

يُبْقِي رسول الله ﷺ من عادات قريش إلا سدانة البيت لبني شيبه وإلا سقاية الحجيج لعمه العباس بن عبد المطلب ﷺ .

إخوة الإيمان : سارت قريش في ركب الإيمان تباع رسول الله ﷺ وتدخل في دين الله ﷻ أفواجاً، وعفا رسول الله ﷺ عن أعدائه جميعاً إلا بضعة عشر رجلاً وامرأة أمر بقتلهم، وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة ؛ منهم من آمن ثم ارتد عن دينه، ومنهم من قتل مسلماً غيلة، ومنهم من كان يهجوهم، ومنهم من تعرض للسيدة زينب بنت سيدنا النبي حتى أسقطت جنينها. ولكن رغم فداحة الجرم المرتكب كان إذا جاءه أحد من هؤلاء تائباً مسلماً عفا عنه وغفر له ﷺ .

منهم عكرمة بن أبي جهل الذي حاول الفرار إلى اليمن، وهمم بركوب البحر لولا امرأته المسلمة أم حكيم بنت الحارث استأمنت له سيدنا النبي ثم جاءت زوجها قائلة: جئتك من عند أبر الناس وخيرهم، لا تهلك نفسك، وإني استأمنت لك، فرجع معها، وما أن رآه رسول الله ﷺ حتى وثب فرحاً به وقال:

- مرحباً بمن جاءنا مسلماً مهاجراً، وراح عكرمة يستغفر ويتوب إلى الله تعالى من عداوته السابقة للإسلام وحسن إسلامه، وكان الصحابة يسبون أباه أبا جهل أمامه فيتأذى، فنهاهم رسول الله ﷺ قائلاً: « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء » .

ياعباد الله ﷻ : من كان يتخيل أن عكرمة بن أبي جهل على ما كان من كفره وعناده سيبلغ به الأمر أن يجاهد جيش الروم على باب حمص ، وهو يقول :

. قاتلت في الجاهلية عن الأصنام وأقاتل اليوم في طاعة الملك العلام .

ثم يلقي بمهجته بين الحراب والأسنة حتى تفتح لروحه أبواب الجنة .

والثاني: وحشي بن حرب قاتل سيدنا حمزة، عزم على الفرار إلى الشام أو

اليمن، ف قيل له:

- إن النبي لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه.

فخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال له: أوحشي أنت؟ قال: نعم،
ولولا آية أنزلت عليك لأسلمت، فقال: وما هي؟ قال:

﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون..﴾ وأنا قد أشركت وقتلت وزنيت.

فسكت رسول الله ﷺ فأنزل رب العزة:

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ .

فقال وحشي: قد تبت وآمنت ولم أعمل عملاً صالحاً.

فأنزل رب العزة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ .

فقال وحشي: فإن كنت ممن لا يشاء؟.

فأنزل رب العزة:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتب علينا يا تواب.

أعلن وحشي إسلامه، وهنا قال له رسول الله ﷺ: غيب عني وجهك فلا أرينك، ففعل وحشي وغاب عن ناظره حتى لا يذكره بمقتل عمه حمزة، لكنه احتفظ بجرته ليوم يعز الله فيه الإسلام على يديه.

وأما الثالث: فكعب بن زهير الشاعر ابن الشاعر، كان ينشد شعراً في هجاء سيدنا النبي، فأسلم أخوه بجير، وجاء به بعد أن اعتنق الإسلام، واحتفى بسيدنا الصديق فجاء به إلى حضرة سيدنا النبي ووقف بين يديه وقال له: يا رسول الله ﷺ هذا رجل جاء يبائعك، فعرفه سيدنا النبي وعفا عنه وأراه سماحة الإسلام، فوقف كعب بن زهير أمام الصحابة يلقي قصيدة طويلة جميلة منها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيّم إثرها لم يُفدَ مكبول
كلّ ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلهِ حذاء محمول
أنبئت أنّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعِظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عني الأقاويل
إنّ الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول

وهنا سرّ رسول الله ﷺ سروراً عظيماً ، فقام وخلع بردته أو عباءته التي كان يرتديها وأعطاهما لكعب سروراً بما وصفه به رضي الله عنه ^(١) .

وسميت هذه القصيدة بالبردة لأجل ذلك.

وهكذا - أيها الاخوة- نرى سيدنا النبي لا يستطع أن يهدر دم إنسان عظمت جرائمه ثم يأتيه مسلماً تائباً إلا عفا عنه لأنّ ربّ العزة قد وصفه بقوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ولهذا رأيناه يعفو عن عبد الله بن أبي السرح، هذا الصحابي الذي علا مقامه في الإسلام حتى أصبح قائداً على ميمنة جيش سيدنا عمرو بن العاص ثم تولى صعيد مصر بل مصر كلها في خلافة سيدنا عثمان ثم نراه يفتح أفريقيا حتى أسلم أنفاس الحياة وهو يسلم من الصلاة ، فما أن قال السلام عليكم ورحمة الله حتى فاضت روحه إلى الله تعالى .

وراح رسول الله ﷺ يطوف بالبيت وخلفه الصحابة مع بعض من أسلم حديثاً أمثال فضالة بن عمير .

معشر الإخوة الكرام: اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى المسجد الحرام، إلى جوار الكعبة المشرفة، وأرى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود

^(١) طلب سيدنا معاوية شراء هذه البردة بعشرة آلاف درهم فأبى كعب أن يبيعها، فلما مات كعب اشتراها من أولاده بعشرين ألف درهم. قيل وهي البردة التي عند السلاطين (الزرقاني على المواهب ٣ / ٧٠) .

يطوف بالبيت وخلفه الصحابة وخلفه فضالة بن عمير، فجاء خاطر لفضالة أن يهجم
بقتل سيدنا رسول الله ﷺ، فلما دنا من سيدنا النبي التفت عليه رسول الله ﷺ فقال:

- أي فضالة؟ قال: نعم يا رسول الله؟ فقال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟
قال: لا شيء، كنت أذكر الله تعالى. فضحك سيدنا النبي ثم قال: استغفر الله.
ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه. وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن
صدري حتى ما أحد من خلق الله شيء أحب إلي منه.

وأنتم -أيها الإخوة- ضعوا يداكم اليمنى على صدوركم وقولوا: يا رب اجعل
حبك وحب نبيك أحب إلينا من كل شيء، وارزقنا اتباعه على أحسن حال يا رب
العالمين. وكان الصحابة إذا أسلم الواحد منهم حسن إسلامه وترك المنكرات
مباشرة، قال فضالة:

- فخرجت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها. (أي في الجاهلية)
فقلت: هلم إلى الحديث - حديث الهوى والغرام - فقال:
- لا، ثم أنشأ يقول:

يا بى عليك الله والإسلام	قالت هلم إلى الحديث فقلت: لا
بالفتح يوم تكسر الأصنام	لو ما رأيت محمداً وقبيله
والشرك يغشى وجهه الإظلام	لرأيت دين الله أضحى بيناً

وهكذا - أيها الأحبة - يحول الإسلام حياة الإنسان حتى يصير إنساناً آخر،
ولهذا كان من أثر عفو النبي الشامل عن أهل مكة، والعفو عن بعض من أهدر
دماءهم أن دخل أهل مكة رجالاً ونساءً في دين الله تعالى أفواجاً، لأن القبائل
كانت ممتنعة عن الإسلام تنتظر قريشاً حتى تسلم، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً
قالت القبائل: إن مكة لا يفتحها ملك جبار أو من يريد لها سوءاً إلا فعل الله به
ما فعل بأصحاب الفيل، ويقولون لبعضهم: اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو

نبي صادق. فلما فتح الله لنبيه مكة وخضعت له قريش أقبلت القبائل تدخل في الإسلام أفواجاً أفواجاً .

وبث رسول الله سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة فكسرت كلها كالللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وراح مناديه ينادى ويقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره " وأرسل أصحابه إلى القبائل التي كانت حول الحرم فهدموا الأصنام جميعها.

وجاء سيدنا الصديق بأبيه يوم الفتح، وقد كُفَّ بصره، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية ، فقال سيدنا الصديق: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت.

فأجلسه بين يديه فأعلن إسلامه، وبذلك أسلم كل أهل بيت الصديق جميعاً : أبويه وزوجه وأولاده رضي الله عنهم.

لكن نفراً من كبار قريش منهم الحارث بن هشام وعتاب بن أسيد، وكانا مع أبي سفيان رفضوا أن يؤمنوا حتى يروا آية على صدق رسول الله ﷺ، وكانوا جلوساً بفناء الكعبة، وحين صعد بلال فوق ظهر الكعبة قال عتاب:

- لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فسمع منه ما يغيظه، فقال

الحارث بن هشام:

- أما والله لو كنت أعلم أنه محق لاتبعته.

فقال أبو سفيان:- لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى،

فطلع عليهم سيدنا النبي ﷺ فقال:- قد علمت الذي قلتم، ثم ذكره لهم.

فقال: الحارث وعتاب: نشهد أنك لرسول الله ﷺ ما أطلع على هذا أحد كان

معنا فنقول: أخبرك. وهكذا أعلننا إسلامهما واستسلامهما للإسلام.

معشر الإخوة: أقام رسول الله ﷺ في مكة ثمانية عشر يوماً، كان يقصر في الصلاة ويفطر لأنه كان على سفر ولم يرد الإقامة، وكان إذا صلى، وصلى خلفه أصحابه وأهل مكة قال: يا أهل مكة صلوا أربعاً فإننا سَفَر. فبلغه أن بعض حلفائه اعتدوا على رجل مشرك فقتلوه ثأراً لرجل قتل في الجاهلية، فغضب وقام بين الناس خطيباً فقال:

أيها الناس: "إن الله ﷻ قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله ﷻ إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله ﷻ واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يُعضدَ- يقطع- فيها شجراً، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب".

ثم أمر بدفع دية القتيل.

فالبلد الحرام- أيها الإخوة- يحرم القتال فيه، ويحرم الصيد فيه، أو قطع شيء من نباته، ويحرم دخوله لغير المسلمين، ولا يدخل المسلم حرم مكة إلا بإحرام في العمرة أو الحج إذا كان ممن لا يتكرر دخوله كالتجار والخطابين وأمثالهما وجاز عند الشافعية دخوله بدون إحرام إذا كان لعمل أراد فيه .

إخوتي في الله ﷻ : بهذا الفتح المبين سقطت دولة الأصنام والهيكل، وأصبحت الكعبة منارة التوحيد، وانتهى عهد الهجرة التي كانت واجبة من مكة قبل الفتح بعد أن أعز الله ﷻ الإسلام، وثبتت أركانه ودعائمه، وأما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فهي باقية إلى يوم القيامة.

وشعر الأنصار أن سيدنا النبي سيقى في مكة ، وأنه أدركته رغبة في قرينه ورأفة بعشيرته.

فقال بعضهم لبعض ذلك فنبأه العليم الخبير بما قالوا. فأتاهم فقال:
- يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله. قال: قلت أما الرجل فأدركته
رغبة في قرينه قالوا: قد كان ذلك.
قال: كلا ، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم
والممات مماتكم.

فأقبلوا جميعاً ليكون ويقولون: والله ما قلنا إلا ضناً بالله ورسوله (م).
وهنا عين سيدنا النبي أميراً على مكة عتاب بن أسيد، وكان سنه عشرين سنة،
وغادر مكة مع أصحابه الكرام.

أيها الإخوة: كان الفتح رحمة لقريش ولمن حولها من القبائل، كما قال رب
العزة: (فتحاً مبيناً) وعزاً لله ولرسوله وللمؤمنين ، عزاً هنا وهناك ، وما أدراك ما هنا
، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم
، وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم



(٧٤)

غزوة حُنين

الحمد لله المنتقم ممن خالفه، المهلك من أغضبه وآسفه، المتوحد في قهره، المنفرد بعزّ أمره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتره.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب ، وبرّاه من كلّ دنس وعيب.

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكاها، وأنزلهم يامولاي من منازل الكرامة أعلاها، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا أيها الإخوة:

غادر النبي الكريم مكة المكرمة بعد أن فتح الله تعالى عليه هذا الفتح المبين، غادرها لا إلى المدينة المنورة بل إلى حُنين، حيث تناهى إلى سمعه أنّ مالك بن عوف النضري قد جمع قبائل من هوازن وثقيف وغيرها خوفاً من سيدنا النبي ﷺ أن يقتحم عليه دياره، فأراد النبي الكريم أن يرُدَّ على العرب آخر سهم تريد رميه على الإسلام، فأمر أصحابه وقد بلغوا اثنا عشر ألفاً أن يتجهوا إلى حنين لمقاتلة هذه القبائل في شوال من السنة الثامنة للهجرة الموافق لعام ٦٣٠ م، واستعار دروعاً من أحد المشركين ليدعم فيها المقاتلين المسلمين.

وسارت كلّ قبيلة تحت رايتها وعلمها، وكلهم إعجاباً بهذه الكثرة التي لم تشهدها العرب من قبل، حتى قال قائلهم: إننا لن نُغلب اليوم من قلة.

وفي الطريق مرَّ السيد الأعظم وصحبه الكرام بشجرة عظيمة يقال لها: ذات أنواط يُذبح لها أهلُ الشرك ويعكفون عليها، فتذكر بعض المسلمين جاهليتهم التي

هجروها فقال بعضهم للنبي الكريم: - اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.
فقال: ﷻ أكبر قلتهم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى :
﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون﴾ ، لتتركب سنن من كان
قبلكم.

وبلغوا مكاناً يسمى حنيناً، والليل بدأ يرخي سدوله فباتوا ليلتهم، وما أن بدأ
الفجر يطلع حتى بلغ النبي الكريم أن القبائل المتجمعة قد جاءت برجالها ونساءها
وأطفالها وأموالها للحرب، فقال النبي الكريم: تلك غنيمتنا غدًا إن شاء ﷻ تعالى.
وأمر النبي الكريم بالمسير فركب بغلته، وما أن انحطَّ في الوادي، واستقرَّ الجيش
به حتى رأوا جيشاً عظيماً قد شدَّ عليهم من مضايق الوادي وقمم حنين ففاجأ
المقاتلين على حين غرّة من سيرهم بالوادي، وراحوا يقذفونهم بالنبال، والوقت في
عماية الصبح فاضطرب أمر بعض الجيش من المسلمين الذين أسلموا حديثاً، وأخذ
الخوف والفرع من قلوبهم فأدبروا، فأدبر أكثر الجيش عن المعركة وتفرّق شملهم.
وهنا بدأت تظهر الشماتة في صفوف من أسلم حديثاً، ورأى أبو سفيان بن
حرب ما حل بالجيش الذي انتصر بالأمس فقال وهو يبتسم: لا تنتهي هزيمتهم دون
البحر. وقال شيبه بن عثمان (وكان أبوه قد قتل يوم أحد) : اليوم أدرك ثأري من
محمد.

وقال آخر: ألا بطل السحر اليوم.

كلّ ذلك والجيش يضطرب ويهوج وبموج من هول المفاجأة، يفرُّ ويترك أرض
المعركة رغم كثرتة الكاثرة، ولسان حال كلّ منهم يقول: ترى هل تخلى ربُّ العزّة عن
نبيه وترك نصره إياه؟ أليس قد وعده بالنصر في المواقع.

إخوة الإيمان : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، فالخطب جلل والأمر
عسير، ولا ندرى ماذا فعل رسول ﷻ.

ها هو القائد الأعظم وقد رأى ما حلَّ بالجيش على أرض المعركة وأدهشه ذلك، فأراد أن يعلّم الصحابة درساً في الصبر في ساحات الوغى ، فاستقبل النبي الكريم الأعداء، وثبت في أرض المعركة ، وأحاط به جماعة من آل البيت ومن المهاجرين والأنصار، وهم يستقبلون الأعداء انقضوا كالصاعقة يظنون أنهم سيقضون عليهم في لمحات خاطفة، لكنهم دهشوا حينما اصطدموا في المعركة برجال كأطواد الجبال، وراح بعضهم يتراجع حينما رأوا القيادة ثابتة الأركان راسخة العزائم.

أيها السادة : أرى الآن أمامي الحبيب الأعظم في قلب المعركة وابن عمه الحارث

بن

عبد المطلب ماسك بخطام الناقة ، والعباس بجواره يصلون على الأعداء، إنني أرى الحبيب الأعظم غير هيَّاب ولا وَجَل ، ينادي بأعلى صوته:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

أنا النبي لقد وعدني اللهُ بالنصر ولا أكذب عليكم ، فعودوا إلى أرض المعركة، أنا ابن زعيمكم عبد المطلب ، وأمر النبي الكريم عمه العباس أن ينادي بصوته العالي: يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، يا للأنصار يا للمهاجرين..

أثارت هذه الكلمات نفوس الصحابة وبعثت في قلوبهم حب الوفاء بالعهد، ورأوا النبي الكريم ثابتاً مع بعض الصحابة، فعادوا جميعاً مندفعين نحوه: لبيك لبيك يا رسول الله. ونادى فيهم: من قتل قتيلاً فله سلبه.

وراح رسول الله ﷺ يلتجئ إلى ربه عزَّ وجل:

اللهم نصرك، اللهم إن تشأ لا تعبد في الأرض بعد اليوم. يا حي يا قيوم.

ونزل المدد من السماء، ملائكة يؤيدهم ربُّ الأرض والسماء، واشتدَّت رحي الحرب، وبدأت المعركة حامية الوطيس. فقال النبي الكريم: الآن حمي الوطيس. فأخذ

قبضة من تراب فرمى بهنّ وجوه الكفار ثم قال: انهزموا وربّ محمد. فما خلق الله منهم أحداً إلا ملئت عينه تراباً من تلك القبضة.

وألقى الله في قلوبهم الرعب، وولوا مدبرين يتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون. وفرّ مالك ومن معه إلى الطائف، وتحصّنوا بها وتركوا نساءهم وأطفالهم وأموالهم، فما رجع الناس إلا والأسرى بين يدي رسول الله ﷺ.

ورأى رسول الله امرأة مقتولة، قتلها سيدنا خالد بن الوليد، فنادى: الحقوا خالداً وقولوا له: - لا يقتلن وليداً ولا امرأة ولا أجيلاً.

وأمر رسول الله الصحابة أن يتابعوا فلول المنهزمين، لكنهم تحصّنوا بالطائف، فأمر بحصارها بضعة عشر ليلة، وهم يحاولون اقتحام أسوارها ولكن بدون جدوى، فاستعمل المنجنيق والدبابات الهجومية وحاولوا نقب الحصن فلم يفلحوا، فبدا له عليه الصلاة والسلام أن يترك الحصن حرصاً على الدماء وخاصة بعد غزوة حنين، وقد كان من نتائجها فناء قبيلتين من المسلمين أو كادتا تفنيان، وقد أصاب التعب المسلمين، ولعل الله تعالى أن يأتي بهم مؤمنين مهتدين فأمر الصحابة بالانسحاب. فقال أحدهم: يا رسول الله لقد آذونا وقتلوا منا، فادع الله عليهم. فقال الرؤوف الرحيم: اللهم اهد ثقيفاً واكفنا مؤنتهم.

إخوتي في الله: هذا هو الدرس الثاني بعد مؤتة، عنوان هذا الدرس ﴿وما النصر إلا من عند الله إِنَّ اللهَ عزيز حكيم﴾. إننا نذكر من عهد قريب درس بدر والخندق ومؤتة حينما كان العدو أضعافاً مضاعفة عن المسلمين، ومع ذلك كان النصر فيها للمسلمين، ونحن اليوم نشاهد درساً آخر، ولكنّ اليوم عدد المسلمين اثني عشر ألف مقاتل. النصر ليس بكثرة العدد والعدة، إنّ النصر من عند الله تعالى، وفي هذا يقول مولانا عز وجل: ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللهُ فَمَا لَهُ كَيْفٌ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَا لَهُ مِنْ عَاقِلٍ أَلَيْسَ لِلَّهِ الْخَلْقُ كُلُّهُ أَلْوَنٌ﴾.

إننا لا نقاتل بكثرة ولا عدد ولا قوة بل نقاتل بهذا الدين، إننا أقوياء بقدر
تمسكنا بديننا وعقيدتنا، إننا أقوياء بالله، لذلك كرّر ربّ العزّة هذا في كتابه
مرتين.

مرة في سورة آل عمران، ومرة في سورة الأنفال، وهو في كلّ مرة يقول لنا:
﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾
إن الله عزيز حكيم. فاعتبروا أيها الناس، وخذوا العبرة ممن كان قبلكم، وقد
قيل: من جرّب الحرب كان عقله مخرب، وكفانا تحبطاً في الحروب مع اليهود، وهلمّ
بنا نعد إلى الله تعالى: ﴿ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾.

أيها السادة : وقدم وفدٌ من هوازن مسلمين، وطلبوا من رسول الله أن يرد
عليهم أولادهم وأموالهم، فخيرهم بين أنبائهم وأموالهم، فاختاروا أنبائهم فردّها عليهم
عليهم، وأمر الصحابة أن من طابت نفسه أن يفعل مثله ليفعل فردّوا عليهم جميعاً
أنبائهم تأسيساً بالقدوة الحسنة ﷺ.

وعندما تم ذلك سألهم رسول الله عن رئيسهم مالك بن عوف فقالوا: هو
بالطائف مع ثقيف . فقال : أخبروه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته
مئة من الإبل. فلما بلغ مالك الخبر ركب حُفْيَة عن قومه وأتى النبي الكريم مسلماً
تائباً فردّ عليه ماله وأهله وأعطاه مئة من الإبل، فانطلق لسان مالك بالمديح والثناء
على رسول الله ﷺ، وبذلك ألّف قلبه للإسلام وجعله سيفاً من سيوف الحق على
الكفر وأهله.

ونظر رسول الله إلى الغنائم أمامه وقد أحصيت يومئذ اثنين وعشرين ألفاً من
الإبل، وأربعين ألفاً من الشاء، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وأما الأسرى فبلغوا
سنة آلاف، فرأى رسول الله أن يعطي الذين أسلموا حديثاً ليتألفهم بذلك، ورأى
أن يعطي بعض من لم يسلموا ليحببهم في الإسلام، لأنه كان يعلم أن بعض النفوس
عبيد الإحسان، ولقد قيل: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، ولهذا أمر

ربّ العزة أن يعطي المؤلفلة قلوبهم سهماً من الزكاة، فكان كثيرون ممن لم يسلموا صاروا بعد ذلك من كبار صحابة رسول الله ﷺ.

فأعطى أبا سفيان وولديه معاوية ويزيد كلاً منهم مئة من الإبل، وأعطى مثلها للحارث بن هشام، وعينيه بن حصن، والأقرع بن حابس، وسهيل بن عمرو، والعباس بن مرداس، وحكيم بن حزام، وكان كلما أعطى حكيماً مئة من الإبل استزاده حتى قال له الحبيب الأعظم: «يا حكيم إنّ هذا المال خَصْرَةٌ حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى».

فأثرت هذه الموعظة بنفس حكيم حتى قال:

- والذي بعثك بالحق لن آخذ من أحد بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا.

فكان بعد ذلك الصديق والفاروق يعرضان عليه العطاء فلا يأخذه رضي الله عنه. وأعطى النبي الكريم الأشراف ورؤساء القبائل يتألف به قلوبهم، ولم يدع لأحد منهم حاجة إلا قضائها، حتى أثار هذا العطاء بعض المنافقين فقال رجل منهم يقال له: ذو الخويصرة من بني تميم: - يا رسول الله اعدل.

فقال سيدنا النبي: - ويلك ومن يعدل إن لم أعدل، لقد خبت وخسرت إذا لم أعدل.

فطلب سيدنا الفاروق أن يضرب عنقه فقال النبي الأعظم ﷺ: - معاذ الله أن يتحدث الناس أنّي أقتل أصحابي، دَعَهُ فَإِنَّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ويمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.

وهكذا كانت سياسة النبي الشرعية كما قال هو: إني أعطي قوماً أخاف هلهم وجزعهم، وأَكِلُ قوماً إلى ما جعل الله من قلوبهم من الخير والغنى. ولأجل ذلك لم

يعط أحداً من الأنصار ما أعطى بقية الناس، فقال قوم منهم حديثوا السن: يغفر الله لرسول الله يعطي قريباً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم.

فرأى سعد بن عباد أن ينقل هذه المقالة إلى سيدنا النبي، فأمره أن يجمع قومه في مكان واحد وأتاهم.

معشر الإخوة : ما زلنا في الجعزانة حيث اجتمع الأنصار بعد توزيع الغنائم ، وأنا أنقل لكم هذا الحوار الذي جرى على الموجة الإيمانية للأنصار، يقول الحبيب الأعظم: - يا معشر الأنصار! ما قالة بلغتني عنكم ، وجة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟. فقال الأنصار:- بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل.

فقال السيد الأعظم: ألا تحيونني يا معشر الأنصار.

فقالوا: بماذا نحييك يا رسول الله ، والله ورسوله المن والفضل.

فقال السيد الأعظم: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتهم ولصدقتهم؟ أتيتنا مكذباً فصددناك ، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً قأويناك، وعائلاً فأسيناك. فقالوا: المن لله ورسوله.

فقال النبي الأعظم: « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة- شيء يسير- من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

وتأثر النبي الكريم، وفاض من قلبه الحب كل الحب لهؤلاء الذين بايعوه ونصروه واعتزوا به وأعزوه، وراحت كلماته العذبة تضرب على أوتار قلوب الأنصار وتهز المشاعر وتستولي على الوجدان، حتى أبكاهم جميعاً ، ونزل الدمع على لحاهم وقالوا:

رضينا بـالله رباً وبرسوله قسماً.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

روحي بحبك في الضياء تقيم والشوق مني في هواك عظيم
والقلب مسرور بذكر محمد في ذكره نور وفيه نعيم
صلى عليك الله يعلم الهدى ماهبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم

وهكذا- أيها الاخوة- أَرْضَى رسول الله جميع صحابته، فظهر من عدله وبعد نظره وحسن سياسته، ما مكنه لأن يعود بهذه الألف من العرب وكلهم راضية نفوسهم مطمئنة قلوبهم، مستعدون أن يهبوا حياتهم في سبيل الله تعالى.

أيها الأحبة : لما وجد النبي الكريم نفسه عند ميقات العمرة- الجُعْرَانَة- أحرم بالعمرة إلى مكة، وترك فيها معاذ بن جبل ليفقه الناس ، وعَتَّاب بن أُسَيْد أميراً على مكة.

وعاد هو والأنصار والمهاجرين قافلين إلى المدينة المنورة.

فريثما يصل رسول الله إلى هناك ، أدعوكم لتصلوا على النبي هنا ، وما أدراك ما هنا هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله : الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

(٧٥)

غزوة تبوك

الحمد لله الذي نصر نبيه الكريم في جميع المواقع والمواطن الجهادية. وأيده بالمعجزات والآيات الربانية، وأنزل عليه مدداً من ملائكته النورانية.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه الكريم:
﴿إلا تنصروه قد نصره الله﴾ إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي لا تحصى نعوته الشريفة الفاخر ، ولا تعدّ ولا تحصى آياته المنيفة العاطر.

فإنّ فضل رسول الله ليس له حدّ فيعرب عنه ناطق بضم
اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه بدور الكواكب السائرة ، وسلم تسليماً.
أما بعد:

فلم تكن ناحية من نواحي شبه الجزيرة العربية إلا بدأت تحسّ سلطان الإسلام، ولم تحاول طائفة أو قبيلة أن تقاوم هذا السلطان إلا بعث إليها سيدنا النبي قوة تحملها على الإذعان للإسلام، بدفع الخراج والبقاء على دينها، أو أن تدخل في الإسلام وتدفع الزكاة، وازداد المسلمون إحساساً بسلطانهم في كلّ ناحية، وقد استتب الأمن في ربوع الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها وقد بلغت الغزوات حتى الآن ستاً وعشرين غزوة وستين سرية، حتى تناهى إلى سمع النبي نبأ يؤكد أنّ

الروم تهيئ جيوشاً لغزو حدود العرب الشمالية لينسي الناس انسحاب المسلمين الماضي في مؤتة، وينسي الناس ذكر العرب وسلطان المسلمين الذي أصبح ينافس سلطان الروم والفرس، فلم يتردد رسول الله ﷺ هنيهة في تقرير مواجهة قوى البغي والعدوان والقضاء عليها بإذن الله تعالى، فقد كان من سياسته الحكيمة إذا علم أن قوماً هموا بغزوه أن يبادئهم قبل أن يغزوه، وكان الوقت صيفاً وقد طابت ثمار المدينة، وكان المسير في الصحارى إرهاقاً وقتلاً، لطول المسافة بين المدينة وحدود الجزيرة في تبوك حيث تجمع الروم ، إذ تبلغ ٧٧٨ كم، فكان لابداً لسيدنا النبي أن يخبر الناس بوجهته حتى يتهيؤوا ويهيؤوا الزاد والماء لأجل ذلك، رغم أنه كان لا يعلن عن وجهته لأية غزوة غزاها حتى يفاجئ العدو.

وهكذا أمر سيدنا النبي ولأول مرة كل قادر على كل السلاح أن يتهيأ لمحاربة العدو، وبذلك طبق ولأول مرة مبدأ الحرب الشاملة، فاستنفر أهل المدينة وما حولها، وأهل مكة وما جاورها، واستنفر الأعراب الضارين في الجزيرة ممن أسلموا.

ولبى النداء أهل الإيمان الممتلئة قلوبهم هدىً ونوراً فسارعوا إلى تجهيز دوابهم وعتادهم، ولم يتخلف إلا النذر اليسير وهم الذين آمنوا رغباً ورهباً، فتشاكلوا وبدأوا يلتمسون الأعذار ويهزؤون فيما بينهم بهذه الدعوة الموجهة إليهم خاصة في هذا الجو المحرق، والبعد المهلك، هؤلاء هم المنافقون الذين نزلت في حقهم سورة التوبة، وفيها التخويف من عذاب الله ﷻ يصيب من تخلف عن إجابة رسوله ﷺ : ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً﴾.

﴿وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ، جزاءً بما كانوا يكسبون﴾.

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾.

وتناهى إلى سمع النبي الكريم أن داراً ليهودي تثبّط فيها العزائم، ويجلس فيها المنافقون يدعون إلى التخاذل والتخلف عن الجهاد ويقولون: "يغزو محمد بني الأصفر - الروم - مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب، ولكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الجبال".

فبعث النبي الكريم إلى هؤلاء المنافقين طلحة بن عبيد الله في نفر من الصحابة فحرّق عليهم هذه الدار وكاد من فيها يحترقون لولا هروئهم، ولكنه كان درساً بالغاً للمنافقين فلم يجرؤ أحد منهم أن يفعل مثل فعلهم ثانية.

إخوة الإيمان : راح النبي الكريم يحثُّ أهل اليسار على النفقة في سبيل الله تعالى ويقول : « من جهّز جيش العسرة فله الجنة » .

وأقبل ذوو اليسار الأغنياء ينفقون النفقة العظيمة لتجهيز الجيش الذي أطلق عليه الحبيب الأعظم اسم "جيش العسرة" فأنفق سيدنا عثمان بن عفان ألف دينار وجهز ثلاثمئة بغير بأحلاسها وأقتابها وعدّها ، وحين ألقى الألف دينار في حجر سيدنا النبي قال لأصحابه: ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم ، ثم رفع كفيه إلى الله تعالى وقال:

اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض.

وراح سيدنا عمر يريد أن يسابق الصديق بالنفقة فقال الآن أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فذهب واحضر نصف ماله، فقال له رسول الله: ما أبقيت لأهلك، فقال: أبقيت مثله.

وهنا شاهد سيدنا عمر سيدنا الصديق وقد أتى بكلّ ما عنده من مال، فقال له سيدنا النبي: ما أبقيت لأهلك. فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، وهنا أعلن سيدنا عمر أنه لن يسابق الصديق إلى شيء بعد الآن أبداً.

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمئة أوقية ذهباً، وجاء العباس وطلحة بمال كثير، وبعثت النساء ما استطعن من الحلي، وأنفق كل رجل في حدود طاقته.

وتقدم القادرون على القتال فزوّدهم رسول الله ﷺ بعدة القتال، واعتذر إلى أناس فقال لهم: - لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون فسمّوا بالبكائين، وتخلف أناس آخرون، فكان المتخلفون في غزوة تبوك أربعة أقسام:

١ . مأمورون مأجورون كسيدنا علي بن أبي طالب الذي خلفه رسول الله ﷺ على أهله

فقال له: أتخلفني في النساء والصبيان فقال له: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فرضي سيدنا علي ، وخلف محمد بن مسلمة الأنصاري أميراً على المدينة، وخلف ابن أم مكتوم الأعمى .

٢ - ومعذرون وهم الضعفاء والمرضى والمقلّون، وهم البكاؤون الذين قال فيهم الحبيب الأعظم: « إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم ميلاً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله ﷺ وهم بالمدينة؟ » . قال: وهم بالمدينة حسبهم العذر» .

٣ - وأما القسم الثالث فهم العصاة المذنبون وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.

٤ - وملومون مذمومون: وهم المنافقون.

ورغم ذلك كله فقد اجتمع جيش عظيم فوق الثلاثين ألفاً من المسلمين تحت قيادة القائد الأعظم للقوات الإسلامية سيدنا محمد صلوات الله تعالى وسلاماته عليه وعلى آله وأصحابه، وجاء عبد الله بن أبي حقيير المنافقين بجيش من المنافقين فردهم رسول الله ﷺ لأنه كان ضعيف الثقة به وبصحّة إيمانه.

يا أهل الإيمان : لو رأيتم هذا المنظر الهائل ، كان منظر الجيش يأخذ بالألباب ويشد الإيمان على قلوب المسلمين وهنا أعطى النبي الكريم إشارة التحرك في رجب من السنة التاسعة للهجرة، وثار النقع والغبار وسمع صهيل الخيل عالياً ، وارتقت

النساء سقوف الدور لترى جيش الإيمان ينطلق راضياً بما سيصيبه في سبيل الله تعالى في هذه الصحراء المترامية ، ليواجه عدواً انتصر على الفرس في معاركه القتالية.

إخوتي في الله :

ترك النبي الكريم وراءه الذين تخلفوا عن الجيش مع القدرة على القتال، فلما انطلق الجيش تحركت مروءة بعض من تخلف، من هؤلاء أبو خيثمة الذي قدم إلى داره فوجد امرأته قد رشّت كل واحدة منهما عريشاً وبردت الماء وهيأت الطعام، فلما رأى ذلك قال: رسول الله في الحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم. هيئ لي زاداً حتى ألحق برسول الله. فلحق أبو خيثمة برسول الله في تبوك فقال الصحابة: هذا راكب على الطريق فقال رسول الله: كن أبا خيثمة. فقالوا هو والله أبو خيثمة يا رسول الله.

معشر السادة :

أريد أن أضعكم في صورة الموقف حتى تقدروا هذا الحدث الهام في تاريخ الإسلام، فالعرب قاطبة كانوا يخافون أن يغزوهم الروم في عقر ديارهم، وكانوا يرون أنفسهم أصغر بكثير من أن يقوموا هم بغزو الروم وكان الروم، قد انتصروا قبل سنتين على الفرس انتصاراً عظيماً لا مثيل له، وأما اليوم فإن المسلمين وأكثرهم من العرب يقومون ولأول مرة في التاريخ بغزو الروم، هذه الدولة العظيمة التي تعد كأمرिका اليوم، لذلك كان امتحاناً عظيماً على المسلمين غزو الروم لقلّة الماء والطعام، وكان الرجال الثلاثة يتعاقبون على جمل واحد طوال الطريق، وأصاب الناس مجاعة فاستأذنوا أن يذبحوا بعض إبلهم فقال سيدنا عمر يارسول الله بل أرى أن يأتوا بفضل أزوادهم ثم تدعو لهم بالبركة. فأمر النبي الكريم فجاء الناس بفضل أزوادهم، هذا يأتي بكف ذرة، وآخر بكف تمر، وآخر بكسرة خبز حتى تجمّع طعام يسير، فدعا رسول الله بالبركة ثم قال لهم:

- خذوا في أوعيتكم.

فأخذوا حتى ما تركوا وعاءً إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت منه فضله. فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فتحجب عنه الجنة.

أيها الأحبة :

لما وصل رسول الله ﷺ والصحابة إلى منتصف الطريق مر بمدائن صالح، وبها أطلال لقوم ثمود العصاة، الذين غضب الله عليهم وأنزل عليهم عذابه الشديد، هنالك أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالإسراع بالمشي بجوارها وغطى وجهه وتقعن بردائه وقال:

- إنكم بواد ملعون، لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين فيصيبكم ما أصابهم، ولا تشربوا من مائها ولا تستقوا من بئرها. وأمرهم أن يجاوزوها لينزلوا على بئر ناقة صالح فيستقوا منها.

فعجن أحدهم عجينه من مائها، فأمر رسول الله ﷺ بإلقائه وإطعمه للدواب. وسار الجيش تجاه تبوك، وعطش الناس عطشاً شديداً، فدعا رسول الله ﷺ مولانا عز وجل فأنزل رب العزة عليهم مطراً فارتووا منه جميعاً ببركة دعاء سيدنا النبي ﷺ .

معشرة الإخوة :

وبلغ الروم انطلاق جيش المسلمين وعدد قوته، ورغم أن قوتهم الضاربة قد بلغت أربعين ألف مقاتل، فقد آثروا الانسحاب بجيشهم إلى داخل بلاد الشام، فلما وصل السيد الأعظم تبوك وعلم الخبر لم ير مجالاً لتبعضهم داخل بلادهم، ومكث عشرين يوماً يرأسل أمراء الحدود فراسل صاحب العقبة، فجاء إلى رسول الله ﷺ مدعناً للإسلام وعلى صدره صليب من ذهب فقدم الهدايا والطاعة وصالح على دفع الجزية، وفعل مثل فعله عدة أمراء قرى ومدن، وكتب لهم رسول الله ﷺ عهد وأمان، وبذلك حمى رسول الله ﷺ حدود الجزيرة الشمالية ضد أي غزو من الروم أو الفرس.

وفي تبوك- أيها الإخوة- قل الماء في عين الماء، فأخبر النبي بذلك، فجاء فأخذ بيده الشريفة ماءً منها فمضمض بها فاه ثم بصقه في العين ففارت حتى امتلأت ، فهي كذلك إلى يومنا هذا - صلوا عليه.

معشر السادة : وقبل أن يعود رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة أرسل سيدنا خالد بن الوليد على رأس خمسمئة فارس إلى أمير دومة الجندل وقال له: إنك ستجده يصيد البقر، فوجده كما قال ﷺ فأسره وقتل أخاه، وأخذ قباءً كان عليه مخصوصاً بالذهب وأرسله إلى رسول الله ﷺ قبل مجيئه إليه. فلما رآه الصحابة راوحوا يلمسونه ويتعجبون منه، فقال لهم رسول الله ﷺ: أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا.

وجاء سيدنا خالد يسوق الغنائم ومعها أكيدر صاحب دومة الجندل أسيراً فعرض عليه النبي الإسلام فأسلم وأصبح حليفاً له. وفي طريق العودة إلى المدينة المنورة رأى رسول الله ﷺ المدينة من بعيد وهو بجوار جبل أحد قال:

- هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه.

واهتز الجبل طرباً وحباً برسول الله ﷺ وكان بجواره سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان فقال له: - اثبت أحد فإن فوقك نبياً وصديقاً وشهيداً.

وما أن دخل رسول الله ﷺ المدينة حتى استقبله الناس وهم يرددون:

طلع البدر علينا.. من ثنيات الوداع.. وجب الشكر علينا.. ما دعا لله داع .

وجاء الذين تخلفوا عن الغزوة يعتذرون وأكثرهم يخلق الكذب، وأعرض عنهم رسول الله ﷺ تاركاً حسابهم على الله تعالى ، إلا ثلاثة صدقوا الله ورسوله واعترفوا بتقصيرهم فأمر النبي الكريم بهؤلاء الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية أن يعرض عنهم المسلمون حتى إشعار آخر، لا يكلمهم أحد ولا تتصل بينهم

وبين مسلم تجارة. وذهب الثلاثة مذهولين كأنما أصابتهم صاعقة أو نازلة فانزلوا عن الناس كالبعير الأجرب.

أيها الأحبة والصحب : أنتقل بكم إلى هناك إلى سطح بيت كعب بن مالك، وأراه يذكر الله تعالى وقد ضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وقد فارقته الناس حتى زوجته فارقته إلى بيت أهلها وهو على ذلك خمسين يوماً إذ سمع منادياً من أعلى جبل سلع يناديه: - يا كعب بن مالك أبشر.

فخر سيدنا كعب ساجداً سجود الشكر، وعرف أن قد جاءه فرج الله تعالى، وما أن جاءه البشير حتى خلع ثوبيه فكساهما إياه. ثم استعار ثوبين وانطلق إلى سيدنا رسول الله ﷺ فلقاه الناس يهتفون بالتوبة فقال له رسول الله ﷺ ووجهه طافح بالسرور:

. أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك.

قال كعب: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله.

قال: لا، بل من عند الله. وتلا عليه قول رب العزة في حقه وحق صاحبيه:

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم، ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾.

﴿وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وهنا قال كعب: يا رسول الله إن من توبتي أن أخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك.

فقال كعب: يا رسول الله إنما نجاني الصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت.

وأنزل الله تعالى هناك : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ .

كونوا مع الصادقين هنا وهناك ، هنا في مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم ﷺ ، وتحيتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليك..

صلى الله
عليه
وسلم

(٧٦)

آية النصر عام الوفود

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويمًا، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً. وجعلنا من أهله تعلمًا وتعليمًا، حمد من عتمته رحمته وأفضاله، وغمرته أعطيته ونواله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أستزيد بها وفور نعمه، وأسترفد بها وفور كرمه.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي جمع بمبعثه شمل الحق بعد تفرقه، وقمع برسالته حزب الباطل بعد تطوقه.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعهم الذين سلكوا طريق سننه وصوابه، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيقول مولانا عز وجل: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

معشر الإخوة : متى ولماذا؟ متى نزلت هذه الآية ولماذا؟.

وقد علّقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية وهو ما أثر غزوة تبوك على القبائل التي لم تسلم في الجزيرة العربية؟. وهكذا الأسئلة أسألها واستمد العون من مولانا عزل وجل في الإجابة عنها .

أيها الإخوة: هذه الآية التي صدرت بها حديثي معكم تسمى آية الهجرة،
والسؤال الأول هو: متى نزلت؟ وأقول: نزلت في السنة التاسعة للهجرة .

والسؤال الثاني: لماذا تأخر نزول هذه الآية إلى ما بعد تسع سنوات من حادث
الهجرة، وللجواب عن هذا السؤال أقول:

لأن الله تعالى أراد أن يعلم الناس أنه نصر نبيه الكريم في جميع الغزوات والسرائيا
التي خاضها الحبيب الأعظم ، وقد أنزلها بعد آخر غزوة وهي غزوة تبوك ورقمها ٢٧
في الغزوات، ففي سبع وعشرين غزوة وستين سرية كان النصر فيها للمسلمين تحت
قيادة القائد الأعلى للقوات الإسلامية.

ولو نزلت هذه الآية بعد حادث الهجرة لقلنا إن الله تعالى نصر نبيه فقط في
الهجرة من مكة إلى المدينة. أما وقد نزلت بعد جميع الغزوات والسرائيا فلكي تفهم يا
أخي أن مولانا عز وجل قد نصر نبيه الكريم في كل معركة خاضها ولم يهزم في معركة
واحدة حتى في أحد كان رسول الله منصوراً.

إخوة الإيمان: كان هذا هو الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل.

تعالوا بنا نسأل هذا السؤال:

متى تتحقق الهزيمة؟.

متى يقال عن الجيش إنه قد انهزم؟.

متى يقال عن الدولة إنها قد انهزمت؟.

يحكم على الدولة أنها انهزمت بثلاثة أشياء أو بأحد ثلاثة أشياء:

الشيء الأول: إذا اغتصبت الأرض كما حدث في حرب العرب مع اليهود في

١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧، إذا أخذ العدو من عدوه أرضاً حكم على الدولة
بالهزيمة.

وأما في أحد فقد ظلت المدينة المنورة كما هي، بل إن المعركة دارت خارج المدينة عند جبل أحد على بعد ميل، هل تأثرت حدود المدينة المنورة فأخذ أبو سفيان وجيشه شبراً واحداً، لا، أما يوم النكسة فقد أخذوا سيناء والجولان والضفة الغربية. وإنني أذكر أن بعض المنافقين يومها أخذوا يطيبون خاطر بعضهم بعضاً ويقولون لا تحزنوا فقد هزم النبي يوم أحد، هزم النبي؟! كلمة لا تطاوعني نفسي أن أقولها. لذلك كان بعض العلماء المجاهدين وقتها يعنفون من يقول هذه الكلمة، عجيب: كيف يشبهون الثرى بالثريا، وكيف يشبهون التراب بالسحاب، وكيف يشبهون مسابح الأسماك بمدارج الأفلاك، سبحانه هذا بهتان عظيم. يوم أحد لم يأخذ المشركون شبراً واحداً من المدينة المنورة. ويوم النكسة أخذوا سيناء وأرض الجولان ومرتفعاتها والضفة الغربية ومدينة القدس والمسجد الأقصى - مسجد إسرائ النبي سيدنا محمد ﷺ

الشيء الثاني: يقال عن الأمة إنها انهزمت عندما تغير عقيدتها، المسلمون عندما نزلوا إلى المعركة يوم أحد، كانوا يرفعون شعار لا إله إلا الله، هل كانوا مسلمين وانقلبوا كافرين بعد المعركة، لا، إن الله تعالى يقول: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ .

هل غيروا العقيدة، هل دخلوا المعركة مسلمين وعادوا بعد المعركة ماركسيين، هل دخلوا المعركة يقولون لا إله إلا الله وعادوا بعد المعركة يقولون لا إله والكون مادة؟!؟

إن الصحابة كانت عقيدتهم كالجبال لا تتزعزع عن قلوبهم الطاهرة. **الشيء الثالث:** القضاء على الجيش، إذا قضى على الجيش كانت هذه هزيمة، فهل قضى على جيش الحبيب المصطفى في أي معركة خاضها، لم يحدث ذلك، وخاصة في أحد، لأن عدد المسلمين كانوا في أحد سبعة، وكان عدد القتلى في

نهاية المعركة سبعين شهيداً، سبعون من سبعمئة، أعتبر هذه هزيمة ؟ وكان عدد الكفار ثلاثة آلاف.

ثم أيقال على جيش قائده سيدنا محمد إهم هزموا ؟ لا ، لأن الله تعالى يقول: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ، ألم يكن النبي مؤمناً ؟ وإذا كان كلام المنافقين حقاً فقولوا: وكان حقاً علينا نصر الكافرين.

لم تؤخذ الأرض، ولم يغير المبدأ، ولم يُقضى على الجيش، فمن أين تأتي الهزيمة ؟ إن الهزائم لا تنزل على المؤمنين الصادقين، إنما تنزل على المعاندين الكافرين، تنزل على المنافقين الذين يحاربون الله ورسوله.

إنني أقول للمنافقين لا تتهموا حبيب الله بالهزيمة ، إن الله تعالى قال بعد كل الغزوات ﴿إلا تنصروه قد نصره الله﴾ ، إنني أقول لهؤلاء افهموا القواعد العسكرية.

إخوتي في الله : هؤلاء المنافقون الذين قالوا هذا القول في عهد النبوة باتوا يشكلون خطراً على الأمة الإسلامية، وخاصة بعد أن أنشؤوا مسجداً بجوار مسجد قباء، أووا إليه، وراحوا يحرفون كلام الله تعالى ويفرقون بين المؤمنين إضراراً وكفراً حتى أطلق المسلمون على هذا المسجد (مسجد الضرار) فأمر النبي الكريم بإحراق هذا المسجد وإزالته، فارتعدت فرائص المنافقين ولم يبق لهم من يحميهم إلا عبد الله بن أبي بن سلول حقير المنافقين، ولكن الله قصف عمره فلم يعمر بعد تبوك غير شهرين، ومات على أثر مرض، مات والحق ياكل قلبه على المسلمين فماذا فعل رسول الله ﷺ .

معشر الإخوة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى البقيع، وها هو حقير المنافقين ممدد على الأرض، وأرى الحبيب الأعظم يريد الصلاة عليه صلاة الجنازة فيتقدم سيدنا عمر تجاه صدره فيقول:

- أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا وكذا كذا؟ وراح يعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يتنسم، فلما رأى إكثار عمر عليه قال له: آخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت وقد قال الله تعالى:

﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ لو أني أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت، ثم صلى عليه ومشى بجنائزه وقام على قبره حتى فرغ منه.

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: فو الله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾..
فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى. (ت حسن صحيح).

وبذلك انهار ركن المنافقين وآثر من بقي منهم أن يخلص التوبة لله تعالى.
معشر السادة : بغزوة تبوك التي استغرقت قرابة شهرين تمت كلمة ربك في شبه الجزيرة العربية، إذ أدخلت الرعب في قلوب القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام، ورأت وسمعت خوف الدولة البيزنطية من هذه القوة الجديدة الضاربة من المسلمين، مما فتح لها مجال التعرف على الإسلام وتعاليم الإسلام ، فبدأت الوفود وفود القبائل تقدم على رسول الله ﷺ لتعلن إسلامها ودخولها في دين الله ، وكان ممن أسلم ثقيف التي دعا لها رسول اله بالهداية وقد وقف رئيس وفدهم يفاوض رسول الله ﷺ في المسجد النبوي يستأذنه، في ماذا ؟. اسمحوا لي أن أنقل لكم هذه المحاورة بين سيد الخلق وحبيب الحق وبين وفد ثقيف.

فقد قالوا لسيدنا النبي:

اأذن لنا بالزنا ، فقال رسول الله ﷺ : هو عليكم حرام ، و إن الله تعالى يقول:
﴿ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾

فقالوا: أفرأيت الربا؟! فقال رسول الله: لكم رؤوس أموالكم ، إن الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ قالوا: أفرأيت الخمر فإنه عصير أرضنا ولا بد لنا منه. فقال رسول الله: إن الله حرّمها: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾.

قالوا: أفرأيت الآلهة ما نصنع بها. فقال لهم: اهدموها. فقالوا: لا نفعل ولكن تول أنت هدمها. فبعث رسول الله رجلاً هدموها. يا أحباب رسول الله وقدم وفد الأشعريين من أهل اليمن فكانوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة
محمدًا وحزبه

فقال رسول الله لما رآهم: «أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية» . وبعث معهم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن للدعوة إلى الإسلام وأوصاهما: «يسراً ولا تعسراً وبشراً ولا تنفراً».

ودخل الناس في دين الله أفواجاً وامتدت سطوة الإسلام من بلاد الروم شمال الجزيرة، إلى اليمن وحضرموت في الجنوب، حتى سمي هذا العام التاسع بعام الوفود. وفرض الحج على المسلمين ، وبعث رسول الله أميراً على الحج سيدنا أبا بكر الصديق في ثلاثمئة صحابي، وبعث معه سيدنا علي يتلو سورة التوبة على الحجاج، وكان يصيح بالناس: - إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى انتهاء مدته.

أيها الأحبة : كان سيدنا النبي ﷺ إذا استقبل الوفود توجه إلى منزل السيدة مارية القبطية جاريته التي أهداها له المقوقس عظيم القبط، وأبشركم بشرى سارة فقد ولدت له ابنه سيدنا إبراهيم قرة عين سيدنا محمد ﷺ .

وكان يرى هذا الطفل ينمو ويتزعزع و يزداد شبهه بالحبيب الأعظم، مما زاده حباً به، وعلقاً ، هذا الولد أصبح عدد أولاد سيدنا النبي سبعة، كلهم توفوا ولم يبق إلا السيدة فاطمة وسيدنا إبراهيم رضي الله عنهما وأرضاهما.

وهكذا- أيها الإخوة- تطهّرت بلاد العرب من الأصنام وعبادتها ، وتم ذلك كله بعد تبوك طوعية واختياراً من غير أن تزهق نفس أو يراق دم. وكان رسول الله إذا أراد أحد الوفود أن يعود أدراجه إلى بلاده قالوا له: يا رسول الله اجعل علينا أميراً، فيسأل من أكثركم حفظاً للقرآن، ومرة سأل أحد الوفود، فتقدم صبي لم يبلغ العاشرة، فقال:

أنا يارسول الله. فقال له سيدنا النبي: ما تحفظ. فقال:

- أحفظ سورة كذا وكذا وسورة كذا وكذا، قال: وماذا تحفظ. قال الصبي: وأحفظ سورة البقرة. قال: تحفظ سورة البقرة: قال: نعم. فقال له النبي: أذهب فأنت أميرهم.

فكان يصلى فيهم الصلاة ويدّرسهم الإسلام. ومرة صلى وكان ثوبه قصيراً فانكشفت عورته أثناء السجود فقالت إحدى النساء غطوا عنا است قارئكم. عورته. يقول الصبي:

- فاشترو لي قميصاً وعباءة وعمامة فما فرحت بشيء فرحي بهما.

يا أحباب رسول الله: في هذه السنة التاسعة توفي ملك الحبشة الذي كان يلقب بالنجاشي وأمر الله نبيه الكريم أن يصلي عليه وهو في المدينة صلاة الغائب هو وأصحابه، وصلى رسول الله مع أصحابه عليه، وترحم عليه رسول الله وأثنى عليه الثناء كله.

فما هو الحدث الهام الذي كان في السنة العاشرة للهجرة؟

ما هو الحدث الذي اجتمع له مئة ألف صحابي من المسلمين؟ أعلق هذا السؤال إلى الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه
أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله: الصلاة والسلام
عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

(٧٧)

حجة الوداع

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وارتضاه لنا ديناً، أرسل لنا نبياً ورسولاً واختاره من بيننا، وأكرمنا بأنواع العبادات والقربات: بدأها بالتوحيد وثناها بالصلاة حتى إذا هاجرا الناس إلى المدينة فرض عليهم الصيام ، وجعل الزكاة طهرة للصائم من البخل والشح واللغو والرفث ، فقام بها الصحابة خير قيام وقالوا: سمعنا وأطعنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده أتم الدين بفرض الحج إلى بيته الحرام وأنزل آية عظيمة كانت عيداً لأولنا وآخرنا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بلغ من العمر ثلاثة وستين عاماً وبلغ عمر دعوته ثلاثاً وعشرين سنة وحج إلى بيت الله الحرام حجة الإسلام فقام بها على خير ما يرام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وآل بيته الكرام، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام :

روى الترمذي وابن ماجة أنه ﷺ حج ثلاث حجج قبل هجرته إلى المدينة، وعند الإمام مسلم في صحيحه أنه مكث بعد الهجرة تسع سنين لم يحج، ثم أذن قي السنة العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج.

فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله. يقول سيدنا جابر: فخرجنا حتى أتينا ذا الحليفة، وفي ذي الحليفة ولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر الصديق. فأرسلت إلى رسول: كيف أصنع؟ قال: اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي.

فصلى رسول الله ﷺ ركعتي الإحرام في المسجد، ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظر سيدنا جابر إلى الناس بين يدي رسول الله ﷺ من راكب وماش، وعن يمينه ويساره وخلفه مثل ذلك. حتى قيل إن عدد الصحابة كان ثمانين ألفاً. وساق رسول الله ﷺ معه الجمال مئة جمل لينحرها بعد حجه.

يقول سيدنا جابر: ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وأهل الناس بهذا الذي يهلّون به، فلم يردّ رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولزم رسول الله ﷺ تليته.

يقول سيدنا جابر: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه. ودخل مكة في ذي القعدة من السنة العاشرة استلم الركن، ورمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ .

فجعل المقام بينه وبين الكعبة، وصلى ركعتين: قرأ في الأولى سورة الكافرون، وفي الثانية سورة الإخلاص.

ثم عاد إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ .

ابداً بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقي عليه فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وهله، ثم نزل إلى الوادي وأسرع بين الميلين الأخضرين، ثم صعد إلى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا. ثم قال بعد أن انتهى من سعيه:

« لو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان ليس معه هدى فليحلّ وليجعلها عمرة » .

فقام سراقه بن مالك فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد؟.

فشَبَّكَ رسول الله ﷺ بين أصابعه الواحدة في الأخرى وقال: دخلت العمرة في الحج، دخلت العمرة في الحج، لا بل لأبد الأبد.

فلما كان يوم التروية - اليوم الثامن - توجهوا إلى منى فأهلّوا بالحج (لمن تحلل بعمره)، وركب رسول الله ﷺ بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس صلى الظهر والعصر قصراً وجمعاً ثم أمر بالقصواء فرحلت، فأتى بطن الوادي فخطب الناس، وأصدر قرارات هامة أكد فيها قواعد الشريعة الغراء وخاصة للذين أسلموا حديثاً ولم يتعرفوا بعد على الإسلام.

إخوتي في الله :

رسول الله ﷺ يخاطبكم من أربعة عشر قرناً، فقد وقف في عرفة يخاطب فيها الأجيال والتاريخ بعد أن أدّى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده ثلاثة وعشرين عاماً لا يكلّ ولا يملّ.

أيها المؤمنون :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جبل عرفات، ها هي الآلاف المؤلفة حول سيد الوجود خاشعين متضرعين، وقد شهدت عرفة لأول مرة دولة الإيمان، وها هو سيدي أبو القاسم رسول الله ﷺ ينظر من خلال هؤلاء إلى أمته "إلى العالم الإسلامي الذي سيملاً الأرض شرقاً وغرباً.

أيها الأحبة : أنتقل بكم إلى إذاعة داخلية نابعة من قلب الحبيب الأعظم وفمه، فاسمعوا وعوا يقول سيدي رسول الله ﷺ وقد أنصتت له جماهير المسلمين بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

« أيها الناس! اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً » .

وأنصت الدنيا لتسمع سيد الخلق، أنصت كل شيء في الوجود إلى الكلمة المودّعة ينطق بها فم سيدنا رسول الله ﷺ ، بعد أن أنست وسعدت به الدنيا كلها ثلاثة وستين عاماً، ها هو يلمح بالرحيل، ويخطب بكلمات جامعة تلخص شريعته، ويتوجه ببند وقرارات أخيرة يلقي بها إلى سمع العالم الإسلامي.

القرار الأول: أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا.

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة، ولا يحلّ لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، فلا تُرجِعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

القرار رقم (٢) : ألا إنّ كلّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية (خدمة الكعبة وسقاية الحاج).

فكلّ مفخرة كانت تتفاخر به القبائل وتقاليد العصبية القبلية من فوارق اللغة والإنسان والعرق واستعباد الإنسان أخاه بالذل والظلم والمراعاة، كلّ ذلك قد بطل أو مات اعتباره، فهو اليوم جيفة منتنة غيّبتها شريعة الله ﷻ في باطن الأرض.

هذه الأرجاس الجاهلية أبعدّها رسول الله ﷺ وأعلن أنّها حثالة مدفونة تحت قدميه.

القرار رقم (٣) : «وربا الجاهلية موضوع، قضى الله ﷻ أنه لا ربا، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وأول رباً أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله».

لذلك وردت الأحاديث والآيات الكثيرة بتحريم الربا، ولعن كلّ من يكون سبباً في أخذه والعياذ بالله ﷻ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون ﴿﴾.

يقول ﷺ : الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه. (صحيح).

ويقول ﷺ : الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام (ض).

"وإن أكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم، ويلقم الحجارة وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا" (خ).

القرار (٤) عدم التلاعب بالأشهر : فقد قرأ ﷺ قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا النِّسَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَيجزونه عاماً ويجزونه عاماً
ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويجزوا ما أحل الله ﴾
وهنا يقول ﷺ :

« إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، والسنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » .

فقد كانت العرب تحج كل عام في شهر من شهور السنة ، مرتين في شهر المحرم ، ومرتين في شوال وهكذا . فلما حج رسول الله وافق حجه في ذي الحجة وهو يوم الحج يوم خلق الله السموات والأرض ، فأمر سيدنا النبي بعدم التلاعب بالأشهر تقديماً وتأخيراً ، ولا حج بعد اليوم إلا في ذي الحجة ، وهكذا عاد الحج إلى وقته الأصلي الذي عينه الله يوم خلق السموات والأرض .

القرار رقم (٥) القضاء على ظلم المرأة : الذي كان في الجاهلية وتثبيت حقوقها

وكرامتها الإنسانية ، يقول ﷺ وريعة بن أمية خلفه يبلغ الناس عنه في

عرفات ، والناس منصتون كأن على رؤوسهم الطير يقول :

أيها الناس

اتقوا الله في النساء، إنّ لكم على نساءكم حقاً، ولهنّ عليكم حقاً، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلنّ أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، فإنّ فعلنّ فإنّ الله أذن لكم أن تعظوهن، وتمجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح (غير شديد ولا مؤلم) فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

واستوصوا بالنساء خيراً فإنّهنّ عوان (أسيرات) عندكم لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله (بعقد النكاح) فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنّ خيراً، ألا هل بلغت؟ الله اشهد.

القرار رقم (٦)

ذكر فيه رسول الله المرجعان الوحيدان للأمة عند استعصاء المشكلات التي قد تعترض في حياتنا في كل عصر بل هما الأمان من كل شقاء وضلال يقول ﷺ : "إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يطمع فيما سوى ذلك، فقد رضي مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم. وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

القرار رقم (٧):

"يا أيها الناس : اسمعوا وأطيعوا وإنّ أمراً عليكم عبد حبشي مجدّد ما أقام فيكم كتاب الله تعالى " .

هذا القرار حدّد علاقة الحاكم بالمحكوم مهما كان نسبه وشأنه ومظهره ما دام يحكم بكتاب الله وسنة رسوله فإذا حاد عنهما فلا سمع ولا طاعة.

إذاً- أيها الاخوة- الحاكم ليس له أي ميزة على العباد، وإنما حاكميته تأتي من حكمه الإسلامي، إنه بتعبير آخر أمين على أداء الأحكام الشرعية وتنفيذها، ولذلك لا يوجد في الإسلام ما يسمى بالحصانة أو الامتيازات عن المسلمين، فمجرد أن الحاكم ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله يخلع ويعزل، ولأجل هذا حين دخل أبو مسلم الخولاني على سيدنا معاوية وكان خليفة، سلم عليه قائلاً:

- السلام عليك أيها الأجير.

فقال حاشية الخليفة: قل: السلام عليك أيها الأمير.

فقال: السلام عليك أيها الأجير. فعاد أعوان الخليفة ينبهونه، لكن كرر مقالته:

- السلام عليك أيها الأجير.

فقال لهم سيدنا معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول.

فقال أبو مسلم: "إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها ودأويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وقاك سيدها، وإن أنت لم تهناً جرباها ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها".

أيها الإخوة: وفي آخر خطبة الوداع استشهد رسول الله أمته على أنه أدى الأمانة ونصح الأمة وبلغها شريعة الله تعالى، فنادى بهم قائلاً:

- وإنكم ستسألون عني، فما أنتم قائلون.

وارتفعت الأصوات من حوله تصرخ: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

ﷺ

وهنا شعشع الرضى في عيني الحبيب الأعظم، ونظر إلى الأعلى مشيراً بسبابته إلى السماء ثم إلى الناس يقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد.

و أنزل رب العزة على نبيه الكريم آية عظيمة كانت عيداً لأولنا وآخرنا وسعادة أبدية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الإسلام ديناً ﴿ وبكى سيدنا أبو بكر الصديق إذ أحسَّ أن النبي قد تمت رسالته ودنا اليوم الذي سيلقى فيه ربّه عز وجل .

لكنها كانت سعادة وأي سعادة تلك التي أحسها رسول الله وهو يرى آلاف مؤلفة ترتفع أصواتها وتعج بتوحيد الله ، وجباها ساجدة لدين الله ، وقلوبها خفاقة تجيش بحب سيدنا رسول الله .

إخوة الإيمان :

كانت هذه الشهادة من تلك الآلاف المؤلفة من حول سيدنا رسول الله شهادة كلّ جيل وعصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

و من هنا ، وفي هذا الزمان يا سيدي يا رسول الله نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فجزاك الله عنا خير الجزاء ، أشهدوا الله . أيها الإخوة . لنبينا ﷺ وقلوا : الله إنا نشهد أن رسولك قد بلغ وأدى ونصح .

وهكذا نزل رسول الله من عرفة وراح يتابع حجه الشريف ، فنزل إلى مزدلفة ، ثم منى فرمى جمار العقبة ، ثم نحر بيده الشريفة ثلاثاً وستين بدنة على عدد سني حياته ﷺ وكانت الإبل أو الجمال تسرع إليه ﷺ لتتبارك بنحرها على يده الشريفة ﷺ ، رأى ذلك كله الصحابة رضي الله عنهم ، ثم أعطى سيدنا علياً فنحر باقي الجمال المئة .

وأمر رسول الله الحلاق فحلق شعر رأسه ﷺ ، وراح يوزعها على صحابته ﷺ فلا تسقط شعرة من رأسه إلا بيد صحابي .

ولبس ثيابه ﷺ وتطيب ونزل إلى مكة فطاف حول الكعبة طواف الفرض ، ثم شرب من زمزم و أتم حجّه ﷺ كما هو معروف ومشهور في أعمال الحج .

أيها الإخوة :

كانت هذه هي حجة الإسلام .. أكمل الله فيها للناس دينه و أتم عليهم نعمته.

وكانت هذه حجة البلاغ .. أتم فيها النبي الكريم بلاغه للناس بما أمره ربه عز وجل. وكانت حجة الوداع .. إذ رأى فيها سيدنا محمد ﷺ مكة والبيت الحرام للمرة الأخيرة. نفسي فداك ياسيدي يا رسول الله ﷺ .

معشر السادة : وفي طريق عودته من مكة إلى المدينة المنورة تناهى إلى سمعه كلاماً عن سيدنا علي وعده، حين أرسله إلى اليمن، فقام فاخطب الناس بمكان يسمى غدير خم، مبيناً فيه فضل سيدنا علي بن أبي طالب وعده وقُرْبُهُ إليه كما رواه النسائي فقال:

" إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض "، ثم قال:

«الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد سيدنا علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ».

إخوة الإيمان :

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة حب القرابة قرابة سيدنا النبي ، آل البيت، واحترام الصحابة، اللهم أشهد أننا نحب آل بيت رسولك الكريم وصحابته أجمعين بدون استثناء لأحد منهم، فهل تشهدون أيها الإخوة: قولوا: نعم.

يعزّ أعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ،
الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله ﷺ
الصلاة والسلام عليك.

(٧٨)

وفاة الحبيب الأعظم ﷺ

٥٢ ق هـ ١١ هـ

الحمد لله المتفرد بالبقاء، الذي حكم على جميع خلقه بالانتقال عن دار الشقاء.
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره في السراء والضراء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا
فناء.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله،
أشرف جميع الخلائق في الأرض وفي السماء المنزل عليه قوله جل جلاله: ﴿إِنَّكَ
مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ فإنّا لله وإنا إليه راجعون.
اللهم صل وسلم وبارك وعظّم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته إلى يوم الدين. وسلم تسليماً.
أما بعد :فيا أيها الإخوة..

عاد سيدنا رسول الله ﷺ من حجّة الوداع مصحوباً بالعافية وألوف الصحابة إلى
المدينة المنورة، وقد طابت نفسه لرسوخ الإسلام في الجزيرة العربية، لكنه عاد ليجد
أنّ بعض الذين فتنهم الله ﷻ ادّعوا النبوة منهم: طليحة زعيم بني أسد، ومسيلمة
الكذاب، والأسود العنسي في اليمن، وأراد كلّ واحد منهم أن يقتسم الأراضي مع
سيدنا النبي ﷺ، فقد بعث مسيلمة برسوله ليقول لبنينا الأعظم : إنه نبي مثله، وإن
له نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، فلما قرأ النبي هذا الكتاب التفت إلى
رسولي مسيلمة الكذاب وقال : - "لولا أن الرسل لا تقتل لأمرت بقتلكما"
وأعطاهما جواباً لمسيلمة الكذاب كتب فيه: « من محمد رسول الله ﷻ إلى مسيلمة

الكذاب : إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، والسلام على من اتبع الهدى .

وهنا التفت النبي الكريم إلى أصحابه وقال فيما رواه الشيخان:
"بيننا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إلي في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابَيْن يخرجان من بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة".

وكان ﷺ يقول: « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلُّهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » (ت، د).

لكن النبي الكريم كان مهتماً لتثبيت دعائم الدولة في الشمال ضد الروم ولأجل ذلك جهز جيشاً بقيادة سيدنا أسامة بن زيد، وجعله قائداً على المهاجرين والأنصار، فعسكر بمنطقة الجرف بجوار المدينة حين بلغه أن رسول الله ﷺ قد فاجأه المرض، فتوقف حتى تطمئن نفوس الصحابة إلى ما يكون من أمر الله ﷺ في نبيه ورسوله ﷺ .

وفي هذه السنة العاشرة توفي ابن الحبيب الأعظم سيدنا إبراهيم عن سنة ونصف من العمر. توفي بين يدي والده سيدنا رسول الله ﷺ الذي بدت صورة الألم على قسمات وجهه ، وضعه في حجره وقال: « إنا يا إبراهيم لا نغني عنك من الله شيئاً » وبكى رسول الله ﷺ لفراقه وسالت دموع النبوة على خديه وقال : "يا إبراهيم لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا يلحق بأولنا لحزننا عليك أشد من هذا". وسكت هنيهة ثم قال: "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا يا إبراهيم على فراقك لمحزونون".

إخوة الإيمان : كان عليه الصلاة والسلام بعد الحج يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار، وخاصة بعد أن أنزل عليه ربه عز وجل:

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾.

وبقي رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع/ ٨١ / يوماً، فإذا بليلة يقول لمولاه أبي مويهبة:

- إني أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي.
فلما وقف على المقابر خاطب أهلها: "السلام عليكم يا أهل المقابر يهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شرُّ من الأولى".
واستغفر رسول الله ﷺ لأهل البقيع، ثم عاد مع مولاه (عبده الذي أعتقه) فقال له:

- يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة؟.

قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة.
فقال سيدنا رسول الله ﷺ: " لا والله يا أبو مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة".
وفي مسجد سيدنا النبي أمر رسول الله ﷺ سيدنا بلالاً أن يؤدّن بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار فصلّى بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب، وبكت منها العيون، ثم قال: "يا أيها الناس، أي نبي كنت لكم؟". قالوا: جزاك الله من نبي خيراً، فلقد كنت لنا كالأب الرحيم، وكالأخ الناصح المشفق أدت رسالات الله ﷻ، وأبلغتنا وحيه، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

ثم ناداهم قائلاً : . ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد (ليقتص) ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد ولا يقولن قائل : أخاف الشحناء (البغضاء) من قبل رسول الله ﷺ .

ألا وإن الشحناء ليست من ثنائي ولا من خلقي ، وإن أحبكم إلي من أخذ حقاً إن كان له عليّ ، أو حلّلي فلقيت الله عزّ وجل وليس لأحد علي مظلمة " .
ألا فلتشهد الدنيا إلى أيّ حد وصل عدل الحاكم مع المحكومين ، وإلى أي حد بلغت المساواة في الإسلام .

فنصحهم ووعظهم وذكرهم بالله تعالى .
ثم مرض رسول الله من يومه ثمانية عشر يوماً يعودُه الناس .
ودخل النبي الكريم على السيدة عائشة فوجدها تشكو صداعاً في رأسها وتقول وأرأساه فقال لها: بل أنا- والله يا عائشة- وأرأساه .
وكان الألم في أول الأمر يتردد عليه ويعاوده مرة بعد مرة، وكان يبيت عند كل واحدة من أمهات المؤمنين بالترتيب حتى رأى في نفسه أنه بحاجة إلى التمريض فاستأذن نساءه أو نساؤه طلبن منه أن ينتقل إلى بيت السيدة عائشة رضي الله عنها.

وكان وهو يصلي بأصحابه يسمع همساً عن سيدنا أسامة وإمارته للجيش ، وأنه أمّر شاباً عمره عشرون سنة فشعر بضرورة التحدّث إلى الناس، فأمر أزواجه بإحضار سبع قرب من آبار شتى لكي يغتسل بها، فأقعده في مخضب وصبوا عليه الماء من شدّة الحمى التي كانت تعتريه ﷺ حتى قال: حسبكم حسبكم .
ولبس ثيابه وعصب رأسه وخرج فخطب بالناس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: -
أيها الناس انفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها.

ثم سكت هنيهة ثم قال:

إني بين أيديكم فَرَط (سأسبقكم إلى الله تعالى) ، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإنني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإنني قد أعطيت مفاتيح

خزائن الأرض، وإني لا أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها كما تنافسوا فيها (أي من قبلكم) فتهلككم كما أهلكتهم. وأوصى المسلمين ألا يتركوا في جزيرة العرب دينين، وقال: أخرجوا منها المشركين. ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة و بين ما عنده فاختار ما عند الله. وسكت الناس، لكن سيدنا الصديق أدرك أن سيدنا النبي إنما يعني نفسه بهذه العبارة فلم يستطع لفة قلبه وعظيم صداقته للنبي أن يمسك عن البكاء وقال:

. بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا.

فأشار إليه رسول الله قائلاً: على رسلك يا أبا بكر ، ثم أمر أن تقفل جميع الأبواب المؤدية إلى المسجد إلا باب أبي بكر. فلما أقفلت قال: إني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه، وإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده. كانت هذه الكلمات الخالدات في حق الصديق رضي الله عنه لم تسجل لغيره من أصحاب رسول الله ﷺ .

ثم أوصى رسول الله بالمهاجرين والأنصار خيراً. وعاد إلى بيته ﷺ . واشتدت وطأة المرض على سيدنا رسول الله فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، وحاولت السيدة عائشة أن تجعل الفاروق يصلي، لكن رسول الله ﷺ أصر قائلاً:

. مروا أبا بكر أن يصلي بالناس.

فصلى الصديق بالناس، ومرة غاب الصديق فقدم سيدنا بلال سيدنا عمر الفاروق فصلى بالناس وكان صوته جهوراً فسمعه رسول الله ﷺ فقال: أين أبو بكر، يأي الله ذلك والمسلمون.

واشتدت الحمى فكان إذا لمس رسول الله ﷺ أخذ أصابته الحمى.

وكانت السيدة فاطمة تعود يومياً فكانت إذا دخلت عليه في مرضه أسرعته إليه فقبلته وكان يجلسها إلى جواره، ويسرّ إليها بالحديث ، فمرة فعل ذلك فراحت تبكي، ثم أسر إليها فضحكت. وإذا به يقول لها : إنه سيقبض في مرضه، وإنها أول الناس حقوقاً به من أهله.

ودخلت مرة عليه فرأته يعاني شدة المرض فقالت: واكرب أبتاه.
فقال لها:

- لاكرب على أبيك بعد اليوم.

وفي رواية قال لها:

يا فاطمة أخبرني جبريل أنه ليست امرأة من نساء المسلمين أعظم مصاباً منك بي بعدي، فلا تكوني أدنى امرأة منهم صبراً، فاصبري يا ابنتي واحتسبي عند الله أجرك تكوني أول الناس حقوقاً بي.

فقالت السيدة فاطمة:- احتسبتك عند الله تعالى. فتوفيت بعد رسول الله بستة أشهر.

إخوتي في الله : ترك سيدنا أسامة بن زيد الجيش في الجرف، وعاد إلى المدينة حين علم شدة مرضه ﷺ فدخل عليه فرآه قد أصمت، فلما أبصره النبي الكريم جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على أسامة علامة الدعاء له.

وكان عنده سبعة دنانير فأمر أهله أن يتصدقوا بها، فنسوا ذلك لشدة اعتنائهم برسول الله ، فلما أفاق مرة سألهم:- ما فعلتم بها. قالوا: نسينا يا رسول الله. فقال:

- ما ظنّ محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه الدنانير، تصدّقوا بها.

وصلّى الصديق بالناس سبع عشرة صلاة، وفي صباح يوم من أيام مرضه وأثناء صلاة المسلمين للفجر، وجد رسول الله خفةً فدخل معتمداً على سيدنا علي والفضل بن العباس، وكان يصلي بالناس الصديق فلما رآه المسلمون فرحوا فرحاً

شديداً فصاروا يحمدون الله تعالى بصوت مرتفع، وأحسَّ سيدنا الصديق بأن رسول الله سبب ذلك فتراجع إلى الخلف ليفتح الطريق لرسول الله ليتابع الصلاة بالناس، فدفعه رسول الله في ظهره قائلاً : "صلَّ بالناس". ثم جلس إلى جنبه قاعداً مقتدياً بالصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه. فلما فرغ من الصلاة خطب بالناس قائلاً:

أيها الناس:

سَعَرَت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني - والله - ما تمسكون علي بشيء إني - والله - لم أحلَّ إلا ما أحلَّ القرآن ولا أُحرِّم إلا ما حرم القرآن، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

أيها الناس: بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، هل حُلِّد نبي قبلي فيما بعث إليه فأخلد فيكم، ألا وإني لاحق بري، ألا وإنكم لاحقون بي، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم خيراً ، فإنَّ الله يقول: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

إنَّ الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، إنَّ الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾

أيها الناس: أوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين ﴿تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أن تحسنوا إليهم.

أيها الناس: ألم يشاطرونكم في ثمارهم، ألم يوسَّعوا في ديارهم، ألم يؤثروا على أنفسهم وبهم الفقر والخصاصة .

ألا فمن ولي أن يحكم بين اثنين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم.
ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي.

ألا إن موعدكم الحوض، ألا فمن أراد أن يلحق بي غداً فليكف يده ولسانه إلا فيما ينبغي.

أيها الناس: إن الذنوب تغير النعم، وتبدل القسَم، فإذا برَّ الناس برَّهم أئمتهم وإذا فجروا عَفَّهم أئمتهم.

وراح رسول الله يدعو لأصحابه قائلاً :

حَيَّاكم الله بالسلام، رحمكم الله ، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله، أستخلفه عليكم، أحذركم الله، إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في بلاده وعباده، فإنه قال لي ولكم: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾.

فقال سيدنا علي رضي الله عنه: يا رسول الله إذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيما نكفئك؟ ومن يصلي عليك، ومن يدخلك القبر؟. فقال ﷺ:

- يا علي أما الغسل فاغسلني أنت وابن عباس يصب لك الماء وجبريل ثالثكما، فإذا أنتم فرغتم من غسلي فكفوني في ثلاثة أثواب جدد، وجبريل عليه السلام يأتيني بحنوط من الجنة، فإذا أنتم وضعتوني على السرير، فضعوني في المسجد واخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي رب العالمين عز وجل من فوق عرشه، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً، ثم أدخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً، لا يتقدم علي أحد، واقرؤوا مني السلام على من تبني علي ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة.

(وعليكم السلام ياسيدي يا رسول الله ورحمة الله وبركاته).

معاشر المسلمين :

أستودعتكم الله، أنتم في رجاء الله وأمانه ، والله خليفتي عليكم، فإني مفارق الدنيا، هذا أول يوم من الآخرة، وآخر يوم من الدنيا.

كان هذا - أيها الاخوة- البيان الحمدي للأمة الإسلامية شرقاً وغرباً .

وفرح المسلمون لنشاط رسول الله ﷺ ، واطمأن الصديق عليه واستأذنه لكي يخرج إلى زوجته بنت خاروجة في السُّنْح فأذن له، وتفرق المسلمون كل لشأنه، وعاد النبي الكريم إلى بيت السيدة عائشة رضي الله عنها. وكان ذلك ليلة الأحد.

وكان آخر عهده ﷺ بالناس يوم كشف ستر الحجرة النبوية فرأى المسلمين يصلون خلف الصديق فتبسم ضاحكاً ﷺ ، وكاد المسلمون أن يفتتنوا لولا أنه أشار إليهم بإكمال الصلاة، هذا هو آخر مشهد رآه رسول الله ﷺ مشهد الصلاة، وكان هذا هو العهد الأخير.

فيا أيها الناس : العهد العهد الذي فارقتنا عليه رسول الله ﷺ وهو راض يتبسم، من كان يحب الله ﷻ ورسوله فلا يترك الصلاة فإنها عهد الله ﷻ ورسوله .

وأما الآن فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى الحجرة النبوية، فإننا في يوم الاثنين ٨ حزيران سنة ٦٣٢ م وكان يوماً حاراً، فدعا النبي الكريم بإناء فيه ماء بارد راح يضع يده فيه ويمسح بمائه وجهه، وهو يكرر ويقول:

. اللهم أعني على سكرات الموت. وراح يكررها، وقد اشتد الوجع بحبيب الله ﷻ ها هو الباب يُطْرَق، وقد وقف على باب الحجرة أعرابي يستأذن بالدخول قائلاً:

- السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، أَدْخِلْ؟.

فقالت السيدة عائشة للسيدة فاطمة:- أجيبي الرجل.

فقالت السيدة فاطمة رضي الله عنها: آجرك الله ﷻ في ممشاك يا عبد الله ﷻ، إنَّ رسول الله ﷻ مشغول بنفسه.

فنادى الثانية فأجابته بمثل ذلك، ثم نادى الثالثة:

- السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، أَدْخِلْ فلا بُدَّ من الدخول.

وسمع رسول الله صوت الأعرابي فقال: يا فاطمة مَنْ بالباب؟
فقلت: يا رسول الله! إنّ رجلاً بالباب يستأذن بالدخول، فأجبناه مرة بعد
أخرى، فنادى بالثالثة صوتاً اقشعرّ منه جلدي وارتعدت فرائصي. فقال لها سيدنا
النبي:

- يا فاطمة! أتدريين من بالباب، هذا هادم اللذات ومفرّق الجماعات، هذا
مرمّل الأزواج ومُتَيِّم الأولاد، هذا مخرب الدور وعامر القبور، هذا ملك الموت عليه
السلام، ادخل يرحمك الله يا ملك الموت.

فدخل ملك الموت على سيدنا رسول الله بزي أعرابي، فقال له الحبيب الأعظم:
- يا ملك الموت جئتني زائراً أم قابضاً؟

قال: جئتك زائراً وقابضاً، وأمرني الله عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك،
ولا أقبض روحك إلا بإذنك، فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي.

فقال رسول الله ﷺ: يا ملك الموت! أين خلفت حبيبي جبريل؟

فقال: خلفته في السماء الدنيا والملائكة يعزّونه فيك.

فما كان أسرع أن أتاه سيدنا جبريل فقعده عند رأسه. فقال رسول الله ﷺ:

- يا جبريل هذا الرحيل من الدنيا. فقال سيدنا جبريل: ولآخرة خير لك من
الأولى.

قال: فبشرني مالي عند الله؟ قال: أبشرك يا حبيب الله أني تركت أبواب
السماء قد فتحت، والملائكة قد قاموا صفوفاً صفوفاً بالتحية والريحان يحيون روحك
يا محمد.

فقال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال: أبشرك أن أبواب الجنة قد فتحت وأثمارها قد أطردت، وأشجارها قد
تدلّلت، وحورها قد تزينت لقدوم روحك يا محمد.

قال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال: أبواب النيران قد أطبقت لقدم روحك يا محمد.

قال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال: أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة.

قال: لوجه ربي الحمد! فبشرني يا جبريل.

قال سيدنا جبريل: يا حبيبي عم تسألني؟

قال: أسألك عن همي وغمي، من لقراء القرآن من بعدي، من لصوَّام شهر رمضان من بعدي، من لحجاج بيت الله الحرام من بعدي، من لأمتي المصطفاة من بعدي؟.

قال: أبشر يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول: ((قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأُم حتى تدخلها أنت وأمتك يا محمد)) .

قال: الآن طابت نفسي، أدنَّ يا ملك الموت فانتبه لما أمرت به .
وهنا قال سيدنا جبريل:

- السلام عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، كل نفس ذائقة الموت، السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطني إلى الأرض، وإنما كانت حاجتي في الدنيا أنت، فبعد اليوم لا أنزل بعدها.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

- توفي رسول الله ﷺ بين سحري (صدري) ونحري وأحسست بثقله وأنا أنظر إليه وهو يشخص ببصره إلى السماء وهو يقول: اللهم الرفيق الأعلى وكان يحدثهم أن النبي لا يموت حتى يخيره الله بين الدنيا والآخرة ، تقول السيدة عائشة: فعملت أنه اختار الآخرة على الدنيا (خ)، حتى قبض، ومالت يده ﷺ .

وسمع في جنبات البيت قائلاً يقول:

- إِنَّ فِي اللَّهِ عِزًّا مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبِاللَّهِ فَتَقْوُوا، وإياه فارجوا، وإنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة اللَّهِ (حا) .

وما أن شعرت السيدة عائشة بوفاة الحبيب الأعظم حتى خرجت تبكي، وصاح رجل على باب المسجد: **وارسول اللَّهِ**. وضج الناس عند خبر وفاته ﷺ .

وأقبل سيدنا أبو بكر على فرسه من مسكنه، ودخل فرأى سيدنا عمر وقد أخذ سيفه وهو يصيح: من يقول رسول اللَّهِ مات علوته بسيفي هذا" فدخل سيدنا الصديق إلى الحجرة فرأى رسول اللَّهِ وهو مغطى فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال:

- "بأبي أنت وأمي ، لا يجمع اللَّهُ عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فَقَدْ مَرَّهَا". وجاء سيدنا عثمان إلى المسجد وقد أسكت لسانه من هول المصيبة لا يستطيع أن يتكلم وأما سيدنا علي فقد أقعد فلا يستطيع القيام، وأما عبد اللَّهِ بن أنيس فقال:

- اللهم إن كان هذا الخبر صادقاً فأمتني لساعتي. فوقع ميتاً. وقال رجل من الأنصار: اللهم إن كان هذا صحيحاً فأعمي بصري حتى لا أرى أحداً بعد نبيك ، فأعمي بصره لساعته.

فصعد الصديق إلى المنبر، وعمر يحول كالأسد المحصور ولا يريد أن يصدق أن رسول اللَّهِ قد مات، فاجتمع الناس حول الصديق وهو يناديهم: أيها الناس إلي، ثم قال:

أشهد أن لا إله إلا اللَّهُ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما ترك، وأن الحديث كما حدث، وأن اللَّه هو الحق المبين.

أيها الناس :

من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله ﷻ فإن الله حي لا يموت، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم.

ثم التفت إلى سيدنا عمر فقال: أنت الذي تقول إن رسول الله ﷺ ما مات، قال: نعم.

قال: أنسيت قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ .

فكان الناس لم يعلموا أن الله ﷻ نزل هذه الآية حتى تلاها الصديق رضي الله عنه، فقال سيدنا عمر: والله ما هو إلا سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها وعلمت أن النبي ﷺ قد مات.

أيها الأحبة :

بعد أن غُسل سيدنا رسول الله ﷺ كانت تفوح منه رائحة الطيب ، فكان سيدنا علي يقول:

- بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً.

وَكُفِّنَ رسول الله ﷺ ، ووُضع على سريره في المسجد وتركوه ساعة ، ثم دخلوا عليه أفواجا يصلّون عليه بدون إمام.

ودخل الصديق بعد أن بويع بالخلافة في سقيفة بني ساعدة ليصلي مع الصحابة عليه، وقد امتلأ بهم المكان، وعلاهم الصمت. فقال سيدنا الصديق :

السلام عليك يا رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، نشهد أن نبي الله ﷻ ورسوله قد بلغ رسالة ربه، وجاهد في سبيله حتى أتم الله النصر لدينه، وأنه وقي بوعده، وأمر ألا نعبد إلا الله ﷻ وحده لا شريك له، وكان المسلمون يجيئون: آمين آمين.

وقال لصحابته سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض".
فرفع فراش رسول الله ﷺ وحفر له القبر ودفن فيه ﷺ .

معشر العبيد :

هذه هي الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، الحقيقة التي يسقط عندها جبروت
المتجبرين وعناد الملحدين وطغيان البغاة والمتألهين. اسمع إلى ربك عز وجل: ﴿كُلِّ
نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ لتسمع الدنيا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ليسمع
المتكبرون ، ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنْ . وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .
فلا ألوهية إلا لله وحده، ولا حاكمية إلا للذي تفرّد بالبقاء، فلا يغلب الله
غالب، ولا يردّ قضاءه أحد ، هنا أو هناك ، وما أدراك ما هنا .
هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب
الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله ﷺ : الصلاة والسلام عليك.

صلى الله
عليه
وسلم

فهرس

الرقم العام	الرقم الخاص	رقم الحلقة	عنوان الشخصيات	الصفحة
١	١	١	سيدنا آدم وبدء الخلق	٥
		٢	سيدنا آدم وزواجه من السيدة حواء	١٥
٣-٢	٣-٢	٣	وفاة سيدنا آدم وشيث وإدريس	٢٣
٤	٤	٤	سيدنا نوح	٣٣
٥	٥	٥	سيدنا هود	٤٣
٦	٦	٦	سيدنا صالح	٥١
٧	٧	٧	سيدنا ابراهيم الخليل	٦١
		٨	سيدنا ابراهيم في بلاد الشام ومصر	٧١
٨	٨	٩	سيدنا إسماعيل الذبيح	٧٩
		١٠	سيدنا ابراهيم وإسماعيل وبناء الكعبة والوفاة	٨٧
٩	٩	١١	سيدنا لوط	٩٧
١١-١٠	١١-١٠	١٢	سيدنا إسحق وولده سيدنا يعقوب وحكم رواية الإسرائيليات	١٠٣
١٢	١٢	١٣	سيدنا يوسف	١١٣
		١٤	سيدنا يوسف في قصر العزيز	١٢٥
		١٥	سيدنا يوسف على عرش مصر	١٣٥
١٤-١٣	١٤-١٣	١٦	سيدنا أيوب وولده ذو الكفل	١٤٥
١٦-١٥	١٦-١٥	١٧	سيدنا شعيب وسيدنا يونس	١٥٥
١٧	١٧	١٨	سيدنا موسى بن عمران - النشأة والزواج	١٦٣
١٧	١٧	١٩	رسالة سيدنا موسى إلى فرعون	١٧٣

١٨١	بعثة سيدنا موسى	٢٠		
١٩٣	المؤمنون الثلاثة رسالة سيدنا موسى	٢١		
٢٠٣	الآيات التسع ونهاية فرعون	٢٢		
٢١٣	سيدنا موسى في سيناء	٢٣		
٢٢٣	سيدنا موسى ونهاية السامري	٢٤		
٢٣١	سيدنا موسى ونهاية قارون	٢٥		
٢٤١	سيدنا موسى مع سيدنا الخضر	٢٦	١٨	١٨
٢٥١	سيدنا موسى ونهاية بلعام بن باعوراء	٢٧		
٢٥٩	سيدنا إلياس واليسع وداود	٢٨	٢١	٢١-٢٠-١٩
٢٦٩	سيدنا سليمان بن داود	٢٩	٢٢	٢٢
٢٧٧	وفاة سيدنا سليمان	٣٠		
٢٨٥	سيدنا زكريا وولده سيدنا يحيى	٣١	٢٤-٢٣	٢٤-٢٣
٢٩٣	سيدنا عيسى بن مريم	٣٢	٢٥	٢٥
٣٠١	بعثة سيدنا عيسى	٣٣		
٣٠٩	العقيدة الصحيحة في سيدنا عيسى	٣٤		
٣١٩	القرآن يتكلم عن اليهود	٣٥		
٣٢٩	سيدنا ومولانا محمد آباؤه - أجداده - ولادته	٣٦	٢٦	٢٦
٣٤١	الولادة المباركة لسيد السادات	٣٧		
٣٤٧	رضاعه	٣٨		
٣٥١	في مراتب بني سعد ووفاة أمه	٣٩		
٣٥٧	كفالة جده وعمه	٤٠		
٣٦٣	في تجارة قريش	٤١		
٣٦٧	شماله وزواجه	٤٢		
٣٧٣	البعثة وإرهاصاتها	٤٣		
٣٨١	طرق قريش في مكافحة الدعوة	٤٤		

٣٨٩	الحصار وموت النصيرين والهجرة إلى الحبشة	٤٥		
٣٩٧	الإسراء والمعراج	٤٦		
٤٠٣	بيعتا العقبة والهجرة إلى المدينة	٤٧		
٤٠٩	الأيام الأولى في يثرب	٤٨		
٤١٣	اللبنة الأولى بناء المسجد	٤٩		
٤١٩	اللبنة الثانية والثالثة الدستور والمؤاخاة	٥٠		
٤٢٣	الآذان في السنة الأولى	٥١		
٤٢٧	المنافقون وغدر اليهود ومؤتمر الطوائف	٥٢		
٤٣٣	غزوة بدر الكبرى	٥٣		
٤٣٩	أسرى بدر	٥٤		
٤٤٥	غزوة أحد في السنة الثالثة	٥٥		
٤٥٣	دروس وعبر من غزوة أحد	٥٦		
٤٥٩	يوم الرجيع	٥٧		
٤٦٣	بئر معونة في السنة الرابعة	٥٨		
٤٦٧	إجلاء بني النصير	٥٩		
٤٧١	غزوة ذات الرقاع السنة الرابعة	٦٠		
٤٧٧	غزوة بني قينقاع	٦١		
٤٨٣	غزوة بني المصطلق وتعدد زوجاته	٦٢		
٤٩٣	الحكمة في تعدد الزوجات وذكر أخلاقه معهن	٦٣		
٤٩٩	حديث الإفك	٦٤		
٥٠٥	غزوة الأحزاب	٦٥		
٥١١	غزوة بني قريظة	٦٦		
٥١٧	صلح الحديبية وبيعة الرضوان	٦٧		
٥٢٥	رسائل سيدنا النبي إلى الملوك	٦٨		

٥٣٣	غزوة خيبر في السنة السابعة	٦٩		
٥٣٩	عمرة القضاء في السنة السابعة	٧٠		
٥٤٧	غزوة مؤتة	٧١		
٥٥٥	فتح الفتوح مكة المكرمة	٧٢		
٥٦٥	على هامش فتح الفتوح	٧٣		
٥٧٣	غزوة حنين	٧٤		
٥٨١	غزوة تبوك	٧٥		
٥٩١	آية النصر وعام الوفود	٧٦		
٥٩٩	حجة الوداع	٧٧		
٦٠٩	وفاة الحبيب الأعظم ﷺ سنة ١١ هـ	٧٨		